

مختارة من

تاريخ

الجنس

العربي

الشيخ

المكتبة القصصية
مكتبة

تاريخ الجنس العربي

في

مختلف الأقطار والأدوار والأقطار

أليف

محمد عسرة دروز

الجزء الخامس

تاريخ الجنس العربي ومآثره في دور العروبة الصريحة

قبل الاسلام

مقرون الطبع محفوظ للمؤلف

١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م

الناشر - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت

موجز مشتمل لهذا الجزء^(١)

- ١ — تمهيد في بحث مصادر دور العروبة الصريجة
- ٢ — الفصل الأول في مظاهر بروز الشخصية العربية الصريجة
- ٣ — الفصل الثاني تاريخ ومآثر العرب في جنوب الجزيرة في هذا الدور
- ٤ — الفصل الثالث تاريخ ومآثر العرب في شمال الجزيرة « » « »
- ٥ — الفصل الرابع « » « » « خارج الجزيرة » « » « »

(١) أنظر الفهرس المفصل في نهاية الكتاب

تمهيد في بحث مصادر دور

العروبة الصريخة قبل

الاسلام

مقدمة

في بحث مصادر هذا الدور

قد يبدو لأول وهلة ان مصادر تاريخ هذا الدور اكثر توافراً وأيسر منالاً بالنسبة للدور السابق على العروبة الصريحة الذي عقدنا له الاجزاء الأربعة الأولى من الكتاب . لأن وسائل الحضارة والتسجيل قد كثرت وترقت وعمت في حقبة هذا الدور التي تبتدىء بقرن قليلة قبل الميلاد المسيحي وتمتد إلى البعثة الحميرية أي أوائل القرن السابع بعد الميلاد ، ولأن عادة التدوين أخذت تنتشر فيها بمقياس واسع في مختلف انحاء البلاد الآسيوية والاوروبية وشمال افريقية على وسائل الكتابة الحديثة من قرطاس ورقوق بالإضافة إلى الاستمرار على التدوين النقشي على الحجارة والمعادن .

غير ان الذي كشف من النقوش قليل ومعظمه مقتضب أو مبتور أو ديني ولم يصل إلينا شيء من المدونات العربية الرقمية والقرطاسية قبل الاسلام .

ولا يعقل أن لا يكون العرب في الجزيرة ومهاجرهم قد سجلوا مآثرهم ونشاطهم وأفكارهم في هذا الدور الذي ارتقت فيه وسائل التسجيل والحضارة وعمت والذي لم يكن العرب بعينهم فيه عن هذه الوسائل بل المعقول أن يكونوا فعلوا ذلك بمقياس أوسع بكثير مما فعلوا في دورهم الاول الذي نشطوا فيه في سبيل تسجيل أفكارهم ومآثرهم ونشاطهم وتاريخهم نشاطاً غير يسير ، والنقوش الحجرية التي اكتشفت في جنوب الجزيرة وفي أعالي الحجاز في بلاد اللحيانيين والشموديين ثم في منطقة الصفا في حوران وفي بلاد الانباط وتدمر تدل على أن القراءة والكتابة كانت منتشرة في هذه المرحلة بين العرب بدمهم وحضرهم انتشاراً غير يسير . وفي الكتب العربية القديمة التي تحتوي كثيراً من تاريخ ومآثر العرب في هذا الدور إشارات لا تحصى فيها دلالة على أنهم عرفوا واستعملوا وسائل التدوين الحديثة من قرطاس وأقلام ومداد ورقوق كما ان في القرآن آيات كثيرة مؤيدة

لذلك . وما تذكره الكتب على سبيل المثال معلقات الشعر التي كانت تكتب وتعلق على الكعبة . وقد ذكرت الروايات ان النبي ﷺ دعا سويداً بن الصامت فأجابه لعلك تدعو الى ما في هذه المجلة ثم اخرج مجلة لقمان وعرضها عليه ^١ .

وقد يكون المسلمون في صدر الاسلام الاول قد أبادوا كثيراً من مدونات القدماء التي تتعارض مع تعاليم القرآن والسنة وخاصة التسجيلات الرقّية والقرطاسية منها كما قد يكون كثير من هذه اهتراً وباد . ولقد ذكرت كتب السيرة اشياء كثيرة عن الرسائل التي كان يكتبها النبي ﷺ للامراء والزعماء والاقبال في جزيرة العرب وأطرافها أو التي كان يتلقاها . وهذا يقال كذلك بالنسبة لجهود خلفائه الراشدين فلم يبق الدهر على شيء منها على حداثة عهدها وعلى ما كان لها عند المسلمين من احترام وقُدسية . ومع ذلك كله فانتا نميل الى القول انه لا بد من ان يكون هناك تسجيلات كثيرة على الرقوق والقرطاس والاحجار والمعادن في داخل الجزيرة وخارجها تنتظر التنقيب والكشف .

على ان القليل المكتشف والمدرّوس من النقوش الحجرية في داخل الجزيرة وخارجها بخطوط مسندية وثمودية ونبطية وتدمرية وحيانية و صفوية تساعد على عرض صور وثيقة ونشاطهم في هذا الدور مع التنبيه على قلتها أولاً وضيق مداها ثانياً لأن أكثر المكتشف مقتضب وفيه ما هو مشوه او ابتكر كما قلنا .

وهناك الى هذا مدونات اليونان والرومان واليهود والسريان التي يرجع تدوينها الى قبيل الميلاد المسيحي ويمتد الى بعده . وقد احتوت اشياء غير قليلة عن العرب في الجزيرة والمهاجر في هذا الدور . وهي مما يعول عليه كثيراً بدون ريب وان كان من الحق ان نقول ان ما احتوته قليل ومقتضب ، وان ما تمدنا به من الصور الوثيقة عن تاريخ العرب في هذا الدور ضيق النطاق .

ولقد احتوت الكتب العربية المدونة في القرون الهجرية الخمسة الاولى روايات كثيرة

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧-٢٨ اقرأ أيضاً الباب الثالث من كتابنا عصر النبي عليه السلام وبيته قبل البعثة . الحياة العقلية ٢٣٧-٢٨٨ حيث اوردنا شواهد قرآنية كثيرة على انتشار القراءة والكتابة ووسائلها الحديثة.

جداً متصلة بحقبة هذا الدور ومتضمنة صوراً كثيرة فيها روعة وقوة وتفصيلات مسبهة لماثر ونشاط العرب الديني والاجتماعي والحري والادبي والاقتصادي والسياسي في جنوب الجزيرة وشمالها وبلاد الشام والعراق . ويبدو من انعام النظر فيها انها غير خالية من حقائق تاريخية ، وان ما ورد فيها عن هذه الحقبة لا يصح ان يعد من نوع ما ورد فيها عن الحقبة السابقة لها لقصر المدة التي مرت بين التدوين الاول والرواة الاولين نسبياً ، غير ان من الحق ان نقول ان بقاء الروايات محفوظة في الصدور أو متداولة على اللسان فقط عدة اجيال او قرون الى بدء تدوينها منذ القرن الهجري الاول او الثاني جعلها مشوبة بكثير من المبالغات والمفارقات والنقائص والتخمينات والخيال ، وعرضة لدخول كثير من المنحولات والاكاذيب عليها بعد الاسلام لغايات أدبية وحزبية وقبلية وسياسية وشخصية وأسروية .

ومن أجل ذلك فان الاعتماد القوي عليها في تدوين مآثر ونشاط العرب في هذا الدور غير سليم اذا اريد لهذا التدوين الوثوق والصحة . وان كان ذلك لا يمنع ان تكون من المراجع التي يستند اليها او يستأنس بها مع التزام الحرص والتحفظ .

على ان هناك مصدراً عظيماً صحيحاً كل الصحة وصادقاً كل الصدق وهو القرآن على اعتبار انه اقدم وثيقة مسبهة مكتوبة وصلت اليها رسالة من كل شائبة تعود الى اربعة عشر قرناً مع الاحترام لقدسيته وكرامتها .

ولقد احتوت فصول القرآن الوعظية والتذكيرية والتنديدية والتنويهية والانذارية والتبشيرية والقصصية والجدلية صوراً كثيرة جداً عن هذه الحقبة بالنسبة للعرب عامة والحجازيين خاصة . وسيكون على هذه الفصول معولنا الاقوى والاكبر في الكلام خاصة عن حياة العرب ومآثرهم ونشاطهم الاجتماعي والعقلي والديني والادبي في هذا الدور ولا سيما لأواخره ثم بالنسبة للحجاز خاصة وهو البيئة التي نزل فيها . وان كان من واجبننا أن ننبه على ان الصور التي يمكن اقتباسها من القرآني هي من قبيل الاستنتاج والاستلham . وهو قصارى ما يساعد عليه الاسلوب القرآني وهدف تنزيله الوعظي والتبشيري والانذاري والديني والتشريعي .

ولقد احتوت الاجزاء الستة الاخيرة من الكتاب الجليل الذي ألفه الدكتور جواد علي في تاريخ العرب قبل الاسلام كثيراً بل أكثر ما عرف من نصوص المنقوشات العربية العائدة الى هذا الدور ثم كثيراً مما احتوته المدونات القديمة الرومانية واليونانية والعربية العائدة الى ما قبل الاسلام وبعده بقليل مع دراسات قيمة . ولقد ذكرنا في مقدمة الكتاب في الجزء الاول ان هذا الكتاب الجليل كتب للتخصصين وكمراجع واسع من التاريخ العربي قبل الاسلام قد يضيق به الذين يحبون ان يقرأوا تاريخ العرب قبل الاسلام للاطلاع والامام بدون توسع كبير . وهو ما توخينا تحقيقه في سلسلتنا بالاضافة الى الفكرة الاساسية التي قامت عليها وهي عرض تاريخ الجنس العربي في مختلف اطواره في سلسلة واحدة . وسنعمل على هذه الاجزاء تعويلاً كبيراً في هذا الجزء كما فعلنا في الجزء الاول الذي عقدناه على تاريخ العرب القديم في الجزيرة العربية وبخاصة في جنوبها .

الفصل الاول

مظاهر بروز الشخصية العربية الصريخة

- ١ — تطور كلمة العرب والعروبة
- ٢ — مراحل تطور اللغة العربية
- ٣ — شمول اسم العرب لجميع العرب وغدو اللغة الفصحى لغة جميع العرب قبل الاسلام ومؤيدات ذلك .

تطور كلمة العرب والعروبة

قلنا في مقدمة الكتاب في الجزء الاول ان الشخصية العربية الصريحة اخذت تبرز قبل المسيح بخمسة سنة أو أكثر قليلاً . ونقول هنا تفصيلاً لذلك ان هذا البروز كان في الاسم الذي ظل يتطور حتى صار بصيغته الفصحى (العرب والعربية) علماً على سكان جزيرة العرب والذين خرجوا منها كما كان في اللغة التي ظلت تتطور بدورها وتقترب من اللهجة الفصحى الى ان بلغتها .

ولقد كانت نواة الاسم الفاظاً من اشتقاقه وهي (عربي - اربي) و (عرابا - وعرايا) او (ارابا - ارابايا) التي ذكرت في نقوش ومدونات قديمة منها ما يرجع الى القرن التاسع قبل الميلاد للمسيحي^١ . وقد قال الباحثون وعلماء اللغات في اللهجات العربية القديمة او السامية كما يحلو ان يقال ان الكلمة في هذه اللهجات كانت تعني البادية وسكانها^٢ . وقد يؤيد هذا كون الكلمة العربية الفصحى « الاعراب » تمثل هذا المعنى حيث جاءت في القرآن بمعنى البدو في آيات عديدة منها آيات سورة التوبة هذه « وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم » (٩٠) و « الاعراب اشد كفراً ونفاقاً واجدر الايمانوا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم . ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغمراً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم . ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم » (٩٧ - ٩٩) . وحيث جاءت فيه كذلك بمعنى البادية كما تفيد آية سورة الاحزاب هذه « يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن أنبيائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلاً » (سورة الاحزاب ٢٠) .

وفي لسان العرب لابن منظور (حرف الباء مع العين) ان كلمة الاعراب تعني اصحاب

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٦٩ وبعدها والعرب قبل الاسلام زيدان طبعة جديدة

ص ٣٩ وبعدها

(٢) المصدر الاول . انظر ايضاً تاريخ اللغات السامية ولفسون ص ١٦٤

النخلة الذين يرتادون الكلاً ويتتبعون مساقط الغيث ومضان المياه وان للكلمة صلة بالماء حيث يقال عن الماء الكثير ماء (عرب) وعن الاكثار من شرب الماء (التعريب) وعن البئر الكثيرة الماء (بئر عربية) وان كلمة عربية من اسماء مكة وفي ذلك قال الشاعر :

وعربة أرض لا يحل حرامها من الناس إلا اللوذعي الحلال^١

وان هذه الكلمة هي اصل تسمية العرب لأن احد اجدادهم اسماعيل حل فيها ونجا وكثر وانتشرت ذريته في الجزيرة العربية ، وان هناك من قال ان العرب سبوا باسمهم اقتباساً من اسم جدهم الاكبر يعرب بن قحطان . وهناك من يذهب الى ان الكلمة مقلوبة من عبر بمعنى ارحل واجتاز أو مبدولة من غرب بمعنى بلاد الظلام في العبودية للكنانية عن جزيرة العرب^٢ .

ولقد ذكر ياقوت في معجم البلدان اسم عربة وقال انه اسم قرية في اول وادي نخلة من جهة مكة واسم عرب وقال انها ناحية قرب المدينة .

ومما يمكن من امر فان الكلمة متطورة من كلمة ليست فصحي الصيغة لأن العربية انما صارت الى دور فصاحتها الذي يمثله القرآن الكريم قبل الاسلام بما لا يزيد عن مئتي سنة في حين ان نواة الكلمة التي تطورت عنها على ما يرجحه الباحثون قد قرئت في نقوش ومدونات تعود الى ما قبل الميلاد المسيحي بقرون عديدة . وبعبارة اخرى ان نواة الكلمة قد تكون ارايا وعرايا واربي وعريبي التي قرئت في النقوش والمدونات والتي قد يكون من معانيها الارتحال والبدو والبادية والجماعات الذين كانوا يجمعون لتتبع المياه في جزيرة العرب واطرافها او التي قد تكون اطلقت على مكان او مدينة من اماكن ومدن جزيرة العرب او اطرافها في العهود السابقة للميلاد وان هذه الالفاظ تمثل بداية بروز الاسم العربي الصريح الذي اطلق على جزيرة العرب واهلها ومن خرج منها الى الاقطار المجاورة في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام ، وانها عربية الجنس من دون ريب الدلالة على ذلك .

وأقدم اثر معروف ذكرت فيه احدى هذه الكلمات وهي عربي او اربي نقش لمناصر الثالث الملك الاشوري (٨٦٠-٨٢٥ قم) . وقد ذكرت الكلمة فيه مترافقة مع اسم

(١) يشير الشاعر بذلك الى حل مكة في ساعة من نهار التي عليه السلام حيناً زحف عليها وقتها .

(٢) انظر تاريخ اللغات السامية لولنفسون ص ١٦١ وبعدها

جنديو ملك عربي او اربي كحليف من حلفاء ملك دمشق الآرامي اداد يدري ضد
أشور . وقد ذكر النقش انه اشترك بألف جبل . واعتبر الباحثون ذلك علامة على
بدوية جنديو^١ .

وقد ذكرت الكلمة في نقوش آشورية أخرى أيضاً . فذكرت في نقشين لتغلات
بلاسر الثاني (٧٤٥-٧٢٧) ق م جاء في أحدهما اسم زيبى ملكة أرض عربي وجاء في
ثانيهما اسم سمس ملكة عربي^٢ . ثم ذكرت في نقش لسرجون الثاني (٧٢٤-٧٠٥)
مع اسم سمس ملكة عربي أيضاً^٣ . وذكرت في نقش لسنحاريب (٧٠٥-٦٨١)
مترافقة مع اسم ياتيا tie, الذي يمكن ان يكون نواة عطيه او عطيه ملكة اربي^٤ ،
وذكرت في نقش آخر لهذا الملك مترافقة مع اسم تلخوني ملكة اربي^٥ .

وبرغم ما قاله علماء اللهجات العربية القديمة ومع احتمال صحة قولهم فان تكرار الكلمة
مع اسماء ملوك عديدين واحد وراء آخر خلال مئة وخمسين سنة قد يسوغ القول انها لم
تكن تعني البادية أو البدو إطلاقاً وانما كانت او صارت تعني بملكة بعينها ولا سيما انها لم
تلتحق بأسماء ملوك آخرين من ملوك البادية ذكرت أسماءهم وأسماء بلادهم في نقوش
آشورية أخرى . وهو ما يذهب اليه الباحثون أيضاً الذين خمنوا موقعها منطقة دومة
الجندل^٥ .

أما أقدم اثر معروف ورد فيه كلمة عرابا او ارابا فهو تاريخ هيرودوت اليوناني من
رجال القرن الخامس قبل الميلاد حيث ذكر هذه الكلمة وصفاً أو اسماً لشبه جزيرة العرب
مدخلاً فيها جزءاً من الأرض المصرية التي هي في شرق وادي النيل^٦ .

وقد وردت أيضاً في كتاب لاكسيوفون اليوناني من رجال القرن نفسه اسماً أو وصفاً
للمنطقة التي حدها أمر الملك دارا والتي كان المقصود منها الصحراء المتلحمة لسورية
الجنوبية^٧ . والسياق قد يفيد ان هذا الاسم قد ورد في أمر دارا بالاضافة الى اسم

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٢٩٩ وتاريخ العرب لفيليب حتي الترجمة العربية ج ١

ص ٤٥

(٢) جواد علي المذكور ص ٣٠٢

(٣) نفس المصدر ص ٣١٢

(٤) المصدر السابق ص ٣١٨-٣٢٠ (٥) ٣٠٢

(٦) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٧٦ (٧) نفس المصدر

فينيقية في سياق تنظيم الولايات الشامية التي صارت في نطاق السلطان الفارسي في الثلث الاخير من القرن السادس قبل الميلاد .

وقد وردت كلمة عرابايا او ارابايا في جغرافية بطليموس مترافقة مرة مع لفظ الصحراء Deserta ومرة مع لفظ البتراء Petraea ومرة مع لفظ السيدة Felix وقصد بالاولى بادية الشام وبالثانية شرق الاردن وبالثالثة الجزء الجنوبي من جزيرة العرب^١ ويوجد في الجانب الغربي من شبه جزيرة سيناء مما يلي شرق الاردن واد يحمل الى الآن اسم وادي عربية من المحتمل ان يكون اسمه متطوراً عن تلك التسمية او ان هذه التسمية جاءت من اسمه .

ولقد سمي الرومان حينما قضوا على مملكة الانباط في شرق الاردن التي كانت عاصمتها البتراء من اوائل القرن الثاني بعد الميلاد بلادها مقاطعة ارابايا او عرابايا^٢ مما فيه امتداد للتسمية السابقة على ما هو المتبادر .

وبالاضافة الى هذا فان استرابون استعمل كلمة Erembi وصفا للعرب . وقد نحن الباحثون انه يحرف من ارابي او عارابي^٣ . وفي هذا شيء من التطور والاقتراب نحو الصيغة الفصحى .

وفي سفر تخميا اسم جاشم العربي في سياق ذكر اعداء بني اسرائيل الذين نشطوا لاجباط جهود العائدين من السبي منهم في الثلث الاخير من القرن السادس قبل الميلاد في سبيل تجديد اورشليم ومعبيدها^٤ . ولا ندرى هل قصد بهذا الوصف معنى البدوي او انه كان يطلق بلفظه على قوم جاشم . ولذا صح القرض الاخير فيكون مها في بابيه من حيث قدم الاسم وتطور مداه .

ولقد ورد في سفر اخبار الايام الثاني الذي يرجح تدوينه بنصه الحالي في القرن الخامس

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ٣٥٧-٣٥٨

(٢) تاريخ العرب المطول حتي الترجمة العربية ص ٩٧ ج ١

(٣) العرب قبل الاسلام ج ١ ص ١٧٧

(٤) الاصطاح ١

قبل الميلاد جملة « ملوك العرب » في سياق ذكر الذين قدموا لسلیمان هدايا^١.

ولقد وصف اسكيلوس اليوناني من أهل القرن الخامس قبل الميلاد ضابطاً اشتهر في جيش احشوريث بوصف « العربي » في مقام التنويه^٢.

وما قلناه في سياق وصف جاشم يقال فيما ورد في أخبار الأيام وفيما قاله اسكيلوس أيضاً .

وعلى كل حال فإنه يصح ان يقال ان نواة كلمات العرب والعربية والعربي قد برزت في أوائل الألف الأول قبل الميلاد المسيحي . ثم أخذت تذكر خلال هذا الألف بصراحة في تسجيلات مختلفة وصارت تطلق على العرب وبلادهم جزئياً على الأقل قبل الميلاد المسيحي ثم صار نطاق إطلاقها يتسع بعده الى ان بلغ ذروته قبل الاسلام على ما سوف نفضله بعد .

(١) الاصطاح ؛

(٢) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٧٦

مراحل تطور اللغة العربية

ولقد كان تطور اللغة التي كان يتكلم بها سكان جزيره العرب ومن هاجر منهم الى الاقطار المتاخمة لها منذ الالف الاول قبل الميلاد المسيحي واقتربا شيئاً بعد شيء الى اللهجة الفصحى يجري متوازياً مع تطور الاسم . ولما كانت اللهجة العربية الصريحة بادية على اسماء جنديبو وزبيبي وسنس وعاطية التي ذكرتها النقوش القديمة في القرون التاسع والثامن قبل الميلاد المسيحي وعلى اسم جاشم الذي ورد في سفر نحميا الذي كتب في القرن الخامس قبل الميلاد المسيحي فيسوغ ان يقال ايضاً ان اللغة العربية الصريحة بدأت بدورها تتميز في أوائل الالف الاول قبل الميلاد كالاسم ثم استمرت تجري في مراحل التطور والبروز حتى بلغت ذروة تطورها باللغة الفصحى التي نزل بها القرآن .

ومن الممكن ان تلح مراحل تطور اللغة من استعراض ومقارنة النصوص التي قرئت على النقوش المعينة والسبئية والحضر موتية والقتبانة والحضر موتية والخيبرية في جنوب الجزيرة والحيانية والثمودية في شمالها والنبطية والتدمرية والصفوية والبخمية في بلاد الشام والعراق والتي تعود إلى الحقبة الممتدة من القرن الاول قبل المسيح الى القرن السادس بعده .

واليك نماذج كثيرة متنوعة تمثل مراحل هذا التطور بقدر الامكان في الحقبة المذكورة والدكتور جواد علي دراسات قيمة وطريقة في مقارنات وتطورات صيغ الافكار والجموع وحرف الاشارة والعطف والتعريف وعلامات التأنيث والتذكير والاسماء الموصولة والضمائر والاعداد لكثير من هذه النماذج^١ . وقد رجح ان عدم الاجادة في الكتابة وعدم استعمال الحروف الصوتية أو حروف المد من أسباب ما يظهر بين كثير من الالفاظ وبماثلتها في الفصحى من تباين . وهو ما يبدو واضحاً عند انعام النظر فيها . وفي هذه النماذج كثير من الالفاظ بل أكثر الالفاظ تبدو بمثابة نواة أو أصل لما صارت اليه في الفصحى . وهناك ألفاظ كثيرة مشابهة لكلمات فصيحة غير دارجة اليوم مثل ضرم بمعنى الحرب وجندل بمعنى الحصن وسفر واطر بمعنى كتب الخ . وقد وضعنا في الذيل تفسيرات فصيحة للنماذج اقتباساً من المصادر التي نقلناها منها .

(١) الجزء السابع من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام

نماذج من النقوش المسندية في جنوب جزيرة العرب

جل هذه النقوش بل كلها وجدت في جنوب جزيرة العرب . وهي عائدة إلى الحقبة الممتدة من القرن الثاني عشر قبل الميلاد إلى القرن السادس بعده .

ولقد قام في هذه الحقبة بمالك عديدة عرفت بأسماء الممالك المينية والحضر موتية والقبانية والاسوائية والسبئية والريدانية والحيرية . وكان ملوكها يتنازعون على السيادة العليا في مختلف أدوار هذه الحقبة . وحينما كان ينجح بعضهم في توطيدها لنفسه ولخلفائه من بعده كان الباقون يحتفظون بالحكم المحلي في مناطق قبائلهم كملوك بمالك ثلثية مع الخضوع لمن تكون له السيادة العليا ثم يستأنفون التنازع والتنافس عليها على ما شرحناه في الجزء الاول . ولذلك فإن النقوش تمثل على الاغلب الحقبة أكثر مما تمثل الدولة . وهذا فضلا عن التشابه بل التماثل في اللغة مفرداتها وضمائرها وأفعالها وصيغها . واليك نماذج عديدة تمثل مراحل هذه الحقبة وفي معظم الكلمات نوى للالفاظ الفصحى :

١ - نقوش عائدة للحكم المعيني خلال الالف السابق للميلاد

أ - أسماء ملوك معينيين في الحقبة الممتدة من القرن الحادي عشر إلى القرن السادس

قبل الميلاد :

اليقع وقه - وقه ال صدق - ابو كرب يشع - عم يشع نبط - يشع صدق ال -
اب يدع - حفن بن اب يدع - وقه ال ويأم - اب يدع يشع - اليقع يشر - يشع ال ريم
- تبع كرب بن يشع ال ريم - حفن ذرح ١ .

ب - أسماء رجال دولة بارزين :

علمن بن عم كرب ذ حذار - بأس ال - يذكر ايل - سعد ايل - وهب ايل -
يسمع ايل - شهر علمن - ثوب ايل - يسلم ايل ٢ .

(١) جواد علي ج ١ ص ٣٨٥ - ٣٩٧ والعروبة الصريحة بارزة بقوة على الاسماء . وال او ايل هي نواة كلمة الاله او الله بالفصحى على الاغلب ومعناها - ووقه نواة فعل وفي بقي في الفصحى .

(٢) نفس الجزء والصفحة . وما قلناه في صدد أسماء الملوك نقوله في صدد هذه الاسماء . وحرف (ذ) بمعنى آل في الفصحى . ويسمع ايل هي نواة اسماعيل على الارجح والاسماء : بأس الله وذكر الله وسعد الله وهب الله وسع الله وهب الله وسلام الله . ومعظم الاسماء في صيغة المضارع الفصحى وهذا ما كان اهل اليمن وظلوا يفعلونه في مختلف ادوار التاريخ الجاهلي .

ت - يوم ذبيح عثوز قبض كبودت وكون احد كبودت اربعة واربعى وذبح
الالت بقر وسقنى بسم كل معن حرم واجرم^١ .

ث - بالات معن ويثل وبخل كرب صدق ملك معن^٢ .

ج - ورت د بوسل اسم واسطرسم عثوز ثوقن وعثوز قبض وود ونكرج وعثوز
يهرق وكل الالست معن ويثل وكل الالت وشيم هي واملك واشعب وجو بن كل ذ
يسنكر سم وسفاني وختبيل بن مقمسهم بضم وساهم يت ارضهم^٣ .

ح - هجرن قرونو بتلج ربعن رمشو^٤ .

خ - ويوم شبت اب يدع يثع ملك معن وسود معن^٥ .

٢ - نقوش عائدة الى الحكم القتياني خلال الالف الاول قبل الاسلام :

أ - بضم تنشأ يدع ال بين وسه على نيف ويثع امر وتر واملك سبأ واشعبهو
واملك رغن ورغن بعلو يدع اب وقتبن وولدعم^٦ .

ب - يذمر ملك جيا وهشب شعبن ذبحن ذ حرر وانس وذ وذن وصبرم وهجرهو
ومتخلهمو وارضهمو وابضعهمو لهم ولأنبي والملكهمو يدع اب يحل بن ذمر علي ملك
قتبن^٧ .

(١) علي جواد ج ٧ ص ١٠٠ وبالفصحى : يوم ذبح العشر رب مدينة قبض اربع ذبائع . وكانت احدى
الذبائع اربعاً وأربعين ذبيحة . وذبحوا للالهة بقرأ وعجولا باسم كل معنيي الاحرار منهم والاجراء .
(٢) ص ١٢٤ بحق آلهة معن ويثل وبخال كرب صدق ملك معن .

(٣) جواد علي ج ١ ص ٣٩٣ وبالفصحى ورصد آل وبر وفهم ونقوشهم في حاية عثوز شرقن وعثوز
قبض وود ونكرج وعثوز يهرق وجميع آلهة معن ويثل وجميع آلهة سبأ ومحامي سبأ وملوك سبأ وشعوب
سبأ لمنع كل من يغيرها ويبيدها في ايام السلم والحرب . (عثوز ونكرج وود اساءه مبيودات وشرقان
وقبض ويهرق اساءه مدن . وضم فصحى بمعنى الحرب والعروبة المريجة ملفوحة على النقش جلة ويضمن انه
كتب في القرن الثامن قبل الميلاد .

(٤) ص ٣٨٩ وبالفصحى : مدينة قرونو في ريع رمشو فيها

(٥) ص ٣٨٩ وبالفصحى : ويوم فوض بذلك اب يدع يثع ملك معن وبجلس شورى معن الذي
كان يسمى مسود .

(٦) جواد علي ج ٢ ص ١٦٤ والعروبة المريجة ظاهرة بقوة على كلمات النقش وفيها خبر عن حرب
نشأت بين ملوك سبأ ورغن وقتبان واشترك فيها شعوبهم

(٧) جواد علي ج ٢ ص ١٦٤ وهذا النقش تنمة لخبر الحرب الذي ذكر في النقش السابق وفيه خبر
استيلاء ملك قتيان على شعوب واراض واموال ومزارع بني ذبحان وبني حوران وبني نأس وبني ود
وبني صبر وغدو ذلك ملكاً لآلهته عم وابني وله .

ت - اسماء ملوك قتيانيين حكموا بين القرن التاسع والقرن الرابع قبل الميلاد :
 شهر يدع اب ذ يمان ينعم - شهر هلال يرجب - شهر بجل - ذمر علي - يدع اب
 بجل - سمه علي وتو - هوف عم ينعم - اب شم - شهر غيلان - نبط عم - روال غيلان
 ينعم - فرع كروب يوضع - يدع اب ينف^١

ث - شهر روخن ذ تمنع خرف موهبهم ذ ذرحن آخرن^٢

ج - عشر كل هنأم ومو بل وتقتم وتوثم كل نطم بينفط^٣

ح - سطر ذ تن اسطر ن بيت ورفو^٤

خ - يد شهر ورخص ذ بوم قدمن خرف موهبهم ذ ذرحن^٥

د - نبط عم بن سمع دهب^٦

ذ - وورخن ذ تمنع ورخن ذ بوم^٧

ر - بيت عم د ليخ بن غيلم وخلفن ذ سدو بتمتع ورخص ذ تمنع خرف شهر ذ بجر

آخرن^٨

ز - ول يفتح هج دن ذ محر ن بنحو خلفن ذو سدو ورخصن ذ عم خرف اب علي

بن شجر قد من وتعلماي يد شهر^٩

(١) جواد علي ج ٢ ص ٥٦ - ٦٣ والعربية الصريحة ملوكة في الاسماء التي جاء اكثرها في صيغة

المضارع التي ظلت تغلب على الاسماء اليمنية قبل الاسلام

(٢) نفس الجزء صفحة ٢٥ ومعنى النقش من هلال شهر ذو تمنع سنة موهب ذو ذرحان وتعني جملة

آخرن آخرن الاشهر الذي تلي الشهر إلى امر آخر

(٣) ص ٢٦ ومعنى النقش : عشر كل ربح صاف وكل ربح يأتي من التزام أو بيع أو ارث

(٤) ص ٢٦ ومعنى النقش : سطر - كتبت هذه الاسطر في معبد ورقو

(٥) ص ٢٦ ومعنى النقش : يد شهر في شهر ذي برم الاول من سنة موهب آل ذرحان . وكلمة

قدمن فسرت بالاول إلى السابق . وهي في معنى (الاول) كما هو ظاهر .

(٦) جواد علي ج ٢ ص ٢٦ هذا النص تابع لسابقه وقد اريد به اشهاد صاحب الاسم على ما احتوته

الكتابة السابقة وجملة (دهب) بالفصحى (من آل هب)

(٧) ص ٢٧ وبالفصحى : شهر ذو تمنع وشهر ذو برم الاول (وكلمة شهر بمعنى الهلال والجملة في صدد

تسجيل تاريخ بعض الاحداث

(٨) ص ٣١ وبالفصحى : ميت الاله عم رب بنح الكائن بذئ غيل وعلى باب ذو سدو بمدينة تمنع في

شهر ذي تمنع في السنة الثانية من سني شهر بجر

(٩) ص ٤١ وبالفصحى : وليفتح هذا الامر - اي يعلن - على طريق باب ذو سدو في شهر ذو عم

من السنة الاولى من سني اب علي بن شجر وقد علقته (وقعته) يد شهر

س - عليهمو نلهن ملك سبأ وخميس واعرب ملك سبأ ذجم وقتبن واقول واقوم
واشعب ملك احبشت ارض ونوين ذ ريدن اذينت وخميس واعرب ملك سبأ^١

ش - حلكم سحر وحرج شهر هلل بن ذرا كرب ملك قتبش شعب قتبش وذعلسن ومعن
وذعتم ابل صروب عدو سدو^٢

ص - اسماء مبودات واماكن واشخاص وقبائل واسر في نقوش قتبانية^٣
ذات سحرن - ربحن - ولد عم - عم يسون - عم شقيز - ذات بعدن - ذات
غفرن - اب عم - زيدم - ذو يهر - ذو درعت - ذو اثرت - جدغم - ردهم - رشم
عضرن - هرن - ذرحن - بوسن - معدن - اجان - شعبن - فقدن - ذمرن - اجرم
ليسن - بنو عرقن - بنو بوضم - قشتم - بينم - كتم - ذتود - عم رعست -
برام زمين - حجرو - جدلم - سمم - مطرن - مغلن - دمن - مخضن - غرن -
ذ شغم - ذ ملخم - ذو ورقن - ذ شحط - ذ رآن - رسم - قنن - غم رشون -
خلين .

٣ - من النقوش العائدة للملكة حضرموت خلال الالف السابق لليلاد

آ - العزيزيلط ملك حضرموت بن عم ذخر سير اذ جندلن انودم هس لقب^٤

ب - سين ذ علم نسر علق احن^٥

ت - تفس واذنس وولنس وقنيس وصبحت عنيس وذكر لسين^٦

ث - حشتم بن مذ سقم ذ جرب^٧

(١) ص ٤٦ وبالفصحى : من نصيبهم لعلهان ملك سبأ وقبائل واعراب ملك سبأ ذوحي وقتبان
واقبال ومقدمين وقبائل ملك الحبشة ارضي ونجوم ذو ريدان اذينة وقبائل واعراب ملك سبأ

(٢) جواد علي ج ٢ ص ٤٠ والنقش بالفصحى : حكم او قانون اصدده وامر به شهر هلال بن
ذرا كرب ملك قتبش لشعب قتبش وبني غلسن ومعن وعتم اصحاب ارض سدو

(٣) نفس الجزء ص ٥-٦٣ معظم الاسماء نوى لكلمات فصحي واكثرها ينقصها حروف المد وربما
كانت تنطق بالمد : سحران - ربحان - ييران - بعدان الخ

(٤) جواد علي ج ٣ ص ٧٥ والعبارة بالفصحى : العزيزيلط ملك حضرموت بن عم ذخر سار الى
حصن انود ليتلقب . وجندل فصحي يعني حصن . ويظهر ان من العادة ان يذهب ملوك حضرموت الى هذا
الحصن ليتوجوا فيه لاعتبارات بحرية .

(٥) ص ٨٨ وبالفصحى : سين العليم رب مدينة علق احن .

(٦) ص ٨٧ وبالفصحى : روحه وجسمه واولاده وما يفتنيه ونور عينيه وكل ما يفكر به في قلبه
هو لسين اله حضرموت .

(٧) ص ٦٦ وبالفصحى حش بن مذ سقم من آل جرب

ج - كبر روى عسم بن حبسم من مذبح^١

ح - من اسماء رجال الملك الغزليط :

رب ال بن عذم لات - هبسل قريشم - نصرم بن نهدم - رقصم بن اذمر - الم بن
يعلاد - الم بن بقلم - اب كرم ذو ورم - اب كرب مقتوى ملكن^٢

خ - اسماء معبودات حضر موتية^٣

سين - عثو - حول - شمس

د - اسماء مدن ومواقع حضر موتية :

مذبح ، مشور ، ميفعة ، شبوه ، غان ، يهر^٤

ذ - اسماء ملوك حضر موتيين^٥

صدق ال ، شهرم علن ، سمع يفع ، يدع ال بين ، امين ، يدع اب غيلان ، رت شمس ،
اب يزغ ، حي ايل ، معدي كرت بن اليفع ، السمع ذيبين ، اليفع ريم ، عم ذخر ،
الغزليط ، يرعش بن ات يزغ ، علهان بن يرعش
ه - من نقوش مملكة اوسان خلال الالف السابق للميلاد

أ - اسماء ملوك اوسانيين^٦

مروتوم ، زيدم سيلان بن معد ايل ، معد ايل سلحن بن يصدق ايل ، يصدق ايل
فرعم شرح عث بن ورم ، معد ايل بن زيدم

ب - اسماء مدن ومواقع كانت في حكم مملكة اوسان^٧

حمان ، انقم ، حبن ، رباب ، رشاي ، جردن ، دتنت ، تقد ، دهمس ، اودم
ت - نقش لامراء اوسانية اسمها (رثدت) وجد مهنما وفيه هذه الكلمات :

(١) ص ٦٦ وبالفصحى : كبير قبيلة روى عسم بن حبسم من مدينة مذاب

(٢) ص ٧٥ ذكر هؤلاء الرجال كمرافقين للملك عندما ذهب الى حصن انود . وكلمة مقتوى بمعنى قائد . والعروبة الصربية ملحوظة في الاسماء .

(٣) نفس الجزء ص ٨٦

(٤) جواد علي ج ٢ ص ٨٦-٨٨

(٥) نفس الجزء ص ٩٠-٩٣ والعروبة الصربية قوية بارزة على الاسماء والتأثيل ثم بينها وبين
الاسماء السابقة

(٦) نفس الجزء ص ٩٣-٩٧

(٧) نفس الجزء والصفحات

- ذت بغيثت اخت * سقنيت مرأس صلعم ذ ذهب^١
- هـ - من نقوش مملكة سبأ وذي ريدان خلال الالف السابق للميلاد
- أ - صبحم بن يتع كرب فقطن^٢
- ب - كل جوم ذا لموشيعم وذ حبلم وحمرم^٣
- ت - عم شفق بن عم كرب ذ خلل مود يدع ال ويشع امر وكرب ال^٤
- ث - رسقى خرف وذاسبا وجوم شيعم^٥
- ج - السمع نبط بن نبط علي ملك كمنهو وشعبهو كمنهو لالقه ومريبو ولسبأ^٦
- ح - ذا بهي ذخرف بعثتر بن خدمت^٧
- خ - يذمر ملك جبسا وهبت شهن ذبحن ذ حمرد ونأس وذ وذن وصبرم وذ * * *
وهجرهم ومنخلهم وارضهم وابضهمو لهم ولأنبي والملكمو يدع اب يحل بن ذمر علي
ملك قتب^٨
- د - كرب ال يصدق ذ يفغن واب امر ابن حز قوم أواب كرب ذ توحن وعم يشع
ذ مونين ولحي عث بن ملخن ذ اربعنهن واسد ذخرن بن قلزن اربعنهن^٩

(١) جواد علي ج ٢ ص ٩٦ وقد ذكر المؤلف ان النقش يسجل خير تقديم ردة صنم الذهب لبعده
نعان لحفظ سيدها ملك أوسان يصدق ال فرعم (وكلمة سقنيت بمعنى قدمت)

(٢) نفس الجزء ص ١١٠ وبالفصحى صبح بن يشع كرب فقطن

(٣) ص ١١٣ وبالفصحى : كل قبائل جوم بنو لام وبنوشيم وبنو جبل وبنو حمير

(٤) ص ١٢٢ وبالفصحى : عم شفق بن عم كرب ذو خليل (رئيس خليل) محب ليدع ايل ويشع
امر وكرب ايل (ومود بني محب)

(٥) ص ١٢٣ وبالفصحى : وسقى الاله سبا وقبائل جوم في الحريق والربيع سقاية مشعة

(٦) ص ١٣٦ وبالفصحى : السمع نبط بن نبط علي ملك كمنهو وشعبه خاضعون للاله المقه ولامرأه
سبأ

(٧) جواد علي ج ٢ ص ١٦٢ وبالفصحى : في شهر ذي ابي من سنة عثتر بن خدمت

(٨) ص ١٦٤ : يذمر ملك سبا وهب وشعبه ذبح قبائل ذي جر وناس وذي ود وذي صبر واستولى
على مدنهم ووديانهم واراضهم واماوهم فقدت للاله عم والاله اني والملكم يدع اب يحل بن ذمر علي
ملك قتب

(٩) ص ١٦٦ وبالفصحى : كرب ايل يصدق امر يفغان واب امر ابن حز قوم وابو كرب وامير
ترحان واسد ذخرن بن قلزن من قبيلة اربع نهن

- ذ - آدم ملكن ذ سموي اله امرم بعل بين^١
 ر - وشو ذت غضرت قين سحر وقين يدع ال بين^٢
 ز - سمم ذات علم^٣
 س - امر اهموين سخيم^٤
 ش - قالب ريمم بعل خضعن ذ هجرن اكانط^٥
 ص - احزب حبشت هجرم زوم وسهرتن^٦
 ض - ابو كرب مقتوى شمر يو عرش ملك سبا و ذريدن بن يسزم يمنعم ملك سبا
 و زريدن هقني المله تهون بعل اوم صامن ذ ضرفن صامن ذ ذهبن حمد بدت همن ومتعن^٧
 ط - سوانسن هرجن^٨
 ظ - ربيم بن عذرن قبض تن حجن وقهمو المله بعل اوم^٩
 ع - نجرفن ثقي وسبعي ومات خرفن^{١٠}
 غ - وبورخن ذ محجتن ذ نجرقن خمسة و ثني وثلث ماتم^{١١}
 ف - بلطن. ألفن^{١٢}

(١) ص ١٩١ وبالفصحى : عبد الملك رب السماء اله امر رب بين (بعل بمعنى رب او اله هنا . وهي كذلك عند الكنعانيين والآراميين في بلاد الشام . والغالب هي نفس كلمة « بيل » التي كان يسمى بها الرب في بابل او معبود بابل . وقد حافظت الكلمة على لفظها وبعض معانيها في الفصحى منها الزوج والسيد وصاحب الشيء

(٢) ص ١٥٩ وبالفصحى : كاهن مدينة غضران وحاكم مدينة سحر ، والقين - الموظف الكبير - في حكومة يدع ايل بين .

(٣) جواد علي ج ٢ ص ١٦٢ وبالفصحى : سمع هذا الاعلام

(٤) ص ٢٠١ : امر اؤم بنو سخيم

(٥) ص ٢١٦ قالب ريمم (اسم معبود سبئي) رب بني خضعان من مدينة اكانط (وكلمة هجرن تعني المدينة وتطورت الى هجر بنفس المعنى في الفصحى)

(٦) ص ٢٥٠ احزابهم الحبشيون في مدينتي زوم وسهرت

(٧) الجزء ٧ ص ٩٣ وبالفصحى : ابو كرب قائد شمر يرعش ملك سبا وذوي ريدان ابن ياسر التعم ملك سبا وذوي ريدان اهدى الاله المله ثوان رب ارام صنا من الفضة وصنعين من الذهب جدأ له لانه اعانه ومتعه

(٨) نفس الجزء ص ٧٩ : هذا الانسان قاتل . والهرج بمعنى القتل من الفصحى

(٩) ص ٩٠ : ريب بن عذران قدم الوثني حسب امر المله رب اوام

(١٠) جواد علي ج ٧ ص ١٢٠ وبالفصحى : بسنة اثنتين وسبعة ومائة (خرف بمعنى سنة واستعمل هذا في الفصحى بصيغة خريف)

(١١) ص ١٢٠ وبالفصحى : بتاريخ ذي الحجة من سنة ثلاثمائة وخمس وثمانين

(١٢) ص ١١٩ الف بلط (البلط نوع من العملة)

ق - ابل قيرن^١

ك - ولكذا حزو قالب^٢

ل - هقي ذن سلم حدم يذت^٣

م - أسماء أشخاص في نقوش مملكة سبأ وريدان :

سعدم احرس بن غضب ، عبد عتير بن موقس ، اظلم بن زهير ، انسن غون ، يصبح ،
سعد ثون ، الشرح احضن ، عريم اريم ، حمدن سقرن ، ريبيت^٤.

ن - اسماء ملوك مملكة سبأ واسماء ملوك مملكة سبأ وذو وريدان . الاولون من القرن
التاسع الى القرن الثالث قبل الميلاد والآخرين من القرن الثاني قبل الميلاد الى القرن
الثالث بعده^٥.

سح علي ، يدع ال ذرح ، يشع امر وتر ، كرب ال بين ، علي نيف ، كرب ايل وتر
ذمر علي بين ، وهب ايل ، نشأ كرب ينعم ، وهب ال يحز ، فرعم ينهب ، انرم ينعم ،
ينعم ياسر ، برج مرحب ، يوم اين ، علهان نهقان ، شعرم اوثر ، حيو عتير ، الشرح
يحبض ، ياسر يصدق ، شمدار ينعم ، حمدان يقبض ، وهب عث ، كرب عثت يقبل ،
شهر اين ، رب شمس غون ، ذمر علي ذرح ، نشأ كرب اين ، ذمر علي يير .

و - أسماء قبائل وأسر في دور الملكتين السبئيتين^٦.

سبأ ، قفضن ، ييرن ، لحدم ، حضن ، قدرن ، صلحن ، ذخلل ، يزرعم ، ريدت ،
مهير ، امرم ، خولن ، يتع سحي ، دمهين ، خسأ ، سخيم ، حمدن ، حاشد ، بكلم ، يرسم
عن ، يتو اعين ، حضرن ، بني تزد ، بني مارن ، بحيلم ، نعمت ، صعنن ، ذعذهين ،

(١) ص ١١٩ : اصحاب القير .

(٢) ص ١٢٦ وبالفصحى : كما طلب الاله قالب

(٣) ص ١٢٣ بالفصحى : قدم هذا الصنم جداً عن نفسه

(٤) جواد علي ج ٢ ص ٢١٢-٢٧٥

(٥) جواد علي ج ٢ ص ١٤٧-١٥٤ و ١٩٤-١٩٨ و ٢١٢-٢٦٠ وكلمة (ال) هي نفس

(ايل) نسبة الى الله او الاله الفصحى والمروبة الصريحة بارزة على الاسماء وصيغ المضارع هي صيغة التسميات
اليمنية . والمتبادر ان (الهاء) هي املائية او صوتية فاذا حذفت صارت الكلمة فصحى : ينعم ، يرحب ،
يصدق ، يقبض ، يقبل ، يير الخ .

(٦) نفس الجزء والصحف السابقة الذكر .

ونج ، سهمن ، دهمن .

هـ - أسماء مدن ومواقع وسدود في دور الملكتين

مريبو ، فيشان ، اوم ، منيم ، ذين ، رجم ، يسرن ، ذقت ، حريب ، نجرن ،
رجمت ، شمم ، مرسم ، حنن ، مقرن ، اين ، يشعن ، نوهم ، نشن ، كمنأ ، قنن ، خبعم ،
ثمدت ، شدم ، خبأم ، ارجن ، معقون ، ضلم ، موثم ، حرنن ، وقيم ، هرن ، ريدت ،
ذات عرمن ، ثوان ، ذات غرم ، زوم ، سهرتن ، قرعت ، صنعور ، حبتم ، يفعن ،
يبلح ، ذو أمر .

٦ - من نقوش لملكة سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت التي حكمت جنوب الجزيرة من
القرن الثالث بعد الميلاد الى القرن السادس . وهي التي تسمى في الكتب العربية بالملكة
الجزيرية لأن معظم ملوكها من قبيلة حمير

أ - فليشرجن وشوف ومتعن^١

ب - عسى وبني وهوتر وشقر^٢

ت - اشعهمو سبأ وحيرم ورجتم^٣

ث - ملك سبأ وذو ريدان وحضرمت ويمنت وأعرهم طودهم وقهاهم^٤

ج - عشر سفلان واعرت مأرب^٥

ح - تبارك سم رحمتن ذ بسمين وينزال والمهمو رب يد زهرد عبدهم شهرم وامهو
وعشلتهمو شمسهم واولدهم وابشعر ومار وكل^٦

(١) جواد علي ج ٧ ص ٩٩ وبالفصحى : وليشرج وليرى وليتمتع

(٢) ص ٩٩ وبالفصحى : واستعمل الحجارة وبني واسس ورفع البناء

(٣) ج ٣ ص ١٦٥ وبالفصحى : شعوب سبأ وحير ورجمة

(٤) ج ٣ ص ٣٦٦ وبالفصحى ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت واليمن واعراهم في الجبال
والسهول (هذا اللقب الرسمي لملك مملكة حمير في النقوش) وطود بمعنى الجبل وقهاة بمعنى السهل من
الفصحى . وكذلك اعرب بمعنى اعراب

(٥) ج ٣ ص ١٤٥ وبالفصحى عشيرة سفلان واعرا ومارب

(٦) ص ١٧٣ وبالفصحى : تبارك اسم الرحمن الذي في السماء وانه اسرائيل الذي ساعد عبده شهر

وامه وزوجته شمس واولاده وابشعر ومار وكل بيته

خ - تبارك ذى رحمن ذى سمين^١

د - بنصر وردا الهن بعل سمين وارخين^٢

ذ - بسم رحمن وبنهو كرسنش غابن^٣

ر - يحيل وردا ورحمة رحمن ومسيحهو وروح قدس سطر ذي مزندن^٤

ز - ذن فرس وركبهو^٥

س - خلقتهو فستخلفو على كدت ودا^٦

ش - من اسماء ملوك حمير التي وردت في النقوش :

ياسر ينعم ، شمر يعرش ، ملك كرب يهأمن ، ابو كرب اسعد ، ورا امر ايمن ،
حسان يهأمن ، شرحب ايل يعفر ، عبد كلالم ، معد كرب ينعم ، شرحب ايل يكف ،
مرثد الن ينف ، معدي كرب يعفر^٧

ص : اسماء رجال بارزين في ابان الحكم الحميري واسماء اماراتهم :

شرحبيل يكل ، ذو معفرن ، اسودن ، ذو بعدن ، زرعة ، مرجم ، حارث ، مرثد ،
ذو جدنم ، يلجب ، يصبر ، ربحم ، مهتر ، سبين ، اسحرتن ، وطح ، ذ خلل ، مرت ،
ذيزن ، ذو ذرنج ، ذو قيش ، كيدر ، ذو معهر ، ذوعن ، ذ سولسان ، ذ شعبن ،
ذهمدن ، ذ مهد ، ذ ذيين ، ذ فرنث ، ذثت ، علسم ، ذ كلغن^٨

(١) ج ٣ ص ١٥١ المجلة الفصحى : تبارك اسم الرحمن رب السماوات

(٢) ص ١٥٧ وهذه أيضاً : بنصر وتمزيد الاله رب السماوات والارض . وردا فصيحة وفد وردت

في القرآن بمعنى مؤيد (ردماً يصدقني اني اخاف ان يكذبون : سورة القصص ٣٤)

(٣) ص ١٩٤ وهذه كذلك : باسم الرحمن وابنه كريستو غلبنا . وكريستو هو اسم المسيح في اليونانية وكان هو المنتشر

(٤) ص ١٩٨ وهذه كذلك : بقوة وتأيد ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس سطرنا هذه الكتابة

(٥) ج ٧ ص ٩٠ : هذا الفرس وراكبها

(٦) ج ٣ ص ١٩٨ خلفته واستخلفته على قبيلة كدت ودا

(٧) ج ٣ ص ١٣٩-١٩٥ واللمحة الفصحى بارزة على اكثر الاسماء بل جميعا

(٨) ج ٣ ص ١٩٥-٢٠٢ هذه الاسماء وردت في نقش امر بتسجيله ابرهة قائد الحبشة في اوائل القرن

السادس وعرف بنقش حصن غراب

اسماء ملوك وملكات ورجال في مشارف الشام قرئت على نقوش
اشورية تعود الى الحقبة الممتدة من القرن التاسع الى القرن السابع
قبل الميلاد

جنديبو ملك اريبي ، زبيبي ، سمس ، عاطيه ، تلحون ، طابعة ملكات اريبي ،
حزائيل ملك قيدار ، اوتيه ملك قيدار ، جريا ، خطرانو ، تمرانو ، جنابو ، باسقانو ،
اولبو ، ابي جاد ، من رجال ممتلكتي اريبي وقيدار ، دوماتو محقل اريبي ، خيايا ، بطناء ،
تيا ، خطي ، عبدو بعل ، قودي ، ايبا بيد ، مرساماني ، قبائل في مشارف الشام ، قيسو
ملك خاليندي ، اكبرو ملك نبط ، معن ساق ملك مجالاني ، جابسا ملكة فيهراني ،
خابيصة ملك ادبا ، نيهارو ملك جاباني ، بايله ملكة اييلو ، خبا غرو ملك بودا ، ليلي
ملك ياري^١.

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٢٩٩ وما بعدها ولحمة العروبة الصريحة بادية عليها برغم
تحريف الكلمات لانها منقولة عن كتب الاثريين الذين كتبوها بحروفهم .

نماذج من النقوش الليمانية والشمودية التي وجدت في شمال جزيرة
العرب . وفي معظمها كذلك نوى الالفاظ الفصحى

١ - نماذج من نقوش ليانية تعود إلى الحقبة الممتدة بين القرن الثاني قبل الميلاد إلى
القرن الرابع بعده عثر عليها في جهات العلا في اعالي الحجاز على طريق بلاد الشام وهي
أقرب إلى الحجاز منها إلى الشام :

- أ - ادق هصلم لذ غبت ببلذ تحت بته^١
ب - بنت قسم هصلم لنا كتب فرضه وآخرته^٢
ت - ذ علم أكل لات^٣
ث - مرط كتبه بهذه^٤
ج - زد بن ذ عمر تع وعرو ذ غبت عرو أسفروه^٥
ح - عبد خرج بن زد غوث بني هكفر له ول ورثه هكفر ذه كله واخذ هميون سنت
ثمن لتلي بن هناس^٦

- (١) جواد علي ج ٧ ص ١٤٥ ومعناه قدم الصم لذي غابة ببلاد لعبد . (وذو غابة اسم اله ليان
وملاذ اسم موقع أو بلد)
(٢) ص ١٤٦ ومعناه بنت فاسم قدمت هذا الصم لهناء الكاتب وواجهه وآخرته
(٣) ص ١٤٧ ومعناه هذا علم كاهن الاله
(٤) ص ١٤٧ ومعناه مرط كتبه بهذه
(٥) ص ١٤٧ ومعناه زيد بن ذو عمر تع وعرو ذو غابة عرو كتب هذا (وسفر بمعنى كتب وفي
الفصحى سفر وأسفار بمعنى كتاب وكتب)
(٦) ص ١٤٨ ومعناه عبد خرج بن زيد غوث بنا القبر له ولورثته هذا القبر كله واخذ المثير في السنة
الثانية لتلي بن هناس . والمثير بمعنى المقبرة أو ارض المقبرة وكلمة ثبور في الفصحى بمعنى الموت متصلة بهذا
الاصل على الاغلب وتلي بن هناس احد ملوك ليان

القلم الشمودي واللحياني والصفوي

صفوي

- خ - مررة وحضرة بنو نضر اخذوا مقبر ذه هم واخوهم^١
 د - للبه وخفشه وغرته هضرت ذات ول ورثهم^٢
 د - ابنة اخذ هصفحت ذات^٣
 ذ - عترة بن اس بن تينل بن عب ذ ال هنا هفكت سبي نفها لرب بلحجر منر سنت
 من اذى سبي فخر هبلجل ذ لثلاث سن^٤
 و - واشهد كلهم ... لهم وشهدت ومارخت له بن امر^٥
 ز - وهب لاه بن زدقني ولبي بن تفيه وديونفس مر بن حوت م اخذ حلمهاخرج^٦
 س - براي شمت جشم بن لذن ملك الحين^٧
 ش - حيو هذقو هصلان هذه ذ نذر بعجلين ابهم خر حذ غبت فرضهم وأخرتهم
 وسعدم سنت ثلثن وخس براي منعي لذن بن هناس ملك الحين سلمه^٨
 ص - دعه مضع تحت هصل^٩
 ض - واخذ ه مثير بن^{١٠}
 ط - زد هنا كتب^{١١}
 ظ - عبد من عبد مننت ، أس مننت^{١٢}
 ع - همصدمن بته جب هجلل^{١٣}

- (١) جواد علي ج ٧ ص ١٤٩ ومعناه مرارة وحضرة بنو النضر اخذوا هذا القبر هم واخوهم .
 (٢) ص ١٤٩ ومعناه بالفصحى للبه وخفشه وغرته هذه الارض الغزيرة المياه ذات الاشجار ولورثتهم
 (٣) ص ١٤٩ وتفسيره بالفصحى ابنة اخذ هذا المنحدر
 (٤) ص ١٥٢ وتفسيره بالفصحى : عترة بن اوس بن تينل بن عب ذو آل هاني جعل خفيرا مدة
 ثلاث سنين على الجبل بالحجر
 (٥) ص ١٥٣ وتفسيره شهدوا كلهم وارخت لا وابن الامير
 (٦) ص ١٥٥ وتفسيره وهب الله بن زيد قاني ولبي بن تفيه وديا نفس مر بن حوت ما اخذ عليها مخرج
 (٧) ص ١٥٥ وتفسيره في حكم شامت جشم بن لاذن ملك الحيان
 (٨) ص ١٥١ تفسيره : حيو قدم هذا الصنم الذي نذره ابوه خر خذعت لعجلين الاله للحصول على
 رضائه عنهم في دنياهم وآخرتهم وليسعدم سنة خمس وثلاثين من حكم منعي لودان بن هانيء اوس ملك
 الحيان سلمه
 (٩) ص ١٥٧ دعه الصانع تحت الصنم
 (١٠) ص ١٥٧ واخذ المثير (المقبرة والمثير فصحى ايضاً)
 (١١) ص ١٥٩ : زيد هنا كتب
 (١٢) ص ١٦٠ عبد السام - عبد مناة - اوس مناة (اسماء اشخاص)
 (١٣) ص ١٦٨ المصد من بيته جيب الجليل . ويلحظ في جب ومننت وهجلل وامثالها انها ينقصها
 حروف المد حتى تلفظ بلهجة فصحي والغالب انهم كانوا ينطقونها بمدودة

- غ - جهيت ذه من أنس^١
- ف - وهو ثالدي دثا حيم يذ افنع ولذغبت جهيل بن مات وعشرة سدول^٢
- ق - نون بن حضر وتقط بايم چشم بن شهر و عبد قحت ددن...^٣
- ك - امت ثيعن بنت ده نذرت بعد بنته قن بنت مثل لسان محمد نذرت عله امه
فرضه وسعده^٤
- ل - ادق هصلم لذ غبت بلذ تحت بته^٥
- م - خلس زد خرج بن بل خمد سنت عشرين وتسع عشر ايم خلف فضج^٦
- ن - ذ وهب لاه بن زد منت ادق لذ غبت هذاصل خ لم على رتج قدست وهصلم خرته
وسعده سنت عشرين وتسع^٧
- و - عبد غث بن زد له سمم قرب هصلم لذ غبت يبرحت برحبت ذ على هسانت مع
جبل ددن هشان^٨
- ه - عبد منت اصدق فرضه هله وسعده^٩

- (١) ص ١٦٩ وهي بالفصحى : بهذا البيت من انس
- (٢) ص ١٧٠ وبالفصحى : في هذا الربيع لى اول ظهوره يقدم القربان المحروق بذى افاع والذي غابة والخرمة وعشرون سدولا (اللحم هي اللحم الحار بالفصحى ولعل نقط سدول يعني مكبلا معنياً)
- (٣) ص ١٧٠ وهي بالفصحى : نوران حاضر كتب بأيام چشم بن شهر وعبد حاكم ددان
- (٤) ص ١٧١ وهي بالفصحى : امة يشعان بنت داد نذرت بعد ابتها قد بنت حثل لسان المحبوب نذرت عله يطيل عمر اما وسعدها
- (٥) ص ١٧١ وهي بالفصحى : قدم الصنم الذي غابة بملاذ تحت معبده (مييت هذا بمعنى المعبد ومنه رب هذا البيت)
- (٦) ص ١٧١ وهي بالفصحى : قتل زيد خرج بن بل خمامداً سنة عشرين وتسع ايام خلف فضج خلس مرادفة لقتل في بعض لهجات الفصحى)
- (٧) ص ١٧٣ والعبارة بالفصحى هي : هذا وهب الالة بن زيد مناة قدم الذي غابة هذا الاناء الذي ضمه على الرناح المقدس وعلى الصنم لآخرته ولعده سنة تسع وعشرين
- (٨) ص ١٧٦ وهي بالفصحى : عبد غوث بن زيد الالة سم هذا الصنم الذي غابة عسبن المصيبة التي اصاب بها البيت (المعبد) ذي الشأن العلي مع شعب ددان العلي الشأن (وجبل هذا بمعنى جبله اي شعبه ولعل غوث هي يغوث احد معبودات العرب وكانوا يتسمون بهذا الاسم في عصر النبي عليه السلام وسم بمعنى قرب)
- (٩) ص ١٨٠ وهي بالفصحى عبد مناة اصدق فرضه بالله اسعده (وتعبير اصدق وصدق وتعصدق بمعنى الاعطاء من الفصحى

لا - نفس عبد مهن بن زيد خرج الت بته سلمه بنت اس ارشن^١

ي - اسماء اخرى قرئت على نقوش لحيانة :

هنيء اس بن شمر ، مسعود هنيء ، سهم ايل ، كرب ايل^٢

٢ - من النقوش السودية العائدة الى الحقبة الممتدة من القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن الرابع بعده . وقد وجدت في البلاد المعروفة بمدائن صالح الواقعة شمال العلا :

أ - دنة قبور صنعه كعبو بر حرتت للقيض بر عبد منوفي امه دي هلكت في الحجر سنة مئة اثنتين وتوين يبرح قموز . ولعن مري على من يشنا القبور د ومن يفتحه حتى يبيده . ولعن من يغير دا على منه^٣

ب - ود معن وان وهن^٤

ت - وب رضو وود ال سرت مكفر^٥

ث - هلهي ات م تمزز ذ^٦

ج - سلم نتنت ل^٧

ح - ضي لي^٨

خ - لسلمت بلو دو عي وضحن^٩

د - شهدن بسلم عي^{١٠}

(١) ص ١٨٤ وهي بالفصحى : قبر عبد السماء بن زيد خرج الذي بته سلمه بنت اوس ارشان (وقد فسر الباحثون كلمة نفس بقبر استناداً الى امثالها)

(٢) جواد علي ج ٣ ص ٣٠٧-٤٢٧

(٣) جواد علي ج ٧ ص ٢٠٠ وعبارة النقش بالفصحى هي (هذا القبر صنعه كعب بن حارثة للقيض بنت عبد مناة امه التي هلكت بالحجر سنة مئة واثنين وستين من شهر قموز . ولعن الرب الاعلى من يغير هذا القبر ومن يفتحه يس بأولاده . ولعن من يغير الذي كتب في اعلاه) (وبعد هذا النقش من النقوش الهامة عند الباحثين ويؤمنون انه كتب في سنة ١٠٦ بعد الميلاد والحجر هو الاسم الذي كان يطلق على مدينة مدائن صالح وقد ذكر في القرآن . انظر ايضاً تاريخ اللغات السامية لولفسون ص ١٧٧-١٧٨)

(٤) جواد علي ج ٧ ص ١٩٧ ومعناها بالفصحى ود معن وانا وهن (وهي فصحي كل الفصاحة)

(٥) ص ١٩٨ ومعناها بالفصحى الاله رضو وود انا سرت من كفر

(٦) ص ١٩٨ ومعناها يا الهى اتم يتم عزيز هذا

(٧) ص ١٩٩ وبالفصحى الصلم اعطلي لي

(٨) جواد علي ج ٧ ص ٢٠٢ وتفسيره بالفصحى اضي لي او انر لي

(٩) ص ٢٠٣ وبالفصحى للسلامة من البلاء والهي وضحن

(١٠) ص ٢٩٣ وبالفصحى شهدنا بالسلام من الهى

ذ - لعذ بن ملكت آخذ^١

ر - لوسط بن هرب بن دخلت بت^٢

ز - لبست سقم بران^٣

س - تيم بن عبنى ووجم على خلله^٤

ش - سعدان توتن وق ال تمه^٥

ص - لحزم تشوق ال عمت^٦

ض - ست بن ذن وست نسل^٧

ط - هن لت^٨

ظ - عل وضو هضبا^٩

ع - هلمى سعد سعدت على دورت^{١٠}

غ - هصلم عن يفجعن^{١١}

ق - هشمس همعن^{١٢}

ق - زن عبيد ملكت^{١٣}

ك - ذن سعد ططبت بت^{١٤}

(١) ص ٢٠٣ وبالفصحى لعوذ بن ملكة اخذ

(٢) ص ٢٠٣ وبالفصحى لوسط بن هرب بن دخلت بت

(٣) ص ٢٠٤ وبالفصحى لبست (اسم رجل) سقم بران اي مرض

(٤) ص ٢٠٤ وبالفصحى تيم بن عبنى وجم على قبر خليله

(٥) ص ٢٠٦ وبالفصحى : سعدان رافق وق ايل ال تيم

(٦) ص ٢٠٦ وبالفصحى لحزم (اسم) تشوق الى عمته

(٧) ص ٢٠٦ وبالفصحى : ساء بن هذا وساء نسله

(٨) ص ٢٠٧ وبالفصحى هنا لاموت

(٩) ص ٢٠٨ اعلى وضو الملجأ

(١٠) ص ٢٠٨ ج ٧ وبالفصحى : يا الهى ساعد سعدة على دورة

(١١) ص ٢٠٨ وبالفصحى يا صنم اعنا على الفاجعة

(١٢) ص ٢٠٩ وبالفصحى يا شمس اعنا

(١٣) ص ٢١٢ بالفصحى : هذا عبيد مكة (والنقش مهم في صدد قدم قدسية مكة)

(١٤) ص ٢١٤ بالفصحى هذا سعيد طاب من الموت

- ل - لثيم يغوث بن جشم الوعل^١
 م - هعتر سم اعدد هول ونصور لخشور^٢
 ن - فهد شرغرت ونخلص^٣
 ه - هاله دعون ات ميسرام هاهل ذاتا يعمل^٤
 و - اسماء اخرى في نقوش ثمودية :
 سعدلاه ، هنأ لاه ، ذكر ايل ، اوس لاه ، عددال ، عابد ثعل ، امر ايل ،
 عابد عمن ، ملتعب ، سلم ، سرور ، شكت ، مسكت ، حرزت ، سهرت^٥

(١) ص ٢١٦ الوعل: لثيم يغوث بن جشم او جاشم (الاسم ورد بهذه الصيغة في سفر نحميا من امصار العهد القديم الذي دون في القرن الخامس قبل الميلاد مع وصف العربي)
 (٢) ص ٢١٧ والعبارة بالفصحى هي : يا عتتر السهء اعدد راحة ونصراً لخشور
 (٣) ص ٢١٧ وبالفصحى يا ذا الشرى (اسم معبود) العنور والخلال
 (٤) ص ٢١٧ وبالفصحى يا الله انت الميسرام هاهل ذات يعمل
 (٥) ص ٢١٠-٢١١

نقوش بلاد الشام الصفوية والنبطية والتدمرية

- ١ - من النقوش الصفوية العائدة الى الحقبة الممتدة من القرن الثاني قبل الميلاد الى القرن الخامس بعده . وقد وجدت في المنطقة المعروفة باسم الصفا فيا وراء جبل حوران . ومعظمها يكاد يكون بالفصحى لو كانت جيدة الاملاء . وقد نقصت احرف المد في أكثرها
- أ - لأذنت بن ورد بن نغير ووجع على أشيعه حربن فمسلم بن اذنت^١
- ب - وجم على اخته ويني هرجم^٢
- ت - ونجي من هسلطن^٣
- ث - ووجم على اخته وبني هرجم سنت نجي منمرت هسلطن عل آل عوذ^٤
- ج - ورعى هابل هتخل وورد هنمرت^٥
- ح - لأنعم بن انف بن جرم ال ووجد سفر انعم فننجح ورعى هابل مرق نبط خوذ^٦
- خ - لجزم ال بن قحش بن سعد ووجد اسطر اسود وابه فننجح^٧
- د - لسني بن سني بن مخن ووجد اثر دده فننجح^٨

-
- (١) ص ٢٢٨ والعبارة بالفصحى : لأذينة بن ورد بن نغير وتوجع على أشيعاه الذين سقطوا في الحرب فمسلم بن أذينة
 - (٢) ص ٢٢٩ والعبارة بالفصحى : ووجم على اخته ويني الرجم
 - (٣) ص ٢٣٠ وبالفصحى : ونجي من السلطان (أي من الدولة التي كانت دولة الرومان على ماخذه الباحثون ويعود إلى القرن الأول قبل المسيح)
 - (٤) ص ٢٣١ وبالفصحى : ووجم على اخته وبني الرجم سنة نجي من غارة السلطان وحل على آل عوذ
 - (٥) ص ٢٣١ وبالفصحى : ورعى الابل بهذا الوادي وورد النارة (والنارة عين ماء)
 - (٦) ص ٢٣٥ وبالفصحى لأنعم ابن انيف بن جرم ايل ووجد سفر انعم فننجح ورعى الابل سنة مروق النبط الذين جاؤوا هنا (ويبدو ان النقوش التي تبدأ بحرف الـ لـام ثم الاسم تعني ان الكتابة هي لصاحب الاسم
 - (٧) ص ٢٣٨ وبالفصحى : هذه الكتابة لجرم ايل بن قحش بن سعد وقد وجد كتابة اسود (اسم رجل) وابيه فننجح
 - (٨) ص ٢٣٩ وبالفصحى هذه الكتابة لسني بن سني بن مخن وقد وجد كتابة عمه فننجح (وقد فسر الباحثون كلمة دده بعمه)

ذ - وخرج هشنا فهلت سلم وثول ذيغبهر هسنو^١

ر - ووجع عل شمت اسر فهلات وبعل سمن وجد عوذ سلم غنظ برمي وعور لذ
يغبهر هسنو^٢

ز - وحلل هدر سنت قنس هملج ال عوذ وخرج اشيعه اسرن^٣

س - وعرف خاله مت وله علاه ووجهم لهنا عل هرس وعل شعهم وعل دتم وعل جبنى
وعل رحمت اخوله محربن وحلل وجلس سنت قتل حوصت وبلجا وخرص ذ ال تم فهلات
سلم مباس^٤

ش - لعمر بن هنامنت بن يملك ذ ال معص ووجد وقع اخه عدى مقتل ووجع
ورعى وقبط نجعل هخرس وجل ملع فالت سلم^٥.

ص - وزندم عل بن اخه مسبي حولت فتوجد ذمى خلن وبيل ذا هله^٦.

ض - ونخيط مدبر فهلت مجدت وسلم^٧.

ط - للملك بن عوذ بن هولى وصير من رحبت مرويت^٨.

ظ - لأنعم بن قيمت ذ ال عمرت ونفر فاسلم وبه اقلت سنت أخرق رجوت ال

(١) ص ٢٤٠ وبالفصحى : وخرج للعدو فيلالة سلم . وثول الذي يغير هذه الكتابة (وثول بمعنى
انزل الحبل والكلمة مستعملة للان بهذا المعنى في العراق وقد فسر الباحثون كلمة هشنا بالعدو ولعلها الثانية
بالفصحى وهي بمعنى العدو والمبغض ووردت كذلك في القرآن)

(٢) ص ٢٤١ وهي بالفصحى : وتوجع على شامت الذي اسر . فيلالة وبارب الساء ويا جسد عوذ
(اسماء معبودات) سلم الذي سقط بالروم وعور الذي يغير هذه الكتابة

(٣) ص ٢٤١ وبالفصحى وحل بهذا المكان سنة قنس الملك آل عوذ وأخرج أشيعه الاسرى .

(٤) ص ٢٤٦ وبالفصحى : وعرف ان خاله مات قوله (حزن) عليه ووجهم كذلك لهنا على حرس
وعلى شعت وعلى داث وعلى جبنى وعلى رحمة اخواله الذين سقطوا بالحرب وحل وجلس سنة قتل حوصة
وبلجة وخرص من آل تيم . فيلالة (الله) سلم من البؤس .

(٥) ص ٢٤٦ وبالفصحى : هذه الكتابة لعمر بن هنامنت بن يملك من آل معيص . وقد وجد أثر
اخيه عدى القتول ، فتوجع ورعى وصيف وجمع طعام الحرس وجمع ملجأ فيلالة سلم

(٦) ص ٢٤٧ وبالفصحى وحزن على ابن اخيه مسبي حواته ، سبي اثناء وجوده على ماء خلان
مختفياً في اهله

(٧) ص ٢٤٧ وبالفصحى : ومرق من البر فيلالة او يا الله المجد والسلام

(٨) ص ٢٤٧ وبالفصحى : للملك بن عوذ بن الولي هاولي . وقد رجع من رحبة مروية

هدى ليمت^١

- ع - لحبت بنت اسلم وتشوقت عل ثمن^٢ .
 غ - وجع من عصم فدا بججر^٣
 ف - وهبنت نل سلم هملك^٤
 ق - ووجع وهرمني روح^٥
 ك - مقتل قتل هال حولت فهلت ودشر ثار^٦
 ل - فهشمس ولت لا نخل وو كس ونهرس وعور لن خبل^٧
 م - وتشوق ال ابيه وال نخله وال خلته^٨
 ن - لا دين بن مسقر هبكرت^٩
 ه - فهلت لذ سار وغيره ووجع عل محلم وعل ظنن وعل محسك^{١٠}
 و - وهلت ودشر عور لذ عور سفر^{١١}
 لا - ونجى بهيتو هتخل فهلت سلم^{١٢}

(١) ٢٢٨ وبالفصحى : هذه الكتابة لانعم بن ثيبة من آل عمرو . ونفر فلم مع ابنه . افلت سنة
 اخرق رجاء ال هدى ليموت
 (٢) ص ٢٤٩ بالفصحى : هذه الكتابة لحبة بنت اسلم . وقد تشوقت على نومان (والنقش مهم في
 بابه حيث يدل على ان النساء ايضاً كن يكتبن)
 (٣) ص ٢٥٠ وبالفصحى : توجع من عاصم فأمضي الربيع بججر (مكان ما)
 (٤) ص ٢٥١ وبالفصحى : يا لاة أنيلي السلم للهلك
 (٥) ص ٢٥٢ وبالفصحى : وتوجع فيرضو (اسم معبود ايضاً) أرح
 (٦) ص ٢٥٥ وبالفصحى : المقتول في قتال آل حولة . فيالات ويا ذا الشرى اثارا
 (٧) ص ٢٥٥ وبالفصحى : يا شمس وياالات عاقبا بالخلل والوكس والخرس والعرج والعوى لمن يصعد
 (٨) ص ٢٥٧ وبالفصحى : تشوق إلى أبيه وإلى خاله وإلى خالته
 (٩) ص ٢٥٩ وبالفصحى : هذه البكرة لاذين بن مشعر
 (١٠) ص ٢٦٠ وبالفصحى : فيالاة سلم للذي سار وتركه ووجع على محلم وعلى ظنن وعلى ملك
 المسك .

(١١) ص ٢٦٠ وبالفصحى : يا لاة ويا ذا الشرى عور الذي يعور الكتابة
 (١٢) ص ٢٦١ وبالفصحى : ونجى بالبقر بهذا الوادي فيالاة سلم (فسر الباجئون كلمة النخل
 بالوادي)

- ي - لنظر بن طب بن اجمم ذال عن وضبا فهلت ورضى غنمت ^١
- ا - لامر بن همين ونفضب بنه ^٢
- ب - وحل هدر فرعي هابل . فهلت وبعل سمن شيع هيجش ^٣
- ت - ونضب عته مات اسلم ^٤
- ث - لسعد بن نج بن دود هتموى ^٥
- ج - لا نعم بن قحش وغنم سذت حرب نبط ^٦
- ح - لبرد بن اصلح بن ايجر وشقى هدر وذبيح فهلت سلم ^٧
- خ - لشمت بن لعشون بن شمت بن ثرك بن انعم بن لعشون وجهم عل امه وعل داده
وعل نخله عم وعل انعم قتله حل صبح فوله عل بن نخلة ترح ورعى هضان ورخص بتيو
ونخله شناف هلت سلم ووجد واثر انه فنقم ^٨

(١) علي جواد ج ٧ ص ٢٦٣ وبالفصحى : هذه الكتابة لنظر بن طب بن اجمم من آل عن وغزا
وغنم فيالة منك الرضا

(٢) ص ٢٦٣ وبالفصحى : هذه الكتابة لامير بن همين وقد غضب من بنه

(٣) ص ٢٦٤ وبالفصحى : وحل في هذه الدار (أو المكان) فرعي الابل . فيالة . ويا بل السا
متبعيا الجيش

(٤) ص ٢٦٥ وبالفصحى : وفقد مائة اسلم (بعضهم فر اسلم بجوان وبعضهم فرها بمعنى سالم من
العيب .

(٥) ص ٢٦٤ وبالفصحى : هذه الكتابة لسعد بن ناجي بن داود التياوي (نسبة الى تيا من مدن
الحجاز في طريق الشام)

(٦) تاريخ اللغات السامية لولنفسون ص ١٨٥ ومعنى النقش بالفصحى : هذه الكتابة لانعم بن قحش
وقد غنم سنة حرب الانباط

(٧) تاريخ اللغات السامية لولنفسون ص ١٨٤ والعبارة بالفصحى : هذه الكتابة لبرد بن اصلح بن
ايجر وشقى في هذا المكان وذبيح ذبيحة . يا الله (او يالة) لك السلام .

(٨) نفس المصدر ص ١٨٤-١٨٥ وهي بالفصحى : لشامت بن العثان بن شامت بن شريك بن انعم
بن العثان : وجهم (حزن) على امه وعلى عمه وعلى خاله عم وعلى انعم . فاته خاله صباح قوله (حزن)
على ابن خاله تريخ . ورعى الضأن واغتسل بتيو وخاله شناف . يا الله او يالة لك السلام .

هـ - لاذنت بن ورد بن انهم بن كهل بن عم بن كهل من ذوى التميم . فلهت وشع هم وجد عوذ وبعل ممن ودر غيرت له . وعود وعرج وقات بودق لذيعور هـ خط ١
ذ - لنصر ال بن حيجر هـ خط ٢ . وحضر هدر فه ائع سلم وشخص قمصن وفر ٢

وجد عوذ وبعل ممن ودرس غيرت له. وعور وعرج وقات بودق لذيعور وخطط^١

ذ^٢ - لنصر ال بن حجر هـ خطه . وحضر هدر فيه اشع سلم وغرض قصص وفر

$\frac{1}{2} \pi + \frac{1}{2} \pi \pi \pi$
 $\frac{1}{2} \pi \pi \pi$
 $\frac{1}{2} \pi \pi \pi$
 $\frac{1}{2} \pi \pi \pi$

30/11/2019

15110402101390

نموذج من الخطوط الصفوية نقلا عن الجزء السابع من تاريخ العرب قبل الاسلام

للدكتور جواد علی

٢ - من النقوش البطية . وهي عائدة إلى الحقبة الممتدة من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن السادس بعده . ووجد معظمها في شرق الاردن وطريق الشام والحجاز وبخاصة في منطقة مدين صالح وحوارن ، وينقصها هي الاخرى معروف المدح حسب قواعد الفصحى ومع ذلك فالفصاحة بارزة على كثير منها ؛

أ - دنه نقشو هرون شلى ربو جدمت ملك تنوح ٣ .

إلى القرن السادس بعده . ووجد معظمها في شرق الاردن وطريق الشام والحجاز وبخاصة

في منطقة مدين صالح وحوران ، وينقصها هي الاخرى عروف المد حسب قواعد الفصحى

ومع ذلك فالنصاحة بارزة على كثير منها:

١٢ - دنه نقشو بهرو بن شلی ربو جدیدت ملاک تنوح^۳ .

(١) تاريخ اللغات السامية لولنفون ص ١٨٦ والمبارة بالفضحي : هذه الكتابة لازدية بن ورد بن اعنم ... بن كهل بن عم بن كهل من ذوي التغير فيالدا ويا وشع القم وياجد عوذ ويا رب السناء ويا ذا الشرى غيروا له . وابتأوا بالموور والعرج و (لم يعرف الباحث معنى الكلمتين) وفات بودق وخنوا انها كلمات دعاء بدئية (الذي يطمس هذا الخط .

اعلم... بن كهل بن عم بن كهل من ذوي التغيير في الالة ويا وشع القم ويا جدد عوذ ويا رب السماء ويا ذا

الشري غير واه له . وابتلوا بالمعور والعرج و (لم يعرف الباحث معنى الكميت) وفات بودي وحنوا لها
 طلت دموع باقية / التي يطس هذا الخط .

كلمات دعاء بذيئة (الذي يطمس هذا الخط .

(٢) نفس المصدر ص ١٨٧ والعبارة بالفصحى : هذه الكتابة لتصور الله بن جبر . وقد حضر في هذه الدار فيا أعم (اسم مذكور) سالم وقتل قصصن وفر .

الدار فيا ائم (اسم محبوب) سلم وقتل قصصن وفر .

(٣) علي جواد ج ٧ ص ٢٧٢ وبالفصيح: هذا قبر فهر بن سلى مربي جذية ملك تنوخ . والنقش من النقوش الهامة عند الباحثين من ناحية التاريخ لانه احتوى اسم جذية ملك تنوخ وقد عرف عندهم باسم نقش ام الجمال حوران

النقوش الهامة عند الباحثين من ناحية التاريخ لانه احتوى اسم جذية ملك تنوح وقد عرف عندهم باسم

نقش ام الجمال حوران

ب - في نقش مر القيس بن عمرو ملك العرب كله . ذو أمر التبع وملك الاسدين
وتؤرو ملوكهم . وهر ب محجو عكدي وجايزجي في حبسج نجرن مدينة شمر وملك معدو
وتزل بنيه الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم
٧ بكسلول بلسعد ذو ولده ١

ت - بسم الله شرحو برمع قيسوا برمر القس وشرحو بن سعدو وسترو وشريجو ٢ .

ل / سر حبر سر كلمو سب د /
سب د / سر حبر سر كلمو سب د /
سب د / سر حبر سر كلمو سب د /

الخط العربي في أواخر القرن السادس بعد الميلاد
والنقش هو المعروف بنقش حران ونصه مذكور في الحرف (ث)
تقلا عن الجزء السابع من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

(١) نفس الجزء ص ٢٧٣ وبالفصيح : هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كله الذي حاز
التاج وملك الاسدين وتزاراً وملوكهم وهزم مدحج بقوته وجاء الى نزجي في حبسج نجران مدينة شمر
وملك معداً وأتزل بنيه في ارض الشعوب (يريد قسمها بينهم كما يخمن الباحثون) ووكله الفرس والروم
فلم يبلغ ملك مبلغه في القوة هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ كانون اول ليسعد الذي ولده . وهذا النقش من
النقوش الهامة عند الباحثين ايضاً من ناحية التاريخ واللغة . ويعرف بنقش النارة لان الحجر الذي كتب
عليه - وهو شاهد قبر امرئ القيس - وجد في النارة في الحرة الشرقية من جبل الدروز . انظر ايضاً تاريخ
اللغات السامية لولتسون ص ١٨٩-١٩١ ويخمن كتابة النقش سنة ٣٢٨ ب م .

(٢) هذا النقش يعرف بنقش زيد لانه وجد في خربة هذا الاسم . ويخمن تاريخه سنة ٥١١ ب م .
وقد قرئ بصيغة اخرى وهي ينصر الاله شرحو برامت متفو وخطي متفو وخطي برمر القس وشرحو بن
سعدو وسترو وشريجو . واهم ما في النقش كلمة (الاله) وهي فصحى وبقيته اسماء والعروبة الصريحة بادية
عليها . انظر جواد علي ج ٧ ص ٢٧٩ وتاريخ اللغات السامية ص ١٩١

- ث - انا شرحيل بن ظالمو بنيت ذا المرطول سنت ٦٣٤ بعد مفسد خيبر بعام^١ .
 ج - لا لعزا الهت بصرا^٢ .
 ح - دنه اربعنا دي عبد محلو وعديو وحورو عل علت يشنت توتيو لربال ملكا
 ملك نبطو^٣ .
 خ - عل علت دوشرا اعرا اله مرنادي ببصرا^٤ .
 د - بيت اسدو الها اله معينو سنت سبع لهدرنيس قيصر^٥ .
 ذ - دنه سجدا دي بنه وعبد...^٦
 ر - ولعن ذو شرا كل من دي يقبر بقبر دنه^٧ .
 ز - متبركه قدم دوشرا^٨ .
 س - مقبرة عبيشت برودو^٩ .

ش - هلكت في الحجر وشنت ماه وشيتو وترين بيرج قوز ولعن مري علما من يشنا
 القبرو دا ومن يفتحه حشي وولده ولعن من يغير ذا على منحه^{١٠} .
 ص - أسماء عديدة أخرى في نقوش نبطية :
 حبو ، خلدو ، حنو ، حسنو ، لطفو ، ملهو ، روفو ، يحيو ، يطبو ، يملك ، يعلى ،

(١) هذا النقش أيضاً هام جداً لأنه فصيح كل الفصاحة . ويعرف بنقش حران لأنه وجد على حجر
 فوق باب كنيسة في حران في المجا في المنطقة الشمالية من جبل الدروز . ومع النص العربي نص يوناني جاء
 فيه « أسس شرحيل بن ظالم سيد القبيلة مرطول مار يوحنا في سنة ٦٣٤ من الاندقراطية الاولى والجميلة
 الاخيرة تعبير زمني عن الرومان وتضمن سنة كتابته سنة ٦٨٥ ب م انظر تاريخ اللغات السامية أيضاً
 ص ١٩٢

- (٢) جواد علي ج ٧ ص ٢٨٤ وبالفصحى : لعزى الهة بصرى
 (٣) ص ٢٨٤ وبالفصحى : هذا المربع (او المذبح) بناء محم وعدي وحور في السنة الثانية لحكم
 رب ايل ملك ملوك النبط
 (٤) ص ٢٨٥ وبالفصحى : على مذبح ذو الشرى اعرا الاله ربنا الذي ببصرى
 (٥) ص ٢٨٥ وبالفصحى : بيت اسد الاله . اله معين . سنة سبع لهدريانوس قيصر .
 (٦) ص ٢٨٥ وبالفصحى : هذا المجد بناء وعبد...
 (٧) ص ٢٨٧ وبالفصحى : ولعن ذو الشرى كل من يقبر بهذا القبر
 (٨) ص ٢٨٧ وبالفصحى : باركه قدام ذي الشرى
 (٩) ص ٢٨٨ وبالفصحى : قبر عشت بن ود
 (١٠) جواد علي ج ٧ ص ٢٩٦ وبالفصحى : هلكت في الحجر سنة دة وستون واثنين في شهر قوز
 ولعن رب العالمين من يشنا (يعتدي) هذا القبر ومن يفتحه حاشا ولده . ولعن من يغير هذا على منجاه .

يعمرو ، تعمرو ، ترغو ، نسبو ، ايجرو ، اكبو ، اكبرو ، اخرسو ، ابرشو ، زبود ،
خلود ، سعود ، غزات ، ملكت ، ايفت ، حبيت ، سوسنت ، مرات ، محبت ، امت لاه
سعد ايل ، عبد عمرو ، عبد رب ال ، عبد عبادت ، عبد حرث ، امت تيم ، ال روجو ،
ال قصي ، ال سلم ^١

- ض - - لرفوش بوت عبد منوتو امه وهي هلكت في الحجر ^٢
ط - ذكرون طب للملكيت بر اوسو بر مغيرو هو بنه عل بعل شمين ^٣
ظ - هو اكتب كتبها دا ^٤
ع - دنه قبر ادي عبد اروس بر فرين لنفسه ولقرين ابيه هفرقا ولقينو انتته ^٥
غ - دنه بنينا دي مرانا ملكو ملكا ملك نبط ^٦
ف - اخوته ولدهم لهم كلهم ^٧
ق - دنه مسندا دي قرب منعت بر جديو لدوشرا واعرا له مرانا دي ببصرا بشنت
١١١× لرب ال ملك ملكا نبطو دي احبي شيتوت وعمه ^٨
ك - لعن دوشرا له مرانا والها كلهم من دي ... ^٩
ل - دا تنشادي اب بر مقيم بر مقيم ال دي بنه له ابو هي يبرح الول شنت الحرتت
ملك نبطو ^{١٠}

- (١) ص ٢٩٧-٣٠٥ والعروبة الصريحة بارزة بقوة بل واللهجة الفصحى بادية بقوة على الاسماء
(٢) ص ٣٠٦ وبالفصحى : لرفوش بنت عبد مناة امه وهي هلكت في الحجر (الراجح قبر بناء
ابنها لها)
(٣) جواد علي ج ٧ ص ٣٠٧ وبالفصحى : طاب ذكر مليكة بن اوس بن مغير هو بعاه لاجل بعل
الساوات (رب السماوات)
(٤) ص ٣٠٧ وبالفصحى : هو كتب الكتابة هذه
(٥) ص ٣٠٧ وبالفصحى : هذا القبر الذي صنعه اروس بن فرين لنفسه ولقرين ابيه ولتين اثناه
(زوجته)
(٦) ص ٣٠٨ وبالفصحى : هذه البناية التي بناها سيدنا مالك ملك ملوك النبط
(٧) ٣٠٨
(٨) ص ٣٠٩ وبالفصحى : هذا المذبح الذي تقرب به منعة بن جدي الى ذي الشرى واعرا الالهين .
الهيئا اللذين يبصرى . سنة ٢٣ لحكم الملك رب ايل . ملك النبط الذي احيا وانقذ شعبه (وعم بمعنى شعب)
(٩) ص ٣٠٩-٣١٠ وبالفصحى : ولعن ذو الشرى الاله ربنا والالهة كلهم الذي ...
(١٠) ص ٣١٣ وبالفصحى : هذا القبر لاب بن مقيم بن مقيم ايل الذي بناه له ابو هو في شهر ايلول
من السنة الاولى للحارث ملك النبط

م - ل اله والو الها وبا منجبنا عل حي رب ال ملكا ملك نبطو دي اهي وشيوب
 عمه وعلمى جملت وهجرا اخيته ملكت نبطو بري ملكو ملكا ملك نبطو بر حررت ملك
 نبطو رحم عمه وعل حي قشما بر شعيدت اخيته ملكت نبطو وعل حي... ملكو بني رب
 ال وجملت وهجرا وفص ال... اخيته ملكت نبطو وعل حي قشما بر قشما بشتت...
 رب ال ملك نبطو دي اهي وشيوب عمه^١

ن - دا ربتا دي عبد... بر بدرو لاله^٢

ه - دنه محرمت مرا للمكي^٣

و - دنا حننا عبد معيرو بن عقرب بت اسدو الها اله معينو في سنت سبع لهدريانس
 قيصر^٤

لا - دنه جدرا دي هو امي و كوايا دي بنه تيمو بر لدوشرا وشريت الهيا بصرا^٥

ي - دنه قبر ادي عبد عيدو بن كهيلو بن القسي لنفسه وبلده وآخره ولن ذي ينتن
 ويقبر به عبدو يحوي يبرح نيسان شنت تشع طارتت ملك نبطو رحم عمه ولعنه ذو
 شرا ومنوتو وفيشه كل ذي يزن كفر دنه أو يزن أو يرهن أو نيتن أو يوجر أو يتألف
 علوهي كتب كله او يقبر انوش لمن في علا كتب كفر دنه حرم كحلية حرم نبطو

(١) جواد علي ج ٧ ص ٣٢٢-٣٢٣ وبالفصحى : لاله وائل اله منجبنا الكبير . لحياة رب ايل
 الملك . ملك ملوك النبط الذي احيا واقعد شعبه . ولحياة جملة وهاجر اخيه ملكي النبط ابني مالك ملك
 ملوك النبط ابن الرحارث ملك النبط الرحيم بشميه . ولحياة قسمة بن سميده اخيه ملكة النبط . ولحياة...
 مالك ابنا رب ايل . وجملة وهاجر وقصي ايل... اخواته ملكات النبط ولحياة قسمة بن قسمة بسنة...
 رب ايل ملك النبط الذي احيا واقعد شعبه

(٢) ص ٣٢٤ وبالفصحى هذه ربة عملها بن بدر الله

(٣) ص ٣٢٤ وبالفصحى : هذا حرم مالكننا .

(٤) تاريخ اللغات السامية ص ١٤٢ وبالفصحى : هذا هو مذبح النار الذي صنعه معبر بن عقرب بيت اسدو
 الاله معين في السنة السابعة لهدريانس قيصر .

(٥) نفس المصدر ص ١٤٢-١٤٣ وبالفصحى : هذا هو الجدار والنوافذ التي عمرها ابن تيم لذي
 الشرى وبقية آلهة بصرى . والكوة والكوى في الفصحى بمعنى النافذة والنوافذ . و (دي) بمعنى الذي
 تكون فصحى في بعض اللهجات العربية في عصر النبي عليه السلام باضافة نقطة على الدال . ومنه البيت
 الجاهلي المشهور :

وان البئر بئر ابي وجدي وبئري ذو شرت وذو طويت

٣ - من النقوش التدمرية . وهي عائدة إلى الحقبة الممتدة من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الخامس بعده . ومعظمها وجد في منطقة تدمر .

أ - بولا ودمس عبدو صفيا الن ترويهون لاعلمي بر حيرن بن حيرن منا ولخيرت أبوهي رحيمي مديتهون ودحلي الهيا بد يلدی شفر ولهوت ولا لهون بكل ميو كله ليقرهون يبرح نيسن شنت ...^٢

ب - بولا ودمس اقيمو صاميا الف ترويهن دي يرحبولا بر عجا وعويدا بر حديدن بي يرحقولا بر حديدن بر زيد بول بر حديدن فرميون دحلا الهيا ورحيا مديتهون ونخريو يندينهون شينا احارنا عبدو ترعيا الن شتين دي فليادي بيسلقا رتبادي بت بل من كيسهون يبرح ادر شنت^٣

ت - صامت سبتيميا بتزي نهيرتا وزدقنا ملكتا سبتيميا زيدا رب حيل . ربا وزبي رب حيل دي تدمور قرطسطو اقيم لرتهون يبرح اب دي شنت^٤

ث - صاماد نه بوليس اورليس زيدا بر مقيمو بر زيدا عشتورا بيد ادي اقيم له

(١) العرب قبل الاسلام لزيدان ص ٨١ والعبارة بالفصحى : هذا هو القبر الذي بناه عبد عائد بن كليل بن القسي لنفسه واولاده واعقابه ولن يكون في يده كتاب منه يبع له ولاي واحد يخوله في حياته ان يدفن فيه . في شهر نيسان السنة التاسعة من ملك الحارث ملك الانباط محب شعبه ولعن ذو الشرى ومناة وقيس كل من يبيع هذه القبر او يشتريه او يرهنه او يهبه او يؤجره او ينقش عليه شيئا آخر او يدفن فيه احداً الا الذين كتبت اسماءهم اعلاه وان القبر وما كتب عليه حزم مقدس حسب القاعدة التي يدسها الانباط واللاميون الى ابد الآبدن . ويرى بعض يبيع ومنها زبون من الفصحى .

(٢) جواد علي ج ٧ ص ٣٣١ والعبارة بالفصحى : المجلس والشعب صنعا التمثالين هذين لاعلمي بن حيران بن مقيم بن حيران منا ولخيرن ابيه الرحيمين بمديتهما والخائقين آهتهما . وكانا قد احسنا لاهل المدينة واطاعا الآلهة في كل شيء . اقيم التمثالان في شهر نيسان سنة ...

(٣) نفس المصدر ص ٣٣١ والعبارة بالفصحى : المجلس والشعب اقاما التمثالين هذين ليرحبول بن عجا وعويدا بن حديدان بن يرحبول بن حديدان بن زيد بول بن حديدان فرهون اللذين خشيا الآلهة واحبا مديتهما وقدمنا هدايا كثيرة لهما . وكذلك هذه الابواب الستة لمعبد بل الكبير من كيسم الخاص . بشهر آذار سنة ...

(١) جواد علي ج ٧ ص ٣٢٩ والعبارة بالفصحى هي : تمثال سبتيميا (هذه الكلمة لقب روماني لتشريف) بت زبي الفاضلة والصديقة الملكة . سبتيميا زيدا قائد الحياطة الاكبر . وزبي قائد الحياطة التي بتدمر القائدان . اقامنا لسيدتهما بشهر آب سنة ...

تجرا بنو شيرنا دي نخت عمه لاجاشيا ليقره بديل دي سفر لهون بيرح شنت^١

ج - لبريك شمه لعلمه مرا كل طبيا ورحمنا^٢

ح - لمر اعيالنا طبيا ورحمنا مودا معنى بر ملكوربا بر معنى راوما عل حيوهي وحيي

بنهي واخلهي بيرح شبط شنت ...^٣

خ - لارصو ولعزيزوا الهيا طبيا^٤

د - اله نصيبا عل عزا و مرايتنا عبد وهب الهي شيرا^٥

ذ - تترن علوتا الن عبد عبيدو برعمو بر سعد له نبطيا زوجيا دي هو افرس بحيرتا

وبسريتاعنا لشيع القوم الها طبيا وشكرا^٦

ر - صالما دنه دي نسابر حلا بر نسابر حلا بر رفال بر عبس له بني شيرنا دي سلق

عمه من فرت ومن الجشيا بديل دي سفر لهون بيرح نيس شنت^٧

ز - اسماء اخرى في نقوش تدمرية :

طاعي بن يورينا ، قسما ، يورينا بن عجيلو بن يورينا ، نبولا بن وهب لاة ، حيون بن

(١) ص ٣٣٣ والعبارة بالفصحى هي : هذا التمثال ليولوس اورليوس زيدا بن مقيم ابن زبيدا
عشور ييدا الذي اقامه له التجار بنو القافلة التي اتجعت معه للجاشيا ليوقروه بديل ما احسن اليهم بشير
نيسان سنة ...

(٢) ص ٣٣٤ وبالفصحى : لمن بورك اسمه الى الابد رب الكل الطيب الرحيم

(٣) ص ٣٣٥ وبالفصحى : لرب العالمين الطيب الرحيم شكر معنى بن مالك الاكبر بن معنى رؤوم
لحياته وحياة بنيه واخوته . شهر شباط سنة ...

(٤) جواد علي ج ٧ ص ٣٣٦ والعبارة بالفصحى هي : لارحو ولعزيز الالهين الطيبين

(٥) ص ٣٣٧ وبالفصحى : هذا نصب العزى ورب البيت صنعه عبد وهب الله قائد القافلة

(٦) ص ٣٣٧ وبالفصحى : هذا المذبحان الاثنان صنعها عبيد بن عم بن سمع الله النبطي الروحي
الذي هو الفارس في معسكر الحيرة وفي سكنة عانة لشيع القوم الاله الطيب شكراً

(٧) ص ٣٣٨ هذا التمثال لنسا بن حلا بن نسا بن حلا بن رفال بن عبس اقامه للقائد شيرنا سلق
عمه من الفرات ومن الجشيا بديل سفره اليها بشهر نيسان سنة ...

ويلاحظ ان كلمة حلما بمعنى التمثال والصنم وردت في النقوش اليمنية والنبطية والتمودية والحيانية ...

شمسان ، عوجا بن يورينا ، مقيمو بن طاعي^١

هـ - نقش قرىء على حجر فوق باب دير في الحيرة : بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك وأم الملك عمرو بن المنذر أمة المسيح وام عيسى وبنت عيسى في ملك ملك الاملاك خسرو انوشروان وفي زمن مارافرايم الاسقف قالاه الذي بنت له هذا الدير يغفر لها خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها . ويقبل بها ويقومها الى أمانة الحق ويكون معها ومع ولدها ابد الدهر الداهر^٢

(١) العرب قبل الاسلام لزيدان الطبعة القديمة ص ٢٠٠ والطبعة الحديثة ص ٢٥٥ . ويضمن تاريخ هذا النقش باواخر القرن السادس بعد ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بعثته ، وهو فصيح منه بالغة .

(٢) مجلة الحوليات السورية المجلد الثاني لسنة ١٩٥٢

الاكتفاء بالنقوش دون المرويات

ومع أن كتب الادب والتاريخ والمعاجم العربية القديمة قد احتوت نصوصاً كثيرة جداً منتورة ومنظومة معزوة إلى أناس عاشوا قبل البعثة في شمال الجزيرة وجنوبها وغربها وشرقها وفي بلاد الشام والعراق والبادية كما احتوت أسماء كثيرة جداً من تلك الحقبة لأشخاص وأكن وسدود وقصور وأصنام وملوك وأمراء وشعراء وزعماء وقبائل فإننا لم نر أن نورد منها نماذج لأن منها ما هو عائد إلى زمن متقدم بعدة قرون وباللغة الفصحى في حين أن هذه اللغة لم تصل إلى طورها الفصيح النهائي إلا قبل البعثة بمئة وخمسين سنة تقريباً . ومع أننا نعلم يقيناً أن هناك شعراً جاهلياً باللغة الفصحى منسوباً إلى شعراء عاشوا في القرنين السابقين للبعثة يصح أن يورد كنص من نصوص اللغة الفصحى فإن هذا الشعر اختلط بما صنع بعد الاسلام ونسب إلى ما قبله لأسباب متنوعة . فجعلنا هذا نتحرز كذلك من إيراد نماذج منه ونفضل حصر النصوص في النقوش لأنها وثائق لا تتحمل شكاً .

تعليق على نصوص النقوش التي أوردناها

فهذه النصوص النقشية العائدة إلى قرون متتالية أولها أوائل الألف الأول قبل الميلاد وآخرها القرن السادس بعده أي قبيل البعثة النبوية تمثل دون ريب مراحل التطور التي تقلبت فيها اللغة العربية الصريحية في جزيرة العرب وخارجها خلال هذه المدة . وقد اكتفينا بنماذج النصوص التي لا شك في كون أصحابها عرباً صرحاء ولغتها عربية صريحية ولم ندخل معها نصوصاً يقينية الوجود من عبرانية وآرامية وآشورية وكنعانية ومصرية ، لأن هذه النصوص وإن كانت عربية قديمة فإن عليها طابع الشخصية الخاصة قليلاً أو كثيراً يجعلها خارج طور الشخصية العربية الصريحية .

ولقد سلطنا النصوص التدمرية والنبطية في السلسلة ونحن نعرف أن بعض الباحثين يحسبونها من اللغة الآرامية . غير أننا فعلنا ذلك لأن ملامح العروبة الصريحية على هذه

النصوص قوية في المفردات والاسماء والتراكيب والضمائر والأفعال ، ولأن بينها وبين النصوص الأخرى العائدة إلى نفس ظروفها وإلى ما قبلها والتي لا يتحفظ الباحثون في اعتبارها صريحة العروبة كالنصوص الآشورية والشمونية والصقوية كثيراً من التشابه بل وأن بينها وبين النصوص السبئية والمعنوية والقتبانة والحضرموتية العائدة إلى القرون السابقة قليلاً عن الميلاد المسيحي كثيراً من التشابه . على أن هناك باحثين عديدين قرروا غلبة العروبة الصريحة على النقوش التدمرية والنبطية ولم يمتدوها آرامية^١ . وبما قالوه أن سكان البلاد الشامية التي منها تدمر وبلاد الانباط في شرق الأردن وحوران ومدائن صالح وإن كانوا آراميين وكنعانيين فالمرجح أن موجات صريحة العروبة قد أخذت تنسرب إلى هذه البلاد من جزيرة العرب منذ القرن السادس قبل الميلاد وتفرض نفسها عليها فتغلست اللغة الصريحة على لغتها القديمة أو امتزجت بها بمقياس واسع فضلاً عن أن أحكام البلاد أصبحوا منها على ما تدل عليه أسماءهم مثل عبادة ومالك وحارثة وأذينة وحيران ووهب الاله ورب ايل او ريبال وخلدة وجيلة وقسمة وهاجر النخ

والمدقق في نصوص جنوب جزيرة العرب وشمالها وخارجها يجد تقارباً وتشابهاً في المفردات والصيغ والاسماء والمعبودات والعادات بحيث يزول ما قد يكون قائماً في ذهنه من تغاير شديد بين لغة جنوب الجزيرة وشمالها ثم بين لغة سكان الجزيرة والذين خرجوا منها وانتشروا في بلاد الشام والعراق في هذه الحقبة ، ويأس الاطوار النهائية القريبة من الفصحى التي أخذت لغة الجنوب والشمال والشام والعراق تسير فيها متوازية حتى بلغت طورها النهائي .

شمول اسم العرب لجميع العرب

وغدو اللغة الفصحى لغة جميع العرب

قبل الاسلام ومؤيدات ذلك

وإذا لاحظنا التقارب أو بالأحرى التطابق بين لغة نقش حران ودير الحيرة وبين اللغة الفصحى التي يمثلها القرآن بدا لنا ان التطور قد بلغ في المهاجر العربية (خارج الجزيرة) غايته قبل الاسلام . ولا شك في ان هذا كان الواقع في الجزيرة وشمالها وجنوبها وشرقها وغربها . وهذا مؤيد بقوة وحسم بالقرآن نصاً ودلالة وبوقائع السيرة النبوية المتواترة التي لا خلاف في جوهرها .

وهذا التأييد يشمل كون اسم العرب واسم اللسان العربي للغة العرب قد غدا مستقراً في أذهان العرب وغير العرب وشاملاً لجميع العرب في الجزيرة وخارجها . وكون اللغة الفصحى التي نزل بها القرآن قد عدت لغة جميع العرب في الجزيرة وخارجها كذلك . وتوضيحاً لذلك نقول : أولاً - ان القرآن بالاضافة الى وصفه العرب بأمة وقوم ونسبتهما الى النبي عليه السلام كما ترى في الآيات التالية :

الأنعام ٦٩

١ - وكذب به قومك وهو الحق . .

٢ - وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم

البقرة ١٤٣

شهداء . .

فانه احتوى معنى تمييزاً بين العرب عامة وغيرهم حيث أطلق على غيرهم تمييز

« الأعجمي » كما ترى في الآيات التالية :

١ - ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا

لسان عربي مبين . .

النحل ١٠٣

٢ - ولو تولناه على بعض الاعجميين . فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين . .

الشعراء ١٩٨-١٩٩

بما لا يحتمل وراءه في دلالته على صحة ما نقره . لأن هذا الإطلاق لا يمكن ان يكون إلا توييداً لما هو قائم في الأذهان عامة قبل نزول القرآن من كون العرب جميعهم أمة متميزة ، ومن كونهم وكون غيرهم يعرف ذلك سواء من كان منهم في مختلف أنحاء الجزيرة أم في المهاجر العربية .

وبالنسبة لوحدة اللغة العربية وشمولها نقول إن القرآن قرر ان الله أنزله عربياً بلسان النبي ليفهمه قوم النبي ويعقلوه كما ترى في الآيات التالية :

١ - انا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون .. يوسف ٢

٢ - نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين .
الشعراء ١٩٣-١٩٥

٣ - فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ..
الدخان ٥٨

وانه نبه على انه لم ينزل أعجيباً اثلاً يتحجج قوم النبي بعدم فهمه كما ترى في الآيات التالية .

١ - وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون . ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين : أو تقولوا لو انا أنزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة .. (١)
الانعام ١٥٥-١٥٧

٢ - ولو جعلناه قرآنا أعجيباً لقالوا لولا فصلت آياته أو عجيبي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء (٢) ..
سورة فصلت ٤٤

فهذا الجزم القرآني في اعتبار وتسوية اللغات غير العربية « أعجبية » يؤيد ان اللسان الذي كان يتكلم به العرب هو واحد غير متعدد اجمالاً . وهو لغة القرآن الذي وصف بأنه نزل بلسان عربي مبين .

(١) بمعنى انا أنزلناه بلسانكم لئلا تقولوا ان كتب الله الاولى نزلت بغیر لغتنا ولا نعرفها ولو أنزل كتاب بلغتنا لكنا اهدى من اهل تلك الكتب

(٢) بمعنى لو أنزلناه بلغة غير عربية كالكتب المنزلة الاولى لقالوا كان يجب ان يكون مفصلاً بالعربية

وبما روي من أنه كان لبعض القبائل بعض التعابير والاستعمالات والحروف والاهجية الغريبة بعض الشيء لغة القرآنية ليس من شأنه أن ينقص ما نقول أو يقف دليلاً على وجود تعابير في لغة العرب في عصر النبي عليه السلام وقبله بقليل يمكن أن يحتمل معنى تعابير جوهري أو يحتمل تعبير لغات متباينة كما نفهمه من تباين اللغتين العربية والسريانية اللتين هما شقيقتان في الأصل أو ما يقرب من ذلك . وإنما نسوغ لأنفسنا أن نقرر أن كل كلمة جاءت في القرآن وكل معنى ورد فيه لكل كلمة وكل تعبير استعمل فيه حقيقي أم مجازي وديني أم اجتماعي وتاريخي أم اقتصادي أم معاشي كان العرب يفهمونه ويستعملونه قبل نزول القرآن من حيث الاجمال . وأنه لا يعقل أن تكون فيه كلمات أو تعابير لم ينطق بها العرب أو لم يستعملوها قبل نزوله بقطع النظر عن السعة والضيق بعد تلك النصوص القرآنية القاطعة ولا سيما بعد تعبير « أعجمي » لغير اللسان العربي مقابل « عربي » للدلالة على اللغة العربية ، وكذلك بعد الشواهد التي أوردناها .

وما نقل عن بعض علماء اللغة القدماء من أن العرب لم يعرفوا أو لم يستعملوا كلمة فاسق أو كلمة النفاق أو غيرها من كلمات قرآنية لا يمكن أن يعقل ولا يمكن أن يصدق . ويكفي أن نعرف أن كلمة الفسق ومشتقاتها قد وردت في نحو خمس وخمسين آية وكلمة النفاق ومشتقاتها قد وردت في نحو ثلاثين آية لنعرف ثقافة مثل هذه الأقوال . يضاف إلى هذا كله طبيعة مهمة النبي التي هي مخاطبة مختلف طبقات الناس والقبائل وتلاوة القرآن عليها مما لا يمكن أن يتسق مع عقل ومنطق وحكمة أن يكون ما يتلوهم عليه وهو دعامة نبوته ومعجزتها الكبرى بغير اللغة التي يفهمونها بتراكيبها ومفرداتها بل ولا في مستوى أعلى كثيراً من مستوى افهام المتوسطين منهم .

ونقول هذه الكلمة الأخيرة تنبيهاً لما قاله بعض القدماء من أن لغة القرآن كانت أعلى من مستوى الافهام ، ولما قاله بعض المحدثين من المستشرقين وغير المسلمين خاصة من أن الذين آمنوا إنما آمنوا بفصاحة القرآن اللغوية وهو طبقته حيث كانت هذه الصفات فيه بما تبهر سامعيه . ونذكر الذين قالوا هذا بأن من المؤمنين الأولين في مكة من قد آمن بالنبي على أثر الدعوة وقبل أن تعد الآيات والسور الصغيرة الفارقة على الأصابع وأن جلهم آمن قبل منتصف العهد المكّي وأن القرآن يذكر أن الكتابيين الذين آمنوا بالقرآن والنبي إنما آمنوا لما فيه من الحق والروحانية كما ترى في الآيات التالية .

١ - ... وات من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله

لا يشتركون بآيات الله ثمناً قليلاً ..

آل عمران ١٩٩

٢ - وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكثبنا مع الشاهدين ..

المائدة ٨٣

٣ - قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا تلى عليهم محروك للاذقان سجداً . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ..

الاسراء ١٠٧-١٠٨

٤ - الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ..

القصص ٥٢-٥٣

ولقد ظلت أكثرية المكين الساحقة ثم أكثرية الحجازيين الساحقة ثم أكثرية العرب الساحقة جاحدة طيلة العهد المكي وأكثر العهد المدني ؛ وقد سايخ النبي ثلاثة عشر عاماً في مكة يتلو القرآن على أهلها وعلى العرب واسلوب القرآن المكي خاصة شديد الروعة مما ينقض مثل هذا القول ويبرز ما فيه من وهن .

وواضح أن ما نقوله ليس فيه ما يقلل من سمو طبقة لغة القرآن وفصاحته وبلاغته الرائعة النافذة التي لا يمكن أن تتحمل كلاماً ولا ريباً كما أنه لا يمنع أن يكون في القرآن مفردات غير عربية أو غير قرشية اللهجة ، بل نحن نعتقد بوجود ذلك ، غير أن مما لا نشك في كونه الحق هو أن الكلمات غير العربية قد عربت وأصبحت جزءاً من اللغة العربية قبل الإسلام ، وأن الكلمات أو اللهجات غير القرشية قد دخلت في اللغة القرشية التي أصبحت لغة القرآن قبل الإسلام أيضاً .

وليس من شأن هذا وذاك أن يمتنع على السامعين من غير قريش تذوق وفهم المفردات التي من هذا القبيل أو مدلولاتها إجمالاً أو تفصيلاً . وهذا مع التسليم كذلك باحتمال وجود طبقات من العرب في كل بيئة في عصر النبي حتى من القرشيين أنفسهم لم تكن مداركها تصل إلى فهم جميع معاني القرآن أو لم تكن تستعمل أو لم تكن تسمع بجميع

الفاظ وتعابير وتراكيب القرآن ، وباحتمال وجود فئات من العرب وخاصة من سكان المناطق البعيدة عن الحجاز كانت تتكلم ب لهجات غير لهجة القرآن او تستعمل تعابير والفاظاً ومصطلحات ليست من تعابير والفاظ ومصطلحات القرآن بما هو طبيعي ومتسق مع بداية الأمور وليس بما يتناقض مع مدى وجوه ما قرأناه ايضاً .

ولقد اثر عن أبي عمرو بن العلاء احد علماء اللغة العربية القدماء ورواتها قول جاء فيه « ما لغة حمير بلقنتا » وتمسك الدكتور طه حسين ^(١) بهذا القول حين اراد التدليل على اختلاف الشعر العربي الفصح المنسوب الى القحطانيين واورد بالإضافة اليه بسبيل البرهنة على الفرق بين اللغة الحميرية واللغة الفصحى نصاً حميرياً مروباً عن الاستاذ جويدي هذا هو : « وهم واخوه بنو كلبت هقينو ال مقه فهران ذن مزندن حجن ومهتو بمسألهو لو فيهو وسعدمو نعتهم »

ومع ان دعوى الدكتور الاصلية بأن الشعر العربي الفصح المنسوب الى قحطانيين مفروض وجودهم في عهد متقدم بعدة قرون عن البعثة صحيحة اي ان الشعر مخترع ^(٢) فان هذا وامثاله مما اوردنا غايج عديدة منه انما كان يمثل طوراً من اطوار اللغة العربية قبل ان تصل الى طور فصاحتها القرآنية وليس من شأنه ان ينقص ما قرأناه آنفاً كذلك . ولا سيما ان المأثور الموثوق من الأسماء والأعلام الجنوبية في الحقبة التي سبقت البعثة الى مئة سنة في صيغة العربية الفصحى ؛ ولأن اندماج القحطانيين بالمعدنانيين ابان حياة النبي بالسهولة واليسر التامين وما كان بينهم من تفاهم لقوي وطيد وتام هو من الحقائق التاريخية التي لا يصح الماراة فيها . وقول ابي عمرو المذكور يحمل على وجهين فلما انه كان يقصد التنبيه على ما يمكن ان يكون راءنا من بعض فروق اداثية ولفظة بين لغة اهل الجنوب واهل الشمال ابان البعثة النبوية وبمدها مثل ما هو مروي من حديث « ليس

(١) من الجدير بالتنبيه ان هذا ينسحب على الشعر العربي الفصح المنسوب الى حجازيين ونجديين (معدنانيين) مفروض وجودهم في عهد متقدم بعدة قرون عن البعثة ايضاً بحيث يسوغ الجزم بأنه مخترع فان لغة الشمال كانت في هذه الآونة تمر في نفس الدور الذي كانت تمر فيه لغة الجنوب فضلاً عن لغة سكان بلاد الشام والعراق من العرب الصحراء . والدليل على ذلك لغة النقوش الحياتية والتمودية التي هي لغة شمالية بالإضافة الى النقوش النبطية والتدمرية والصفوية . وفي لغة نقش حجر قبر ادمريء القيس الملك اللخمي دليل قوي وقد كتب في سنة ٣٢٨ م ب م وذكرت فيه قبائل عربية شمالية .

من أمهر صيام في أمسفر» بدلا من « ليس من البر صيام في السفر »^(١) ولما انه كان اطلع على نصوص حميرية قديمة ووهم ان اللغة العربية الفصحى كانت قائمة متوطدة حينما كانت هذه النصوص تثل اللغة الحميرية وهو الوهم الذي يخطر ببالنا ان الدكتور طه حسين قد وقع فيه حينما اورد نص الأستاذ جويدي للتدليل على الفرق بين لغتي الشمال والجنوب . ومن الجدير بالتنبيه ان كثيراً من الأعلام والاسماء والمفردات التي قومت في النقوش السبئية والحميرية واللحيانية والثمودية والصفوية والتدمرية والنبطية والعائدة بخاصة إلى قبيل البعثة النبوية تتماثل مع المعروف المتواتر من لغة قريش التي نزل القرآن بها على ما هو ملحوظ في النماذج التي اوردناها .

ولقد روي كثير من كلام العرب الجاهليين ومساجلاتهم وخطبهم وأمثالهم منها المنظوم ومنها المنثور ومنها ما هو منسوب إلى جماعات من الحجاز ونجد في المدن والبوادي ومنها ما هو منسوب إلى جماعات كانت تعيش في اليمن والشام والعراق في عهد دول الحميريين والفسانيين والخصمين والكنديين وفي حياة النبي عليه السلام قبل البعثة كما رويت أسماء أعلام وأشخاص كثيرة جداً كانوا يعيشون في جميع هذه الانحاء قبل البعثة ومنهم من كان يعيش في حياة النبي عليه السلام بما هو مشهور في كتب التاريخ والأدب واللغة والتراجم القديمة المعتمدة كالأغاني ولسان العرب والقاموس ومعجم البلدان والكمال والبيان والتبيين والأمثال والأمل والعتد الفريد وتاريخ الطبري وتاريخ اليعقوبي وطبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام وأسد الغابة وديوان الشعراء ومختاراتها وكتب الحديث الخ جاءت بلغة فصحى مماثلة للغة القرآنية في مفرداتها وصرفها ونحوها وسبكها ونظمها وبجازها وبديعها وبيانها والأسماء التي كان ينسب إليها الصدر الإسلامي الأول . ومهما كان في ذلك من تحول ومضوع فإن فيه على كل حال وباعتراف أشد المترمتين في ذلك شيئاً غير قليل يعود إلى

(١) مما جاء في الجزء الاول من لسان العرب لابن منظور ان النبي عليه السلام قال لبعض اهل اليمن لقد اتوا بأسير يرعد من البرد خذوه فأخذوه فأتوه فقتلوه لأن الادعاء عندهم القتل مع انه كان يريد ان يقول أذقوه من التدفئة لانه كان يرعد من البرد ولا يمكن ان يأمر بقتله لان ذلك مخالف لنص القرآن « حتى اذا امنتهم فشدوا الوثاق . فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها . سورة محمد » ففي هذا صورة من صور ما يحتمل ان يكون بين لغات القبائل القحطانية والعدنانية في دور العروبة الصريحة وفي نطاق اللغة الفصحى . ومثل هذه الصورة يوجد بين القبائل العدنانية نفسها وفي كل زمان ومكان ولا تعد ثانية في معنى ان لغة بلد او قبيلة ما غير لغة بلد او قبيلة اخرى بطبيعة الحال .

وفي معجم البلدان لياقوت أسماء آلاف القرى والمدن والمواقع والأعلام التي كانت موجودة قبل البعثة النبوية في مختلف أنحاء اليمن والحجاز ونجد واليامة والبحرين ومهات والعراق والشام بصيغة عربية فصحي وبينها تماثل وتشابه كبيران على ما بين الأنحاء من تباعد وفي هذا أدلة لا تدحض على شمول اللهجة الفصحى لأهل الجزيرة وخارجها قبل البعثة .

ولقد حكى القرآن كلام العرب في سياق الحجاج اللجاج أو في سياق الاستفسارات والاستئلة التي حكاها فجاه مندجاً مع اللغة القرآنية كل الاندماج مثل حكاية قول بعضهم « وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين » واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » (سورة الأنفال ٣١ - ٣٢) ومثل حكاية قول بعضهم من منافقي يثرب « هم الذين يقولون لا تتفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزان السماء والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون . يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل والله العزة لرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » سورة المنافقون (٧-٨) . ومثل قول بعضهم « ان هذا الا سحر يؤثر . ان هذا الا قول البشر » (سورة المدثر ٢٤ - ٢٥) ^(١)

ومن المتواتر الذي بلغ حد اليقين :

أولاً : ان النبي عليه السلام كان يتصل بمختلف الطبقات والشخصيات المكية ثم بمختلف الطبقات والشخصيات والقبائل التي كانت تقعد على مكة في موسم الحج وأسواقه ويتحدث اليهم ويتلو عليهم القرآن ويتفاهم معهم بلقته التي هي لغة القرآن ، وان مواسم الحج وأسواقه لم تكن قاصرة على أهل الحجاز وخاصة قبيل البعثة بل كان يقد اليها العرب من أنحاء عديدة من غير الحجاز أيضاً أي من نجد واليمن وأطراف العراق والشام .

(١) في القرآن المكي والمدني آيات كثيرة فيها حكاية قول الكفار والمنافقين والمنهج من مثل ذلك ولهذا رأينا ان نكتفي بالأمثلة الثلاثة .

وثانياً : ان وفوداً كثيرة وفدت على النبي عليه السلام من اليمن ونجد والاحساء والبحرين والعراق والشام وفلسطين وحضرموت اسماء رجالها وقبائلهم عربية فصحي وان النبي كان يتلو عليهم القرآن ويتخاطب معهم هو واصحابه الحجازيون المهاجرون والانصار بلغتهم التي هي لغة القرآن وانه كان يرسل معهم قراء من كبار صحابته الحجازيين ليعلموهم القرآن ويفقهوهم في الدين ويتولوا امر القضاء بينهم وجباية الزكاة منهم ، وان النبي كان يكتب لهم الرقاع والعهود والوصايا والتشريعات بلفته ^(١) . ولم تود رواية ما زئيد انه كان تراجعة بينهم وبين النبي واصحابه وان هذا ينطبق على أهل اليمن الذين قيل ان لغتهم غير لغة الحجاز ، حيث يؤيد كل هذا دعوى وحدة اللغة العربية لجميع العرب في مختلف أنحاء الجزيرة ومهاجرتها قبل الاسلام اجمالاً كما قررنا قبل .

(١) في طبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام وكتب الحديث وقوانين الطبري مؤيدات كثيرة متنوعة . انظر مثلاً الجزء الثاني من طبقات ابن سعد مطبعة لجنة الثقافة الاسلامية ص ٢٤-١٢١ وسيرة ابن هشام مطبعة حجازي ج ٤ ص ٢٣٢-٢٧٢

تخمين الوقت الذي غدا اسم العرب ولغة العرب شاملين

وليس من السهل تحديد الوقت الذي أصبح اسم العرب فيه عاماً مشتركاً للجنس العربي ولا الوقت الذي أصبحت فيه اللغة الفصحى لغة عامة ومشتركة لجميع العرب في الجزيرة وخارجها . ولا شك في أن ذلك قد تم نتيجة تطورات استغرقت امداً غير قصير وتأثرت بعوامل واسباب متنوعة من العسير تحديدها أيضاً .

والتبادر أن تكون تسمية « العرب » الشاملة قد توطدت قبل توطد اللغة الفصحى كلفة مشتركة لجميع العرب بمدة طويلة . وإن تكون اطلقت أولاً على القبائل المنساحة من الجزيرة الى تخومها بمعنى البدو ثم صارت لها علماً ثم اخذت دائرة اطرافها تتسع وتتردد بين القبائل التي ظلت في الجزيرة والتي كانت وثيقة الصلة بالقبائل المنساحة حتى عمت . ولقد تعرضت هذه القبائل لثلاث ملوك آشور في القرن التاسع قبل الميلاد وبعده على ما ألمعنا اليه في مطلع هذا الفصل وشرحناه في الجزء الثالث من الكتاب ، فاعل هذه الحملات كانت تؤدي احياناً الى ارتداد القبائل الى داخل الجزيرة تحمل التسمية الجديدة وتنتشرها في أنحاء الجزيرة المختلفة فكان ذلك من أسباب التعميم . وقد يكون من السائغ أن يقال ان هذه التسمية غدت موطدة بعد الميلاد المسيحي ببضعة قرون قدرها فيليب حتي في الجزء الاول من كتابه تاريخ العرب بثلاثة قرون بعد ان كانت تطلق على بعض أجزاء الجزيرة وتخومها وقبائلها وملوكها قبل ذلك بعدة قرون . ولقد ورد في نقش حجر قبر امرئ القيس الذي أوردنا نصه في لبنة النقوش النبطية جملة « ملك العرب كلهم » وهذا النقش كتب كما قلنا في سنة ٣٢٨ ب م حيث يسوغ هذا القول ان كلمة العرب كانت معروفة وتطلق على العرب الصرحاء في هذا الوقت بمتداً الى ما قبله بأمد ما .

وتأخر توطد اللغة القرآنية الفصحى كلفة مشتركة لجميع العرب اجمالاً عن توطد التسمية طبيعي . لأنه لا يمكن ان يكون الا بعد توطد مفهوم الوحدة الجنسية والاسم القومي وشوئها من جهة وبعد تطورات في صلات العرب ببعضهم لا يمكن ان تتم الا بعد توطد وشمول ذلك المفهوم والاسم من جهة اخرى .

ولقد قرر غير واحد من علماء العرب وغير العرب انه كان للحج وتقاليده واسواقه

أثر كبير في ذلك بعد أن غدا شاملاً لجميع العرب . والذي يتبادر لنا أن هذا الشمول قد تم على مراحل . فكان الحج في بدء أمره لاهل الحجاز ثم اتسع نطاقه حتى أخذ يشمل سكان جنوب الجزيرة من جهة وسكان أطراف الجزيرة وخارجها من جهة ثانية . ولعل ما كان من غزوة الحبش ليمن ومحاولة غزوهم للحجاز وما كان من سيطرة الروم على بلاد الشام ومصر والفرس على بلاد العراق وما كان يقع بين الفساسنة والخصمين ملوك العرب في الشام والعراق من حروب تبعاً لما كان يقع من مثل ذلك بين الروم^(١) والفرس كلت ذا أثر في ذلك حيث جعل العرب خارج الحجاز يشتد اتجاههم الى الحجاز الذي لم يكن خاضعاً لسيادة أجنبية ما .

واقدر كان للاشهر العربية (القمرية) أسماء قديمة فغيرت بأسماء جديدة منها ما يدل على بعض المواسم وآثارها مثل ربيع الاول وربيع الثاني وجمادى الاول وجمادى الثاني ورمضان وشوال ومنها أسماء خاصة بالحج وأشهره الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والحرم ، ونرجح أن لهذا التغير صلة بذلك الاتساع من جهة وبالمهنة المقدسة في أشهر الحج من جهة حتى يتسنى للعرب أن يشهدوا موسم الحج الكبير في مكة من كل ناحية من أنحاء الجزيرة وخارجها ثم يعودوا وهم في طمأنينة وأمان في ظل تلك المهنة المقدسة^(٢) .

وإذا صح ما نقرضه ونرجو أن يكون صحيحاً فيكون توطد اللغة القرآنية كلفة عامة اجمالاً قد تم كذلك على نفس هذه المراحل . ونحن نقدر أنه قد بلغ ذروته قبل البعثة النبوية بنحو مئة أو مئة وخمسين سنة ، وصيغة أسماء الأشهر القمرية المتواترة عما قبل البعثة تدل على أن تغييرها وقع في طور توطد اللغة الفصحى . وهذا لا يمنع أن تكون هذه اللغة قد أخذت تتوطد في الحجاز ثم في شمال الجزيرة قبل ذلك وبالتالي قبل توطدها في جنوب الجزيرة وأطرافها وخارجها بطبيعة الحال ، بل نكاد نجزم أن هذا هو الذي وقع . والصحيح من الشعر الجاهلي هو شعر شمالي على الاغلب وأصحابه المعروفون يقيناً من أبناء القرنين السابقين للبعثة النبوية . واللغة القرآنية في أصلها هي لغة قريش والحجاز

(١) سيأتي خبر غزوة الاحباش وتاريخ الفساسنة والخصمين في فصول آتية

(٢) افرأ كتابنا عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة من ١٨١-٢١٤ وانظر ما ذكره الالوسي

في الجزء الثالث من كتابه بلوغ الارب في احوال العرب ص ٧٦-٨٠ من أسماء الأشهر القديمة وأسباب تبديلها .

وهي التي غدت اللغة العامة . وقد يكون في كل هذا دليل على ما نقول
وإذا ما دققنا النظر في النقوش الشمالية والجنوبية والنبطية والتدمرية والصقوية العائدة
إلى القرن الخامس الميلادي على الأقل ثم في اللغة الفصحى التي لم يصل إلينا شيء مكتوب
ومحفوظ ومسهب منها إلا القرآن الكريم وما يمكن أن يكون صحيحاً من الشعر الجاهلي
بدا لنا في التطور الذي تم خلال قرنين أو أقل معجزة فريدة عظيمة تثير أشد الدهشة
والاعجاب بما وصلت إليه اللغة الفصحى من طور يصح أن يعد من أرقى الاطوار التي
يمكن أن تبلغ إليها لغة بشرية من حيث قوة البيان وروعة الأسلوب وبلاغة التعبير ونفوذ
المعنى ودقة الأداء وقوة الخيال ونصاعة الحجة وسعة المتناول وغزارة المادة وتنوع الفنون
والأساليب والضوابط والقواعد والاشتقاق والتعريب وصنع الأفعال والأسماء والصفات،
وهذا فضلاً عما تدل عليه في الوقت ذاته على مبلغ ما وصل إليه المتكلمون بها إبان هذا
التطور من قوة العقل وصفاء الذهن وسعة الخيال ورفي الذوق الفني . ولقد كان من بركة
القرآن المجيد وقديسيته أن حفظ للعرب بل للإنسانية هذه اللغة العظيمة أبد الدهر وأنت
حفظ للعرب في الوقت نفسه أبد الدهر كذلك وحدتهم ومناعتهم ضد التباعد والتعدد
الذين صار اليهامن قبلهم من جنسهم قليلاً أو كثيراً .

الفصل الثاني

تاريخ الجنس العربي في جنوب جزيرة العرب

في دور العروبة الصريحة قبل الإسلام

١ - مملكة سبأ وذي ريدان

٢ - مملكة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت أو المملكة الحميرية

الممالك الصريحة العروبية في جنوب الجزيرة

في هذا الدور

قد يكون من الحق أن يقال إن دور العروبية الصريحة في جنوب جزيرة العرب قد بدأ في عهد مملكة سبأ على ما تدل عليه النقوش التي أوردنا بعض غاذجها في الفصل الأول من هذا الجزء وعلى ما شرحناه في الجزء الأول من الكتاب . غير أن هذه الدولة التي امتدت إلى الربع الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد نشأت في وقت يعد سابقاً من بعض الوجوه على ذلك الدور . فلم يكن بد من تدوين تاريخها في سلسلة واحدة مع تاريخ ما قبل العروبية الصريحة . وهو ما قطعناه في الجزء الأول . أما ما قام بعد هذه المملكة فإنه كان في بيرة العروبية الصريحة التي أخذت تقوى وتتسع قبيل الميلاد المسيحي إلى أن بلغت ذروتها قبيل البعثة المحمدية .

ولقد قام بعد مملكة سبأ مملكتان رئيسيتان واحدة بعد أخرى متميزتان بالاسم بعض الشيء وغير منقطعتين عن بعضهما في الوقت نفسه وهما مملكة سبأ وريدان التي امتد حكمها من نحو سنة ٢٥ ق م إلى نحو سنة ٢٧٥ ب م ثم مملكة سبأ وريدان وحضرموت ويمتد التي امتد حكمها إلى الثلث الأول من القرن السادس بعد الميلاد .

مملكة سبأ وذو ريدان

لقد عثر على نقوش كثيرة تعود إلى عهد هذه المملكة وقرىء عليها اسم عدد غير يسير من الملوك كانوا يتلقبون بـ « ملك سبأ وذو ريدان » كما عرف منها أنهم كانوا ينتسبون إلى أرومات وقبائل مختلفة . وأنه كان أحياناً يقوم في منطقتين ملوك يتلقبون بنفس اللقب في وقت واحد مما فيه دلالة على أن بعض ملوك هذه المملكة لم يكونوا دائماً أصحاب سلطان شامل في جنوب الجزيرة .

وقد نبه الآثريون وجواد علي الذي ناقش دراساتهم^(١) كذلك إلى أن من المحتمل أن

(١) انظر الجزء الثاني من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي من ٢١٢ وما بعدها

يكون بعض الذين تلقبوا باللقب لم يمارسوا سلطاناً ما ، منهم من كانوا يتلقبون به في حياة آبائهم الذين كانوا يمارسون السلطان حسب العادة ثم تحول الأحوال دون ممارستها للسلطان أما بالموت أو بتغلب غيرهم على العرش ، وإلى هذا فهناك أشخاص عديدون قرئ في النقوش نعتهم بنعت الملك دون زيادة ومن المحتمل أن لا يكونوا أصحاب اللقب الكامل أو أن يكونوا متعزدين أو أمراء وحكاماً في منبأاتهم فوصفوا بالنقوش بوصف الملك دون ممارسة سلطان كامل .

ومما نبه اليه جواد علي والأثريون كذلك أن معظم النقوش مشوشة أو مشوهة أو قاصرة ، وإن هذه الفترة من تاريخ جنوب الجزيرة من أشد فقرات تاريخها القديم تشوشاً وأكثرها فقرات وأنه ليس في الامكان ترتيب الملوك ترتيباً صحيحاً لا من جهة ممارسة السلطان ولا من جهة مناطق الحكم وشموله ولا من جهة الامر ولا من جهة تاريخ الحكم وإن بعض الأثريين اضطروا الى ترتيب الملوك ترتيباً هجائياً ، وإن النقوش لا تحتوي أشياء كثيرة هامة من أخبار نشاط ملوك هذه الحقبة ، وإن جل ما عرف منها أسماء الملوك واسمات الى ما كان يقع من مصاولات وحروب بين الزعماء الطامحين .

وهذه أسماء ملوك هذه الحقبة وما عرف من ظروف حكمهم مستفادة من دراسات الأثريين للنقوش وتعليقات جواد علي عليها ^(١) .

١ - شعرم اوتر : وهو أول من تلقب بلقب ملك سبأ وذو ريدان . وكان قبل ذلك يتلقب بلقب ملك سبأ كخليفة لآبيه عليان فهناك الحمداني الارومة الذي ذكرنا خبره في الجزء الاول . وقد اشتدت المصاولة بينه وبين الحميريين والريدانيين بزعماء أمير ريدان (ذو ريدان) فكتبت القلبة له وخضع ذو ريدان وجماعته فتلقب باللقب الجديد . ولم يكن شامل السلطان مع ذلك حيث كان يقوم ملوك آخرون في مناطق أخرى غير خاضعين له . وهذا ما وكان أيضاً في عهده وعهد أبيه حينما كانوا يتلقبون بلقب ملك سبأ . ونجمن ان بداية حكمه بالتلقب الجديد هي سنة ١٢٥ قبل الميلاد .

٢ - حيوعثو : ونجمن الاثريون انه ابن أئمن يوم اخو شعرم اوتر الذي تلقب بملك سبأ قبله ، وأنه كان شريكاً في الحكم واللقب بعده . وقد قرئ في نقش اسمه ولقبه

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٢١٢ - ٢٦٠

ملك سبأ وذو ريدان .

ولقد سجلت النقوش أنباء لشعرب بسبيل فرض سلطانه على المناطق الخارجة عنه . من ذلك انه كان متحالفاً مع ملك حضرموت ضد الحميريين والريدانيين فلما تمت له الغلبة على هؤلاء طمح الى فرض سلطانه على ملك حضرموت مع انه كان حليفه ضد الحميريين وزحف بقواته على بلاده وانتصر انتصارات عديدة ولكنه لم يحقق غايته ولم يقض على المملكة الحضرموتية ولم يخضعها لسلطانه . ومن ذلك انه هاجم قوات كانت تابعة للملكين اخوين كانا يتلقبان بلقب ملك سبأ وذو ريدان ويسيطران على قسم من المملكة فأخفق في تحقيق هدفه . « من ذلك ما يفيدته نقش سجله رجل من أتباعه يذكر فيه انه قدم للاله العزيز حصاناً وصورة من الذهب لأنه انقذ حياته ونجاه في الحروب التي خاضها مع سيده شعرب اوتر بن عليان نهقان .

٣ - الشرح يحضب : وهذا ابن فرعم ينهب المرثدي الارومة الذي كان يتلقب بلقب ملك سبأ ويتنازع مع عليان نهقان ويسيطر على قسم من المملكة مثله . ويظهر ان الشرح استطاع ان يحتفظ بمملكة أبيه وتلقب كخصمه بلقب ملك سبأ وريدان على ما ذكرته النقوش .

٤ - يازل بين : وهذا اخو الشرح . وكان شريكاً لأخيه في الحكم واللقب . وكما سجلت النقوش نشاطاً لشعرب بسبيل تشمل سلطانه سجلت للشرح وأخيه أيضاً مثل ذلك . ومن ذلك ما يفيدته نقش سجله أحد رجال الملكين ذكر فيه أنه قدم الى الاله الله ذو هيران وثنا من الذهب شكراً لأنه مكن سيده الملكين من أعدائها ومن عليها بالنصر في غزوها لأرض حمير وحضرموت وقد أوقعا في أعدائها هزيمة شديدة وخسائر جسيمة . وقد تعددت النقوش التي ذكر فيها أنباء المصاولات والمعارك بين الملكين من ناحية الحميريين والحضرموتيين من ناحية أخرى مما يحتمل ان يكون دلالة على تكرار الزحف وتمدد المعارك . وقد عثر على نقش ذكر فيه ان زعيما اسمه غران ثار على الشرح فتكنن من تأديبه بفضل الآلهة ورحمتها .

٥ - نشأ كرب بين مرحب : وهو ابن الشرح يحضب الذي خلف ابيه على الحكم وقد عثر على نقش ذكر فيه اسمه واسم يازل بين عمه معا بوصفها ملكي سبأ وذو ريدان

حيث ينبغي هذا ان العم ظل يحتفظ بشراكته في الحكم واللقب الى ان مات فاسر ونشأت في الحكم على ما يدل عليه نقش ذكر اسمه فيه منفرداً . ولم يعثر على نقوش تذكر نشاطاً لنشأ كرب .

٦ - وثوم يامن : وهو اخو نشأ كرب الذي خلفه على العرش . ولم يعثر على نقوش تذكر نشاطاً لهذا الملك عدا ما ذكر فيه اسمه ولقبه دون تفصيل .

٧ - ياسر يصدق : وهو ابن وثوم يامن . ولم يعثر على تسجيلات بنشاطه هو الآخر وقد عثر على نقش لجماعة من أقبال قبيلة مهائف ذكروا فيه اسمه لمناسبة بناء بيوت لهم وشكروا الآلهة عثر شرقن وعثر جنت وبعل شرقن وذات حميم وبعل بحرم وبعل ريدان على توفيقهم في ذلك . وقد قدر الاثريون أن بداية حكم ياشري سنة ٦٠ ق م .

٨ - ذمر علي يهر بن ياسر : وقد عثر على نقد باسمه . وذكر اسمه واسم ابيه في نقش سجله احد رجاله تبع بن كرب من آل حمرير لمناسبة تقديمه اوثاناً لمعبد الاله المله حمايته وخيره وخير ارضه وحصنه في منطقة رحب .

٩ - ثارن يعب يهنم بن ذمر علي : وكان شريكاً لأبيه في الحكم واللقب ثم انفرد فيها بعد موته . وقد ذكر اسمها في نقش سجل فيه خبر ترميم وتجديد سد اسمه ذو أمر في منطقة آين فأدى الى عودة الحياة الى ارضين واسعة . وكان العمال من قبيلتي صبا وعذوب . وقد ذكر اسم الوالد والابن في كتابة على تمثال من البرونز قدمه جماعة من آل ذرنج لمعبد صنعاء . وذكر ثارن في نقش سجل فيه خبر ارساله رجلين من اشراف حمير لحضور حفلة تنصيب الملك الغزيليظ ملك حضرموت في حصن انود ، وهذا الخبر يقيده ان مملكة حضرموت ظلت تحتفظ بشخصيتها واستقلالها الى هذا الوقت . وذكر ثارن وابنه ايضاً في نقش سجله جماعة من بني سحر بمناسبة تقديمهم اوثاناً للالهة حمايه سيديهم وحمايه اموالهم وأملأهم . والآله التي قدم لها الاوثان هي عثر وسحر بعلا نفقان وهيس والمقه وذات حميم وذات ييدان وشمس ...

١٠ - ذمر علي يهر ابن ثارن : ولم يعثر على تسجيلات بنشاطه عدا ذكر اسمه ولقبه في كتابة مبتوره مؤرخة بتاريخ شهر « ذو نسر »

١١ - كرب ايل وثو يهنم ابن ذمر علي : وقد عثر على نقد باسمه هذا الملك

١٢ - هلك امر بن كرب ايل : وكان شريكاً لأبيه في الحكم واللقب .

١٣ - فمر علي ذرح : ويضمن الاثريون انه ابن آخر لكرب ايل وتر وانه خلف اياه او اخاه . ولم يعثر على تسجيلات بنشاطه غير ورود اسمه ولقبه في احد النقوش .

١٤ - يدع ايل وتر : ويضمن الاثريون انه ابن فمر علي ذرح وبعضهم لا يجزم بصلته ما بين الملكين . ولم يعثر على تسجيلات بنشاطه غير ورود اسمه ولقبه في احد النقوش دون تفصيل ودون ذكر اسم ابيه .

ولقد ذكر بعد هذا الملك طائفة من الاسماء استنتج الاثريون من دراساتهم انهم ينتسبون الى ارومات غير الارومة الميثدية التي ينتسب اليها الشرح يحضب وخلفاؤه .

ويلحظ شيء من التسلسل في سلسلة هؤلاء الخلفاء التي تبديء من الملك الرابع الى الثالث عشر او الرابع عشر . ولم يشر الاثريون الى ملوك همدانيين بعد شعرم وتر وحيو عثر (الاول والثاني في السلسلة) حيث يمكن أن يفيد هذا ان الملك قد استتب للأسرة الميثدية بعدهما وان السلطان قد نزع من ايدي الاسرة الهمدانية .

اما الاسماء التي عرفت بعد الاسم الرابع عشر فهي :

١٥ - شمدار بنعم : وقد عثر على نقد باسمه في خرائب ريدان دون تفصيل آخر .

١٦ - عمدان بنقبض . وقد ذكر اسمه في كتابة وجدت في المكان المعروف بحرم بلفيس قرب مأرب وصف فيها بوصف ملك سبأ وذو ريدان . ووجد في خرائب ريدان نقد باسمه وقد صور رأسه على النقد فبدأ وجهه حليقاً وضفائر شعر رأسه متدللية على رقبتة .

١٧ - نشأ كرب يازن

١٨ - وهب هشت

١٩ - هوتري عشت يقس

٢٠ - كرب عشت بنقبيل

وقد وردت اسماء هؤلاء الاربعة في نقش نعثوا فيه بنعوت تشبه نعوت الملوك بدون تفصيل وعرف انهم ابناء تصح بن جرحم .

ويجمن الاثريون هؤلاء الاربعة والاثني الذين ذكرا قبلهم من قبيلة حاشد احدى قروع قبيلة بتع التي كان منها بعض ملوك مملكة سبأ .

٢١ - نشأ كرب أوتر

٢٢ - شهر أيم

وهذان أخوان . وقد ذكرا في نقش واحد بنعت يشبه نعت الملوك دون تفصيل .

٢٣ - رب شمس غران : وقد ورد اسم هذا في بضعة نقوش . وعرف من أحدها انه ايضا من قبيلة بتع . ووصف فيها بوصف ملك سبأ وذو ريدان . وقد سجل في احد النقوش خبر حرب بأشرها قائدان أخوان من ذي جدن اسمها عبد عثر وسعدون بأمر سيدهما رب شمس غران ملك سبأ وذو ريدان شكرا فيه الاله الملقه بعلى جردان الذي من عليهم بالعافية وأعادهما بالسلامة ونجاهما من الوباء الذي عم كل الارض . وقد دعوا الآلهة عثر وهبس والمقه وذات حيم وذات بعدان وشمس وثور بعلى حروان بأن تبارك لهما وتحفظهما وتمن عليهما بالعافية وبأولاد ذكور وبغار كثيرة وغلة جيدة . وقد سجل بنو نعمة أقيال قبيلة سهان في نقش آخر اسمه بوصف ملك سبأ وذو ريدان وذلك بمناسبة اتمامها بناء بيوتهم في زمنه .

٢٤ - سعد أوم غران : وقد عثر على نقش مبتور قرىء منه كلمة غران بوصف انه ملك سبأ وذو ريدان وأتم الاثريون الاسم استناداً الى نقوش اخرى

والمتبادر من انتساب الملوك الذين ذكروا بعد يدع ايل (الرابع عشر في السلسلة) الى قبيلة بتع ان زعماء هذه القبيلة نشطوا وتمكنوا بدورهم من الاستيلاء على الحكم والسلطان وممارستها عوداً على بدء لما كان لزعماء قبيلتهم من مثل ذلك في دور مملكة سبأ .

الى هنا ينتهي ما أمكن إيرادُه عن ملوك سبأ وذو ريدان استناداً إلى دراسة الاثريين للنقوش وتعليقات جواد علي عليها .

ولم يرد ذكر حضرموت وملوكها في النقوش التي عثر عليها عدا ما ذكر من خبر تنصيب الغزليط وارسال ثارن ينعيم وفداً لشهود حفلته وهذا وقع قبل الميلاد . على انه لم يرد في النقوش ان ملوك مملكة سبأ وذو ريدان قد استولوا على حضرموت ، وقد ورد

هذا في سياق سيرة المملكة التي قامت بعدها على ما سوف نذكره بعد ، حيث قد يفيد هذا ان مملكة حضرموت ظلت قائمة في عهد قيام مملكة سبأ وذو ريدان ، وكل ما في الامر انه لم يعثر على تسجيلات بما كان منها من نشاط أو بأسماء ملوكها .

هذا ويبدو واضحاً من أسماء الملوك ورجالهم وأسماء الآلهة والمواقع والقبائل والاسر التي جاءت في سياق ذكر الملوك أن العروبة الصريحة قد أخذت تقوى وتوسع في جنوب جزيرة العرب في هذا الدور .

شؤون متنوعة في عهد المملكة

ولقد ظلت الحالة الدينية على ما كانت عليه في الدور السابق حيث كان الاله الرئيسي القمر ومعه عثر أي الزهرة ثم الشمس التي كانت توصف بذات حميم وذات بعدان وآلهة ثانويون حماة لقبائلهم ، فكان أهل المملكة يتجهون اليهم لدفع الأذى وجلب الخير والشكر على النعم والتوفيق والعافية والنصر ويقدمون لهم التذود على صورة أوثان من الذهب وغير الذهب تومن اليهم ويقسمون لهم ويقربون لهم القرابين ويسجلون ما يفعلونه من ذلك في نقوشهم التي يذكرون فيها ملوكهم الى جانب الآلهة والاحداث التي جعلتهم يتقشونها .

وكان اسم القمر الاله الرئيسي المقه في المرحلة الاولى من المملكة الذي يلمح فيه معنى اللحمان ثم صار اسمه تالب في المرحلة الثانية التي صار الحكم فيها للهمدانيين .

وليس في النقوش ما يساعد على معرفة شيء غير ذلك من طقوس وعقائد اليمانيين في هذه المرحلة كما أن ذلك في المرحلة السابقة .

ولقد كان هناك قبائل كبيرة لها زعماء اقوياء يطمحون الى الحكم ويتنافسون عليه . ومنهم من كان ينجح في تحقيق مطمح في الحكم المحلي أو السلطان الرئيسي . وأهم هذه القبائل بتع وصمى وسخيم وخسأ وخولان وردمان وحير وريدان وحملان . وقد أوردنا في الجزء الاول من الكتاب نقفاً عنها لأنها كانت بارزة نشيطة في عهد مملكة سبأ فلا نرى ضرورة للتكرار .

وقد ذكرت أسماء قبائل اخرى ثانوية لم تذكر قبل مثل يوسم وعن وحضرن وسأرن

وحيلم ونعمت وصعقن وعذهبن وسهجن ودمهن وأعين . والعروبة الصريحة بارزة على
الاسماء .

كذلك فإنه ذكر في سياق سيرة الملوك أسماء مدن وسدود وحصون عديدة مثل
ترعت ومدرم وقدمن وحدثن ورحبن وجدرن وصبين وبيرو ورفشن وهرن وأوم وذات
عزم وردمن وصورن ويريم وصروح وزوم وسهرتن ورحبتن وصنعو ويفمن ويبلح وذو
امر وحريب . والعروبة الصريحة بارزة على الاسماء كذلك .

ولقد ظل نظام الاقطاع او حكم الامراء المحلي مستمراً في عهد هذه المملكة على
ما يستفاد من ورود اسم غير واحد من الاقيال في سياق سيرة الملوك امتداداً
لما كان عليه الامر في عهد الممالك السابقة على ما ذكرناه في الجزء الاول . وذلك بالإضافة
الى اقيال قبائل سمي وبتع وخولان وردمان وحملان الذين ذكرناهم في الجزء الاول
والذين ظل أولادهم يمارسون الحكم المحلي في مناطقهم على الأرجح وليس من شك في انه
كان اقيال وامراء مناطق كثيرون في عهد هذه المملكة وان لم يعثر على نقوش تذكرهم
على ما يفيد اسماء عدد كبير من الخاليف وردت في نقوش المملكة الحميرية والمدونات
العربية الاسلامية مما سوف نذكره بعد .

مملكة سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت

أو

المملكة الحميرية

وكما عثر على نقوش عديدة ساعدت على معرفة معظم ملوك مملكة سبأ وذو ريدان وشيء من أحداثها فقد عثر على نقوش عديدة ساعدت كذلك على معرفة معظم ملوك هذه المملكة وشيء من أحداثها كما ان الكتب الرومانية واليونانية والسريانية والحبشية المدونة قبل الاسلام والكتب العربية القديمة التي كتبت في القرون الاسلامية الاولى روت عنها اشياء كثيرة .

وقد سميت هذه المملكة بالمملكة الحميرية ايضاً لأن ملوكها كانوا من قبيلة حمير التي كانت تندمج بالتحالف مع الريدانيين وامير ريدان في المصاولات التي كانت تجري في سبيل الحكم بين زعماء الاسر والقبائل القوية مما ذكرنا طرفاً منه في الجزء الاول من الكتاب وفي الفصل السابق من هذا الجزء في سياق سيرة مملكة سبأ وذو ريدان . وقد ورد اسم حمير في نقوش عديدة اوردنا بعضها في التافج اللغوية ^(١) . وقد قال عنها المؤرخ الروماني بيلغوس ^(٢) انها كانت في القرن الاول قبل الميلاد من أقوى القبائل عدداً وكانت منطقة كثافتها منطقة ظفار عاصمة مملكة سبأ وذو ريدان الثانية . وقد ذكرها كذلك مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الادبيتي » ^(٣) من رجال القرن الاول بعد الميلاد فقال ان الحميريين كانوا يحكمون منطقة واسعة من سواحل العربية الجنوبية على ساحل البحر الاحمر وعلى ساحل المحيط حتى حضرموت كما كانوا يحتلون بلاد عزانيا في الساحل

(١) حرف ب وحرف خ في نقوش مملكة سبأ وذو ريدان رقم (٥) وحرف ب في نقوش مملكة

حمير رقم (٦) مثلاً

(٢) جواد علي ج ٣ ص ١٣٧

(٣) نفس الجزء ص ١٣٨

الأفريقي الشمالي .

وأول ملك تلقب بلقب سبأ وذو ريدان وحضر موت ويمنت هو ثاني ملوك الحميريين .
شمر يهرعش بن ياسر بينهم . وقد كان أبوه يتلقب بلقب ملك سبأ وذو ريدان فقط وقضى
شمر رديحاً من عهده ولقبه قاصر على هذا .

وقد رأينا مع هذا أن نذكر ياسر في رأس قائمة ملوك هذه المملكة لوحدة الأرومة
التي تجمع بينه وبين خلفائه . واليك الآن أسماء من عرف من الملوك الحميريين من النقوش
نتيجة لدراسة الأثريين وتعليقات جواد علي مؤلف كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام مع
ما ذكرته النقوش من أحداث عهودهم ^(١) .

١ - ياسر بينهم : وقد عثر على اسمه واسم ابنه شمر يهرعش في نقش مؤرخ في شهر
مزدان سنة ٣١٦ من سني نبط ايل وقد قدر الأثريون أن سنة ٢٧٦ ب م توافق هذه السنة
وقد دونه فرعان يازل بن ذرنج ويعجف رئيساً قبيلتي قششم ومذحجم بمناسبة بنائها
صهرجين لحزن المياه لأرواء أراضيها المزروعة بالكروم في أيام سيديها ياسر بينهم وابنه
شمر يهرعش ملكي سبأ وذو ريدان ^(٢) .

ويفيد هذا أن الابن كان يكاً لآبيه في الحكم واللقب على ما جرت عليه عادة
ملوك اليمن .

وقد ذكر اسم ياسر في نقش آخر مؤرخ في شهر ذو الحجة سنة ٣٨٥ من التاريخ
الحميري التي قدر الأثريون أنها موافقة لسنة ٢٧٠ ب م دون ذكر لقب ملكي له .

٢ - شمر يهرعش ابن ياسر : وهو أول من عثر على اسمه موصوفاً بملك سبأ وذو
ريدان وحضر موت ويمنت . وقد وصف في بعض النقوش بوصف ملك سبأ وذو ريدان
فقط ثم وصف بالوصف الطويل حيث يفيد هذا أنه هو الذي تمكن من فرض سلطانه على
حضر موت ويمنت .

وقد قرئ اسمه منفرداً في عدد من النقوش . منها كتابة سقطت بعض أسطرها فيها
قانون لتنظيم بيع المواشي والرقيق . وقد حدد المدة التي يصبح البيع فيها ناجزاً بمدة شهر

(١) نفس الجزء ١٣٩-١٧٠

(٢) حرف الهاء في يهرعش وبينهم هو على الأرجح أملائي والكلمتان فصيحتان في صيغة المضارع يهرعش
وبينهم وكذلك اسم يعجف واسم فرعان .

والمدة التي يصح إعادة المبيع فيها بين عشرة أيام وعشرين . والمدة التي اذا هلك المبيع في أثناءها يكون على حساب البائع بسبعة أيام . وقد لقب شهر في هذا النقش بملك سبأ وذو ريدان فقط . ومنها نقش وجد في خرائب مأرب سجله قائد من قواد الملك اسمه أبو كرب وذكر فيه خبر تقديمه تمثالين من الذهب لمعبد الاله المقه شهوان رب اوام لأنه من عليه فنجاه من مرض أصابه في مأرب ومن عليه في الحرب التي وقعت في وادي صنمد حتى موضع عكوتان وانتصر فيها جيش الملك على جمع من قبائل تهامة وعسير . وورد في النقش اسماء قبائل (ذسهرتم) و (دوات) و (صحرم) و (حرت) حيث يفيد هذا ان شهر كان يبذل جهوده في سبيل توسيع نطاق سلطانه أو التنكيل بمن يناوئه . ومنها نقش سقط منه كلمات كثيرة ذكر فيه اسم ملك كرب قبل اسم شهر ثم جملة ملكي سبأ وذو ريدان . وقد سجل النقش زعيم اسمه سعد تالب يشع ذكر فيه انه مع أولاده قدموا إلى الاله تالب رب حدثان تمثالا من الذهب لأنه من عليهم وساعدهم ونصرهم في المعارك التي وقعت بينهم وبين جيش الملك شهر وتمكنوا مع من كان معهم من الهمدانين وبمساعدة سيدهم (مراجو - امراؤهم) يرم وبرح من بني بتع همدان من التغلب على جنود شهر يهرعش من الريدانين والخيبريين ومن كان معهم من عشيرة سفلى وأعرب مأرب وقد ضمن جواد علي أن يكون كرب الذي ذكر قبل شهر ووصف معه بملك سبأ وذو ريدان ائماً أكبر لشمر أو عما أو خالا شاركة في الحكم بعد موت أبيه . وقد يفيد هذا ان البتعيين الهمدانين الذين كان لهم السلطان قبل ياسر كانوا يحاولون استرداد السلطان ويتمردون على السلطان الخيبري .

ولقد استمر سلطان شهر وقوي على ما سوف يرد بعد حيث يفيد هذا انه استطاع ان يتكلم بمناوئيه في جولة ثانية . وقد قرئ اسمه في نقش سجله جماعة من بني ثعن كهراء عشيرة عدال تيمنوا فيه بذكر الاله عثر ذبيان بعل بحر حطب . وقد وصف شهر في هذا النقش بوصف ملك سبأ وذو ريدان وحضر موت ويمنت ، حيث يفيد هذا ان شهر استطاع ان يوطد سلطانه ويوسعه حتى يشمل منطقتين لم تكونا داخليتين في نطاقه وهما حضر موت ويمنت ، وكان حضر موت مملكة فيظهر ان شهر قضى عليها . أما منطقة يمنت التي من المرجح انها نواة كلمة اليمن القديمة فقد كانت في القسم الشمالي من المملكة ، وذلك قبل ان يصبح اسمها علماً على جميع جنوب الجزيرة الذي يرجح انه كان قبيل البعثة الحميرية ، ثم توطن نهائياً بعدها .

٣ - يرمي بهرحب : لقد انفرد فليح بذكر هذا الاسم دون أن يورد نصاً يحمله . ونحن ان يكون ابن شمر وأن يكون حكمه حوالي سنة ٣١٠ ب م . وقد قال جواد علي انه لم يعثر على نقوش فيها شيء مما جرى بعد شمر يرحب الى سنة ٣٧٥ أو ٣٧٨ ب م أي نحو سبعين سنة ، وروي انه عثر في اكسوم عاصمة الحبشة القديمة على كتابة وصف بها الملك عزان « ملك اكسوم وحمير وذوريدان والحبشة وسبأ وصلاح وتهامة والبيضا وكسو ملك الملوك » وعلى كتابة ثانية وصف بها أيضاً بوصف « ملك اكسوم وحمير وذوريدان وسبأ وسلحين وصيامو ويح وكسو ملك الملوك » وانه استدل من ذلك على ان الاحباش غزوا المملكة الحميرية وقوضوها وفرضوا حكمهم وسلطانهم على جنوب جزيرة العرب . وقد قال الباحثون ان الغزو كان حوالي سنة ٣٤٥ ب م وانه كان جواباً على غزو حميري الحبشة في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع للميلاد ، وان الحكم الحبشي استمر الى سنة ٣٧٥ أو ٣٧٨ ب م وان جملة ثورات ظهرت في ايام عزان في بلاد الحبشة انتهت فرصتها الحميريون فتمكنوا من تقويض حكم الاحباش واستئناف سيادتهم وسلطانهم .

ومن الجدير بالذكر ان هذا الغزو المتبادل بين ملوك اليمن وملوك الحبشة ليس هو الاول . ولقد كانت قبيلة اسمها في النقوش القديمة « احبشت » قد نزحت من اليمن الى بلاد الحبشة قبل بضعة قرون من ميلاد المسيح وفرضت نفسها وحكمها واسمها على هذه البلاد وأسست حكومة في اكسوم . ثم غزا السبئيون هذه البلاد وفرضوا سلطانهم عليها . غير ان الحبش الذين صاروا يعرفون بالجعزين ثاروا عليهم وقوضوا سلطانهم وأقاموا مملكتين هما مملكة أدوليس ومملكة اكسوم ثم تنازعت المملكتان وقت الغلبة للثانية . ثم استمر التنازع بين زعماء اليمن فصار بعضهم يتحالف مع مملكة اكسوم ضد خصومهم مما فتح الباب للاحباش واثار فيهم الطموح الى فرض سلطانهم على بلاد اليمن وقد وجد نقش في زيباع على ساحل بلاد الحبشة يدل على انهم غزوها في اوائل القرن الثاني بعد الميلاد^(١) ، ويظهر ان الحميريين استطاعوا تقويض حكمهم ثم غزوهم وفرض حكمهم أو سلطانهم عليهم في أواخر القرن الثالث . ثم تمكن الاحباش بدورهم من تقويض هذا الحكم وغزوا اليمن وفرض حكمهم أو سلطانهم عليها في أوائل القرن الرابع الذي امتد الى سنة ٣٧٥ أو ٣٧٨ ب م حيث استطاع الحميريون تقويضه واستئناف سلطانهم في بلادهم .

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام جرجي زيدان طبعة جديدة ص ١٤٦

٤ - ملك كرت يامن (يامن) . وقد ورد اسمه واسم ابنين له معه وهما أبو كرب
أسعد ورامرأين بوصفهم ملوك سبأ وذو ريدان وحضر موت ويمنت في نقش سجل فيه خبر
اقامتهم معبداً للاله ذي سموى (رب السماء) في سنة ٤٩٣ حميرية الموافقة لسنة ٣٧٨ ب م
ومن المحتمل ان يكونوا قد فعلوا هذا في مقام الشكر لرب السماء الذي وفقهم إلى طرد
الاحباش واستعادة السلطان . وهذه هي المرة الاولى التي يرد فيها اسم الاله ذي سموى
وحده مما رأى فيه الاثريون دلالة خطيرة وتطوراً دينياً نحو التوحيد ، حدث نتيجة لحكم
الاحباش الذين كانوا يدينون بالنصرانية التي يكرر انجيلها كلمات «أنا الذي في السماوات»
و «أبي وأبوكم الذي في السماء» وسلام في السماء ومجد في الأعالي» و«رب السماء والارض»
و «ملكوت السموات» وأمثالها

٥ - أبو كرب أسعد : وقد ذكر اسمه في النص السابق الذي ذكر قبل هذا حيث
كان على ما يفيد شريكاً لأبيه في الحكم واللقب . ثم ذكر منفرداً في نص امر بكتابته
بمناسبة اقامته حصناً في وادي ماسل جمع . وقد ذكر لقبه في هذا النص بزيادة «واعراهمو
طوهم وتهتم» بعد كلمة يمنت التي تعني واعراهم في الجبال والسهول والتي تدل على توسع
السلطان وتوطده في عهد هذا الملك بحيث يمكن ان يقال ان سلطانه شمل جميع انحاء جنوب
الجزيرة ، وهذا بقطع النظر عما روته الكتب العربية من شمول سلطانه لأماكن ومساحات
شاسعة غير هذا الجنوب على ما سوف يأتي بعد . وفي النص اسم حمرة الذي خمنه الاثريون
انه سد في موقع نيشان واسماء كدت وسود ووده التي خمنوها انها قبائل . وفيه ايضاً
اسم حسان يامن ابنه ملقباً باللقب الملكي الطويل الجديد حيث يفيد هذا انه كان شريكاً
لأبيه في الحكم واللقب بدوره . وقد خمن الاثريون حكم أبي كرب منفرداً من سنة ٤٠٠
الى ٤١٥ أو ٤٢٠ ب م .

٦ - حسان يامن ابن ابي كرب الذي ذكر في النقش السابق . ولم يعثر على نقش
ذكر فيه منفرداً . ولهذا وقف الاثريون من أمر ممارسته الحكم منفرداً موقف التردد .

٧ - ورامرأين : ابن ملك كرب أئين الذي ورد اسمه في نقش مع أبيه . وقد
ذكره بعض الاثريين كخليفة لأبيه او اخيه بفسد ان كان شريكها في الحكم واللقب
وخمنوا ان حكمه امتد الى سنة ٤٢٥ ب م

٨ - شرحبيل يعفر : (شرحبيل) وهو ابن ابي كرب أسعد ايضاً . ويقدر
الاثريون ان حكمه امتد من سنة ٤٢٠ أو ٤٢٥ الى سنة ٤٥٥ ب م وقد ورد اسمه في

نقش طويل هام موصوفاً بالقب المكي الطويل ، وقد سجل في النقش خبر تجديده بناء سد مأرب وتروميم بعض اجزائه على مقربة من موقع رحب عند عبران حتى موقع ضيحان وحضره مسایل المياه وبنائه القواعد والجدران بالحجارة وتقويضه فروع السد وانشائه اقساماً جديدة اوصلها ببعضها بين غيلان ومغلول وتجديده سد يسران . وقد ذكر في النقش ان الاعمال تمت في شهر ذي داوان من سنة ٥٦٤ هجرية الموافقة لسنة ٤٤٩ ب م حسب تقدير الاثنيين . ومما ذكر في النقش ان السد تهدم بعد سنة حتى اضطر سكان الرحبة المجاورة له الى الفرار الى الجبال خوفاً من الهلاك وان الملك استعان بحير وقبائل حضر موت لاعادة العمل فتجمع لديه زهاء عشرين الف رجل اشتغلوا بقطع الحجارة من الجبال وحفر الاسس وتنظيف الاودية وانشاء خزانات الماء . وقد جعل له أبواب ومنافذ لمرور الماء والسيطرة عليه ، وذكر ما انفق من دبس وخر (دبسم وخرم) وطعام وما ذبحه من ابقار واغنام للعمال . وقد قال الملك ان العمل قد تم بنصر وتأييد الاله رب السماوات والارض .

وفي خبر تصدع السد مرتين وخوف من حوله من السكان وفرارهم ما يمكن ان يكون تأييداً لحادث سيل العرم الذي ذكرته الكتب العربية وقالت انه كان سبباً لهجرة كثير من قبائل اليمن الى الشمال وخارج الجزيرة^(١) غير ان النزوح الذي ذكرته هذه الكتب كان على ما يستفاد منها أقدم بكثير من هذا العهد لأن من القبائل التي قيل انها نزحت الى خارج الجزيرة بسببه قبائل غسان مع أن وجود غسان في بلاد الشام كان قبل ٤٥٠ ب م على ما هو معلوم علماً يكاد يكون يقيناً . وقد يسوغ ان يقال ان هذا ليس اول تصدع في السد . ولقد عزا الاثريون تحول ملوك سبأ من عاصمتهم الاولى مأرب الى عاصمتهم الثانية ظفار في القرن الثاني قبل الميلاد الى ما أخذ يطرأ على السد من تصدع^(٢) . فلعل تصدعاً شديداً وقع قبل سنة ٤٥٠ ب م ولم يعثر على نقش به هو الذي كان منه سيل العرم والذي جعل بعض القبائل اليمنية تنزح من اليمن الى شمال الجزيرة وخارجها .

ولقد ذكر سيل العرم في القرآن الكريم في الآيات التالية التي تفيد أنه كان في بلاد سبأ :

« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي مثلاً ج ٣ ص ٨٩-١٠٠

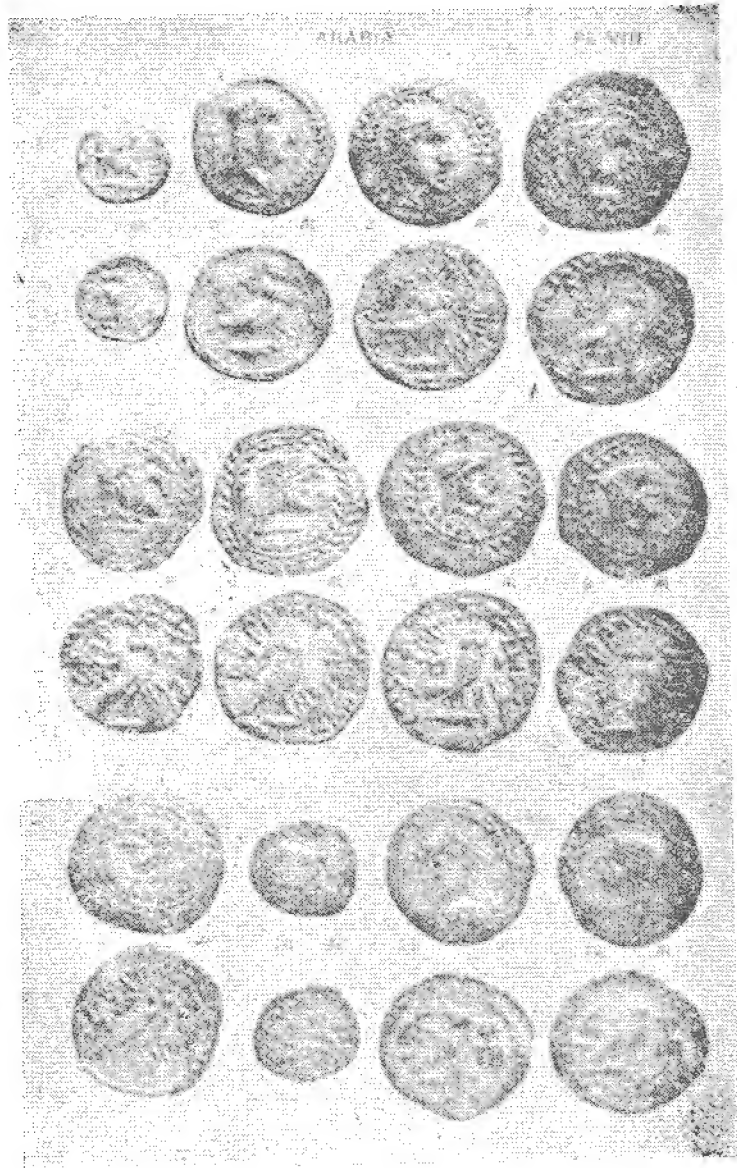
(٢) جواد علي ج ٣ ص ١٥٩

له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتهم جنتين
فواتى أكل خبط وأثل وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا
الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا
ليالي وأياماً آمنين . فقالوا ربنا بأعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث
ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » سورة سبأ ١٥ - ١٩

والمبتدأ ان حادث سيل العرم كان من الحوادث الداوية التي تداولتها الاجيال فذكر
في القرآن في هذه الآيات في معرض التذكير والأنداز ، وفي الآيات اشارة الى ما كان من
تشتت أهل سبأ بنتيجة السيل . وفي هذا تأييد لما ذكرته الروايات وتطابق معه . ونص
« اله السماوات والارض » الوارد في نقش الملك شرحبيل ينطوي على الدلالة الخطيرة
التطورية التي انطوى عليها نص اله السماء بل اشد لانه جمع الارض والسماء لمربوبية
الله تعالى .

٩ - عبد كلال : ذكره بعض الاثريين كخليفة لشرحبيل وقالوا انه كان كاهناً على
قبيلة أو رئيس قبيلة فثار طمعاً في الملك أو دفعاً لأضطهاد الملك الحميري واستنجد بملك
الحبشة فأججده فنجح في فرض حكمه الذي امتد خمس سنين . غير ان اصحاب هذا الرأي
لم يوردوا نصاً مؤيداً على ما يستفاد من تعليق علي جواد الذي ذكر ان اسم عبد كلال ورد
في نقش مع اسمي هنام وهال ابنيه بصفتهما أسياداً أو أقبالا لقبيلة قولم . وبما قاله علي جواد
ان الكتب العربية القديمة ذكرت اسم عبد كلال بن مثوب كزعيم وثب على ملك التبابعة
بعد وفاة أحدهم الملك عمرو بن ثبان أسعد عن أولاد صفار وقالت انه ملك اربعاً وتسعين
سنة وانه نعت بتابع الاصغر وان له مغازي وآثاراً بعيدة . . وقد ظن جواد علي ان هذا
مصدر الاثريين في ذكر عبد كلال كملك من ملوك الدولة الحميرية .

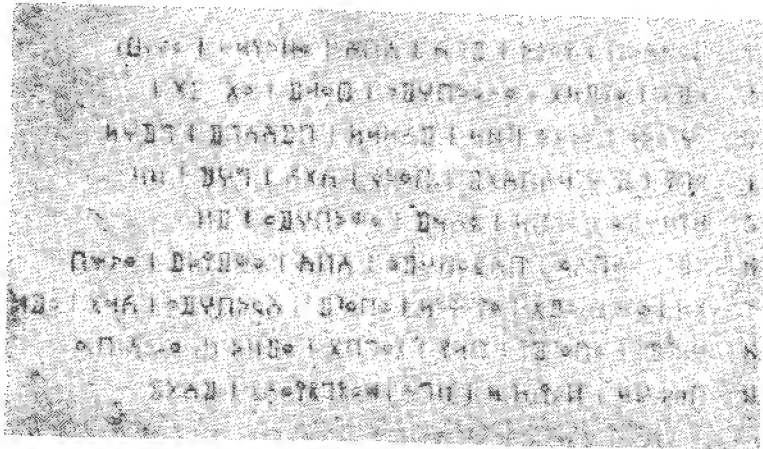
١٠ - شرحبيل ينف : وقد ذكر اسمه في نص طمست معظم كلماته ولم يكذب يبقى
منها الا اسمه واسم ولدين له هما مهدي كزب يهنعم وطمعشت ينف (لهيعة ينوف) بوصفهم
ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت واعرابها في الاطوار والتهائم . والنقش مؤرخ
بسنة ٥٨٥ أو ٥٧٥ حميرية التي قدرها الاثريون بسنة ٤٧٠ أو ٤٦٠ ب م . ويظن هؤلاء
ان هذا الملك حفيد لشرحبيل يعفر أو أحد أبناء أحفاد الملوك الآخرين .



نقود من عهد المملكة الحميرية
 نقلا عن الجزء الثاني من تاريخ العرب قبل الاسلام
 للدكتور جواد علي

١١ و ١٢ - معدي كرب ينعم وليعة ينوف : وقد قال الاثريون استنتاجاً من دراساتهم انها اللذان حكما بعد أبيهما ثم انقرض الثاني بالملك بعد موت أولهما وان حكمهما استمر من سنة ٤٧٠ الى سنة ٥٠٠ ب م .

١٣ - مرثد الن ينف (١) : وقد ورد اسمه ملقباً باللقب الطويل في نقش مهشم لم يمكن فهم شيء آخر منه الا احتمال وقوع فتنة ما مما استدل عليه من كلمة هرج التي قرئت فيه . وقد وضعه الاثريون بعد معدي كرب وليعة مع تنبيههم الى ان اسم والده لا يعرف .



كتابة تعود الى الملك معدي كرب يعفر ، ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت
ويمنت « اليمن » وأعرابها في الهضاب وفي تهامة
نقلا عن الجزء الرابع من تاريخ العرب قبل الاسلام
للدكتور جواد علي

١٤ - معدي كرب يعفر : لقد ذكر اسم هذا الملك ملقباً باللقب الطويل في كتابة مؤرخة بسنة ٦٣١ هجرية الموافقة حسب تقديرات الاثريين لسنة ٥١٦ ب م وقد عثت الدهر فيها فلم يمكن قراءة شيء منها الا اسم الملك ولقبه ثم كلمات « سبأ - حمير - رحبتهم » .

(١) هذا الاسم ورد في كتاب العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان بصيغة مرثد اللات ينوف انظر

ص ١٢١ - ١٢٤

وكلمة اشعبيو قبلها » ثم كلمات « كدت - نعلبت - مضرم وكلمة اعربهمو قبلها » وقد قال جواد علي ان مضرم هي مضر العدنانية وان كدت هي كنده اليمنية وان نعلبت هي قسيمة ثعلبية أو ثعلبان .

١٥ - ذو نواس : ويبدو من سياق جواد علي ان اسم هذا الملك لم يرد في نقش وانما ورد في كتب وكتابات حبشية وزومانية وسريانية تعود إلى ما قبل الاسلام . هذا بالإضافة الى وروده في الكتب العربية الاسلامية القديمة .

وقد ذكرت هذه الكتب خبر غزوة حبشية لليمن في عهد هذا الملك وفي سنة ٥٢٥ بم وتمكن الغزاة من الاستيلاء على اليمن وهاك ذي نواس فكان ذلك نهاية المملكة الحيرية المستقلة . وقد تلقب ملك الحبشة نتيجة لذلك بلقب « ملك الجعزيين وسبأ وذو ريدان وحضرموت ويمت وأعرابهم في الاطواد والتهائم على ما عرف من نقش سجل نائبة في اليمن على ما سوف يأتي تفصيله بعد .

وبما روي كسبب للغزوة الحبشية اضطهاد ذي نواس الذي كان يدين باليهودية لنصارى اليمن واستحثات قيصر الروم النجاشي على الانتصار لهم واتخاذهم من محتهم^(١) وبما روي كذلك أن اميراً يمينياً اسمه دوس ذو ثعلبان استجار بملك الحبشة على ذي نواس فاستجاب اليه وبأمر إلى غزو اليمن . فاذا صح هذا فان من الممكن أن يقال ان النجاشي اغتتم فرصة النزاع والحلاف بين أمراء اليمن فأقدم على الغزوة^(٢) . على ان بعض الاثريين قالوا ان ذا نواس هو الذي كان البادية وأنه قاد حملة غزا بها بلاد الحبشة فهزم الاحباش جيشه وقتلوه ثم ساروا الى غزو بلاده واستولوا عليها^(٣) . وعلى كل حال فالغزوة الحبشية أو الغزوة المتبادلة ليست الاولى على ما شرحناه قبل .

وبعض الروايات تذكر ان الغزوة كانت بقيادة النجاشي كما ان بعضها يذكر انها كانت بقيادة قائد اسمه ارباط . وبما ذكرته الروايات العربية ان ذا نواس لم يقتل في المعركة وانما اقتحم بفرسه البحر حينما يئس من النصر أنفة من الاسر أو الهلاك بيد عدوه - ان صحت الرواية - فكان في ذلك حقه .

هذا والعروبة الصريحة أبرز على أسماء الملوك والرجال والمواقع والمدن والقبائل التي ذكرت في النقوش مما سبق حتى يكاد يكون كثير منها فصيحاً بما فيه الدلالة على ما قررناه قبل

(١) و (٢) و (٣) جواد علي ج ١٦٦٣ - ١٧٢ انظر ايضاً الطبري ج ١ ص ٥٤٥ - ٥٤٧

من ان لغة الجنوب كانت تسيطر نحو الفصحى التي يمثلها القرآن متوازية مع لغة الشمال اجمالاً
وفي ما يأتي من الاسماء دلائل مؤيدة لذلك أيضاً .

بعد الاستيلاء الحبشي

والروايات مختلفة فيما جرى بعد انتصار الاحباش على ذي نواس واستيلائهم على مملكته
فالروايات العربية تذكر^(١) ان أول وال عينه النجاشي هو أرباط قائد الحملة الذي هو ابن عمه
في الوقت نفسه وان قائداً من قواد الحملة اسمه ابرهة ثار عليه فقتله واستولى على الحكم
واستبد به^(٢) . والمؤرخ بروكوبيوس المعاصر للاحداث والذي ذكر ان النجاشي غزا
اليمن انتصاراً للنصارى الذين اضطهدهم ذو نواس يقول ان النجاشي بعد قتل ذي نواس
أقام ملكاً نصرانياً حميرياً اسمه اسميشوع وفرض عليه جزية ثم عاد إلى بلاده^(٣) وفي التماذج
اللغوية التي أوردناها نص نقش ذكر فيه سمينع أشوع بوصفه ملك سبأ واسم كريستس
(المسيح) وهو على الأرجح الملك الذي عذاه المؤرخ حيث يؤيد هذا الخبر الذي ساقه .
وفي النقش عبارة تقيد ان هذا الملك كان خاضعاً لسيادة نجاشي الحبشة . وفي هذا تأييد
آخر لرواية بروكوبيوس .

والمتبادر ان نصرانية اسميشوع هي التي رشحته للقيام على حكم اليمن تحت سيادة
الاحباش .

وهناك نقش طويل وهام لابرهة تاريخه سنة ٦٥٧ حميرية التي توافق سنة ٥٤٢ م^(٤)
جاء في مطلع ما ترجمته « بحول وتأيد ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس سطوت
هذه الكتابة . وقد وصف نفسه في النقش بأنه نائب ملك الجعزيين بحز ذبيان ملك سبأ
وفو ريدان وحضرموت ويمنت واعرابها في النجاة والتهائم . والظاهر ان ابرهة خلف
السينع أشوع على الملك بشكل لم تذكره الروايات والنقوش صراحة ولكن فيها ما يفيد
انه اغتصبه اغتصاباً بعد موته ، حيث ورد في نقش ابرهة المذكور خبر ثورة قادها
زعيم عني اسمه يزيد بن ابي كبشة كان ابرهة انابه عنه على قبيلتي كده ودا ، وقد انضم اليه

(١) الطبري ج ١ ص ٥٤٥ - ٥٥٠

(٢) جواد علي ج ٣ ص ١٧٠ وبعدها

(٣) جواد علي ج ٣ ص ١٩٨ - ٢٠٣

ከበ | ከጸፃ | ወሃሃሉ
 ከፃ | ወሃሃሃሃ | ወወበ
 ኃሉ | ከፃሉ | ፃወሃሃ | ወሃ
 ወሃሃሉ | ከፃ | ከጸፃ
 ሉ | ሉበሉ | ከበ | ወሃሃሉ |
 ከወሃ | ከወሃ | ከወሃ
 | ጸወሃሃ | ወወበሃ
 ኃወወ | ኃሃ | ከወሃ
 ከወሃ | ጸወሃሉ | ከ
 ከወሃ | ከወ | ወሃሃሉ
 ጸወ | ከወሃ | ወሃሃ
 | ጸወሃሉ | ከወሃ | ከወሃ
 • | ከጸፃ | ወ | ሉበሉ | ሉ
 ከፃሉ | ወሃ | ወሃሃሉ
 ኃበ | ወሃሃሃ | ወሃ
 ከወሃ | ከጸወሃሉ |
 ጸወሃ | ከወሃ | ጸወሃ...
 ጸወ | ወሃሃ | ጸወሃ | ከ
 ጸወ | ወሃሃ | ጸወሃ | ከ
 • | ወሃሃሃ | ከወሃሃ
 በ | ወሃሃሃ | ወሃሃ
 ጸወሃ | ወሃሃ | ሉ

ወ | ከወሃ | ከወሃ | ወሃሃ
 ሃ | በወሃ | ከጸወሃ | ከወ
 ጸወ | ከወሃ | ከወሃ | ወሃሃ



ሉ | ከወሃ
 ኃ | ከወ
 ወ | ከወሃ
 ጸወ | ሉ



• | ጸወሃ
 ከጸወ | ወ
 ወሃ | ከ
 ከወ | በ



• | ሃሃሃወወ | ወሃሃ | ጸወ
 ወ | ወሃሃ | ከወሃ | ወሃሃ | ወሃሃ
 ወሃሃ | ከወሃ | ወሃሃ | ከወሃ | ወሃሃ



• ሉ | ከ
 ወ | ከወ
 ወ | ወ



ወ . . ከ
 ሃሃ | ወ
 ጸወ | ከወ



ሉ | ወሃሃ | ጸወ | ከወሃሃ | ወሃ
 ወሃ | ወሃሃ | ከወሃሃ | ወሃ | ከወሃ | ወሃ
 • | ወሃሃሃሃ | ወሃሃሃሃ |
 | ወሃሃ | ከወሃሃ | ከወሃሃ | ከወሃ

نقل عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام
 للشيخ زكي محمد علي
 قسم من نقوش أبوجه بخط الاسند

أقيال سبأ ذو سحر وذو مرة وذو خليل والقييل معدي كرب بن سمينع وذو الكلاع
وذو مهد وذو ثات وذو علم ذيبان وكبير حضرموت . وقد سير أبرهة على الثائرين حملة
بقيادة قائد حميري موال له اسمه جراح أمير إمارة زنبور (ذو زنبور) فهزمها يزيد
وتفاقم أمره نتيجة لذلك حتى أنه استولى على حصون كثيرة وكثرت خسوفه من
حضرموت وغيرها فجهز أبرهة حملة جديدة كبيرة مزينة من الاحباش والموالين لهم من
اليمنين وأقيالهم مثل ذو معاهر وابن ملكن ومرجرف وذو زرنج وعدل وذو فيش وذو
شولمان وذو شعبان وذو رعن وذو همدان وذو وزن وذو فرنس وجعلها بقيادة قائد اسمه
وطاح بن عوره من ذي جدن أو قيل ذي جدن . وبينما الجيش في طريقه إلى الحرب إذا
بيزيد رأس الثورة يظهر مع عدد من أتباعه أمام أبرهة يطلب منه العفو والصفح . أما
الباقون فقد ظلوا متحصنين في مراكزهم وأبوا الخضوع والاستسلام^(١) .

والمشاهد أن فريقاً من أمراء اليمن عز عليهم أن تخضع بلادهم للملك الحبشي وأن يذهب الملك
منهم فقاموا بثورتهم وكان من المندمجين فيها ابن الملك السابق القييل معدي كرب بن سمينع^(٢) حيث
يمكن أن يكون في هذا دلالة على أن أبرهة فرض نفسه حاكماً على أثر موت اسميغ فاعتبر
ابنه عمل أبرهة اغتصاباً للملكة . ويظهر أن أقيال اليمن كانوا متنافسين متناحرين فيما بينهم
فانحاز الذين هم ضد يزيد ومعدي كرب إلى أبرهة .

ولم يرو جواد علي رواية ما عن مصير بقية قواد الثورة . ولكنه ذكر استمرار أبرهة
في الحكم وتعاظم أمره حيث يفيد هذا أنه اخضعهم .
ولقد كان من مظاهر تعاظم أمر أبرهة أن وفوداً وفدت عليه من قبل النجاشي
وامبراطور الروم وكسرى الفرس والمندرك ملك الحيرة والحارث بن جبلة ملك غسان
خاطبة لودته على ما ذكره أبرهة في نقشه^(٣) .

ويلحظ أن الوفود من مجموعتين متعاديتين متنافستين الأولى من امبراطور الروم
وحلفائه النجاشي وملك غسان . والثانية من كسرى الفرس وحليفه ملك الحيرة . ويظهر
أن كلتا المجموعتين كانت ترغب في كسب أبرهة واليمن إلى جانبها فيما قام بينهما من نزاع
وتنافس مما يدل على أن أبرهة كان قوي المركز يمارس السلطان والسيادة برغم تسمية نفسه
قائب النجاشي .

(١) و(٢) جواد علي ج ٣ ص ١٩٨-٢٠٣

(٣) جواد علي ج ٣ ص ٢٠٢-٢٠٦

ومن الطريف أن أبرهة وصف في نقشه سفيري النجاشي والقيصر بوصف « محشكت »
وسفير كسرى بوصف « تثبت » وسفيري ملكي غسان والحيرة بوصف « رسل » حيث
يدل هذا على ما كان يراعى من اعتبارات أو آداب سياسية متناسبة مع قوة وسيادة
أصحابها (١) .

ونقش أبرهة يشير الى حادث تصدع جديد في سد مأرب ومسارعته إلى ترميمه باهتمام
بالغ وما كان من مساعدة أهل البلاد على ذلك وما أنفق من أموال وطعام . وهكذا
تسجل النقوش توالي تصدع هذا السد العظيم في فترات متقاربة مما جعل بعض الباحثين
يعطون ذلك بأثر زلازل أرضية تكرر حدوثها في القرنين السابقين للبعثة النبوية (٢) .
وأبرهة هذا هو صاحب القيل على ما ذكرته الروايات العربية . ولقد اهتم لشر النصراية
في اليمن ولبنائه الكنائس على ما يستفاد من كتاب رحلة رحالة اسمه قزما الذي زار اليمن
في أيامه (٣) وأشار إلى كثرة الكنائس في بلاد العرب السعيدة (وهذا الوصف هو الذي
كان كتاب اليونان والرومان يصفون به بلاد اليمن على ما ذكرناه في مناسبة سابقة)
وكثرة الاساقفة والمبشرين . ولقد أنشأ كنيسة عظمت في صنعاء التي اتخدها عاصمة وهي
مدينة قديمة اسمها العربي القديم « صنعو » وقد ورد في نقش حميري يرجع إلى عهد
الملك الشرح يخضب وهذه الكنيسة هي التي تسمى الكتب العربية القديمة « القليس »
وأخذ يدعو الناس إلى حجها بدلا من كعبة مكة التي غدت في تلك الظروف حجج العرب
على اختلاف مواطنهم ومذاهبهم وغدت أسواق حجها أسواقا عربية عامة . فلم تلق دعوته
الاستجابة الكافية ونجس أحد العرب القليس فغضب أبرهة فقبل له أن العرب غضبوا
لبيتهم المقدس فأقسم لينقضه حجرا على حجر ثم سار بجيش لجب فيه بعض الأفيال وحاصر
مكة فسلط الله عليه طاعونا بواسطة أبيابيل من الطير (ومعنى الأبايل البعاعات) فهلك
هو وممن لم يجهش وعان الله بيته وحرمه على ما روت الروايات العربية (٤)

وقد قال المفسرون والرواة أن سورة الفيل التي جاء فيها « ألم تر كيف فعل ربك
بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٧-١٩٩

(٣) المصدر نفسه ١٨٢

(٤) انظر الطبري ج ١ ص ٥٥٠-٥٥٨

من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول^(١) » قد احتوت إشارة إلى غزو أبرهة لمكة ونتائج ذلك .

ويلحظ من اسلوب السورة ان الحادث المذكور فيها كان ماثلاً للعيان قائماً في الازمان فكان وسيلة من وسائل تذكير كفار العرب بنبوة النبي عليه السلام وإنذارهم . ومع انه لم يعثر على نقوش تشير إلى هذا الحادث ولم يذكره أحد من كتاب الاعاجم القدماء فإنه ليس في الرواية العربية ما يمنع تصديقها اجمالاً أو على الأقل ما يمنع أن يقال ان أبرهة أراد توسع نطاق المسيحية ونطاق سلطانه في الجزيرة وأنه غزا الحجاز ومكة بسبيل ذلك فأصابه مع جيشه طاعون أدى إلى هلاكه وهلاك معظم جيشه وإخفاقه في مقصده .

وترى الروايات العربية^(٢) ان الذي حكم بعد أبرهة ابنه يكسوم ثم ابنه الثاني مسروق ، وان اليمن ثارت في عهد هذا ثانية ضد الحكم الحبشي بزعامة أحد أقباليها سيف بن ذي يزن ومساعدة الفرس وتحررت من هذا الحكم .

وهذه الروايات تروي حركة سيف بن ذي يزن بشيء غير قليل من الصنعة ولكنه على كل حال يحتوي شيئاً من الحقيقة .

والخلاصة التي يمكن ان تكون حقيقة هي ان سيف بن ذي يزن الذي كان ابنه أوجده ممن اشتركوا في الثورة ضد أبرهة كما ذكر في نقوش هذا ذهب الى المنذر ملك الحيرة ليستعين به على تخريب بلاده من الاحباش أو على جعل كسرى الفرس يساعده على ذلك مستغلاً ما بين الفرس والروم حلفاء الاحباش من عداو ونزاع ، وان النعمان قدمه الى كسرى انوشروان الذي تردد في بدء الامر ثم استجاب اليه او الى ابنه معد يكرب من بعده على اختلاف الروايات فسير حملة بقيادة قائد اسمه وهرز تمكنت بمساعدة أمراء وأقواء اليمن من التغلب على الاحباش وتقويض سلطانهم ، وحينئذ نادى سيف أو معد يكرب بنفسه ملكاً بموافقة كسرى على أن يؤدي اليه خراجاً ويكون خاضعاً لسيادته .

وهكذا عاد حكم اليمن إلى أبنائها وان لم تتخلص من السيادة الأجنبية . على ان هذا لم يدم مع ذلك ، فان بعض الاحباش اغتالوا الملك وحينئذ قرض قائد الحملة نفسه

(١) انظر تفسير السورة في تفسير ابن كثير مثلاً . والعصف المأكول بمعنى ورق الشجر المضغوط .

(٢) الطبري ج ١ ص ٥٥٨ - ٥٧٠

حاكماً على اليمن كوال لاثو شروان فعدت ولاية اليمن تابعة للدولة الفارسية . وظل الامر كذلك الى ان بعث النبي عليه السلام ، ثم هاجر الى المدينة ، ثم قوي أمر الاسلام وسلطانه قسیر النبي حملة على اليمن حررتها من سلطان الفرس وأعلنت السلطان العربي الاسلامي محله في السنة التاسعة للهجرة عوداً على بدء .

وقد استمر سلطان الفرس في اليمن نحو ثلاثين عاماً وتولى الولاية عليها عنهم وهرز القائد ثم المرزبان ابنه ثم خدأ خسرو ثم بأذان الذي انتهى سلطان الفرس في عهده والذي اعتنق الاسلام استجابة لدعوة النبي عليه السلام .

وبما ترويه الروايات العربية ^(١) أن زوال سلطان الاحباش وعودة السلطان العربي في شخص ذي يزن قبل بابتهاج عظيم في اليمن والحجاز معاً وان وفداً من قريش قدم عليه للتهنئة وكان على رأسه عبد المطلب بن هاشم جد النبي عليه السلام قال في خطبة التهنية : ان الله ايها الملك احلك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً بأذنك شامخاً . وأنتك منبتاً طابت أرومته وعزت جروثومته ونبل أصله وبسق فرعاه في أقدم معدن وأطيب موطن . فأنت أبيت اللعن رأس العرب وربيعها الذي به تخصب وملكها الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي يلجأ اليه العباد . سلفك خير سلف . وأنت لنا بعدهم خير خلف . ولن يملك من أنت خلفه . ولن يخجل من أنت سلفه . نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة بيته . انهجنا اليك الذي انهجك لكف الكذب الذي فدحنا ، فنحن وفد التهنية .

ومدة حكم الاحباش هذه المرة سبعون عاماً كما يروي أي من سنة ٥٢٥ ب م الى سنة ٥٩٥ وفي هذا التاريخ كان عبد المطلب متوفياً . والصنعة واضحة على الخطبة . ولكن هذا لا ينفي بطبيعة الحال ابتهاج أهل الحجاز ومسارعة قريش سدنة بيت الله وسادة مكة الى ارسال وفد الى الملك اليمني وتهنئته بل من المعقول جداً انهم فعلوا ذلك لأن غزوة الاحباش لمكة أثارتهم فجعلتهم يشاركون أهل اليمن في العداء للاحباش والابتهاج بالتححرر منهم . ولعل في خبر الوفد والخطبة توديداً لما ذكرى ذلك . ولقد اخذ النبي ﷺ بعد ان هاجر الى المدينة وتوطد مركزه يكتب أقبال اليمن وزعماءها ويدعوهم الى الاسلام ويكتب من جملة من كتبه بأذان والي الفرس . وقد تلقى من كثير منهم الاجابة

(١) انظر العقد الفريد ج ١ ص ١٧٥-١٧٦

الانجائية وانضموا إلى الدين الجديد ومن جملتهم باذان ووفد كثير منهم على النبي ﷺ وصار يرسل معهم الفقهاء والحجباء . وفي السنة العاشرة من الهجرة سير سرية إلى اليمن فحررتها نهائياً فعاد السلطان العربي إليها عوداً على بدء تحت الراية الاسلامية مما يدخل تفصيله في منهج الجزء التالي .

نظام الحكم المحلي في المملكة الحميرية

ولقد كان نظام الحكم المحلي الذي يتمثل بحكم الزعماء وأصحاب العصبيات ورؤساء القبائل لمناطقهم في نطاق الاستقلال الذاتي جارياً في زمن هذه المملكة امتداداً لما كانت عليه الأمر في عهد المملكة السابقة على ما ذكرناه في سياق سيرتها ثم في العهود التي قبلها على ما شرحناه في الجزء الاول . وقد استمر جارياً بعد زوال السلطان الحميري وإبان انبساط حكم الاحباش ثم الفرس على هذه البلاد إلى زمن النبي ﷺ .

ويستفاد هذا من اسماء العدد الكبير من الامارات والامراء التي وردت في نص أبوهة الذي ذكرنا خبره قبل منسوبة إلى الارومات والمناطق مثل : ذي سحر وذي مرة وذي تمامه وذي حنش وذي مرثد وذي خليل وذي يزن والقييل معدي كرب بن سميدع وذي زنبور وذي جندن وذي معافر وذي ذرنج وذي عدل وذي فيش وذي شولمان وذي شعبان وذي رعن وذي همدان وذي الكلاع وذي مهد وذي ثت وذي علم وذي فيبان وذي فرنث و كبير حضرموت والسيذع اشوع ويزيد بن كبشت و ذو معافر ومرجرف (١)

وننبه على ان نص أبوهة لم يكن بسبيل احصاء الأذواء والاقبال والامارات بسبيل حكاية ثورة قام بها بعض هؤلاء ضد الحكم الحثي وحكاية وقوف بعض آخر إلى جانب أبوهة ضد النافرين .

ولقد ذكر ابن سعد في طبقاته (٢) التي عقدتها على السيرة النبوية أسماء عدة من الأذواء والاقبال والخاليف والزعماء منها ما ورد في نص أبوهة ومنها ما لم يرد مثل ذي يزن ومعافر و همدان ورعين والكلاع وبني عبد كلال وذي عمرو الحميري وذي مرحب الحضرمي وذي

(١) علي جواد ج ٣ ص ١٩٦-٢٠٣

(٢) ج ٢ ص ٢٩ وبهذا

زرعة وبني عمرو من حمير وخولان وبني وليمة ملوك حضرموت وأقباها وبني فهد والنسي والبحيري وربيعة وحجر وذلك في سياق الوفود التي وفدت على النبي عليه السلام أو كتب الدعوة التي أرسلها حيث يؤكد هذا ما قلناه من أن نظام الحكم المحلي ظل مستمراً خلال الحكم الحبشي والفارسي . وفي صيغ الاسماء دلالة على ما قرأناه مسن شمول طور اللغة النصحي النهائي للأقسام الجنوبية من الجزيرة أسوة بأقسامها الشمالية قبل البعثة النبوية .

وفي الجزء الأول من تاريخ "يعقوبي" (١) ومؤلفه من رجال القرن الثالث الهجري عدد كبير من أسماء المخاليف فيها ما لم يذكر في النص وفي الطبقات . ولحمة القدم بادية عليها حيث يسوغ القول أنها امتداد لما كان عليه الامر قبل الاسلام وهي هذه :

اليصبيين ، بكلا ، ضمار ، طمو ، عيان ، طام ، همل ، قدم ، خيوان ، سنجاف ، ويحان ، جرش ، صعدة ، الاخروج ، مجيج ، حراز ، هوزن ، قناعة ، الوزيرة ، الحجر ، المعافر ، عنه ، الشوافي ، جيلان ، وحان ، السكون ، شرعب ، الجند ، سور ، الثبجة ، المزدرع ، حيران ، مأرب ، حضور ، علقان ، ريشان ، جيشان ، النهم ، يش ، خنكان ، قرني ، قنونا ، نيه ، زنيف ، العرش ، الخصوف ، الساعد ، بلجة ، المهجم ، الكدراء ، المعقر ، زبيد ، رمع ، الوكب ، قبو ، مجيد ، لحج ، أبين ، الوادين ، افان ، حضرموت ، مقرى ، حيس ، حرص ، الحقلين ، عنس ، بنو عامر ، مأذن حلمان ، ذو جرة ، خولان ، السرو ، الدثينة ، كبليه ، تباله ، عون ، صنعاء ، المندب ، غلاقفة ، الحرادة ، الشرجة ، الخضة ، عثر السرين ، وجدة .

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي أسماء عدد كبير من مخاليف اليمن منها ما ذكر في المصادر السابقة الذكر ومنها ما لم يذكر . ومع أن المتبادر أنها كانت قائمة أو مسبوقة الذكر في زمن المؤلف الذي كانت وفاته عام ٦٧٦ هـ فإن لحمة القدم البادية على كثير مما لم يذكر في المصادر السابقة تسوغ القول أنها هي الأخرى امتداد بما قبل الاسلام . وهي هذه ننقلها مرتبة حسب حروف الهجاء من أجزاء الكتاب الثانية على ما جرى عليه المؤلف :

اين ، الاحور ، الاخروج ، علاق انعم ، امول ، املول ، املط ، بعدان ، بقران ، بكيل ، بوشان ، بيحان ، تيمن ، ثات ، جابان ، جيلان ، جندن ، جوش ، جريب ،

جعفر ، الجسرة ، الجند ، جيشان ، جهران ، حازة ، حراف ، حكم ، حبه ، حضور ،
 خشب ، خناس ، خولان ، خيوان ، فمار ، الرحابة ، رعين ، رهمان ، رداع ، ريجان ،
 وتيمان ، رتيمة ، زبيد ، سحول ، سرحة ، السكاسك ، سنجان ، شهاب ، شيد ، اوشبوه ،
 شحاط ، شاكر ، صدا ، الصدف ، صغده ، صعب ، عصار ، عصفان ، عس ، عنه ، عورد ،
 علق ، غطيف ، قدم ، قبيضان ، كحلان ، لحج ، لتوان ، لمية ، ماجن ، مرحض ، مادن ،
 مرسل ، مصانع ، معافر ، ملحان ، معزى ، ميساع ، مأرب ، نافع ، وحده ، وداعه ،
 واضع ، نهد ، نظروح ، همدان ، الهان ، يام ، يحصب .

ولنشوان بن سعيد الجعفي المتوفى سنة ٧٣ هـ قصيدة طويلة في ملوك حمير وأقيال
 اليمن . وقد ذكر فيها اسماء عدد كبير من أقيال اليمن منها ما ورد في المصادر السابقة
 ومنها ما لم يرد . واليك اميات القصيدة التي جاء فيها ذكر ذلك ^١

أين المئامة الملوك وملكهم	ذلو لصرف الدهر بعد جراح
ذو ثعلبان وذو خليل ثم ذو	سحر وذو جدن وذو صرواح
أو ذو مقار قبل أو ذو حزفر	ولقد حاذوا عثكلان ماح
تلك المئامة الذرى من حمير	كانوا ذوي الافساد والاصلاح ^٢
أو ذو مراند جدنا القليل ابن ذي	سحر ابو الأدواء رجب الساج
وبنوه ذو قين وذو شقر وذو	عمران أهل مكارم وسماج
والقيل ذو ذنياب من أبنائه	راح الحمام اليه في الرواح
خدمتهم جن الهواء وسخرت	لما قول بيض الوجوه صباح
أم ابن ذو الرمحين أو ذو ترخم	سقى بكأس المنون فباح
أم أين ذو بهر وذو يزن وذو	بؤس وذو بيسح وذو الأنواع
أم أين ذو فينان أو ذو أصبح	لم ينبج بالامساء والاصباح
أم أين ذو الشعبين أصبح صدعه	لم يلبسهم كمشعب الأقداح
أو ذو حوال حيل دون مرامه	أو ذو منساخ لم يمتخ بمراح
أم أين ذو غمدان أو ذو فائس	أو ذو رعين لم يقز بفلاح

(١) كتاب ملوك حمير وأقيال اليمن وشرحها المسمى خلاصة البيرة الجامعة لمجائب اخبار الملوك التابعة
 تحقيق وتعليق علي المؤيد واستاعيل الجرائي المطبعة السلفية ص ١٥٦-١٨٧
 (٢) يظهر من هذا ان الاقيال الثانية كانوا هم اصحاب البروز والدرجة الاولى بين الاقيال

أوذو الكباس وذو الكلاع ويحصب
والقيل أبوهة بن صباح قضى
والصعب ذو القرنين أدر كه الردي
وسطا على الصيفي هاتك عرشه
وجذيمة الوضاح غير جذيمة الزباء
والحرة الزباء سبق لها الردي
قتلت جذيمة وهو مخاطبها ولم
أم أين ذو أقيان أو ذو أفرع
أو ذو العبير وذو ذرائع خانة
أو أين ذو بينون أو ذو مز على
أم أين ذو شهران أم ذو ماور
أم أين فهد أو همال وابنه
أم أين ذو ثات وذو هكر وذو
أم أين ذو غيان أو ذو شوذب اللاهي
أم أين ذو نبع وذو سخط معاً
أم أين ذو أوسان أو ذو مأذف
وعباهل من حضرموت من بني
والقر من جدن وابنا مرة
وبنو الهريل وآل فهد منهم

أضحوا وهم للنائبات أضاهي
نحبا وأبرهة أبو الصباح
قصداً ولم يضرب له بقداح
وعلى أخيه جذيمة الوضاح
عن علم وعن اصحاب
بيدي قصير الخسر لا الأرباح
تفعل كفعل نضيرة وسجاح^١
أو ذو الجناح هزبر كل جناح
دهر يعيد النسر كالذواح
وبنو شراحيل وآل شراح
أضحت زفادها بلا قداح
زيد عفاهم دهرهم بمساح
فر وذو صبر وذو المشراح
بييض في النساء ملاح
أو ذو الملاهي لات حين ملاح
أم أين ذو التيجان والابواح
احمد والاشبال وآل صباح
وبني شبيب والاولى من شاح
من كل هش للفدى مرتاح

وقد أورد الشارح بيانات عن كل واحد من المذكورين في القصيدة بأسمائهم وذرائعهم
وسيرتهم ليس فيها شيء هام ووثيق يجدر نقله في حدة تاريخ هذه الحقبة .
وفي العدد الكبير من مخالفات واماوات الين صورة من صور النظام الاجتماعي
والسياسي الذي كانت تقوم عليه الدولة الحيرية والذي كان يمتد إلى ما قبلها على ما شرحناه
في الجزء الأول .

وإذا كان في الاسماء ما يفيد ان منها ما كان نسبة الى المواطنين والاماكن والعواصم
والمدن فان منها ما يفيد انه نسبة الى القبائل والجماعات التي كانت الخاليف والامارات

(١) والمتبادر ان بيت والحرة الزباء والذي يليه جاء من قبيل الاستطراد

تقوم عليها مثل بكيل وبوشان وجيشان وجهران وخولان وخيوان وردمان ورداع
وريجان ورتمان وشهاب وشاكر وصداء وصدف وعصفان وعنس وقيطان ومعاقر وملعان
ونهد ومهدان ويام ويحصب والشواقي والسكون والسكاسك وريشان ونخنكان ومرة
وثامة ونخنش ومرند وحنيف وشعبان ومهد وفزيان وزرعنة وبني عمرو وبني وليعة
ومرهب .

ومن تحصيل الحاصل ان نقول ان هذه القبائل والجماعات ليست كل ما كان موجوداً
في اليمن في عهد الدولة الحميرية .

ولقد احتوت كتب السيرة اسماء عدد آخر من القبائل والجماعات القحطانية اليمنية
خلاف من ذكر قبل في سياق اسماء وفود العرب على النبي ﷺ . ومنها مساو . اسماء
قبائل كبرى ينطوي فيها فروع كثيرة كل منها قبيلة يرأسها ، وصيغ الاسماء فصحي مما
فيه دلالة على شمول اللغة الفصحى لختلف انحاء الجزيرة . وهذه الدلائل قائمة في صيغ اسماء
الخاليف والامارات أيضاً كما هو المتبادر . وهذه جملة من الاسماء وردت في كتاب طبقات
ابن سعد ١ :

طى ، نجيب ، مراد ، كنده ، خشين ، بلى ، بهراء ، بجيلة ، عذر ، سلامان ، جهينة ،
جرم الازد ، غسان ، غامد ، النزع ، خثعم ، أشعر ، غافق ، عك هوس .

وفي معجم القبائل لعبد رضا كحالة اسماء كثير من فروع القبائل اليمنية الكبرى
مثل الاسد وطى وبجيلة وبلى وجهينة لم نذكرها هنا لأنها تمثل حالتها في التاريخ
الاسلامي وان كان من المحتمل ان يكون كثير منها متداً إلى ما قبل الاسلام .

الحالة الدينية في المملكة الحميرية

استمرت الحالة الدينية في الشطر الاول من عهد هذه المملكة على ما كانت عليه في
العهود السابقة حيث كان هناك اله رئيسي وهو الملق الذي يرمز الى القمر والى جانبه عشتار
التي هي الزهرة مع آلهة محلية أخرى . أما في الشطر الثاني الذي يمكن ان تكون بدايته
أواخر القرن الرابع بعد الميلاد وبعد تمكن الجيريين من تقويض حكم الاحباش عن

(١) ج ٢ ص ٨٦ وبعدها

بلادهم فقد صار يذكر رب السماء حيناً (بعل سمين) ورب السماء والأرض حيناً (بعل سمين وأرضين) دون ذكر معبودات أخرى والرجح أن ذلك كان بتأثير وتسرب المسيحية التي كان يدين بها الأقباش الذين استمر سلطانهم على البلاد نحو سبعين عاماً والتي قد غدت في هذا الطرف دين غالبية بلاد الشام ومصر التي كانت تحت سلطان الرومان . ومن الممكن أن يضاف إلى ذلك تأثير وتسرب اليهودية التي انتقلت مع الذين نزحوا من بني اسرائيل عن فلسطين إلى الحجاز في القرون الأولى بعد الميلاد المسيحية . وفي النقوش اليمنية ما يؤيد هذا التسرب وإن كان لا يساعد على تعيين بدايته . فقد وجد نقش هذا نصه ١ : « تبرك اسم رحمن ذ بسمين ويزوال والمهمو رب يهد دهره عبد هو شهرم وامهو وحشكهو شمس وأولادهو » الذي معناه «تبارك اسم الرحمن الذي في السماء والامرائيل رب اليهود الذي ساعد عبده شهر وامه وزوجته شمس وأولاده » وفيه دلالة كما هو واضح منه أن كاتبه يهودي الدين . وقد وجد نقش آخر ٢ ورد في مطلع « نفس قدس سمينع اشوع ملك سبأ » وفي آخره « باسم رحمن وبنهو كريستش غابن » و كريستش اسم المسيح في اليونانية وفي النص دلالة على ان كاتبه مسيحي الدين .

وهذا بالإضافة الى ما هو ثابت متواتر من ديثونة جماعات من أهل اليمن بالديانتين قبل الاسلام .

وفي الكتب القديمة اليونانية والرومانية والحبشية والسريانية والعربية بيانات حول اليهودية والمسيحية في اليمن وانتشارهما وآثارهما مؤيدة لذلك . والمستفاد منها ٣ ان المسيحية طرأت على اليمن في القرن الرابع قبل اليهود بواسطة مبشر اسمه ثيوفيلوس ارسله الامبراطور قسطنطين الثاني في سنة ٣٥٤ أو ٣٥٦ ب م الى الحبشة واليمن ، وأنه استطاع ان يبشر المسيحية في اليمن وأن ينشئ كنيسة في عدن وأخرى في ظفار وثالثة في هرمز وأن ينصب اسقفاً في ظفار ليشرف على شؤون المسيحيين . وهذا الوقت يصادف ظرف غزو الاحباش لليمن واحتلالهم لها فترة من الوقت على ما ذكرناه قبل حيث يحتمل أن يكون المبشر الذي ارسله الامبراطور قد أصاب نجاحاً في مهمته في الحبشة ثم اغتتم فرصة الغزوة الحبشية لليمن فانتقل اليها وبذل نشاطاً تبشيراً فيها كان له حظ من النجاح أيضاً .

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ١٧٣

(٢) نفس الجزء ص ١٩٤

(٣) هذه البذة مقتبسة من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ١٥٠ - ٢٧٣

ولقد عثر على مقبرة من خرائب ظفار على أعمدة عليها نقوش صلبان يحتمل أن تكون من آثار تلك الكنيسة وتروى كتب الساطرة أن تاجراً من نجران اسمه حنان رحل إلى القسطنطينية رحلة تجارية في أواخر القرن الرابع واعتنق النصرانية ولما عاد بشرها وتمكن من نشرها في نجران . وهناك رواية حبشية أخرى عن انتشار النصرانية في نجران على يد قديس اسمه ازفير وقد قتله اليهود . رواية عربية عن انتشارها على يد راهب اسمه فيميون .

وعلى كل حال فمن الممكن أن يقال بشيء من الوثوق أن النصرانية أخذت تنسرب إلى الدولة الحيرية في القرن الرابع بعد الميلاد ثم استمرت قائمة إلى بعثة النبي عليه السلام ومستقرة بنوع خاص في نجران على ما عرف معرفة تكاد أن تكون يقينية .

أما اليهودية فليس هناك روايات تدل على تلاويخ تسربها غير الروايات العربية . وما رواه الطبري في صدد ذلك أن تبار أسعد أبو كرب أحد تبابعة اليمن حينما اعتزم غزو بلاد المشرق ترك ولداً له في يثرب فوجد ابنه قد اغتيل فيها فقرر الانتقام من أهلها ووقعت بيته وبينهم معارك إلى أن جاءه خبر أن من أبحار يهود بني قريظة فكلها ونهبا عسناً الاستمرار في انتقامه وقد أعجبه عقلها فانتفى وأخذها معه إلى اليمن وأتبع دينها ودعا قومه إلى ذلك فأبوا عليه حتى يحتكموا إلى النار حيث كان في اليمن فارتحج من كهف يتحاضرون عندها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم فوافق فخرج قومه بأوثانهم وخرج الحبرون ومصحفها في أعناقها فخرجت النار وأكلت الأوثان وأصحابها وخرج الحبرون ومصحفها والعرق يتصبب من جباهها فحينئذ اتفقت حير على دينه

وعلى كل حال فمن الممكن أن يقال كذلك بشيء من الوثوق أن اليهودية تسربت إلى المملكة الحيرية بعد تسرب المسيحية . ومن ثم أخذ رجال الديانتين يتنافسون على كسب الاتباع والكيد لبعضهم نتيجة للعداء الذي كان مشتعلاً بين الفريقين إذ ذاك . وفي عهد الملك الحيري ذي نواس اتسع نطاقها من جهة واشتد اضطهاد النصارى نتيجة لتحرير أصحاب اليهود من جهة أخرى حتى لقد روت الروايات العربية^١ أن ذانواس أمر بحفر أخدود طويل وتأجيج النيران فيه والقاء الذين يصرون على النصرانية وإن آيات سورة الخروج التالية قد احتوت إشارة إلى ذلك :

(١) انظر سورة الخروج في تفسير ابن كثير مثلاً

« والسماء ذات البروج . واليوم الموعود . وشاهد ومشهود . قتل اصحاب الاخدود .
النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »

وقد أورد يوحنا الافسسي في تاريخه الكنسي وثيقة مهمة عن حادث تعذيب نصارى
نجران ، وهي رسالة وجهها مار شمعون اسقف بيت ارشام الماصر إلى رئيس دير جبلة
يصف فيها ما سمعه وما قصه عليه شهوة عيان من اهل اليمن عن تعذيب نصارى نجران
وما لاقوه من اصفاف العذاب . وقد جاء في الرسالة ان ذلك العذاب كان في سنة ٥٢٤م
وهو يصادف لحكم ذي نواس كما جاء فيها ان ملك حير وجه الى ملك الحيرة يطلب منه
ان يفعل بنصارى بلاده ما فعله هو بنصارى نجران ^١ .

وقد جر هذا على اليمن غزو الاحباش انتصاراً لبني دينهم انبسط سلطانهم نتيجة له نحو
سبعين سنة على الدولة الحميرية على ما ذكرناه قبل فكانت على الأرجح فرصة لكسب
النصرانية الجولة على اليهودية .

ولقد انبسط السلطان الفارسي على اليمن في أواخر القرن السادس الميلادي على ما ذكرناه قبل
أيضاً فأدى ذلك إلى تسرب المجوسية وعبادة النار الى فريق من اهل اليمن بالإضافة الى
الجيش الفارسي الذي توطن في اليمن وصار انساله يعرفون بالابناء مع التنبيه الى ان
نطاقها ظل ضيقاً جداً .

على ان من الحق ان تنبه الى ان نطاق المسيحية في عهد حكم الاحباش ونطاق
اليهودية في عهد حكم ملوك حمير الذين دائروا بها وان اتسعا فانها لم يشملا قسماً كبيراً من
أهل البلاد . ولقد أدى استيلاء الاحباش على اليمن إلى زوال اليهودية تقريباً بدليل ان
كتب السيرة والتاريخ لم تذكر وجود يهود في اليمن في عهد النبي عليه السلام ولا في عهد
خلفائه الراشدين . ونرجح بل نجزم ان اليهود الذين كانوا في اليمن في العهد الاسلامي
والذين هاجروا معظمهم الى فلسطين في قرننا الحاضر هم طراء بعد الاسلام ومن المحتمل جداً ان
يكونوا من اليهود الذين نزحوا من الاندلس بعد زوال السلطان الاسلامي العربي عنها
وقسنتوا في انحاء البلاد العربية . ولقد أدى انهيار حكم الاحباش وقيام السلطان الفارسي
المجوسي الدين الذي كان على عداوة مع الروم حماة النصرانية في الشرق العربي الى انكماش
النصرانية وانحصارها في نجران الى ان كان عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأجلى
نصارها من اليمن الى العراق لأنهم اشتغلوا بالربا وقد أمر والي العراق واهله بنصرهم

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ١٨٦

وحمايتهم واقطاعهم الارض واعفائهم سنتين من الجزية على ما ذكره ابن سعد في
طبقاته^١ .

- 0 -

مقتبسات من الكتب اليونانية والرومانية القديمة

عن عهد الدولة الحميرية^(٢)

ولقد ورد في كتب اليونانيين والرومانيين القديمة اسماء كثير من المدن والقبائل التي
كانت موجودة في ظروف كتابة كتبهم وفي زمن الدولة الحميرية كما جاء فيها اخبار وصور
سياسية وحربية لم ترد في النقوش المكتشفة .

فقد ذكر المؤرخ والجغرافي الروماني بلينيوس شعباً سماه *Gehmanitae* الجبائين
وقال عنه ان له ملكاً يأخذ لنفسه ربع غلة المر ويحصر بيع القرقة في يده واث ميناء
ملكته هو مدينة *Aeilia* التي عرّبها الباحثون بلفظ « عقيلا » . ولقد ذكر الهمداني اسم
مدينة يقال لها جباً وقال عنها انها مدينة الفاخر وهي لآل الكرندي من بني ثمامة آل حمير
الاصغر . فمن المحتمل ان تكون هذه المدينة مركز تلك المملكة وان المؤلف الروماني
سماها باسم هذا المركز . والمتبادر ان هذه المملكة كانت في نطاق سيادة الدولة الحميرية
متمتعة باستقلال ذاتي على الطريقة التي كانت تجري في اليمن قبل عهد هذه الدولة ايضاً
على ما ذكرناه في مناسبات سابقة .

ولقد ذكر بلينيوس شعوباً وقبائل ومدناً اخرى بلهجته الرومانية التي لا شك في ان
فيها تحريفاً للاسماء جعلها بعيدة عن اللهجة العربية قليلا او كثيراً كما جعل الاثريين يحارون
في تحريجها وتطبيقها على ما هو مدون لهم من معالم جغرافية ويختلفون في ذلك اختلافاً
كثيراً شغل استعراضه صحائف كثيرة ولم نر طائلا في ايراد شيء منه ولا ضرورة ورأينا
ان نكتفي بايراد الاسماء على علاتها .

(١) ج ٢ ص ١١٩-١٢١

(٢) مرجع هذه النسخة العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٩٨ و ٣٨٤ و ج ٣ ص

فمن القبائل أو الاقوام التي ذكرها Thont التي يمكن ان تكون ثواني و Actaei التي يمكن ان تكون اقباني او اقبلاوي و Tonabaei التي يمكن ان تكون Autiadali التي يمكن ان تكون عتادي و Lexiouae التي يمكن ان تكون لكساني او لحباني و Gerbani التي يمكن ان تكون قراني و Sabaei التي يمكن ان تكون السباعي و Antaridae التي يمكن ان تكون المطاردي و Larendani التي يمكن ان تكون الرانداني وقال عنها انها من اشهر القبائل لامتلاكها العطور الزكية وان اراضيها تقع بين البحر الاحمر والبحر العربي - اي البحر الهادي للساحل الجنوبي الشرقي لجزيرة العرب، ثم قال ان من اشهر مدن هذه القبائل الساحلية Minima التي يمكن ان تكون مرمي و Coralina التي يمكن ان تكون كورة و Cardava التي يمكن ان تكون خردقة او قردفة و Naesus التي يمكن ان تكون نقس و Tonalia التي يمكن ان تكون طوملة وان العاصمة الملكية لجميع هذه القبائل هي Marelabata التي يمكن ان تكون مارلبا او مأربة وهي تقع على خليج يبلغ محيطه اربعة وتسعين ميلا ويتصل بالجزر التي تتبع الافاوية والعطور، ثم انه يجاور Mramita التي يظن انه يقصد بها حضرموت من البر قبيلة Minaei التي يمكن ان تكون منه . اما على الساحل فيقطن قبيلة اسمها Stamitau التي يمكن ان تكون العلاميتي ولهم مدينة تسمى باسمهم ويجاورهم قبيلة اسمها Chaoulatae التي يمكن ان تكون شقلاقي اصحاب مدينة Sbuis التي يمكن ان تكون صبية ثم قبائل Arsi التي يمكن ان تكون عرسي او عرشي و Codani التي يمكن ان تكون كداني . ولهم مدينة كبيرة اسمها Barasasa التي يمكن ان تكون برصة او برصاصة .

وبما ذكره بلينيوس انه كان في سواحل جزيرة العرب الغربية مراكز تقيم فيها جاليات يونانية منها انبلونه Ampelane وارتوسا Areiusa ولاريسا Larisa وشالي Chlici ثم قال انها تخربت قبل ايامه بآمد ما . ومن المحتمل ان يكون بعض اليونانيين قد انشأوا بعض المراكز في عهد دولة البطالسة اليونانيين في مصر التي قامت سنة ٣١٢ ق م وظلت الى سنة ٣١ ق م على ما ذكرناه في الجزء الثاني . وقد ايد هذا غير واحد من الكتاب القدماء ايضا .

وبما ذكره بلينيوس ولسترابون نخبو زحف حملة رومانية على جزيرة العرب في سنة ٣٤ ق م بأمر القيصر اوغوستوس بعد ان استتب له السلطان على بلاد الشام ومصر بقصد

الاستيلاء على هذه الجزيرة وثرواتها وغلاتها التي طار صيتها في الآفاق حتى تكمل حلقات السلطان الروماني على الشرق العربي . وكانت الحملة بقيادة أوليوس غالوس وإلى مصر وفيها كتائب مصرية ونبطية ويهودية بالإضافة إلى الكتائب الرومانية . وقد نزلت في ميناء Nera فيه عيون عذاب غزيره وخمنه الباحثون أنه ينبع المعروف اليوم ثم سارت نحو الجنوب واستطاعت أن تفتح بعض مدنه مثل نجران Negrani ومارسيابا Marsiaba غير أنها عادت من حيث أتت دون فتح كبير وتوطيد سلطان بسبب ما لاقته من مشاق وصعاب .

وقد ذكر بلينيوس اسم Cedanon كميناء تابع لملك السبثيين والحييريين وقال إن القيصر تغلب على هذا الميناء وخربه . وفسر جواد علي وبعض الاثريين بأن هذا الميناء هو ميناء عدن كما خمنوا أن القيصر هو كلود الأول الذي كان حكمه بعد قليل من القيصر أوغوستوس حيث يبدو من هذا وذاك أن الرومانيين حاولوا مد سلطانهم وسيطرتهم على هذه البلاد منذ أن توطد سلطانهم في الشرق العربي .

وقد ذكر مؤلف كتاب الطواف حول البحر الايتري وهو مجهول الاسم أشياء كثيرة عن جغرافية واحداث بلاد العرب . ومن جملة ما ذكره بما يتصل بالدولة الحيرية اسم Afar وقال إنها عاصمة Charibael ملك السبثيين وحيير وهو الملك الذي أرسل القيصر إليه سفارة تحمل هدايا وأطافاً . وفسر جواد علي أفار بظفار التي اتخذها ملوك سبأ وريدان ثم حيير عاصمة بعد مأرب وقد فسر اسم الملك بأنه كرب ايل وتو ينعم . وهذا من أواخر الدولة ملوك السبثية السابقة للدولة الحيرية والذي كان حكمه في القرن الثاني قبل الميلاد مع أنه خن أن القيصر المقصود هو كلود الذي كان حكمه في أواسط القرن الأول والذي ذكر بلينيوس أنه تغلب على ميناء Cendāman وخربها على ما أوردناه قبل ومع أن ظفار لم تكن عاصمة دولة سبأ التي من ملوكها كرب ايل وإنما كانت مأرب هي العاصمة وهذا ما يجعلنا نتوقف في تفسير جواد علي ونرجح أنه المقصود غير كرب ايل . وفي قائمة ملوك حيير الأولى أسماء شرح يحمل وشرح يخضب وحكمهم يضاف حكم القيصر كلود فاحتمال أن يكون الملك الذي هاداه هذا القيصر أحدهما هو الأقوى حيث رأى هذا أن الصلات الودية تضمن للرومان مصالحهم أكثر من العنف الذي اخفقوا فيه .

ولقد ذكر مؤرخ آخر اسمه فيلوستور خيوس من القرن الخامس بعد الميلاد أن ميناء عدن كانت تحت سيطرة الروم في أوائل القرن الرابع وأن قسطنطين الامبراطور المنتصر

أنشأ فيه كنيسة كما أنشأ في الوقت نفسه كنيسةين واحدة في ظفار وأخرى في هرمز .
فمن المحتمل أن يكون هذا قد تم في ظروف استيلاء الاحباش على بلاد اليمن في القرن
المذكور على ما شرحناه قبل .

ومما ذكره هذا المؤلف اسم مدينة برية وهو Sane الذي يمكن أن يكون صوى
وقال أنها تبعد عن ميناء محاسنة ما وأنها عاصمة للملك Chabellus الذي يحتمل أن يكون
جبله ملك بلاد Mapharites التي فسرها جواد علي ببلاد معافر وإن أهل الساحل
الأفريقي المقابل كانوا يدفعون له الجزية وأنه كان يختار الموظفين والجباة من أناس لهم علم
بأحوال هذا الساحل والسنة أهله ومن لهم صلات رحم وقربى بهم . ومعافر من مخاليف
أو أمارات اليمن المعروفة ، ويظهر أن المعافريين كانوا يمارسون استقلالاً ذاتياً واسعاً في
الدولة الحميرية حتى صار أمراؤهم يتلقبون بلقب الملك ، وقد توسعوا في التبسط حتى صار
لهم السلطان على أهل الساحل المقابل . وفي هذا صورة من صور النظام الاستقلالي المحلي
في الدولة الحميرية .

وهناك كتاب مشهور وهو كتاب المجسطي لبطليموس من رجال القرن الثاني
بعد الميلاد . وهو مترجم إلى العربية قديماً ومثل الكتابين السابقين ذو صفة جغرافية .
وقد احتوى شيئاً كثيراً عن جغرافية جزيرة العرب وأطرافها غير أنه لا يوجد فيه شيء
هام متصل بتاريخ الدولة الحميرية على ما يستفاد من الفصل الاستغراضي الذي لحصه الدكتور
جواد علي في الجزء الثالث من كتابه فاكيفينا بما اقتبسناه من كتابه نقلاً عن الكتابين
السابقين .

روايات الكتب العربية

عن المملكة الحميرية

في كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان قائمتان . سمي ملوك أولاهما
« الطبقة الأولى » وأورد أسماءهم تحت عنوان ملوك سبأ وذو ريدان . وسمى ملوك
ثانيتهما « الطبقة الثانية » وأورد أسماءهم تحت عنوان ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت
وغيرها . ووضح أنه قصد بالأولى ملوك مملكة سبأ وريدان والثانية ملوك المملكة
الحميرية . وقد عين مدة حكم الطبقة الأولى بين سنة ١١٥ ق م وسنة ٢٧٥ ب م وحكم

الطبقة الثانية بين سنة ٢٧٠ ب م سنة ٥٢٣ ب م . وقال انه كتب قائمته ^١ نتيجة
لدراساته واستنتاجاته مما ورد في كتب اليونان والنقوش التي اكتشفها ودرسها
الآخرون .

وهذه هي القائمة الاولى مع سفي حكم كل من الملوك التي فيها :

١١٥ ق م - ٨٠ ق م

علمان نهقان

٨٠ - ٥٠ ق م

شعر اوثار بن علمان نهقان

يوسيم ائمن بن علمان نهقان

٥٠ - ٣٥

فرع ينهب

٣٥ - ١٥

الشرح يخصب وابنه يزل بييين

١٥ - ٥ ب

الشرح يحمل بن يزل بييين

٥ - ٣٥

وثار

٣٥ - ٧٠

كوب ايل وثار ينعم

٧٠ - ٩٥

ذمر علي ذرح بن كوب ايل

٩٥ - ١٢٠

هلك امر بن كوب ايل

١٢٠ - ١٤٥

ذمر علي بييين

١٤٥ - ١٧٠

وهب ايل يحز

١٧٠ - ٢٥٠

(ملوك مجهولون)

٢٥٠ - ٢٧٥

ياسر انعم

وهذه هي القائمة الثانية :

٢٧٥ - ٣٠٠ ب م

شمر يروش

٣٠٠ - ٣٢٠

ذو القرنين او افريتس الصعب

٣٢٠ - ٣٣٠

عمرو زوج بلقيس

٣٤٠ - ٣٥٥

بلقيس وتسمى الفارعة

٣٥٥ - ٣٧٤

المدهاد اخو بلقيس

٣٧٤ - ٣٨٥

ملكي كوب ينعم

٣٨٥ - ٤٢٠

ابو كوب بن اسعد بن كوب

(١) ص ١٥٣ - ١٤٤ طبعة جديدة

حسان بن أسعد	٤٢٠ - ٤٢٥ ب م
شرحبيل يعفر بن أسعد	٤٥٥ - ٤٢٥
شرحبيل ينوف	٤٧٠ - ٤٥٥
معدى كرب ينعم وابنه طيبة	٤٩٥ - ٤٧٠
مرثد اللات ينوف	٥١٥ - ٤٩٥
ذو نواس الذي يسميه اليونانيون ذميانوس	٥٢٥ - ٥١٥
ذو نواس	٥٢٥ - ٥١٥
ذو جدن	٥٣٢ - ٥٢٥

ومع ان جرجي زيدان قال الاسماء مستقاة من دراسة الاثرين والمدونات القديمة فان هناك مباينات عديدة بينها وبين ما أورده جواد علي استقاء من تلك الدراسة أيضاً . وقد أورد جواد علي نصوص النقوش التي ذكرت فيها الأسماء بحيث يمكن القول ان ما أورده هو الأصح . ولقد مر بين المؤلفين نحو أربعين عاماً ونيف . والمتبادر ان الدراسات الأثرية قد تقدمت واتسعت في هذه المدة . وفي قلتي زيدان أسماء لم ترد في نقوش وانما هي مقتبسة من الروايات العربية وبعضها غريب مثل ذي القرنين الصعب وعمرو زوج بليس وبلقيس التي تسمى الفارعة والمهداه اخو بلقيس . وذو جدن آخر القائمة الثانية^(١) والاستفاد من النقوش ان الذي ملك بعد موت ذي نواس هو اسميشوع الحميري الذي نصبه النجاشي تحت سيادته والذي كان نصرانياً على ما ذكرناه قبل .

ولم يورد جرجي زيدان من سيرة الدولة الحميرية شيئاً مستنداً إلى الآثار . ويفيد كلامه^(٢) أنه لم يطلع على المنقوشات التي استند اليها جواد علي والتي عرف منها أسماء ملوك الدولة شيئاً من سيرتهم . وقد ذكر بعض ما كتبه الكتب العربية من سيرة بعض ملوكها ووصفه بالمبالغة مع قوله ان هذه الدولة أقرب إلى الدول الفاتحة من الدول التي سبقتها . وعقد نبذة بعنوان العصر الحبشي في اليمن وقال ان العرب لا يعرفون من سيادة الاحباش على اليمن إلا غزوتهم الاخيرة في أيام الملك ذي نواس الذي يسميه كتاب اليونان دميانوس مع ان الصلات بين الحبشة واليمن قديمة، ثم ذكر عزواً إلى المصادر اليونانية

(١) انظر جواد علي ج ٣ ص ١٦٩ ومروج الذهب ج ٢ ص ٣١٠

(٢) ص ١٠٤ - ١٥١

والرومانية غزوات الحبش لليمن مختلفة بعض الشيء عما أوردناه قبل من روايات جواد علي حيث ذكر غزوة حبشية لليمن في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد عرف خبرها من نقش وجد في أدوليس في بلاد الحبشة ، وغزوة ثانية في أواخر القرن الثالث ، وغزوة ثالثة بعد خمسين سنة اكتسح الحبش بها اليمن كلها وتسمى ملوكهم باسم (ملك اكسوم وحمير وريدان وأثيوبيا وسبأ وزيلع وغيرها) وباسم (ملك اكسوم وحمير وريدان وسلحين) . ومن واقف الحميريين من ملوك الأحباش ملك اسمه (العلي اسكندى) حارب الهدهاد ملك حمير سنة ٣٤٥ ب م وخلفه (العلي عميده من سنة ٣٤٥ الى ٣٤٨) وحارب الهدهاد وبلقيس وفتح اليمن سنة ٣٤٥ بمساعدة قيصر الروم قسطنطينوس رغبة في نشر النصرانية التي كانت دخلت الحبشة من عهد قريب على يد كاهن رومي اسمه فرومنتوس ساموه اسقفاً عليها سنة ٣٥٤ في اكسوم . وولى الحبشة واليمن بعد العلي عميدة أولاده وهم (عزيزاناس = اذينه) وحكم من سنة ٣٤٨ الى ٣٦٥ و (سazanاس = شانان) من سنة ٣٩٥ - ٣٧٤ وهو آخر من تولى اليمن من هذه العائلة فعادت الى اصحابها الحميريين رتولاها سنة ٣٧٤ ملكي كرب يوهنعم وظلت في قبضتهم حتى فتحها الاحباش المرة الأخيرة سنة ٥٢٥ التي عرفها العرب وذكروها .

وقد ذكر أسباب هذه الغزوة الأخيرة عزواً إلى الكتب العربية وإلى الكتب اليونانية وقال ان الاولى ذكرت ان اسبابها اضطهاد ذي نواس ملك حمير للنصارى وتخريض قيصر الروم للنجاشي للانتقام لهم . أما الثانية فانها ذكرت ان السبب هو المنافسة التجارية بين الروم والفرس . وقد حرص هؤلاء الحميريين على عرقلة نشاط تجار الروم فحرص قيصر الروم ملك الاحباش همداد فاجتاز البحر وحارب الحميريين وقتل ملكهم دميانوس (ذانواس) ثم انسحب إلى بلاده فعاد الحميريون إلى عرقلة التجارة الرومية فغزا ملك الحبشة اليسباس اليمن ثانية بحملة كبيرة وغلب الحميريين وولى على اليمن أميراً مسيحياً من أمراءه اسمه اسيافيوس (السمينع) وأوعز اليه ان يحمل اهلها على النصرانية استنجاداً بالدين على السياسة ولكن حكم هذا الملك لم يطل حيث ثار عليه الحميريون وخنقوه فأرسل اليسباس جنداً لاختضاعهم فانضم الجند إلى العصاة مما جعل الملك الحبشي يأس من إذلال الحميريين ويعقد الصلح معهم .

والنهاية لا تتفق مع ما عرف يقيناً من استمرار حكم الاحباش تحت سلطان أبرهة ، وقد نبه جرجي زيدان إلى ذلك وأورد ترجمة نقش أبرهة الطويل الذي ذكره جواد علي

وأوردناه قبل ، وحاول أن يملأ التناقض بالخلاف الذي وقع بين أرباط وبين أبوه والذي ذكرته الروايات العربية . ثم ذكر خبر قيام الأمير الحميري سيف بن ذي يزن لمناضلة الحكم الحميري وقال انه استنصر بقصر الروم فرده فاستنصر بكسرى الفرس فنصره بمجندين تحت قيادة وهرز تمكن من قهر الحبشة واحتلال مكانهم وكتب بذلك لكسرى فأمره بتسليم الملك لسيف ابن ذي يزن الذي أوغل في الانتقام من الاحباش مما جعلهم يقتالونه ولم يقيم من الحميريين ملك بعده حتى كان الاسلام ودخلت اليمن في حوزة المسلمين . وقد ذكر نقلا عن الكتب العربية ان حكم الاحباش استمر ٧٤ عاماً منها ٣٠ سنة لارباط و ٢٣ لايوهة و ١٩ ليكسوم و ١٢ لسروق وكانت العاصمة صنعاء وكان الملك يجلس في قصر عمدان .

ولقد احتوت الكتب العربية القديمة روايات كثيرة عن أسماء ملوك هذا العهد وسيرتهم وما أفرموا فيها الفث بالسنين بل كان الفث والخيال بل والخرافات فيها هي الأكثر .

ففي مروج الذهب للمسعودي قائمتان بأسماء ملوك هذا العهد ومدة حكمهم . وهذه احدهما التي يلحظ فيها الصيغة القصصى للامياء بما هو ليس معقولا اجمالا : (١)

سبأ بن يشجب واسمه عبد شمس	مدة حكمه ٥٤٤ سنة
حمير بن سبأ	« ٥٠ »
كهلان بن سبأ	« ٣٠٠ »
ابو مالك بن عمرو بن سبأ	« ٣٥٠ »
الرائش الحرث بن ذي سدد	« — »
جبار بن غالب بن افريتس	« ١٤٠ »
وله اسم ثان هو ابوهة ذو المنار	
الرائش بن شداد	« ١٢٥ »
أبوهة بن الرائش	« ١٨٠ »
المعبد بن أبوهة ذو الاذعار	« ٢٥ »
الهدهاد بن شرحبيل	« ١٠ »
تبع الاول	« ٤٠٠ »
بليقيس بنت الهدهاد	« ١٢٠ »

ناشر النعم بن عمرو بن يعفر	مدة حكمه	٣٥ سنة
كليكرب بن تبع	«	« ٣٢٥
حسان بن تبع	«	« ٢٥
عمرو بن تبع	«	« ٦٤
وليعة بن مرثد	«	« ٣٩
ابوهة بن الصباح بن وليعة	«	« ٩٣
عمرو بن ذى قيعان	«	« ١٧
ذو شناتر	«	« ٣٥
يوسف ذو نواس	«	« ٢٦٥

وهذه ثانيتهما ^(١) وفيها أسماء من القائمة الاولى وصيغة الاسماء فصحي . ودخل فيها سليمان ابن داود وابنه رجبهم ملكي بني اسرائيل . والمبالغة في مدد الحكم موجودة ولكنها أقل منها في سابقتها . وبعض الاسماء مدة حكم اكثر أو أقل .

سبا بن يشجب	ومدة حكمه	« ١٨٤
الحارث بن شداد	«	« ١٢٥
ابوهة بن الرائش ذو المنار	«	« ١٣٣
افريتس بن ابوهة	«	« ١٦٤
المدهاد بن شرحبيل	«	« ١
بلقيس بنت المدهاد	«	« ٧
سليمان بن داود	«	« ٢٣
رجبهم بن سليمان	«	« ١
ناشر النعم بن يعفر ذو الاذعار	«	« ٣٥
عمرو بن شمر بن افريتس	«	« ٥٣
كليكرب بن تبع وهو تبع	«	« ٨٤
ابو كرب اسعد	«	« ٧٤
كلال بن سويب	«	« -
تبع بن حسان بن تبع	«	« ٣٧

(١) ج ٢ ص ١٣-١٤

مرثد	مدة حكمه	٧٣ سنة
أبرهة	«	٨٩ «
ذو شناتر بن زرعاً	«	— «
حنيفة	«	٨٤ «

وقد أورد جرجي زيدان^(١) نقلاً عن حمزة الاصفهاني هذه القائمة بعنوان التبابعة عند

العرب :

مدة حكمه		مدة حكمه	
١٢٠	اسعد ابو كرب	١٢٥	الحارث الرائيش
٧٠	حسان بن تبع	١٨٣	أبرهة ذو المنار
٦٣	عمرو بن تبع	١٦٤	افريس بن ابرهة
٧٤	عميد كلال	٢٥	العبد ذو الادغار
٧٨	تبع بن حسان	٧٥	هداد بن شرجيل
٤١	مرثد بن عميد	٢٠	باقيس بن هداد
٢٧	وليعة بن مرثد	٨٥	ناشر ينعم
٠	أبرهة بن الصباح	٣٧	شمر يرعش
١٥	صهبان بن محرت	٥٥	أبو مالك
٥٧	حسان بن عمرو	٥٣	تبع بن الاقرن
٣٧	ذو شناتر	٧٠	ذو جيشان
٢٠	ذو نواس	١٦٣	الاقرن بن ابي ملك
٨	ذو جدن	٣٥	كلي كرب

وبما يرويه الطبري مثلاً^(٢) ان الحارث بن عمرو الكندي الذي ملك الحيرة لفترة قصيرة في أوائل القرن السادس بعد الميلاد ارسل يحرض ملك اليمن تبعاً فزحف على العراق ثم وجه ابن اخيه شمرا ذا الجناح الى قباة فقاتله فهزمه حتى لحق بالري ثم أدركه بها فقتله . وقد أمره بالتوجه نحو خراسان ثم نحو بلاد الصفد في التركستان ، ووجه ابنه حسانا إلى الصين وكان كل من القائدين في جيش عظيم عدده ستمئة ألف واربعين ألفاً !

(١) العرب قبل الاسلام ص ١٢٣

(٢) ج ١ ص ٥٢٣-٥٢٤

وبعث ابن أخيه يعفر الى الروم فسار حتى اتى القسطنطينية فأعطوه الطاعة والالتواة ثم مضى الى رومية فحاصرها واصاب من معه جوع ووقع فيهم طاعون فضعفوا وقل عددهم فوثب عليهم الروم فقتلهم ولم يفلت منهم أحد . وسار شمر ذو الجناح حتى اتى سمرقند فحاصرها ثم افتتحها بحيلة وقتل أهلها وحوى ما فيها ثم سار نحو الصين فوجد حساناً بن تبع قد سبقه اليها بثلاث سنين ! .

وبما أورده المهداني ^(١) ان الملك مالك ناشر النعم كان من عطاء التبابعة بلغ البحر المحيط في غزوه ثم سار بنفسه غازياً نحو المغرب فدونه ووطئه حتى بلغ وادي الرمل ولم يبلغ ذلك الوادي ولا تلك الأرض من اهل بيته غيره . وانه لما اتى الوادي الذي يسيل رملة لم يجد مخرجاً ولا نجازاً حتى جاء يوم السبت فلم يمر اذ لم يجده يسير . وامر رجلاً من اهل بيته بعبور الوادي بأصحابه فعبروه فلم يرجع منهم احد ، فكف ناشر عن العبور وأمر بصنم من نحاس فنصبه على صخرة وكتب على صدره بخط المسند . . صنع هذا الصنم الملك الحميري ناشر النعم اليعفري : ليس وراء هذا مذهب فلا يتكلف احد المضي متلفلاً فيعط . ثم بعث عساكره الى الأفرنج والبشكنس وارض الصقالبة فغنموا الاموال وسبوا الذراري وبعث عسكره الى ارض الروم فافتتحوها وبلغ طبرستان وباب الابواب وبلاد الصفد الى ارض الكرد والزط والحزر وفرغان فقلب عليهم ثم مضى يريد ارض التبت الى الصين وارض الهند ولما صار بنهاوند ودينور مات فدقنه شمر يرعش ابنه هنالك وملك الملك بعده وعمر عليه ولده قبة لم يكن في الدنيا مثلاً وهي من نوادر الدنيا باقية الى يوم القيامة .

وبما أورده عن شمر يرعش انه هو تبع الاكبر الذي ذكره الله في القرآن لأنه لم يقم للعرب قائم قط احفظ لهم منه يتجاوز عن مسيئتهم ويحسن الى محسنهم . فكان جميع العرب بني قحطان وبني عدنان شاكرين لأيامه وكان أعقل من رؤا من الملوك واعلامهم واشد مكرراً لمن حارب . فضربت به العرب الامثال وهو عندهم تبع الاكبر وان كان قبله تبابعة عظماء لكن ذلك لمحبتهم اياه وعظمته في قلوبهم . ملك الارض جميعها ودانت له وكان قد خدم سليمان بن داود حتى قبض فلما رجع من غزو بلاد الصين وغيرها نزل قصر غمدان وجمع ابناء ملوك حير ووجوه العرب فأوصاهم فقال :

(١) ج ٨ ص ٢٤٧-٢٥١ الاكليل

« معاشر العرب ، عندنا علم مضمون مكنون ، نعمل بأمره ، ونزدر لنهيه . وتتبع
 « الاثر ويهجم علينا الامر . وقد غيب عنا القدر . فحيناً نخطىء وحيناً نصيب ، وكل الى
 « غاية ومدة . وقد جاريت الدهر وقضيت ولم يقض لي . وحاكمت فحكم علي ، فاذا
 « كان ما هو كائن فان ابني صينياً هو تبع فان رأيت خيراً منه فلكم . وان رأيت شراً
 « فالامر للعامة لا لخاصة وقداموا عليه من هو أفضل منه ثم قال :

سرت على الآفاق كالشمس	بين طلوع السمند والنمير
اجوب غور الأرض في اثره	بمارج للعلم عن أس
أوجفت بالخلق فلم انتظر	أسير في رفق وفي همس
انقل من أرض الى أرضها	اصبح في أرض ولا امسي
كنت على الأرض كشس بدت	تشرق للناس بلا حس
حتى اذا عادت الى افقها	عاد ضياء الشمس في طمس
حفظت ما خولت حتى اذا	سلبته امهل عن نفسي
من ذا يرجى العيش من بعد من	حباط جموع الجن والانس
افصح ذو القرنين يوماً على	ترجمة العالم في طرس
لا يصحب الايام الا امرؤ	غاد وان نخلد كالأمس
والدهر يمدو اهله مسرعاً	عن زهرة الدنيا الى رمس

ومما يرويه المسعودي ^(١) ان تبعاً بن حسان زحف على الحجاز وكان له مع الاوس
 والخزرج حروب . وانه اراد هدم الكعبة فنهه من كان معه من احبار اليهود فامتنع
 وكساها بالقصب اليماني . وقد روى علي جواد ^(٢) عن كتيابي التيجان والطبري ان تبارك
 اسمد ابو كرب حين قفل من المشرق الى اليمن مر بيثرب وكان خلف فيها ابناً له فقتل
 عليه اثناء غيابه فقرر الانتقام من اهله وتخريبها فجاءه حيران من احبار اليهود من قرية
 فكلمها معه فأعجب بها ورأى ان لها علماً فعفى عن المدينة وامر باعمار ما دمر منها واتبع
 دين الجبرين واخذها معه حينما رجع الى اليمن ، وهناك دعا قومه الى الدخول فيها دخل

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٥

(٢) العرب قبل الاسلام ج ٣ ص ١٧٢

فيه فأبوا عليه حتى يحتكموا إلى النار حيث كان في اليمن نار تخرج من كهف يتحاكمون عندها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم فوافق فخرج قومه بأوثانهم وقرابينهم وخرج الخبران ومصاحفها في أعناقها فخرجت النار وأكلت الأوثان والقرابين وأصعابها من الحميرين وخرج الخبران بمصاحفها والعرق يتصب من جباههما فحينئذ اتفقت حمير على دينه .

وفي قصيدة نشوان بن سعيد الحميري التي ذكرناها في مناسبة سابقة وأوردنا ما فيها من أسماء الأقبال أسماء عدد كبير من ملوك حمير . وقد جمعت القصيدة مع شرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التابعة للعث والسسين كذلك والفتش فيها هو الأكثر . واليك هذه المقتطفات من القصيدة ^(١) :

وملوك حمير ألف ملك أصبحوا	في التراب رهن ضرائح وصفاح
آثارهم في الأرض تحبرنا بهم	والكتب من سير تقصص صحاح
أنسابهم فيها تنير وذكرهم	في الطيب مثل العنبر النفاح
ملكو المشارق والمغرب واحتوا	ما بين اقرة ونجد الجاح
ملكتم ثود وعاداً الأخرى معاً	منهم كرام لم تكن بشعاح

ومنها : ٢

والحادث الملك المسمى رائشاً	إذ راى من قحطان كل جناح
وحباهم بغنائم الفرس التي	فاضت على الجندي والفلاح
وغزا الاعاجم فاستباح بلادهم	ملك يحاه كان غير مباح
ركب السفين إلى بلاد الهند في	لجج يسير بها على الألواح
وبنى بأرضهم مدينة راية	فيها الحياة لعامل جراح
والتوك كانت قد أذلت فارساً	لم يستروا من شرهم بوجاح
فشكوا إليه فزارهم بمقانب	فيها صراح ينتهي لصراح
تروكوا سبايا التوك فيما بينهم	لبيع تعرض في يد الصباح
وغدا منو شهر يمت بطاعة	وولاية من منعم مناح

ومنها (١)

أو ذو المنار بنى المنار إذا غزا
ألقى بمنقطع العماره بوكه
والعبد ذو الادغار إذا دعر الوري
قوم من التناس مذكورون في
وانخوه افريقس وارث ملكه
ملك بنى في العرب افريقية
وأحل فيها قومه فتلكوا

ليدله في رجعة ومراح
في الغرب يدعو لات حين يراح
بوجوه قوم في السباء قباح
أقصى الشمال شمال كل رياح
حلف العدر وجابر المتاح
نسبت إليه بأوضح الايضاح
ما حولها من بلدة ونواح

ومنها (٢) :

أم أين باقيس المعظم عرشها
زارت سليمان النبي بتدمر
في الف الف مدحج من قومها
جاءت لتسلم حين جاء
سجدت لحالقها العظيم وأسلمت

أو صرحها العالي على الأصراح
من مأرب ديناً بلا استنكاح
لم تأت في ابل اليه طلاح
كتابه بدعائها مع هدهد صراح
طوعاً وكلف سجودها لبراح

ومنها (٣) :

أم أين شمر يرعش الملك الذي
قد كان يرعش من رآه هيبة
وبه سمرقند المشارق سميت
وأنتي بمالك فارس كيقاوس
فأقام في بئر بمأرب برهة
فاستوهبت سعدى أباه ذنبه

ملك الوري بالعنف والاسجاج
ورثا اليه بطرفه اللهاج
لله من غاز ومن فتاح
في القيد يعثر منخناً بجراح
في السجن يجار معلناً بصباح
فعمى وسيوره بحسن سراح

ومنها (٤) :

والاقرن الملك المتوج تبع

عرك البلاد بكلكل فداح

(١) ص ٦٩-٧١ (٢) ص ٧٧

(٣) ص ٩٢-٩٣ (٤) ص ٩٥-٩٦

وغزا بلاد الروم يبغي وادي
ففضى هنالك نجبه واتى إلى
ومنها^(١) :

والرائد الملك المتوج تبع
فتح المدائن في المشرق وانتحي
فأذاق يعبر حثته فدحى به
واحل من يمن بنيت معشراً
والترك قبل الصين كان لهم به
ومنها^(٢) :

والكامل الملك المتوج أسعد
كم قاد من جيش أجش لبابل
حتى استباح بلاد فارس بالقفا
والترك والحزور اشباح بلادهم
والصين تجي خرجها عماله
نطح الاعاجم في جميع بلادهم
وأذاق مولى الحمام وجو ذراً
حتى أتاه ذو الجناح برأسه
وأتى بقطسطنطين في أغلاله
وغزا إلى ارض الشمال فخلص في
وكسى البنية ثم قرب هدية
ومنها^(٣) :

أم أين عمرو وصنوه المردي له
لم يستمع من ذي رعين عزله
فبدت ندامته وجانبه الكرى

الياقوت صاحب غزة وطباح
أجل معد للحمام متاح

ملك يرود الارض كالساح
للصين في بركة وراح
في قصر لحد البنية داحي
أضحوا بها عنا من النزاح
يوم شتم الوجه والاكلاح

فيه تقصر مدحة المداح
وكتيبة تغشى البلاد رداح
وبكل أجرد في الجياد وقاح
والروم منه تقى بالراح
في بكرة من دهرهم ورواح
بأحد قرن في الوغى نطاح
ونجى قباف كنعلب صباح
من أرض بلخ ونهرها المساح
وبهرمز في قيده المساح
ظلماتها بمنارة المصباح
سبعين الفاً من بنات لقاح

فأصاب صفقة خاسر كداح
والحين لا يثنيه لحي الا لاحي
فراى السلو بغير شرب الراح

(١) ١١٣-١١٤ (٢) ١١٧ (٣) ص ١٤٥

أفنى رجلاً شاركوه فأصبحوا
أو تبسع عمر بن حسان الذي
قتل اليهود بيثرب وأراهم
ككباش عيّد في يدي ذباح
سفع الدماء بسيفه السفاح
أنياب تقرر للنية شاح
ومنها ١ :

أم أين عبد كلال الماضي على
أو ذو معاهر غلقت أبوابه
أو ذو نواس حافر الانحدود في
ألقى النصارى في نيار أججت
فدعا له ذو ثعلبان أحابشاً
فتقحم البحر العيق بنفسه
فعدا طعاماً بعد عز باذخ
وأتى ابن ذي يزن بابنا فارس
فهدا الأحابش للأعارب أعبداً
دين المسيح الطاهر المساح
فأتى لها الحدائق بالفتاح
نجران لم يحش احتمال جناح
بو قود حمير مضرم لفاح
منهم بقاع الارض غير ضواح
وسلاحه وجواده السباح
للعوت من نون ومن تمساح
لما تقرب وانثى بنجاح
يشرونهم بخسارة ورباح

ولقد وقف الشارح عند ذكر كل ملك يشرح بإسهاب طويل الاشارات الحافظة
الواردة في القصيدة ويذكر العجيب الغريب المتناسب مع هذه الاشارات والمائل للنماذج
التي نقلناها عن الطبري والمسعودي من سيرته وما قيل فيه من شعر وما اترعنه من اقوال
فلم نر طائلاً في ايرادها لأن جله إن لم نقل كله بعيد عن العقل موغل في الخيال والتخريف .
وكل ما فيه بعض اسماء واحداث متطابقة مع ما ورد في النقوش والمدونات القديمة وبما
هو عائد الى الحقبة الأخيرة من عهد الدولة الحميرية مثل اسماء شمر يرعش واسعد وذي رعين
وذي نواس ، وما كان من اضطهاد هذا النصارى وغزوة الاحباش لليمن بسبب ذلك
وبدعوة من امير اسمه ذو ثعلبان واستنجد ذي يزن بالفرس ونجّاه في تقويض حكم
الأحابش .

على ان من المحتمل ان تكون هذه الروايات عن نشاط ملوك الدولة الحميرية مكبرة
كثيراً خرافياً عن نشاط بدا منهم في مجال الفتح والتبسط استطاعوا به أن يفرضوا سلطانهم
على الحجاز وغيرها من انحاء الجزيرة الشمالية .

ولعل في قصة تيان اسعد ابني كرب التي رواها الطبري عن غزوة الحجاز وتهوده بتأثير احبار اليهود في يثرب وأخذه اثنين منها معه الى مملكته وغدو اليهودية دين ملوك حير ورعاياهم شيئاً من الحقيقة لأن آثار ذلك مما تأيد ببعض النقوش وروايات الكتاب القدماء الرومان والسريان والناسطرة الذين كتبوا كتبهم قبل البعثة النبوية على ما ذكرناه قبل .

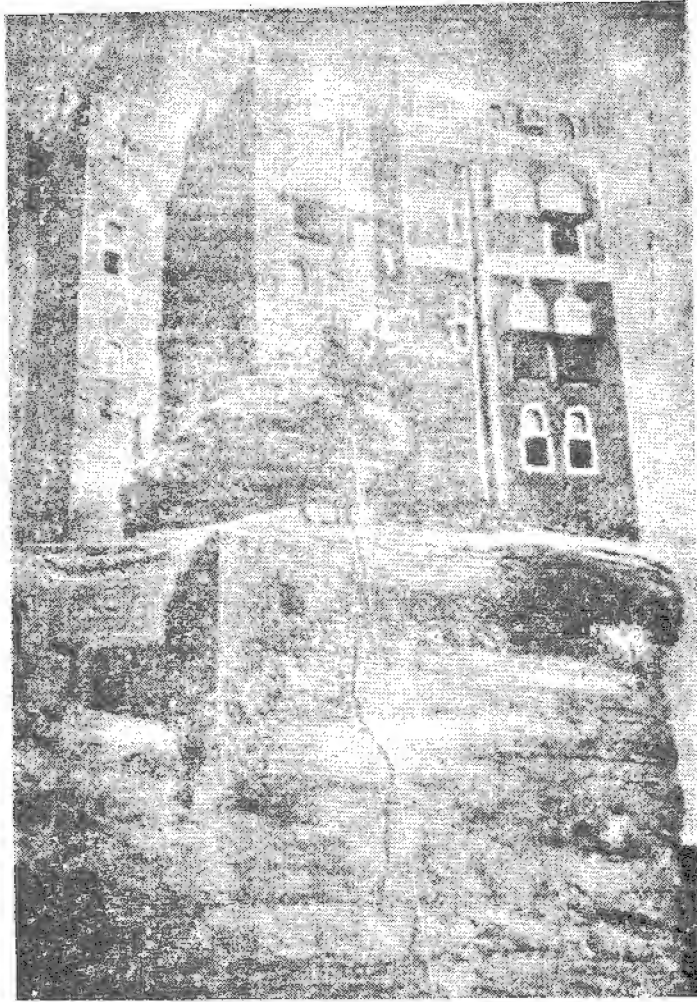
قصور اليمن وسدودها القديمة

على ان في الكتب العربية الاسلامية القديمة أشياء كثيرة تدخل في نطاق الحقائق والوقائع .

من ذلك قصور اليمن وسدودها القديمة التي شاهدها الهمداني ووصفها وذكر أسماءها في الجزء الثامن من كتابه الاكليل^١ الذي ألفه في القرن الهجري الرابع . وفي وصفه ما يشير الدهشة من الفخامة والضعامة والاناقة والفن والزخرفة التي كانت عليها القصور بخاصة ويشهد بما بلغه الجنس العربي في هذا الدور من براعة وفن وترف .

ففي همدان مثلاً قصر اسمه قصر ناعط مؤلف من عدة قصور وهو قصر الملك . وفي هذه المدينة ما يزيد عن العشرين قصراً أخرى كانت لكبار رجال الدولة . وفي صنعاء قصر غمدان الذي ما تزال آثاره قائمة إلى اليوم وشاهدة على عظمته . وكان عشرين سقفاً أو

(١) كتاب الاكليل عشرة اجزاء. طبع منه الثامن والعاشر . والعاشر في انساب ملوك ورجال وقبائل اليمن في القرون الثلاثة الهجرية الاولى وما قبلها . وفيه الف والسمين . والجزء الاول والثاني موجودان على ما يستفاد من مقدمة كتاب ملوك حير واقبال اليمن الذي سبق ذكره والذي فيه قصيدة نشوان الحميري وشرحها . والجزء الثامن ايضاً فيه الف والسمين كمعظم الكتب العربية وقد احتوى كثيراً من الغرائب والعجائب والمبالغات بل والمقارنات . ولقد احتوى فيما احتواه كلاماً فصيح المارة من منظوم ومثثور لملوك واقبال ورجال قدماء عاشوا قبل البعثة بقرون عديدة قد تبلغ المئنة مما لا يصح قطعاً فضلاً عن ما احتواه من مأثورات عن شعر الجن في قصور اليمن ومخافدها . والشئ المفيد فيه وصفه اليماني لكثير من آثار واحلال قصور اليمن ومدنها وسدودها واسماها مما فيه الدلالة على ما كان في اليمن من عمران ومدينة ضخمة في أدوارها القديمة . ومع ان هذا الجزء مقود فيا هو مقود عليه على خطوط المسند فإنه لم يمتحوا إلا جملة حبرية او سبئية واحدة بخط المسند كتب عبارتها بالحروف العربية وهي « او سله رقتان وبنو في عسر يطاع وبارم » ثم حروف الابدية المستدية . وما عدا هذا من المساند كتبت بالحروف العربية والصفية الفصحى ولا ندري هل ترجمت عن اللغة القديمة أو اقتطعت اقتطالا .



قصر من قصور اليمن
نقلا من الجزء الثامن من تاريخ العرب قبل الاسلام
للدكتور جواد علي

طابقاً بعضها فوق بعض وما بين كل سقف وسقف عشرة اذرع . وفيه يقول الهمداني
وصفاً لفخامته وضخامته ^١ :

(١) الاكليل ج ٨ ص ١٦

من بعد غمدان النيف واهله
يسمو الى كبد السماء مصعداً
ومن السحاب معصب بهامة
مثلاً حكي بالقطر منه صخرة
وبكل ركن رأس نسر طائر
متضمناً في صدره قطارة^١
والطير واقفة عليه وفودها
ينبوع عين لا يصرد شربها
برخامة مبهومة فعتى ترد

وهو الشفاء لقلب من يتفكر
عشرين سقفاً سمكها لا يقصر
ومن الرخام مناطق ومؤزر
والجزع بين صروحه والمرمر
أورأس ليث من نحاس يزأر
لحساب اجزاء النهار تقطر
ومياها قنواتها تنهدر
وبرأسه من فوق ذلك منظر
أربابه مدخوله لم يعسر^٢

وفي صدر قصر عظيم مؤلف من أربعة عشر بناء أو قصرأ قال الهمداني في وصفها أن
منها ما هو متصنع مشعب ومنها ما هو عامر وأنه دخل العامر منها وهو بواجهة من
الحجارة البلاطية داخلاً وخارجاً لا تری فيها فصلاً ما بين الحجرين وفيه اعمدة طول الواحد
منها بضعة عشر ذراعاً . وفي مسجد النصر أساطين ليس في المسجد الحرام مثلاً . وقبالة
قصر الملك بلاطة مستقبلة للشرق عليها صورة الشمس والقمر .

وفي ظفار قصور عديدة منها قصر ويدان الملكي وقصر شوحطان وقصر كوكبان .
وهذا مؤزر الخارج بالقصة ومنطق بالفسيفاء والجزع .

وفي مأرب قصور عديدة منها قصر سلحين وقصر الهجر وقصر القشيب التي ما تزال
آثارها موجودة . واعمدة العرش السفلي في قصر سلحين ما تزال قائمة ولو اجتمع جيل على
أن يصرعوا وحداً منها ما قدروا لأن كل عمود له ثقب في الصفا ثم القم أسفله وصب
بينها القطر .

وقد ذكر الهمداني بالاضافة الى القصور التي وصفها بهذه الاوصاف اسماء عدد كبير
من القصور مثل صرواع وبينون واضرعة والسيد وبرايش وروثان وشبام وريام واحور
وذو فائش وشعرار والنضد والديل ودامغ وضر وغيمان وسحر واعطام وسنحاروتوفان
وحمر وديعان وشهر وتلغم وأحلب ومعين وحذقان واردع وبلقيس وموكل . والظاهر

(١) قالوا انها ساعة مائة والوصف يفيد صحة القول

(٢) ان الهمداني شعراً وصفاً لكثير من القصور والسدود والاحداث نكتفي منه بهذا النموذج من

الاشارة الى المهم منه .

أن هذه القصور قصور الاقيال والادواء حيث بينها بعض اسماء الخاليف التي أوردناها قبل . ويقول الهمداني عن قصر غمان ان فيه حائطامدورا كوى - نوافذ - على جنبات مشارق الشمس ومغارها مرتبة حسب سيرها لتشع الشمس في كل يوم في كوة منها كما أن فيه مقبرة عطاء حمير وملوكها .

وقد ذكر الهمداني فيما ذكره انه كان في منطقة بخلاف يحصب وحدها ثمانون سداً بما يدل على كثرة السدود التي انتشرت في مختلف أنحاء اليمن وأدت الى ازدهار الزراعة وال عمران منذ الازمنة القديمة . وبما ذكره من اسماء السدود التي ما زالت قائمة قليلاً أو كثيراً قصمان وديوان وشحران وطحمان وعباد ولحج وسحر وفي شحال وتناطه وفي ربيع ونضار وهران والشعبان والملليكي والنواس والمهاد والخانق وسيان وخيرة وبيت كلام وشبام .

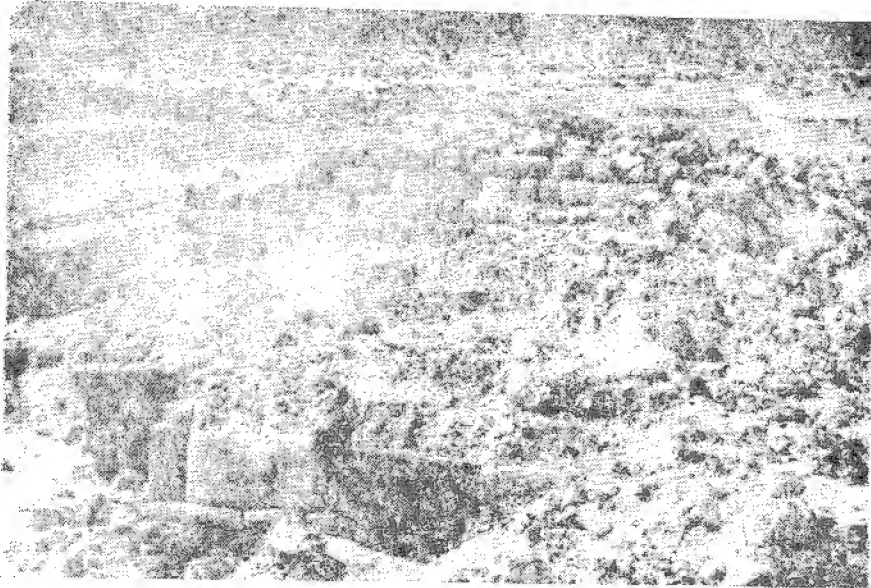
ويتوج السدود سد مأرب الأعظم الذي يبلغ طوله من الشرق الى الغرب ٨٠٠ ذراع وعرضه ١٥٠ وارتفاعه بضعة عشر . ولا تزال جهته الغربية اليسرى قائمة الى الآن . وقد انشئ في العهد السبئي على ما شرحناه في الجزء الاول ، فظل الحميريون يتعهدونه ويتنفعون به ، وأخذ في أواخر عهد هذه الدولة ثم في زمن حكم الاحباش يتصدع فيثير الرعب في سكان منطقته . ولعل السيل العرم الذي ذكر في القرآن والذي قالت الروايات العربية ان كثيراً من قبائل اليمن نزحت عن مواطنها بسببه كان نتيجة لتصدع كبير طرأ على السد فكان منه شبه طوفان حمل الناس على الفرار والتزوج . وفي نص ابوهته ما يفيد ان التصدع كان يثير الفزع في الناس ويحلمهم على الفرار على ما ذكرناه قبل .

واسم السد الأعظم من اسم العاصمة السبئية الاولى الذي ورد في النقوش القديمة بصيغة مريبو ثم تطور في العهد الحميري الى لفظ مأرب نتيجة لتطور اللغة في طريقها الى الفصحى .

واسماء السدود والقصور عربية فصيحة . ومع احتمال تعديلها قبيل الاسلام أو بعده حينما شاعت اللغة الفصحى وعمت فإنها تحمل طابع القدم وطابع العروبة الصريحة معاً بما يسوغ القول إنها منشأة أو مجددة أو مرعجة في عهد الدولة الحميرية وفي دور العروبة الصريحة .

المدن والحصون اليمنية القديمة

ولقد احتوى معجم البلدان لياقوت الخوي اسماء عدد كبير من المدن والحصون والقصبات والقرى المهمة اليمنية التي كانت قائمة في القرن السابع الهجري عليها لحة القدم التي تسوغ القول إنها أو على الأقل ان كثيراً منها قد قام قبل الاسلام . ومنه ما يحتمل يكون قد قام في زمن الدولة الخيرية ومنه ما يحتمل أن يكون قد قام قبلها واستمر الى عهدنا ثم استمر مع ما قام في عهدنا الى ما بعد . ولعلها أو لعل كثيراً منها مستمر الى اليوم .



خرائب حصن أو مدينة الاخدود في نجران اليمن
نقلا عن الجزء الرابع من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

وفيه دلالة على ما كان من استعمار العموان في ذلك العهد العربي الصريح قبل الاسلام يمتد بعضه الى ما قبل هذا الطور . وهذه هي مرتبة حسب حروف الهجاء جرياً

على ترتيب المؤلف مع التنبيه على ان المؤلف نسب كثيراً منها الى مخالفين اليمن ومدنها
القديمه التي كانت سابقه يقيناً على العهد الاسلام كما انه فيه على قدم كثير
منها أيضاً^(١).

أب ، إب ، ابیده ، انتلاء ، أثافت ، أعلى ، أوتل ، أرحب ، أوياب ، أسيل ،
أشعار ، أفرعة ، أضوح ، اعلاق ، اعيار ، اعين ، اقناب دثر ، الامراء ، انسب ، انود ،
بئر الشعوي ، باصر ، باور ، بايات ، بحتو ، بدس ، براش ، بواقش ، برع ، برك البقار ،
البروتية ، بطان ، بعدانية ، بكر ، يوار ، بوس ، بوصان ، بون ، بيت الخردل ، بيت
ودم ، بيت رب ، بيت عذوان ، بيت العذن ، بيت عز ، بيت فايش ، بيت محرز ،
بيت نغم ، بيت برام ، يشة ، بينوه ، تباله ، ترابه ، تفكر ، تفشر ، التلبع ، التن ،
التو ، التوية ، ثربان ، تويد ، ثقبان ، ثلا ، ثاد ، ثمر ، الثومة ، جبا ، جبار ، جيلان ،
جدرين ، الجرادي ، الجربتان ، جرت ، جرش ، جريب ، الجوة ، جوبة صبيا ،
حوزان ، الحوبة ، حبله ، حازة ، حباوه ، حمافد ، الخال ، نجبه ، حجر ، حجور ،
حجة ، حجيان ، الحدة ، حديد ، حرده ، حرص ، حريو ، حريم ، حزمان ، حزين ،
حصير ، حضارة ، حضواء ، الخفية ، حلبة ، حلى ، حماك ، حمزان ، حمص ، حمل ،
حناك ، حولان ، حياده ، حيس ، الحيق ، الحية ، الحاروف ، الحباثر ، حبان ، نجبع ،
خدار ، خدد ، خيمة ، خشعان ، خيره ، الخصوف ، خلة ، خمابن ، دبو ، دثر ، الديشه ،
داسر ، الدساح ، دفا ، الدماوه ، الدويمة ، ذبوب ، ذحل ، ذراح ، ذراة ، ذروان ،
ذمار ، ذمرمر ، ذمووان ، ذروه ، الراحة ، راح ، راس وريسان ، راسة ، الرحبة ،
راع ، رعان ، رزيق ، الرصد ، رعافه ، رماده ، ريده ، ويدان ، ريشان ، ريحه ،
زاهد ، زبران ، زبيد ، الزحر ، الزرائب ، الزلاء ، زفار ومار ، سائبة ، سايس ،
ساوه ، ساعد ، ساقه ، سانه ، سحله ، السد ، سقال وفسقال ، سفع ، سلحين ،
سكهان ، سلوق ، سحابة ، سحندان ، السمعانية ، سناج ، ستيان ، سهل ، سهين ،
سهنه ، سير ، شاحط ، شار ، شمام ، شوه ، الشجان ، شجبان ، شحاط ، الشحر ،
شخب ، شذوف ، شروم ، شريبع ، الشرب ، شعبين ، الشرح ، شلاتين ، شواحطه ،

(١) لم نضطرر الى ارقام المعرف لان الرجوع اليها سهل بسبب ترتيب المؤلف كتابه على ترتيب

شوكان ، شاره ، شيعان ، الصاد ، الصبوات ، صبيا ، الصردف ، صرو ، صرواح ، صمام ،
صنعا ، صنعة ، صهر ، الضجاع ، ضراس ، ضراعة ، الضريوة ، ضميم ، خوران ، طبا ،
الطلوية ، طهام ، ظفار ، ظفران ، الظفر ، الظفير ، ظهور ، عاثين ، عبدل ، العبيره ،
عتم ، عتمه ، عثر ، العجود ، العجلة ، عدفان ، عدن ، عُدَيْنة ، عديقة ، العروس ،
العروسين ، العروند ، عزات خبت ، العسله ، العشقان ، عصنان ، عصم ، عضوان ،
عقار ، العلانه ، عمان ، علوس ، الصاكر ، عيمقان ، العنبه ، عندل ، العوادر ، عوادن ،
عيان ، عيانه ، غابر ، الغبره ، الغراي ، غريان ، فثال ، الفص ، فعن ، الفقتين ، الفلق ،
الغليق ، غفر ، فرغان ، القائسة ، قبتان ، القحمه ، قدقدا قرواد ، قراضه ، قراف ،
قرايح ، قرب ، قرظان ، قرعد ، قرن بقل وقرن باعر ، القزيه ، القطاط ، قطين ،
القسمه ، القفاعة ، قفل ، قلاخ ، القمه ، قلمان ، قنبه ، قنقل ، قنفذه ، قوارير ،
قياض ، قيقان ، قين قيله ، الكبينه ، كسين ، كدراء ، كدم ، كرعه ، الكسر ،
كشر ، كشور ، كاللى ، كوئ ، الكونه ، كومل ، كهال ، لاحج ، لاعة ، الاولوه ،
لسيس ، الليمه ، ماجد ، ماجن ، مشوب ، محالب ، المحله ، محواش ، مخا ، محدره ،
مخرقه ، المخرفين ، مدام ، مدر ، المنجرحه ، المراحصه ، مرخه ، مرمر ، المزهد ،
مسور ، مشاصيح ، مشفوره ، المشقر ، المشوكة ، مصنعة بني بداه ، مصنعة بني حبيش ،
مصنعة بني قيس ، المصنعتين ، المضار ، مطر ، مطه ، معين ، معين ، معينه ، المقرانه ،
مقرية ، مقوله ، الكتب ، الملة ، مسند ، منزر ، منهات ، منيف ، الموافر ، موو ،
موزع ، موهبه ، المهجم ، مهبجرة ، مهرات ، الورقه ، وروو ، وساع ، وعل ، وعلان ،
وفن ، وقش ، الهام ، الهجران ، الهداكة ، هران ، فوهزيم ، هكر ، الهليه ، هنن ،
نقو ، النوايه ، نواده ، النواش ، نوب ، والاي جنان ، وادي الشرب ، والله ، نباح ،
النيله ، نجاويز ، النجير ، النجيمه ، نخلان ، ندد ، الندى ، الهويت ، هيويه ، يازل ،
يحير ، يراخ ، يريم ، يقاع ، يغو ، يمين ، اليمنين .

انساب القبائل القحطانية وتفرعاتها في الكتب العربية

ولقد احتوت الكتب العربية روايات كثيرة عن أنساب القبائل القحطانية وتفرعاتها
فأرأينا من تمام الفائدة ان نغرد مبحثاً خاصاً لذلك في آخر هذا الفصل .

وننبه قبل كل شيء الى ان ما جاء في هذه الكتب مزيج كالعادة من الفث والسين والضارب والتداخل والتخمين والخيال . ولقد جاءت جميع الاسماء والمسميات بالصفة النصحي مع ان منها ما يعود الى قرون عديدة قبل الاسلام أي في ظرف لم تكن اللغة العربية قد وصلت الى طورها الفصح الاخير الذي نزل به القرآن الكريم بل والى ما يقرب من ذلك .

ومع هذا فإنه يلوح أن ما ذكرته هذه الكتب من ذلك يمثل واقع الحال في القرون السابق للبعثة النبوية وما يرويه رجاله ونسابوه باللغة الفصحى التي صارت لغتهم بالنسبة لما هو أقدم حيث يرجح أن الاسماء والمسميات كانت متداولة وقائمة في هذا القرن وظلت موجودة الى زمن البعثة النبوية ثم في المهود الاسلامية التالية لها مما يسوغ للمؤرخ ان يأخذ به بعين الاعتبار .

والكتب العربية تحمل حمير وكميلان ابني سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان رأس القبائل القحطانية ومردّها حيث تذكر اسماء أولادها ونحو ذريتها وغدوها قبل الاسلام قبائل وبطوناً لا تكاد تحصى منها من بقى في اليمن ومنها من نزح قبل الاسلام الى شمال الجزيرة وبلاد العراق والشام وجزيرة الفرات ومنها من نزح الى هذه البلاد والى وادي النيل وبقيّة شمال أفريقيا بعده .

واليك الآن ملخصاً عن هذه الاسماء والمسميات^(١) .

١ - يروي الرواة ان حمير اولد تسعة اولاد هم الهيمع ومالك وزيد وعريب ورائل ومسروح ومعدى كرب وأوس ومرة، ومن هؤلاء تكوّن أصول القبائل الحويرية وهي حسب رواياتهم :

بنو مرة وبنو الاموك وبنو خيران وبنو رعين وبنو هوزن والاوزاع وبنو شعبان وبنو عبد شمس وبنو شرعب وبنو زيد الجهور وبنو الصوار . وبعض الرواة يزيدون في الاسماء وبعضهم ينقصون . وقد اعتمدنا ما اورده جواد علي

(١) هذه الاسماء والمسميات مقتبسة من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ٢٣٤ - ٢٨٢ والعقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٢٤٢ - ٢٧٠

٢ - من القبائل الكبرى التي ينسبها بعضهم الى حمير وبعضهم الى معدين عدنان أو يعتبرها بعضهم جذماً قائماً بذاته وأصلاً من اصول قبائل اليمن « قضاة » ، والذين ينسبونهم الى حمير يدكرون نسبها هكذا : قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير . وقد روى النسابة أنه كان لقضاة ثلاثة أولاد هم عمرو وعمران وأسلم ومنهم تفرعت قبائل وبطون قضاة فمن عمرو تفرعت قبائل حيدان وبلي وبهراء ، ومن عمران تفرعت قبائل حلوان ومن أسلم تفرعت قبائل سعد هذيم وجهينه وتهد .

ثم تفرعت من حيدان بطون أو قبائل يزيد وعريب وعريده وجناده ، ومن بلي بطون أو قبائل فزان وهني ، ومن بهراء بطون أو قبائل بني قاسط وعبيدة وأهود ومبشر وهنب وفائش وشبيب ومطروود وثالة وعكرمة ومغلبة وبني سعد . وتفرعت من حلوان قبائل تغلب وربان أو علاف (اسم آخر لها) ومزاح وعمرؤ أو سليح (اسم آخر) وعابيد وعائذ ويزيد . وتفرعت من تغلب قبائل بني وبره وأسد والنمر وكلب والبوك وثعلب . ومن ربان تفرعت قبيلة جرم الكبرى . ومن سليح تفرعت قبائل بني حماطة أو بني ضجعم (اسم آخر بني حماطة) وأشجع وعمرؤ والأبصر والعبيد . ومن بني أسد تفرعت قبائل يثم الله وشيع اللات . ومن يثم الله تفرعت قبائل فهم أو تنتوخ (اسم آخر لفهم) . ومن تنتوخ تفرعت قبائل فهم وثرار ولوث . ومن شيع اللات تفرعت قبيلة بني القين . ومن بني القين تفرعت بطون جشم وزعيزعه وأنس وثعلبة وفالج وكعب وكنانة ومالك ومعاوية . ومن قبيلة بني وبره تفرعت بطون التيم وجعشة ووائل وقبة وغاضرة

٣ - ولقد غدت كل قبيلة كبرى تزح منها بطون كثيرة استقرت في أنحاء تهوك ودومة الجندل وأطراف الشام . ومن هذه البطون قبائل وقيدة وعرينه وصحب وبني كنانة . ومن قبيلة بني كنانة هذه بطون بني عدى وبني زهير وبني عيلم وبني جناب .

٤ - وقد غدت جهينه المتفرعة من أسلم قبيلة كبرى بدورها تفرع منها قبائل قيس ومودعته . وتفرع من قيس قبائل غطفان وغيان . التي لها اسم آخر هو وشدان .

٥ - وغدت قبيلة سعد هذيم بدورها قبيلة كبرى وقد تفرع منها بنو عذرة . وتفرع من قبيلة بني عذرة بنو ضنة وبنو بلهمة وبنو زقرقة وبنو الجلهاء وبنو حردش وبنو مدلج

وبنو رفاعة وبنو كثر وبنو صرمه وبنو حرام وبنو نصر .

وقد تزح بطون عديدة من سلبح الى بلاد الشام ، وكان لهم فيها ملك قبل ملك
الفساسنة . وقد تزح بطون عديدة من بلي وجهينة الى شمال الجزيرة . وقد تزح بعض
بطون من بني عذرة الى الحجاز أيضاً .

٦ - اما كهلان اخو حمير فإنه خلف كذلك ثلاثة أبناء وهم مالك وعريب
وغالب .

وخلف مالك خياراً ونبثاً . وخلف عريب يشجب الذي له اسم آخر هو عمر .
وخلف خيار ربيعة وخلف ربيعة أو سله أو سلة زيدا وزيد مالكاً وسبيماً وساعاً
وتبسماً وعبدأ . وخلف مالك حمدان والهانأ . وخلف همدان نوفاً وخلف نوف حاشداً
وبكيلا . وخلف عريب يشجب أو عمر . وخلف يشجب عمرو أو المبيع الصعب وزيداً .
وإلى هؤلاء تنسب القبائل الكهلانية .

٧ - ولقد كان من أبناء بن مالك القوت ومن القوت عرو والازد الذي تنسب اليه
قبيلة الازد الكبرى . وقد خلف الازد مازناً ونصراً وعمرأ وعبدالله ووقدان والاهبوب
وخلف مازن مرأ وعدياً وكعباً وثعلبة . وخلف ثعلبة عامراً وكرزاً وامريء القيس .
ومن امريء القيس حارثة ومن حارثة عامر المعروف بماء السماء وعدى .

ومن هؤلاء تكونت قبائل وبطون الازد . ويضيف النسابون قبائل الازد اربعة
أصناف حسب الاماكن التي تكشفت فيها . فهناك أزد عمان الذين تكشفوا في السواحل
الشرقية ومنهم بنو الجلندي حكام عمان وبنو عبيد القيس حكام البحرين . وهناك أزد
السراة الذين أقاموا في سراة اليمن . وهناك أزد شنوده الذين ظلوا مقيمين في اليمن قبل
الاسلام .

وهناك أزد غسان وهم الذين تزحوا ونزلوا على مساء غسان في شمال الجزيرة
كمحلة أولى .

وأسماء القبائل المتفرعة من الازد وبنين والتي ذكرها جواد علي هي : حقتة وغسان

والأوس والخزرج وخزاعة ومأذن وزهران وبارق والمع والحجر والعقيل ورأس
وعامد واللبة وماله وطب ودهمان وخدان وشكر وعك ودوس وفهم ولجهاضم وعوف
والأشقر والقسامل والفراهم وبنو زمان وعدنان وقرن وبنو طريف وربيعة وأمريء
القيس وسعد والضيق . وزاد مؤلف العقد الفريد على هذه الأسماء أسماء بني ماسخه وبني
معاوية - ومن هؤلاء آل الجلندي في عمان - وبني خشمعة .

وقد تزح من هؤلاء جفنة وغسان إلى الحجاز ثم إلى بلاد الشام والأوس والخزرج إلى
يثرب وفهم الذين منهم تنوخ إلى بلاد الشام والعراق وبعض بطون بني معاوية إلى
السواحل الشرقية وسعد والضيق إلى البحرين ودخلوا في عبد القيس وربيعة وأمريء القيس
إلى الشام ودخلوا في غسان : وبنو طريف إلى الحجاز وخزاعة إلى الحجاز أيضاً وكان
لهم الحكم فيه . ومن ينتسب إلى خزاعة في الحجاز بطون كعب ومليح وسعد وبنو
سلول وبنو قهير وبنو المصطلق .

٨ - أما الابن الثاني للقوت بن مالك بن نبت وهو عمر فقد تكونت من ذريته قبيلة
أفامر الكبرى مع التنبيه إلى أن بعض النسابين نسبوها إلى نزار .

وقد أولد أفامر خشم وخزيمة ووادة وعبراً والقوت وصيبة وأشهل وشهلا وطريقاً
وسنيه وخدعة . وأم خديمة ومن ذكر بعده بجيلة وقد سميت البطون التي تكونت من
أبنائها باسمها وهكذا يرجع النسابون قبائل أفامر إلى أصلين خشم وبجيلة . وقد أولد
خشم ولداً اسمه خلف ومن نسله عفرس ومن عفرس ناهش وشهران وناهب ونهش
وكودو وربيعة ومن ناهش ناهس واجرم وأوس مناة وعنه وقحافة . وكل هؤلاء صاروا
قبائل وبطوناً . وكانت منازل خشم في الهضبة الممتدة من الطائف إلى نجران عند طريق
الهواكل الممتد من اليمن إلى الحجاز . ومنها بطون في تهامة وعسير .

وقد تفرعت عن بجيلة بطون عديدة أيضاً من أشهرها قسر وعلقمة وبنو أحمر وقيس
كعب وبنو عرينه وبنو دهن .

٩ - وأغرق قبائل المجموعة الثانية من قبائل كهلان هي قبيلة همدان . وكان لها
شأن خطير في الجاهلية والإسلام . وقد أولد همدان نوباً وعمراً ورقاشاً . ومن نوب

جبران أو خيوان . ومنه جشم وزيد . وقد أوالد حاشد جثا وعوصاً . وأولاد جشم مالكاً ومعد بكرب وعمرؤا وأسعد وعريباً وزيدا ومرثدا وضماماً ويريم الأكبر وعامراً وربيعة . وأولاد مرثد ناعطا والحارث وأولاد ناعط مرثدا وشراحيل وعامراً وشرحيل وأولاد شرحيل أفلح وولد أفلح عميرا . وقد تكون من كل من هؤلاء القبائل المهدانية التي كان أشهرها قبيلتنا حاشد وبكيل . ثم قبيلة مرشد التي تنتسب إلى مرشد بن جشم بن حاشد . ومن البطون المتفرعة بكيل بنو لعوة وبنو جذلان وتعلان وبنو دومان والنشقيون وبنو صعب وبنو مرهبة وبنو أرحب وبنو عليان وبنو حجور وبنو قديم وبنو فائس وبنو شاحا وبنو حجون وبنو أيزن وبنو شيام وبنو جعفران وبنو حدان وبنو ناعط وبنو المشعار .

١٠ - وأشهر قبائل مجموعة عريب بن زيد بن كهلان قبائل الأشعر وطى ومنحج وبنو مرة ، والأشاعرة ينسبون إلى بنت بن أدد . ومنازلهم في شمال زبيد ومن بطونهم الجاهل وجدة والأنعم والارغم ووائل وكاهل وغاسل وقاجيه والحنيك والركب وتنسب طي إلى جلهمة بن أدد . وقد نزلت إلى الحجاز ثم إلى نجد واستولى على جبلي اجأ وسلمى وصارا يعرفان بجبلي طي . ومن البطون التي تفرعت من طي جديلة وبنو الله وحاشد والأسعد وبنو بختر وبنو نهبان وبنو هني وبنو تعل والتعالب وسلامان وجرول وبختر ومعن وربيعة ولوذان والآخرم والنجد . وكانت منحج أيضاً قبيلة ضخمة ومن البطون أو القبائل المتفرعة منها مراد وسعد العشيرة وعنس . وجلد . وقد تفرع من مراد بطون قاجية وزاهر ومالك وكنانة ويشكر وردمان وغطيف وتفرع من ردمان بطون قرن وثابية وتفرع من زاهر بطون بني الحصين والصقايح . وتفرع من قبيلة سعد العشيرة بطون الدئل وأسلم وجعفي وبنو صعب ومران وعائد ومن بني صعب بطون أدد ومنه الذي يسمى زبيدا . ومن زبيد بطن مازن . وتفرع من خبلة جلد بن منحج بنو علة والنخع وبنو الحارث ووهاء وجداء . وتفرع من النخع بطون صهبان ووهبل وجسر وجديمة وقيس وسحارثة وصلاة ورزأم والأزت . وقد تفرع من بني مرة حولان ومعافر وحثم وجذام وعامله وكندة . وقد نزلت لحم وجذام وعاملة إلى بلاد الشام والعراق كما نزع بطون من كندة إلى العراق وبادية الشام . وتفرع من قبيلة جذام بنو خبيب وبنو مخرمه وبنو بعجة وبنو فنان . ومعظم هؤلاء نزحوا إلى الحجاز والشام . وتفرع من

كندة بطون السكون . والسكاسك . وتفرع من السكون بطون بنو عدى وبنو سعد وتجب .

ولقد عقد المحدث في الجزء العاشر من كتابه الاكليل الذي نشرته المطبعة السلفية بتحقيق صاحبها السيد محي الدين الخطيب عام ١٣٦٨ هـ على أسماء الاصول والارومات والبطون الكهلانية دون الميرية مع ان عنوان الكتاب (الاكليل . من اخبار اليمن وأنساب حمير) . وقد وقف عند أسماء كثير من مشاهير المنتسبين والمتفرعين عن تلك الارومات والبطون في عهد الجاهلية والاسلام معاً شارحاً سيرتهم بأسلوب مزيج كالعادة من الغث والسمين والحقيقة والمفارقة .

وبين أسماء الاصول والفروع من الانساب والبطون وبين ما لحقناه في الصحف السابقة تطابق كبير . ولما كان ما عدا ذلك ليس من منهج هذا الجزء فقد رأينا أن نكتفي بهذا التنويه .

الفصل الثالث

تاريخ وآثر العرب في شمال الجزيرة

في هذا الدور

- ١ - تمهيد
- ٢ - المملكة الكندية
- ٣ - ممالك البحرين والسيارة وعمان واليمامة
- ٤ - ممالك ثمود والحيان وتيماء الجرهاء
- ٥ - نظام الحكم في مكة
- ٦ - نظام الحكم في الطائف
- ٧ - نظام الحكم في يثرب
- ٨ - اليهود في يثرب
- ٩ - نظام الحكم في القبائل الشمالية واسلوب حياتها وبعض احداثها
- ١٠ - ايام العرب
- ١١ - انساب القبائل العربية في شمال جزيرة العرب واسماءها وتفرعاتها
- ١٢ - القبائل القحطانية في شمال الجزيرة
- ١٣ - الحالة الاقتصادية والاجتماعية والدينية في شمال الجزيرة في هذا الدور

مقدمة

وكما هو شأن شمال الجزيرة العربية قبل دور العروبة الصريحة في عدم قيام دول شاملة السلطان قوية النشاط فيه على ما نبهنا اليه في آخر الجزء الاول كان شأنه في دور العروبة الصريحة حيث لم يقم فيه دول شاملة السلطان قوية النشاط لأن الأمر متصل بالطبيعة الجغرافية التي كان ينسجم بها هذا الشمال على ما ذكرناه في الجزء الاول . وكل ما كان من أمر قيام أمارات ومشيخات ودول محلية محدودة السلطان والنطاق .

ومن الجدير بالذكر أنه لم يعثر في هذا الشمال على نقوش يمكن الاستدلال منها على هذا أيضاً إذا استثنينا النقوش الليثانية والشمودية التي اشرنا إليها في الجزء الاول ، والتي كان معظمها مقتضباً ومشوهاً في نفس الوقت ، والتي يمكن أن تفيد أنه كان في المناطق التي وجدت فيها وهي في أعالي الحجاز على طريق بلاد الشام مما هو معروف بمنطقتي العلا ومدائن صالح حكم عربي يقوم عليه امرأه من اهل البلاد مستقلين حيناً وتابعين لدولة الانباط في البلقاء أو دولة المعنيين في جنوب الجزيرة على ما شرحناه في الجزء الاول أيضاً . ولم يرد كذلك في المدونات اليونانية والرومانية القديمة شيء ذو بال في هذا الباب . ولذلك فسيكون المعول في عرض ما قام في شمال الجزيرة العربية على المصادر العربية التي قلنا في مطلع هذا الجزء أنها بالنسبة لهذا الدور أجدر بالاعتماد منها بالنسبة الى دور ما قبل العروبة الصريحة وإن من الحق أن نقول ان ما ورد فيها من ذلك قد شيب بكثير من الخلط . ومع ذلك فإن ما ورد في هذه المصادر قليل مقتضب أيضاً لا يمكن أن يساعد على عرض صور وافية وكثيرة من صور الحكم والسلطان .

أما صور الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية فقد تكون أحسن حالا لأن هذه المصادر قد احتوت أشياء كثيرة من ذلك ولو أنها قد شيبت هي الاخرى بكثير من الخلط .

على ان في القرآن الكريم صور كثيرة عن هذه الحياة وان كان جاء بأسلوب الوعظ والتذكير لا بأسلوب التاريخ والقصص . وسيكون عليه مع ذلك تعويلنا في ايراد هذه الصور مع الاستئناس بالمصادر العربية .

لقد تحدثت الروايات العربية عن كنده وملوكها وأحداثها أكثر من حديثها عن أي دولة أو إمارة قامت في شمال الجزيرة في هذا الدور . ومع ذلك فقد تعددت الروايات واختلفت بل وتناقضت واختلطت فصار من العسير تبين الحقيقة من خلالها بوضوح وثقة .

وأول خلاف في الروايات في قحطانية وعدنانية كنده أو هل هي من قبائل جنوب الجزيرة أو شمالها ؟ حيث يقول بعض الرواة أنها جنوبية وأنها كانت تقطن في منطقة حضرموت فنزعت إلى نجد بسبب خلاف وتزاع نشب بينها وبين بعض القبائل نالها منه الأذى والضرر ، وحيث يقول بعض آخر أنها شمالية في أصلها . وقد ذكرها مؤلف قديم اسمه نونوس بصيغة Irndnlua madaynai أي كندية المعدية وقال إنها أشهر القبائل عدداً ومكانة وإن لها ملكاً اسمه kauisus (قيس) ومع أن معداً من عدنان فإن كلام هذا المؤلف لا يصح أن يؤخذ حجة . فالملك الذي ذكره وقبيلته كانوا أصحاب الحكم والغلبة في أرض معد وعلى قبائل معد . وهذا لا يتعارض مع احتمال كونها جنوبية الأصل نزحت إلى الشمال واستطاعت أن تفرض نفسها وحكمها على منطقة منه . وفي روايات السيرة ذكر لكنده كقبيلة من قبائل اليمن أرسل النبي ﷺ إلى زعمائها بني معاوية رسالة يدعوهم بها إلى الإسلام كما أرسل إلى زعماء الجنوب وإقباله . ووفد عليه منها وفد على رأسه الأشعث بن قيس (٢) . وهذا قد يرجح أنها من أصل جنوبي أو قحطاني ويفيد في الوقت نفسه أن القبيلة لم تنزح جميعاً إلى الشمال وإنما نزح بعض فروعها وبقي فروع أخرى في موطنها الأصلي ؟ بل ربما كان دليلاً حاسماً ، لأنه لم يذكر أحد أن قبيلة ثانية كانت تسمى باسم كنده .

وثاني خلاف في الروايات أولية ملك كنده . فقد روى بعضهم أن كنده حينما حلت في أرض معد واستطاعت أن تغلب عليها ملكت زعيماً من زعمائها اسمه مرتع بن معاوية بن ثور ثم ملك بعده ابنه ثور ثم معاوية بن ثور ثم الحارث بن معاوية ثم وهب ابنه ثم حجر بن عمرو الشهير بأكل المرار في حين روى بعضهم أن حجراً هذا هو

(١) معظم هذه النبذة مقتبس من تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ج ٣ من ٢١٥ - ٢٧٣

(٢) انظر طبقات ابن سعد ج ٢ من ٢٩ و ٩٣

اول ملوك كنده وأن الذي ولاه الملك هو حسان بن تبع او تبع بن كرب ملك حمير
حينما دوسخ بلاد العرب ثم خلفه ابنه عمرو ثم الحارث بن عمرو وهو جد امرى القيس الشاعر
الجاهلي المشهور .

ولا يستبعد أن تكون كثرة الروايات والافاقيص الكندية بسبب امرى القيس
وشهرته وشاعريته ولا نرى طائلا من استعراض الروايات وتجميعها لأن الخلط والمفارقة
تبدو عليها كلها . ولكننا نقول إن الملك الكندي يبدو على كل حال وخاصة منذ حجر
بن عمرو من الحقائق التاريخية مهما اتسم بالخيال والافاقيص .

ومن الروايات التي قد تكون فيها بعض الحقيقة انه حدث خلاف بين ملك الفرس قباد
وبين المنذر بن النعمان ملك الحيرة أدى الى غضب الاول على الثاني ومطاردته له ؛ فاعتصم
الحارث بن عمرو الفرصة وكان يناقش المنذر في السيادة على عرب الشمال فتقرب الى قباد
فقتله ملك الحيرة ، وساعده فاتسع سلطانه حتى شمل معظم شمال الجزيرة ثم اطرافها مما
يلي باديقي الشام والعراق ، واتخذ الحيرة عاصمة له ؛ وقد اولاده حكم القبائل كنواب
عنه حيث عين حجرأ ... والد امرى القيس - على اسد وكنانه وشرحبيل على طي والرباب
وغنم ، وسلمه على تغلب والنمر بن قاسط ومعدى كرب على قيس . وهناك اختلاف في
توزيع الولايات والقبائل مع اتفاق بالنسبة لولاية حجر على اسد وكنانة .

على أن الدهر قد قلب للحارث واولاده ظهر المجن حينما مات قباد وتولى العرش الفارسي
انوشروان ، حيث سعى المنذر الذي كان تشرده عن الحيرة ايام قباد حتى حصل على رضا
الملك الجديد ثم قدم عليه فأكرمه وأعاده الى ملكه . وكان اكبرهم ان يبطش بالحارث
بن عمرو فطارده حتى ظفر به فقتله وقتل عدداً كبيراً من أنصاره ، ثم اخذ يدس الدسائس
بين ابنائه ويجرض القبائل عليهم فأدى هذا الى قتل حجر وشرحبيل ، وحاول امرى القيس
أن يثأر لأبيه ولكنه مات دون ذلك وانتهى ملك كنده الى الانهيار ؛ وقد رأينا أن
نكتفي بهذه النبذة من قصة المملكة الكندية دون استعراض الافاقيص والروايات
الشعرية والادبية لأن المقام ليس مقامها .

ويمكن القول ان الملك الكندي بدأ ضيقاً ثم اتسع ثم ضاق وانه امتد نحو مئة سنة
وانتهى في اواسط القرن السادس بعد الميلاد .

٢ - ممالك البحرين والسماء وعمان واليامة

ذكرت كتب السيرة النبوية هذه الممالك الأربع في سياق ذكر رسل النبي عليه السلام إلى ملوك العرب والعجم وامرائهم . وهذه أسماء ملوكها التي ذكرتها هذه الكتب (١) .

١ - هوذة بن علي وقمامة بن أشال اخنفيين ملكي اليامة

٢ - المنذر بن ساوى العبدى امير البحرين (٢)

٣ - نفاثة بن فروة الدثلي ملك السماء

٤ - جعفر وعباد ابن الجلندي الأزديين ملكي عمان

وقد اسلم بعضهم وحسن إسلامه وامتنع بعضهم حيث يسوغ أن يقال ان ملكهم أو حكم في المناطق التي ذكرت حقائق تاريخية : ومن المحتمل جداً أن يكون ذلك امتداداً تاريخياً أو أسروياً لما قبل البعثة النبوية بأمد ما بل ولعله امتداد تاريخي لما كان يقوم في هذه المناطق من ملك عربي الجنس منذ القديم وقبل دور العروبة وفي اثنتائه لأن طبيعتها الجغرافية مساعدة على ذلك .

والغالب ان نطاق هذا الحكم هو ما فيها اليه في آخر الجزء الاول بالنسبة لشمال الجزيرة والذي يتسق مع طبيعتها الجغرافية اي ملك محدود النطاق يقوم على رأسه زعماء الامر أو القبائل القوية وانه كان بمثابة دول مدن في المناطق التي يتوفر فيها الماء . ومن المؤسف أن لا نستطيع ذكر شيء ذي بال عن اولية هذه الاسماء والألقاب التي وردت في كتب السيرة . وجواد علي الذي لم يكذب يفلت منه شيء مما كتبه كتاب العرب وغير العرب وبما عثر عليه الاثريون لم يذكر شيئاً ذات بال عنها . بل لم يذكر اكثرها والذي ذكره منها بكلمات عابرة لأن الكتاب لم يكتبوا شيئاً هاماً والاثريين لم يعثروا على شيء على ما يبدو .

وبما ذكرته هذه الكتب ان بني عبد القيس احدى قبائل تهامة ارتحلت عن مواطنها بسبب حرب وقعت بين ابناء ربيعة الى البحرين وغلبت من كان فيها من قبائل إياد

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٥ - ٥٠ وابن هشام ج ٤ ص ٢٤٣ و ٢٧٩

(٢) لا تعني كلمة البحرين في القديم ما تعنيه اليوم من الجزر الواقعة امام الساحل الغربي من الخليج العربي بل تعني ايضاً الساحل الممتد من الكويت الى قطر .

وبكر بن وائل وتميم ؛ وان المنذر بن ساوى بن تميم^١ وكان والياً من قبل الفرس ، وان
بني عبد القيس ظلوا مع ذلك يحتفظون بمركزهم القوي في البحرين حيث ذكر ابن سعد^٢
ان النبي ﷺ كتب الى أهل البحرين طالباً منهم إرسال عشرين رجلاً منهم فقدم عليه
عشرون باسم وفد عبد القيس وعلى رأسهم عوف بن عبد الله الأشج .

ومن ذلك ان صلات هوزة بن علي بن تمام الحنفي بكسرى الفرس كانت حسنة وانه
وفد على كسرى . وان كسرى كان يرسل المير الى اليمن (القافلة التجارية) بواسطته
فيرسلها في حمايته الى بني تميم مقابل جعالة يتقاضاها من كسرى وكانت تميم توصل المير الى
اليمن مقابل جعالة بدوها . فطمع هوزة بجعالة تميم وتعهده لكسرى بإيصال المير الى اليمن
فحققت عليه تميم وكنت له وتمكنت من الاستيلاء على المير وأسر هوزة ولم تطلقه الا بقدية
ثلاثئة بعير . وذهب هوزة الى كسرى فحرضه على تميم فقطع عنهم الميرة ثم سير عليهم قوة
فكتك فيهم في يوم من أيام العرب عرف بالمشقر نسبة الى سوق كانت تقام في هذا المكان
جاء اليه بنو تميم^٣ فكانهم جاؤوا الى حتفهم .

مقتبسات من النقوش والمدونات القديمة

عن هذه المناطق

إذا كانت الكتب العربية لم ترو شيئاً قديماً ذا بال عن هذه المناطق ففي النقوش
وكتب الرحلات والجغرافية التي كتبها كتاب يونانيون قبل الميلاد وبعده بعض أشياء
من ذلك .

(١) هذا ما ذكره جواد علي ج ٤ ص ٣٠٢ ولكن نتمه بالعبد في كتب السيرة قد يدل على انه
من بني عبد القيس اصحاب الغلبة في البحرين .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٧٨ ولقد ذكر جواد علي ج ٤ ص ٣٠٢ ان المنذر كان من وفد
عبد القيس دون ان يذكر مصدراً مع ابن سعد لم يذكر ذلك . ولقد ذكر جواد علي ايضاً ان المنذر
كان والياً على البحرين لكسرى في حين ان ابن هشام نتمه بملك البحرين دون ذكر علاقته بكسرى
وذكره ابن سعد بصيغة تدل على انه صاحب البحرين ولم يذكر بدوره علاقة له بكسرى .

(٣) جواد علي ج ٤ ص ٤١٠-٤١١

فقد عرف من النقوش العراقية^١ أن نارام سين الملك الأكادي الذي حكم العراق في القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد أو قبل ذلك أو بعده حسب اختلاف الباحثين قد غزا منطقة Magan وأخضعها وأسر ملكها Mannu dannu وقد ضمن الأثريون منطقة مجان أو مغان هذه أنها منطقة عُمان كما قالوا أن كلمة Mannu تعني أنها المقنن أي أنها وصف للملك مانو الذي يمكن أن يكون اسمًا محرفًا عن معنأو أو معن . والسحة العربية القديمة بادية على اسم الملك والمنطقة حيث يفيد هذا أن الجنس العربي قد أنشأ الممالك في هذه المنطقة منذ تاريخ سحيق في القدم بالنسبة لما عثر عليه من تسجيلات في جنوب الجزيرة .

كذلك عرف^٢ من النقوش التي سجلها سرجون وآشور بانيبال الملكين الآشوريين اللذين حكموا في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد على ما شرحناه في الجزء الثالث أنها غزوا وأخضعوا بلاد Dilmun أو Tilmon المشهورة بشورها ونحاسها وأشجارها . وقد ضمن الأثريون أنها جزر البحرين والسواحل المقابلة لها . حيث يفيد هذا كذلك أن الجنس العربي قد سكن في هذه المنطقة وأقام فيها الممالك وكان منه نشاط حضاري عظيم .

أما كتب الرحلات والجغرافية التي كتبها كتاب من اليونانيين وغيرهم قبل الميلاد المسيحي وبعده فقد احتوت أسماء عدد غير يسير من المدن والقبائل في هذه المناطق جاءت مشوهة بسبب التهجئة والحروف الأعجمية وهذه خلاصة لها :

١ - اسم Tylos^٣ كجزيرة أمام الساحل الذي يسكنه الجرهانيون . وقد ضمنها الأثريون أنها إحدى جزر البحرين . وقد وصفها الكاتب القديم بأنها مشهورة بالؤلؤ وقال أن فيها مدينة باسمها وأنه عثر فيها على عدد كبير من المقابر القديمة وجد فيها مصوغات ذهبية وخرز وحجارة الزينة وعظام بشرية مع عظام حيوانات يظن أنها دفنت مع أصحابها حية حسب تقاليد القوم ، وأن قواد الاسكندر الكبير تزلوا فيها حينما أرسلهم الاسكندر لاستكشاف جزيرة العرب . ولقد رأى الباحثون تماثيل المقابر القديمة المكتشفة في هذه الجزيرة وبين مقابر الفينيقيين الكنعانيين في سواحل بلاد الشام واستنتجوا منها أن الموجة الكنعانية أقامت في هذه المنطقة قبل تزوحها أو قبل تزوح من تزوح منها إلى بلاد الشام في القرن الثلاثين قبل الميلاد .

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ج ٢ ص ٢٨٩-٢٩٦

(٢) نفس الجزء ص ٢٩٤-٢٩٥

(٣) ج ٣ ص ٢٩٣-٢٩٦ و ج ٢ ص ٢٩٤-٢٩٥

٢ - اسم Amani الذي خمنه الاثريون منطقة عمان . وقد قال الكاتب ان لها ملكاً اسمه Goaesus الذي يمكن أن يكون محرفاً عن جاس أو قيس أو أصلها وان عاصمتها تتسع بشهرة واسعة في عالم التجارة وان التجار الرومانيين يقصدونها أكثر من أي ميناء آخر يقع على ساحل البحر الكبير .

٣ - اسم مدينة Charax^٢ الذي يمكن ان يكون محرفاً عن شارفة . وقد وصفت بأنها مدينة تجارية تقع على الخليج . ويوجد اليوم امارة بهذا الاسم على الخليج .

٤ - اسم Gaulopes^٣ واسم Cattaei اللذين يمكن أن يكونا محرفين عن جلوب وخطى كاسمي قبيلتين كانتا تنزلان في شواطئ الخليج .

٥ - اسم Gapeus^٤ الذي يمكن ان يكون محرفاً عن القطيف كمدينة قائمة على خليج بنفس الاسم .

٦ - اسم Gerra^٥ الذي يمكن ان يكون محرفاً عن الجرعاء أو اصل اسم مدينة هجر كمدينة على خليج صغير باسمها . وقد قال الكاتب ان محيطها خمسة اميال وفيها ابراج مشيدة بمجارة مربعة .

٧ - اسم Cattarrei^٦ كبلاد واسماء Noel aet و turezi و Borgad كقبائل ساكنة فيها . وقد خمن الاثريون الاسم الاول بأنه بلاد قطر التي تحمل هذا الاسم اليوم وخمنوا اسماء القبائل الثلاث محرفة عن كلمات تخيطي ودارة وبرجد

٨ - اسم Ic arum^٧ الذي يمكن ان يكون محرفاً عن شرارة أو شارمة كجزيرة في الخليج . وقد قال الكاتب ان فيها ضريحاً مزاراً يؤدي سكان الجزيرة فيه عبادتهم اليومية وانها مغطاة بالغابات الكثيفة .

٩ - اسم Abucaei^٨ كقبيلة من القبائل النازلة على ساحل الخليج وقد خمنها الاثريون أنها محرفة عن عبد القيس وهي قبيلة كانت قبل الاسلام تنزل في منطقة البحرين على ما ذكرناه قبل .

(١) الجزء الثالث من كتاب جواد علي ص ٢٧٦ (٢) ص ٢٧٧
(٣) نفس المصدر ج ٢٩٧ (٤) ٢٩٣ (٥) نفس الصنعة والجزء (٦) ٢٩٤-٢٩٥
(٧) ج ٣ ص ٢٩٦

١٠ - اسم^١ Nareitae كاسم قبيلة من القبائل كانت نازلة على نهر اسمه Lar قرب منطقة عمان . ويمكن ان يكون اسم القبيلة محرفاً عن نمر او نير .

١١ - اسم^٢ Attana واسم Batrasavave كمدنيتين كانتا في آخر الخليج . وقد سخن الاثريون الاسم الاول محرفاً عن الخط او الخطيين والثاني عن بيت رصاة او بيت وصافة .

١٢ - اسم^٣ Moscha كشجر على ساحل البحر بعد الخليج . وقد سخن الاثريون ان الاسم محرف عن كلمة مسقط الثغر العربي المشهور في منطقة عمان .

١٣ - اسم^٤ Bathymi واسم Cadaei اللذين يمكن ان يكونا محرفين عن بطيمي وقاضي كقبيلتين نازلتين على ساحل الخليج .

١٤ - اسم^٥ Janra واسم Bhemea كاسمي جزيرتين قريبتين من الساحل . وقال الكتاب ان هناك جزيرة ثالثة مجاورة لهما فيها اعمدة حجرية عليها كتابة بأبجدية غير معروفة^٥ .

١٥ - اسم^٦ Coboea كميناء من موانئ الخليج . ويمكن ان يكون محرفاً عن قبة او كبة .

١٦ - اسم^٧ Arsa كميناء وراها جبل باسمها على الخليج ايضاً . ويمكن ان يكون محرفاً عن قرصة او عرسة .

١٧ - اسم^٨ Salonades واسم Cahima كجزر قريبة من الساحل في الخليج لاهلها صيادون .

١٨ - اسم^٩ Mamaeum كموقع على الساحل فيه مناجم من الذهب . ويمكن ان يكون محرفاً عن ميسون او معون .

١٩ - اسم^{١٠} Apitami واسم Casani واسم Darae كقبائل نازلة على ساحل

(١) ٢٩٩ (٢) ٣٠٠ (٣) ٣٠١ (٤) ٣٠١ (٥) ٣٠١ (٦) ٣٠١
(٧) ٣٠١ (٨) ٣٠٢ (٩) ٣٠٣

البحر . ومن الممكن ان يكون الاسم الاول محرفاً عن ابي طامه والثاني عن كيسان والثالث عن داري .

٢٠ - اسم ^١ Bathynae كشعب من ساحل عمان ويمكن ان يكون الاسم محرفاً عن سكان ساحل الباطنة .

٢١ - اسم ^٢ Sconitae كقبيلة موزعة في جزر عديدة لها مركز او سوق تجاري في موقع اسمه ^٣ Acila . ويمكن ان يكون الاسم الاول محرفاً عن سقنة والثاني عن عقيل او اصيل .

٢٢ - اسم ^٣ Agyris كجزيرة تابعة لعمان . وقال الكاتب ان فيها ثلاثة معابد يعبد فيها الصيادون سكانها وقد خمنها الاثريون انها جزيرة مصيرة الواقعة بين رأس الحد ورأس فوكة .

٢٣ - اسم ^٤ Organa كجزيرة مجاورة للجزيرة السابقة يسكنها صيادون ايضاً وفيها معبد . ويمكن ان يكون الاسم محرفاً عن غانه او غرانه .

٢٤ - اسم ^٥ Sacalitae واسم Syagros كقبيلتين من القبائل النازلة على الساحل . ويمكن ان يكون الاسم الاول محرفاً من سخالية والثاني من صواقرة .

٢٥ - اسم ^٦ zenobas كقبيلة تسكن بين حاشك ورأس الحد . وقد خمن الاثريون ان الاسم محرف عن بنو جنبه .

٢٦ - اسماء ^٧ Apatae و Al-rita و Maisaimanes و Udenoi و Asteni و Jalisitae وهي قبائل خمن الباحثون انها كانت تسكن عارض اليمامة ومن الممكن ان تكون الاسماء محرفة عن عباطة وعريتة وميسان واستينة وجولية

٢٧ - اسماء ^٨ Malangitae و Dahareni و Bluilae وهي قبائل خمن الباحثون انها كانت تسكن في جنوب اليمامة . ويمكن ان تكون الاسماء محرفة عن مالان وداهرية وبيلة .

(١) ٣٠٢ (٢) ٣٠٣ (٣) ٣٠٦ (٤) ايضاً (٥) ٣٠٧ (٦) ٣٤٥

(٧) ٣٧١ (٨) ٣٧٢

٢٨ - Asab^١ وهو اسم مدينة يمكن أن يكون عصب قال الاثريون انها عند جباله عصيون في منطقة عمان ومن المحتمل ان يكون هي ما يعرف اليوم بالجبل الأخضر .

٢٩ - Degma^٢ وهو اسم مدينة بعد مضيق هرمز ورأس الحيمة في جنوب الخليج العربي على ما قدره الباحثون ومن المحتمل ان يكون الاسم هو رجمة

٣٠ - Kabana^٣ وهو اسم مدينة في جنوب رأس الحيمة يحتمل بعض الاثريين انها مدينة قشم او كلبه او ام الكوين او ام الجوين

٣١ - Gerraie و Katara وهما اسمتا مدينتين على ساحل الخليج العربي الغربي خمنها الاثريون الجرعاء وقطر

٣٢ - Makai^٤ اسم قبيلة كانت تسكن في جنوب مضيق هرمز خمنها الاثريون مكاة .

٣٣ - Thacmai وهو اسم قبيلة بني تميم على ما خمنه الباحثون وكانت تقيم على خليج اسمه Maorum وقرب نهر اسمه Asatom

٣٤ - Kabie اسم قبيلة كانت تنزل قرب مدينة Caramanis وقد خمن الباحثون ان القبيلة هي قبية وان المدينة هي القرن^٥

٣٥ - Adoukaison اسم قبيلة كانت تسكن البحرين وقد خمنها الباحثون انها قبيلة بني عبد قيس^٦

٣٦ - Jueara اسم قرية خمنها الباحثون انه جهرة وهي قرية في منطقة الكويت^٨ .

٣٧ - Satula و Aina و Lugana و Gaisa و Arakame و Digema و Safta و Figia و Attale و Gordas و Marata و Jbirta و Masta'a و Domana و Attia و Capuatee و behana وهي اسماء مدن في البر الشرقي من الخليج العربي^٩ ومن المحتمل ان تكون بحرفة من سطيلة وعينه ولجنة ودكمة وسفطة وفجة وعطيلة وقردة ومرطة وعيترنة ومسطلة ودمنة وعطية وربنة وقبوطة

٣٨ - Tonoie وهو اسم قبيلة خمنها الباحثون انها قبيلة طي^{١٠}

(١) ٣٧٤ (٢) ٣٧٦ (٣) ٣٧٧ (٤) ٣٧٨ (٥) ٣٧٩ (٦) ٣٨٠ (٧) ٣٨١ (٨) ٣٨١ (٩) ٣٨٤ (١٠) ٣٨٧ (١١) ٣٨٧

اسماء مدن وقرى في هذه المناطق في معجم البلدان

ودلالة ذلك

ولقد احتوى معجم البلدان لياقوت أسماء مدن وقرى كثيرة جداً في مناطق البحرين وعمان واليامة والساوة عليها طابع القدم الذي يسوغ القول انها لو ان كثيراً منها كان قائماً في هذه المنطقة في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام وقد يكون منها ما قام فيها قبل هذا الدور حيث يمكن أن يكون في ذلك مظهر من مظاهر النشاط الحضاري لأهلها في الادوار القديمة . وهذه هي مرتبة على حروف الهجاء وفق ما جاءت في أجزاء المعجم :

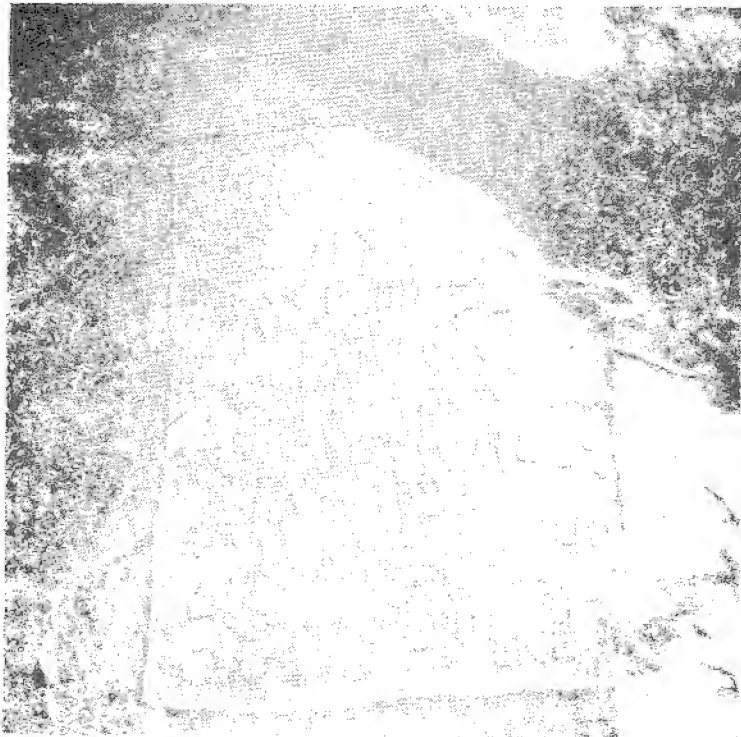
آبه من قرى ساوه ، آره بلدة في البحرين ، آفاز قرية في البحرين ، أباض قرية في اليامة ، أبام قرية في اليامة ، أبان قرية في اليامة فيها نخل وماء ، أبرين قرية كثيرة النخل والعيون مجذاء الاحساء ، إبط قرية في اليامة ، أبير قرية في ناحية هجر البحرين ، أثيفية قرية في اليامة ، أجأ احد جبلي طي في نجد وفيه قرى كثيرة ، أجراذ قرية في نجد ، أجرب قرية في نجد ، اجرعين قرية في اليامة ، إجله قرية في اليامة ، احدث بلد في نجد ، الاحساء جمع حصى وهو الماء الذي تنشقّه الارض وتحفره الآبار . وبلاد الاحساء المشهورة التي يقوم فيها اليوم مدينة كبيرة بنفس الاسم سميت بذلك لأنها من هذا النوع ، أحسن قرية في اليامة ، أحوس موضع فيه نخل كثير في اليامة ، الأرخب قرية في أجأ ، أرض نوح قرية في البحرين ، ارك مدينة تسامى احد جبلي طي في نجد ، الاشاة قرية فيها نخل في اليامة ، أشقر قرية في اليامة ، الاشقر قرية باليامة ، أفاحيص في اليامة ، أفكان مدينة ذات ارحية وحمائم وقصور باليامة ، أطواء باليامة ذات نخل وزرع ، اكمة باليامة ، اوال جزيرة من جزر البحرين فيها بساتين نخل وليمون ، اوجار في البحرين ، البادية في اليامة ، اود في نجد ، اهدى من قرى هجر البحرين ، الباقرة من قرى اليامة ، بواقة مثلها ، اليسرة في نجد ، بطن العتق في اليامة ، بريك مثلها ، بقعاء مثلها ، بلاد مثلها ، بنات قين في الساوة ، بنان في نجد ، بنات في اليامة ، بنيان مثلها ، البوابة مثلها ، بهدى مثلها ، بهرة مثلها ، بهلا بلد في ساحل عمان ، بينونة قرية بين عمان والبحرين ، البنية في اليامة ، ثومد في نجد ، ترم مدينة جزيرة أوال في البحرين ، تصلب في نجد ، تعشر في اليامة ، تعمير

مثلها ، تلمة مثلها ، تمر مثلها ، قمره مثلها ، قير مثلها ، تنهاة في نجد ، تزام قصبة عمان
 وحولها قرى كثيرة ، توضح في اليامة ، تيرب مثلها ، تاوة مثلها ، تاج في البحرين ، ثقل في
 نجد ، الثقب في اليامة ، الجدار مثلها ، الجردة مثلها ، جرزة مثلها ، جرعاء مالک في الدهناء ،
 جرفار مدينة بناحية عمان ، جريب من قرى هجر ، الجفران في اليامة ، الجفير في البحرين ،
 جغب في اليامة ، جواثاء في البحرين ، المشقر مثلها ، الجوفاء في اليامة ، الجوز مثلها ،
 الجو مثلها ، جيار في البحرين ، الحاقمة مثلها ، الحاذ في نجد ، الحائط في اليامة ، حائل في
 اليامة قديمة جاهلية وهو اليوم من مدن نجد الكبرى ، الحت في عمان ، حجر مدينة اليامة
 وأم قراها ، حصن عاصم في اليامة ، الحظائر مثلها ، الحفيرة مثلها ، حفر الرباب في الدهناء ،
 الحمادة مثلها ، حوارين بلدة في البحرين ، الحيار مثلها ، الحوف في عمان ، خباش في اليامة ،
 خف من مدن عمان ، الخرج واد في اليامة فيه قرى عديدة ، الخرصان في البحرين ،
 الحضارم في اليامة ، خضراء مثلها ، الحضرة مثلها ، الحظامة مثلها ، الخط كورة من
 من قراها القطيف والعقير وقطر على سيف البحرين وهو كثير النخل ، الخلاء في الدهناء ،
 خزرة في نجد ، خنفس في اليامة ، خور فكان من بلدان عمان ، خور بروس مثلها ،
 خوض الثعلب في ناحية هجر ، الخيس في اليامة ، درآه في ناحية البحرين ، دارين مثلها ،
 دبا في ناحية عمان ويقام فيها سوق وكانت مدينة قديمة مشهورة ، الدبيرة في البحرين ،
 دخلة مثلها كثيرة التمر ، درنا في اليامة ، دغوث في ناحية عمان ، دقلة في اليامة ، دما في
 ناحية عمان وكان يقام فيها سوق كبير ، دوان في ناحية عمان ، الدهالك في الدهناء ،
 الرمادة في اليامة ، الرس مثلها ، الردم في البحرين ، الرب ناحية في اليامة فيها قرى
 ومزارع لبني قشير ، ربوت في ناحية عمان ، ريمان في البحرين ، زارة في البحرين ، دوزيد
 في اليامة ، زحيرية مثلها ، الزعابة مثلها ، الزغيلة مثلها ، الزيدي مثلها ، السائية مثلها ،
 السمار ناحية في البحرين فيها قرى تزيد عن المئة ، الستارة مثلها ، السحبية في اليامة ،
 السعائم في الاحساء ، سعد في اليامة ، السنوح مدينة عرض اليامة وما حولها ، السليت في
 في البحرين ، سوار مثلها ، سوق في اليامة ، السهلة في البحرين ، سهبي في بلاد تيم ، السيوح
 في اليامة ، الشركة في نجد ، شطان في اليامة ، الشطبتان مثلها ، شط مثلها ، شنار جزيرة
 في بحر البحرين فيها قرى كثيرة ، الشمس في اليامة ، الشمسين مثلها ، الصادر في البحرين ،
 الصبغاء في اليامة ، صحار قصبة عمان ، الصدارة في اليامة ، الصريف في نجد ، صفوق في
 اليامة ، صعبني مثلها ، الصفا في البحرين ، الصقرة في اليامة ، صفور مثلها ، صلاصل مثلها ،
 صماغ مثلها ، الصياغة مثلها ، ضبيعة مثلها ، ضرية في نجد ، ضمير في عمان ، الضيق في اليامة ،

طاب في البحرين ، الظاهرة في اليامة ، ظلامه في البحرين ، الظهران في البحرين ، إلتريديل من قرى هجر ، العامرية في اليامة ، العتيد مثلها ، عدولي في البحرين ، العرض واد في اليامة فيه قرى ومياه ، العرقة مثلها ، العروش مثلها ، عريق بين البصرة والبحرين ، عقرباء في اليامة ، العقير من قرى هجر ، العقيق واد في اليامة فيه عيون وقرى ونخل ، العامرية مثلها ، عنك في البحرين ، عنيزة مثلها ، العويند في اليامة ، الغابة في البحرين ، غبيب في اليامة ، غير في نجد ، غرقة في اليامة ، غسل مثلها ، غناظ مثلها ، الفوارة قرب الظهران ، فردوس مثلها ، الفتاد مثلها ، فاج في الدهناء ، الفوارة بجانب الظهران ، الفور في اليامة ، فيشان مثلها ، القدامى مثلها ، القرخاء في البحرين ، قرما في اليامة ، قران مثلها ، قري مثلها ، القرية مثلها وهي أخصب قرى اليامة ، القصباء مثلها ، القصيم في نجد ، قطر بين عمان والبحرين ، القطرية في اليامة ، القلتين مثلها ، قلعات في ساحل عمان ، قهادى في البحرين ، قميع في اليامة ، قني مثلها ، القويلية في نجد ، كبنسة في البجاة ، كتيب في البحرين ، الكتيب مثلها ، الكرس في اليامة ، كرمه مثلها ، كزار على ساحل عمان ، كنبوت في البحرين ، كنزة واد فيه نخل وماء وقرى ، لاف جزيرة في بحر عمان فيها قرى وعيون ، لحاء واد في اليامة كثير الزرع والنخل ، لقاع مثل ، المحرقه مثل ، محضر في نجد ، محرقه في اليامة ، مذنب مثلها ، مرآة مثلها ، مرداء في البحرين ، المرزي مثلها المريداء مثلها ، مريفق في اليامة ، المزيرة في البحرين ، المسفلة في اليامة ، مشرد مثلها ، المصانع مثلها ، مصيرة جزيرة عظيمة في بحر عمان فيها عدة قرى ، المطاع في البحرين ، المعلاة في اليامة ، معنق مثلها ، مقامي مثلها ، المقرب مثلها ، المقراة مثلها ، المقنعة قرب الظهران ، ملحوب وملحبيب في اليامة ، ملهم مثلها ، منبجس مثلها ، المنتهب في طرف جبل سلمى ، المنفطرة في اليامة ، منفوحة مثلها ، الموفق في جبل أجأ ، مهشمة في اليامة ، نبطاء في البحرين ، نبهانية في نجد ، نجية في البحرين ، نحوه مثلها ، نطاع في اليامة ، نعام واد في اليامة كثير النخل والزرع ، نقب في اليامة ، نقيد مثلها ، نقية في البحرين ، النميلة في اليامة ، نها في البحرين ، نهي بين اليامة والبحرين ، وادي الحل في اليامة ، الواجة مثلها ، والع مثلها ، وبرة مثلها ، وجر في البحرين ، هجر قاعدة البحرين ، هزمة في اليامة ، الهزيم واد في اليامة فيه قرى ونخل ، يثرب مثلها .

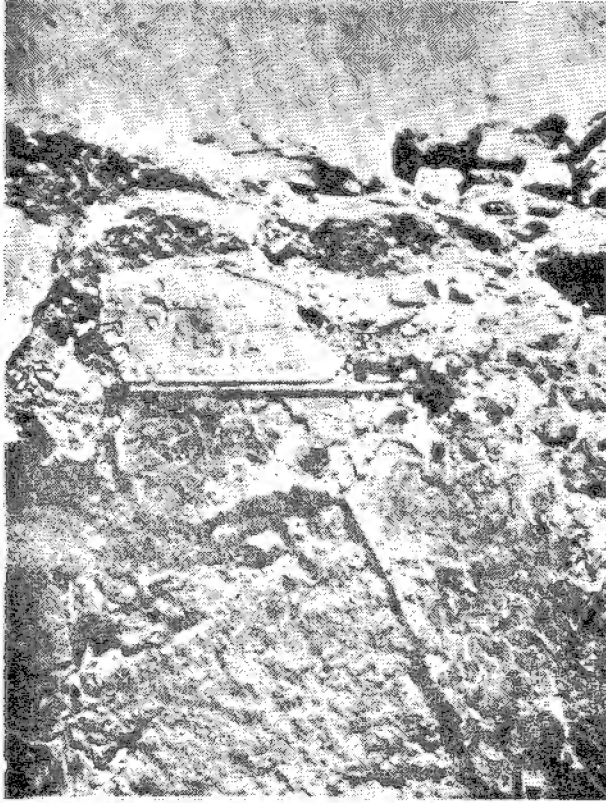
وهكذا يبين من هذه القائمة الطويلة مدى ما كان من عمران ونشاط حضاري في هذه المنطقة .

ومن الجدير بالذكر ان مؤلف المعجم نسب كثيراً من هذه القرى إلى قبائل وعشائر
 وأشخاص كانوا موجودين قبل الاسلام كما وصف كثير منها بوصف القديم الجاهلي وأورد
 ما ورد في شعر الشعراء الجاهليين في بعضها وقال ان كثيراً منها وقت تأليفه المعجم في
 أواخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع (والمؤلف توفي سنة ٥٩٢٨هـ) خرباً ، ونبه إلى
 أسماء عديدة منها بأن الجيوش الاسلامية قد فتحتها في سياق حركات الردة التي بدأت في
 أواخر حياة النبي ﷺ واتسع نطاقها في عهد خليفته الاول ابي بكر الصديق رضي الله عنه
 في هذه المناطق وبخاصة في اليمامة مركز بني حنيفة ومنبتهم الكذاب مسيلة حيث ينطوي
 في كل هذا ثم في صدد الأسماء التي يبدو على كثير منها ان لم تقل أكثرها ملح القدم والجاهلية
 تأييد لما رجحناه من أن أكثر هذه القرى والمدن كانت موجودة في هذه المنطقة قبل
 البعثة النبوية .



(كتابة لحسانية)

نقلا عن الجزء السابع من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي



كتابة فيثودية وجدت في معبد الصنم « اللات » في خرائب « رم »
نقلا عن الجزء الخامس من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

٣ - ممالك لحيان وثمود وتيماء والجرهاء

لقد ذكرنا في الجزء الاول من الكتاب هذه الممالك التي كانت في شمال الجزيرة وما عرف من أحوالها من النقوش والمدونات القديمة لأن ظروفها الأولى متصلة بشكل ما بظروف دور ما قبل العروبة الصريحة مع ان ما قرئ من النقوش والمدونات القديمة من اسماء زعمائها وملوكها وأفرادها وآلفتها تحمل لمحة العروبة الصريحة بقوة وتسوغ سلكها في سلك دور هذه العروبة .

ولما كان ما يحسن ابراده عنها قد أوردناه في الجزء المذكور فاننا نكتفي هنا بهذا التنويه والتنبيه .

٤ - نظام الحكم في مكة

في الكتب العربية شيء غير قليل في صدد الحكم والسلطان في مكة وإن لم يكن شافياً . وهو من جهة أخرى لا يخلو من تعدد وتناقض وغلط ومفارقة . ويبلغ فيه أثر الاقتعال والصنعة نتيجة للتنافس القبلي والاسروي الذي كان بعد الاسلام . غير انه على كل حال لا يخلو من الحقائق فيما نعتقد التي شيدت بالخيال والخطط لأنها ظلت في الصدور تتداولها الالسنه إلى عصر التدوين العربي في القرن الثاني للهجرة وما بعد . وليس هناك مصدر آخر يمكن الاستناد اليه ولا مناص من تلخيص ما ورد في هذه الكتب من ذلك مع الحذر والحفظ .

وخلاصة ما ورد في هذه الكتب ^(١) ان أول من حكم مكة والحجاز هم العالقة . ثم جاءت قبيلة جرم من اليمن فنزلت على قطورا بأسفل وادي مكة وكان الملك في قطورا حينئذ السميذع بن هوثر . ثم لحق بجرم بقية قومهم وعليهم مضاض بن عمرو بن الوقيب بنت نبت بن جرم فنزلوا بقيقعان بأعلى وادي مكة وصار ملكاً له ؛ فكان السميذع يعشر الداخلين الى مكة من ناحية ومضاض يعشرهم من ناحية ثم تناحر الزعيمان واقتتلا فقتل المضاض وقتل السميذع وانفردت جرم في الحكم والسلطان . وفي عهدهم أتى ابراهيم عليه السلام بابنه اسماعيل وامه واسكنها في جوارهم . وتزوج اسماعيل امرأة منهم اسمها حرا ثم طلقها وتزوج بأخرى اسمها السيدة وكانت حفيدة مضاض . وقد أدى ذلك الى استعباده هو وفديته .

وذكرت هذه الكتب ان الذي ملك بعد مضاض ابنه عمرو ثم الحوث بن عمرو ثم عمرو ابن الحوث ثم مضاض بن عمرو .

وفي هذه الاثناء طرأت على وادي مكة قبيلة قحطانية جديدة اسمها خزاعة . وتحالفت مع بعض قبائل كانت في الوادي سماها بعض الرواة بني كنانة وبعضهم بني بكر وتصدى

(١) انظر مروج الذهب للسعودي ج ١ ص ٣٥٨ وبدها ج ٢ ص ١٦٤ وبدها ج ٣ ص ٣٦٦ وبدها وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٤٦ وبدها وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٤ وبدها وتاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ١٨٧ وبدها .

الخداماء للجراحة وتناولوا معهم وغلبوهم وانتزعوا الملك منهم . وكان أول من تولاه من خراة عمرو بن لحي . وكان دين أهل الوادي دين ابراهيم التوحيدى فأخل عمرو به حيث احضر من بلاد الشام الصم هبل ووضع في الكعبة وحمل الناس على عبادته ، وكانت من عقيق احمر كسرت احدى يديه فصنعوا له يداً من ذهب ...

وقد امتدت ولاية خراة ثلاثئة سنة وكان آخر ملوكهم ملك اسمه ملك او حليل . وكانت ولايتهم تشمل فيما تشمله الاجازة بالناس من عرفة يوم الحج الاكبر حيث ما كان لأحد من الحجاج ان ينصرف الا بعد ينادي منادي صاحب الاجازة منهم بالأذن بذلك . وكانت تشمل كذلك الافاضة بالناس غداة يوم النحر من المزدلفة الى منى ، والنسوة للشهور الحرام حيث كان يعلن المتولي له منهم تقديم الاشهر الحرام شهراً أو تأخيرها شهراً في العام القابل .

ولم يعقب آخر الملوك الخزاعيين إلا بنتاً تزوجها قصي بن كلاب الذي ينتسب إلى معد ابن عدنان ثم إلى اسماعيل على رأي الرواة والنسابين . وقد عهد الملك عند وفاته بولاية البيت لشيخ من قبيلة خراة اسمه ابو غبشان . وبعد قليل من موت الملك طمح قصي الذي كان قد برز كزعيم في قومه بالولاية فساوم ابا غبشان واشتراها منه .

وغضبت خراة مما جرى فتصدت لمنع قصي من مباشرة الولاية : واستنصر هذا بأخواله بني ربيعة من قضاة ثم بقبيلة كنانة واقتتل الفريقان قتالاً شديداً ثم اتفقا على تحكيم زعيم عربي معروف اسمه يعمر بن عوف فقضى بأولوية قصي ورضي الناس فكانت قصي أول واد كعب بن لؤي أصاب ملكاً وأطاعه قومه . وجمع في يده (الحجابة) وهي حراسة باب الكعبة ومفتاحها و (الرفادة) وهي الاشراف على تهيئته للطعام للحجاج المحتاجين و (الندوة) وهي رأسه اجتماع شيوخ القوم و (اللواء) أي عقد لواء الحرب أو قيادتها فحاز بذلك شرف مكة كله .

وقد قطع مكة بين قومه الذين عرفوا باسم قريش المختلف في اصله ومعناه ، وائرلهم منازلهم التي كانوا عليها عند بعثة النبي عليه السلام حيث سكن هو وعشيرته الاقربين ثم بنو زهرة وبنو مخزوم وبنو تيم وبنو جهم وبنو عدي وبنو عتيك في بطاح مكة مكة فسموا باسم (قريش البطاح) واسكن بني محارب وبني الادرم وبني هضيص وبني الحارث في ظاهر مكة فسموا باسم (قريش الظواهر) وقد تيمن العرب به وسموه مجمعاً

لأنه جمع أمرهم وفي ذلك يقول الشاعر :

أبوكم قصي كان يدعى مجعاً به جمع الله القبائل من نهر

وكان لا يعقد نكاح ولا لواء ولا يتشاور قريش في ما ينزل بهم من أمور ولا تتدفع قناة ويعلن بلوغ فتى إلا في داره . وقد اتخذ داراً سماها دار الندوة لتكون مركز الولاية والاجتماعات الشورية وجعل بابها الى مسجد الكعبة . وكان يعشر - اي يتقاضى الرسوم - ممن دخل مكة من غير اهلها . وظل مطاعاً محترماً ميمون النقيبة إلى أن كبر ورق فحصل حكم مكة لابنه عبد مناف وكان ابنه أولاده ، وجعل الرفادة والسقاية - وهي تجييز الماء اللازم للحجاج - واللواء ورئاسة الندوة لبكره عبد الدار الذي كان ضعيفاً فأراد ان يقويه ويشرفه بهذه المناصب على ما رواه الرواة .

ولما مات الاخوان تنازع أبناؤهما ونحزب جماعة من قريش لأبناء عبد مناف وجماعة لأبناء عبد الدار وعقد كل فريق مع أنصاره حلفاً . وسمي حلف عبد مناف بحلف المطييين لأنهم اخرجوا جفنة فيها طيب فقمسوا فيها أيديهم ومسحوها بالكعبة توكيداً على أنقسم قسموا بالمطييين . واخرج بنو عبد الدار جفنة فيها دم فقمسوا فيها أيديهم مع أنصارهم ومسحوها بدورهم بالكعبة قسموا بلمعة الدم !! واستعد الفريقان للقتال ثم تداعوا الى الصلح وتراضوا بأن يكون لبني عبد الدار الحجابة واللواء ورئاسة الندوة ولبني عبد مناف الرفادة والسقاية . وظل الامر كذلك الى زمن البعثة النبوية . وكان ابوسفيان ابن أمية من بني عبد الدار (واسمه حرب) صاحب اللواء والقيادة والندوة وكان عباس بن عبد المطلب من بني عبد مناف صاحب الرفادة والسقاية . وكان الاول هو صاحب البروز والتفوق .

وقد كان الى هذه المناصب الرئيسية مناصب أو مهام أخرى يتولاها البارزون من البطون القرشية الاخرى منها (الاموال الحجرة) اي الاوقاف المحبوسة للالهة و (الحكومة) اي التحكيم في الخلافات و (الاعنة) اي قيادة الفرسان و (الاشناق) أي تدبير شؤون الديارات والمغارم و (السفارة) أي القيام بمهمة الاتصال بالقبائل الاخرى في سبيل حل الشؤون المتنوعة الهامة وقد كان عمر بن الخطاب في زمن بعثة النبي ﷺ يتولى مهمة السفارة وخالد بن الوليد مهمة الاعنة وابوبكر مهمة الاشناق .

ومهما يكن من أمر هذه الروايات التي لا تخلو من الشوائب بالنسبة للقديم ثم من أثر المنافسات الاسروية والعشائرية بعد الاسلام فإنها فيما نعتقد لا تخلو من حقيقة كما قلنا قبل بحيث يمكن أن يقال ان الحكم في مكة كان يتسم بسمة مزدوجة من النظر في الشؤون الدينية والمدنية معاً بما كان جارياً في جنوب جزيرة العرب قبل القرن السادس قبل الميلاد ومثلاً في الرؤساء الأعلى للممالك المعينية والحضرموتية والقتبانة والسبئية الذين كانوا يتلقبون بلقب مكرب الذي ينطوي فيه معنى الصفة المزدوجة على ما شرحناه في الجزء الأول . وقد أوردنا في الجزء المذكور إشارة ديودور الصقلي من رجال القرن الأول قبل الميلاد إلى الكعبة في قوله ان وراء أرض الأنباط بلدأ فيه هيكمل يحترمه العرب كافة احتراماً كبيراً حيث يفيد هذا قدم هذا الاحترام واحتمال كون الصفة المزدوجة تحكم في مكة متصلة به أو ناشئة عنه . وهذا الاحتمال وارد أيضاً من ناحية اسم مكة إذا صح ما خمنه الاثريون بأن اسم مكروبا الذي ذكره بطليموس كاسم مدينة في شمال الجزيرة هو اسم مكة وان الاسم الجديد هذا هو متطور عنه . وبين الاسم القديم وبين كلمة مكرب التي كانت تعني الزعامة الدينية والمدنية تجانس ظاهر .

والروايات تفيد على كل حال ان الحكم في مكة قبل القرن الخامس الميلادي كان في يد غير قرشية وليس هناك ما يمنع أن يكون في أيد أرومات قحطانية نزحت من الجنوب كما تفيد الروايات . ثم ظهر من قریش زعيم حكيم طموح هو قصي بن كلاب فتمكن من الاستيلاء على مقاليد الأمور وأحسن تنظيمها في نطاق الازدواج الديني والمدني معاً بما قد يكون فيه دلالة على صحة الأصل ومنشأه الذي نوهنا بها . ثم تطور الامر بعده حتى غدا الحكم في عهده مشيخة أعيان وزعت فيها المناصب الدينية والمدنية بين الأسر القرشية البارزة مع احتفاظ صاحب المنصب اللواء ورئاسة التدوة بالبروز والزعامة بالنسبة لغيره مما يفسره ترغم ابي سفيان المنحدر من عبد الدار وصاحب هذا المنصب لمناوأة الدعوة المحمدية وتعصب بني هاشم المنحدرين من عبد مناف لما حيث اعتبرها الفريقان مظهرأ من مظاهر التنافس على الحكم والبروز ولو لم يؤمن في بدء الامر كثرة بني هاشم بها دينياً .

ولقد احتوى القرآن الكريم بعض دلالات مؤيدة لما روي وصحت أخباره حيث ذكرت في بعض الآيات سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بأسلوب يدل على أنهما من المهام الشريفة كما ترى في الآية التالية .

« أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في

سبيل الله لا يستوتون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين »

سورة التوبة ١٩

وحيث جاء في سورة العلق عبارة تلهم أنها تقصد جماعة دار الندوة وهي تندد بزعم من زعمائها تصدى للنبي ﷺ في أوائل بعثته من الصلات الإسلامية ومن الدعوة إلى الله كما ترى فيها :

« أرايت الذي ينهى عبداً إذا صلى . . أرايت إن كان على الهدى . أو أمر بالتقوى . أرايت إن كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفنا بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فلیدع نادية سندعو الزبانية . كلا لا تطعه واسجد واقترب »

سورة العلق ٩ - ١٩

ولقد سمى القرآن مكة باسم أم القرى كما ترى في هذه الآية :

« وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذريوم الجمع لا يرب فية فريق في الجنة وفريق في السعير » ..

سورة الشورى ٧

والتعبير يفيد كونها عاصمة يتبعها قرى أخرى . والقرية في القرآن قد عنت المدينة أيضاً كما ترى في هذه الآية :

« وأسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا وإنها لصادقون »

سورة يوسف ٨٢ (١)

وفي معجم البلدان لياقوت أسماء عدد كبير من القرى التي كانت موجودة في منطقة مكة وما يزال كثير منها موجودة وعليها لحة القدم مما يسوغ القول أنها أو إن كثيراً منها ما كانت موجودة قبل الإسلام كما ترى في ما يلي مرتبة على حروف الهجاء وفقاً لترتيب المعجم :

آره وهو جبل شامخ تخرج من جوانبه عيون ويقوم على كل عين قرية منها الفرع

(١) كانوا يبنون مصر أو عاصمتها .

وأم العيال والمضيقي والمحضة والريرة وفي كل منها نخيل وندع وواصيها يصب في الأبواء ثم في ودان . الأبواء وفيها دفنت أمة أم النبي عليه السلام وهي في طريق عودتها من المدينة إلى مكة (١) . أجناد ، الاعراض وفيها قرى عديدة ، الأساسان وهما قريشان لبني سليم ، الأفراع ، الومة ، ابن ، بطن اذف ، بليد ، ثلث ، نعمن ، التناهي ، تنصب ، التنعيم ، جبلة ، أم حجوم ، الجحفة ، الخريس ، جونة ، حرص ، خبزة ، الحصاصة ، خلص ، خليص ، دوران ، دوة ، الزي ، السويرقية ، سوكة ، شرمساح ، عربة ، عسفان ، عثم ، عشرة ، عقل ، عكاظ ، القاحه ، قبر ، قديد ، قعر ، قيقعان ، كلية ، ذو المجاز ، المجنة ، مر الظهران ، مسلح ، المثل ، منى ، النجل ، وبعان ، ودان ، بيته .

واقعد وصف صاحب المعجم كثيراً من هذه القرى بالقدم ، ونسب كثيراً منها إلى أشخاص وقبائل قبل الاسلام ، ولقد ذكر كثير منها في كتب السيرة النبوية حيث ينطوي في كل هذا تأييد لما قلناه كما ينطوي فيه مظهر من مظاهر النشاط الحضاري في منطقة مكة قبل الاسلام .

والمبادر أن حكم حكومة مكة التي وصفناها ونقودها كان يشمل هذه القرى كما كان يشمل القبائل التي كانت تمشي حولها . أما منطقتا الطائف ويثرب فهناك ما يفيد أنها لم يكونا داخلين في نطاقه على ما سوف نشرحه بعد وان كان هناك ما يفيد أنه كان تعاون بينهما .

٥ - نظام الحكم في الطائف

ليس في الروايات العربية ما يساعد على معرفة تاريخ قديم للطائف . والاسم فصيح . ولكنه لا يعني كما نرجح أنها نشأت في دور نزوح اللغة الفصحى الذي كان خلال القرنين السابقين للبعثة النبوية . وليس ما يمنع أن تكون موجودة قبل ذلك بأمد ما وأن يكون اسمها متطوراً عن اسم آخر أو بديلاً عنه . بل هذا ما نرجحه . ولقد كانت محصنة مسورة ، وكانت غالبية سكانها وما حولها من قبيلتي ثقيف وهذيل اللتين تنسبهما الروايات

(١) انظر طبقات ابن سعد ج ١ ص ٩٦-٩٧

الى قيس بن عيلان ثم إلى معد بن عدنان مع تفوق ثقيف مركزاً وعدداً . ويمكن أن يقال استنتاجاً من الروايات أنها كانت تحتفظ بشخصيتها المستقلة .

وفي معجم البلدان لياقوت أسماء عدد من المقاطعات التي وصفت بأنها مخاليف الطائف مثل ثرور والحكرة والخدود وسوانه والشديق والفليق وفاوة ونطروح . ولحمة القدم بادية على الأسماء والمباشر أنه كان لكل مخاليف مركز باسمه . وبالإضافة إلى ذلك ففي المعجم أسماء قرى عديدة وصفت بأنها تابعة للطائف مثل تناء والجعرانة والسلامة وفتق وكوثر ومطار ومعدن ، بحيث يمكن أن يقال أن الطائف كانت بمثابة أم القرى .

ولم يرد في الكتب العربية شيء محدد عن نظام الحكم فيها ولكنها ذكرت أن ثقيفاً كانوا متحالفين مع قريش وانهم جاؤوا إلى نصرتهم حينما زحف النبي ﷺ على مكة ثم عابروا البحر فتحها قبل وصولهم فمادوا ورموا حصونهم وسورهم ، وأن النبي ﷺ زحف على الطائف بعد فتح مكة وهزيمة هوازن التي جاءت هي الأخرى لنصرة قريش في وادي حنين وحاصرها واستعصت عليه فعين من برعجها بالفارات وعاد إلى المدينة وحينئذ مشى رجالها إلى عبد ياليل الذي يظهر أنه كان كبير الزعماء واثثروا بينهم أن يبعثوا إلى رسول الله ﷺ فقرأ منهم فخرج عبد ياليل وابناء كنانة وربيعه وشيخ جيل بن عيلان بن سلمة والحكم بن عمرو بن وهب بن معتب وعثمان بن أبي العاص وأوس بن عوف وغير بن خروشة بن ربيعة على رأس سبعين رجلاً إلى يثرب للمفاوضة مع النبي عليه السلام على الاسلام^(١) حيث يمكن أن يفيد أن هؤلاء الستة كانوا بمثابة مشيخة أعيان تتولى شؤون الطائف وما حولها كما كانت الأمر في مكة يمتد ذلك إلى ما قبل البعثة بأمد ما .

وفي القرآن الكريم آية ذات دلالة تأييدية وهي آية سورة الزخرف هذه :

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ٣١

حيث انطوى فيها على ما ذكره المفسرون^(٢) استناداً إلى الروايات حكائية تعجب زعماء مكة من نزول القرآن على محمد ﷺ الذي لم يكن زعيماً نافذاً مطاعاً من دونهم وقومهم من قبيل الاعتداد والقياس على مقياس العادة الجارية أنه كان من المقول لو كان القرآن من عند الله أن ينزل على زعيم عظيم من زعماء إحدى المدينتين مكة والطائف .

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٧٦-٧٨ و ج ٣ ص ٢١٠-٢١٢

(٢) انظر تفسيرها في تفسير ابن كثير مثلاً

وقد ذكرت الروايات انهم كانوا يعنون بالزعم الطائفي ابن عبد ياليل أو عمرو بن مسعود أو حبيب بن عمرو بن عمير أو كنانة بن عبد عمرو بن عمير .

٦ - نظام الحكم في يثرب (المدينة المنورة)

لقد ذكرت يثرب بلفظ يثربو في بعض النقوش الاشورية العائدة الى القرن السابع قبل الميلاد ومعنى هذا انها قديمة وربما يرجع انشاؤها الى نحو الف سنة قبل الميلاد أو أكثر . وليس هناك ما يمكن ان يلقى ضوءاً على تاريخها في ذلك العهد البعيد . غير ان في الكتب العربية بيانات تتصل بتاريخ سكانها من اليهود والعرب بعد الميلاد المسيحي ولو لم تكن واقية أو خالية من الشوائب التي تشوب الروايات العربية القديمة ، يمكن أن يستفاد منها ان حالة الحكم فيها قبيل البعثة النبوية كانت كالحالة في مكة والطائف ، وانها كانت تحتفظ بشخصيتها المستقلة مثلها ، ولعل ذلك هو الذي شجع النبي ﷺ على الهجرة اليها بعد أن بلغت المناوأة ضد دعوته إلى حد التآمر عليه حيث تعهد له وقد يثرب بالمنعة والدفاع والحرية والتعصيد ضد مناوئيه الذين كانت مكة وقبائلها والطائف وقبائلها من أشدهم .

ولقد احتوى معجم البلدان اسماء عدد كبير من القرى التي كانت حول المدينة وفي منطقتها نوردتها فيما يلي مرتبة حسب ترتيب حروف الهجاء :

الاثيل ، اجان ، أدامى ، أرينة ، الافراق ، أمج ، أوان ، بدر ، بطن نخلة ، بعات ، بنو فعاله ، توبة ، تعنق ، ثغر ، الجار ، الجلاء ، الجوانية ، ذو الحليفة ، الدبة ، خيبر ، زعبل ، سفان ، سويقة ، شعب ، شق ، صيدوح ، عرب ، عرينة ، عظم ، العقيق ، الغابة ، فدك ، الفرع كورة فيها عدة قرى ، قبا ، وبرة ، وخدة ، وادي القرى منطقة فيها عدة قرى ، الحمير ، يليل ، ينبع .

ولحة القدم بادية عليها . وقد ذكر كثير منها في كتب السيرة بما يسوغ القول انها او ان كثيراً منها كانت موجودة قبل الاسلام ، وان يثرب كانت هي الاخرى بمثابة أم القرى بالنسبة لما حولها من القرى مثل مكة والطائف .

اليهود في يثرب والقرى المجاورة لها

ولقد ذكرت الكتب العربية فيما ذكرت مما اختلط فيه الفس باليمن ان اليهود باؤوا من فلسطين الى منطقة يثرب دون تعيين وقت مجيئهم الذي يحتمل انه القرن الاول والثاني بعد الميلاد على اثر الضربة الشديدة التي ألحقها الرومان فيهم سنة ٧٠ م ، ونزلوا في المدينة وأماكن أخرى في طريق يثرب الشام مثل وادي القرى وخيبر وفدك ومقنا ، تيماء . ولم تذكر هذه الكتب ما إذا كانت هذه الأماكن كانت خالية من السكان ولكن يظهر من مجرى الاحداث وخلال الروايات انها كانت شبه خالية لأن اليهود كانوا وظلوا غالبية السكان في معظم هذه الأماكن . وقد امتلكوا الارضين فيها وفي ضواحي يثرب واستثمروها وأنشأوا كثيراً من بساتين النخل والعنب بالاضافة الى الزراعات الموسمية . واشتغلوا بالتجارة والصناعة والربا . وصاروا نتيجة لذلك أصحاب أموال وأملأ طائفة ومركز اقتصادي واجتماعي وطيد . وقد شادوا الحصون والقلاع ليكون لهم بها منعة في الوسط الجديد الذي حلوا فيه والذي كان مباءة تجوال القبائل العربية . ولا يبعد أن يكونوا أنشأوا مع ذلك صلات ودية مع هذه القبائل وقدموا اليهم كأبناء عم قدامهم وقالوا لهم انتم أبناء اسماعيل ونحن أبناء اسحق وكلانا أبناء ابراهيم وشهدوا لهم ان الكعبة والحج هي من التقاليد التي أنشأها ابراهيم فنالوا بذلك تقديراً .

وفي القرآن آيات قد تدل على ان بعض بني اسرائيل قد تصربوا الى مكة وأقاموا فيها . ففي سورة الاحقاف المكية آية تذكر ايمان احدهم بالنبي عليه السلام والقرآن وفي سورة الشعراء المكية آيات فيها استشهاد بعلماء بني اسرائيل على صحة القرآن . وعدا ذلك ففي سور عديدة مكية استشهاد بأهل العلم وأهل الكتاب الذي يمكن ان يكون شاملاً لليهود والنصارى معاً ، ثم ان قصص بني اسرائيل وموسى وفرعون وانبياء بني اسرائيل تكررت وأسهب فيها أكثر من غيرها في السور المكية ، حيث يؤيد كل هذا ما قلناه آنفاً .

غير ان القرآن المكي قد خلا من الحملات الشديدة على بني اسرائيل المعاصرين خلافاً

للقرآن المدني وليس فيه إشارة ما إلى احتكاك واصطدام أو حجاج ولجأج بينهم وبين النبي عليه السلام حيث يفيد هذا أن الذين كانوا في مكة منهم كانوا أفراداً. وهذا بالإضافة إلى احتمال تروده بعضهم من آن لآخر عليها من المدينة واحتمال وجود صلات بينهم وبين أهلها مما يصح أن يعد طبيعياً ولا يتحدر ريباً.

وفي القرآن آية تندد باليهود لأنهم آمنوا بالعجبت والطاغوت وقالوا للكافرين انهم اهدى من المؤمنين^(١) (النبي عليه السلام والمسلمين) وكان ذلك على ما ذكرته الروايات على لسان وفد يهودي ذهب الى مكة وحرص زعماءها على استئصال شأنه المسلمين في يثرب وتحالف معهم بما أدى إلى زحف قريش وحلفائهم على المدينة بجمع عظيم . وكان ذلك سبباً لما عرف في تاريخ السيرة النبوية بوقعة الخندق^(٢) . وفي هذا دلالة على ما قلناه من قيام صلات بين يهود يثرب وأهل مكة كما هو المتبادر .

مملكة اليهود واصطدامهم مع الأوس والخزرج

والروايات تذكر ان اليهود أنشأوا مملكة كانت يثرب عاصمة لها . وتعاقب عليها ملوك لم تذكر هذه الروايات إلا اسم آخرهم « الفيطون »

وتذكر كذلك ان الأوس والخزرج الذين هم من جد واحد اسمه ثعلبة بن حارثة والذين ينتسبون إلى قبيلة الأزدي الحطانية قد جاؤا من اليمن إلى يثرب بعد اليهود بسبب سيل العرب في وقت لا يعرف على اليقين ولكنه قبل البعثة ببضعة قرون على كل حال فنزلوا في جوارهم واشتغلوا في مزارعهم وبساتينهم وخضعوا لحكمهم وصبروا على الشدة التي كانوا يعاملونهم بها إلى ان كان عهد الفيطون الذي كان عاتياً فظاً فنقد صبرهم فوثب به شخص منهم اسمه مالك بن العجلان فقتله ثم فر إلى أبي جيلة ملك غسان في رواية وتبع الأصغر بن حسان ملك حير في رواية أخرى فقص عليه ما يقاسيه قومه من اليهود فجاء إلى يثرب فشكل بهم تشكيلاً شديداً ذلوا من بعده وزال ملكهم وقوي الأوس والخزرج عليهم وصاروا هم اصحاب الشأن في يثرب واضطر اليهود إلى التزلف لهم والدخول معهم

(١) سورة النساء الآية ٥١

(٢) انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠٨-١١٦ وابن هشام ج ٣ ص ٢٢٩-٢٧٤

في محالفات ايضمنوا لأنفسهم الحماية والامن .

وكان الخزرج أكثر عدداً وأقوى شكيمة فكان لهم التفوق والبروز حتى لقد روت الروايات أن الحكم والسلطان في يثرب صار إلى ملك منهم اسمه عمرو بن الأظفان الخزرجي اتسع نطاق سلطانه وسمي ملك الحجاز ، وحتى لقد روت الروايات أن الخزرج كانوا يصنعون تاجاً لزعيمهم عبد الله بن أبي ليناذرا به ملكاً عليهم إبان البعثة النبوية ثم اتصلت وفود الأوس والخزرج بالنبي ﷺ وانتهى الاتصال إلى اعتناق بعض زعمائهم الإسلام واتفاقهم مع النبي عليه السلام على الهجرة إليهم فأدى هذا إلى توقف ذلك المشروع وكان من أهم أسباب عقد عبد الله على النبي عليه السلام والإسلام حتى كان رأس المنافقين على ما هو معروف يقيناً من الروايات المتواترة . ومما قد يكون دلالة تأييدية ما تواترت فيه فيه الروايات عما جرى بعد وفاة النبي ﷺ حيث اجتمع الأنصار (الأوس والخزرج) في بيت سعد بن عبادَةَ زعيم الخزرج وتشاوروا في أمر خلافة النبي عليه السلام فترشح سعد لها . ولما جاء أبو بكر وعمر وأبو عبيدة رضي الله عنهم إلى سقيفة بني ساعدة مكان الاجتماع وأعلن أبو بكر أن الخلافة لقريش اعترض سعد وجماعته ومنهم من طلب المناوبة في الإمارة ولما تمت البيعة لأبي بكر حرد ولم يبايع أو بايع مكرهاً (١)

بيانات عن اليهود في الحجاز

ومع الزمن تعلم اليهود العربية واعتنقوا كثيراً من عادات العرب وتقاليدهم وتسموا بأسمائهم فرقاً وأفراداً . واستطاعوا في الوقت نفسه أن يؤثروا في العرب وأن يحتفظوا بمرکز ممتاز بينهم وأن يجعلوهم يحترمونهم ويهابونهم بما كان لهم من ثقافة ومعارف وبما كانوا يمتلكونه من أراضين وحقول وبساتين وأموال ويتعاطونه من أعمال الربا والسحر ويمارسونه من أعمال تجارية وصناعية وبما يحوزونه من سلاح ويحيطون به أنفسهم من حصون وأسوار وأطام ، على ما روت الروايات . وفي القرآن الكريم آيات عديدة مؤيدة لذلك (٢) وكان من أهم آثار نشاطهم استطاعة بعض أحبارهم حمل بعض ملوك

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٤٥ - ٤٦٣

(٢) اقرأ رسائلنا القرآن واليهود ص ٣٧ - ٣٢

الذين على التهود وانتشار اليهودية في المملكة الحورية نتيجة لذلك على ما شرحناه في الفصل السابق .

وكانت فرق اليهود الرئيسية في يثرب هي بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة . وكان هناك فرق صغيرة أخرى ملحقة بها مثل بني زعوراء وبنو يهدل وبنو ثعلبة وبنو القصيص وبنو محمر وبنو عوف ^(١) .

ولقد جاء في بعض الروايات أن بني قريظة وبنو النضير قبائل متهودة تنسب إلى جذام من قضاة ^(٢) . ونعتقد أن هذا غير صحيح . فالقرآن خاطب يهود المدينة بوصفهم بني اسرائيل في آيات كثيرة من القرآن المدني منها هذه الآية :

« يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون »
البقرة . ٤٤

وهذه الآية بداية سلسلة طويلة تمتد إلى الآية (١٢٣) في سياق تكرر مخاطبة اليهود فيه بوصفهم بني اسرائيل وربط فيه بين معاصري النبي عليه السلام الموجودين في يثرب من اليهود وبين بني اسرائيل القدماء ووصف هؤلاء بأنهم آباء اليهود المعاصرين . وفي سورة آل عمران والنساء والمائدة والجمعة آيات عديدة وصف اليهود في يثرب ببني اسرائيل وربط بينهم وبين بني اسرائيل القدماء في التاريخ والاخلاق والانحرافات والتعجيزات . وفي سورة الانعام آيات مؤيدة لذلك من ناحية ثانية وهي هذه :

وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون . أن تقولوا أنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين . أو تقولوا لو انا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدقون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون »

(١٥٥-١٥٧)

أي إن الله أنزل للعرب كتاباً عربياً لئلا يقولوا إن الكتب المنزلة لليهود والنصارى ليست بلغتهم وليس لهم إمام بها وأنه لو أنزل لهم كتاب عربي لكانوا أهدى منهم .

(١) جواد علي ج ٦ ص ١٣

(٢) نفس المصدر ص ١٥٢

وهذا يعني ان اليهود كانوا يقرأون كتبهم بلغتها الاصلية . ولا يعقل ذلك لو كان أكثرهم عرباً متهودين لأن بني قريظة وبني النضير هم الكتلة اليهودية الكبرى في الحجاز .

وعلى هذا فكل ما يمكن أن يكون أن بعض أفراد من عرب الحجاز قد تهودوا وان بعض اليهود والعرب قد تصاهروا . وهذا غير ما كان من تأثير بعض أخبار اليهود على بعض ملوك حير وتهودهم وتهود بعض أهل اليمن نتيجة لذلك على ما ذكرناه في الفصل السابق .

ولم يكن اليهود متأسكين فيما بينهم حيث روت الروايات المتواترة على أنهم كانوا مختلفين ، وفي القرآن ما يدل على ذلك بل ما يدل على أنه كان يقع بينهم قتال وسفك دماء وأسر وإخراج كما ترى في الآيات التالية :

١ - وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تنادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون .

البقرة ٨٤ - ٨٥

٢ - لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون .

سورة الخشر ١٤

ولقد كان يقع بين الأوس والخزرج نزاع وقاتل وكانت فرق اليهود تتحالف مع هؤلاء أو هؤلاء تبعاً لما بينهم أنفسهم من خلاف ونزاع وكانت كل جبهة تقاتل مع الجبهة الثانية خصيئتها نتيجة لذلك . وكان بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء للخزرج وبنو قريظة حلفاء للأوس^(١) .

ومن الوقائع الحربية التي وقعت بين الجبهتين قبل البعثة الحروب التي عرفت بأيام حير وحاطب والرازة وفارح والربيع والبقيع ومعبس ومغرس والبعاث لأسباب شخصية أو حلفية متنوعة لسانا نرى ضروره لشرحها^(٢) .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١١٨ و ٩٩ و ٦٨

(٢) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ٣٥٤ - ٣٥٥

وكانت الهدنة تنقذ بينهم بعد كل حرب ثم تنقض بالحرب التالية . وكانت الهدنة قائمة بينهم في اثنان البعثة . وكانت الوفود التي اتصل بها النبي عليه السلام في السنتين الاخيرتين من العهد المكي والتي تم الاتفاق بها بين الوفود وبين النبي عليه السلام على الهجرة إلى يثرب مؤلفة من زعماء الأوس والخزرج معاً على ما ذكرته كتب السيرة (١) .

ولقد كان لليهود على ما تلمه آيات القرآن كيان طائفي وكان لهم معابدهم ومدارسهم وأحبارهم وربانيوهم . وكانت كتبهم باللغة العبرانية التي كانوا يدرسونها ويتدارسونها ، وكان أحبارهم وربانيوهم قضائهم وذوي أثر كبير في توجيههم .

ولقد كان لهم على ما تلمه آيات القرآن وروايات السيرة أثر كبير في ما صار عند العرب من معارف دينية ودنيوية وفي تطورهم الديني والدنيوي معاً وفي ما دخل اللغة العربية من أسماء ومصطلحات عبرانية كثيرة . ولا شك في أنهم عرفوا من طريقهم مفهوم النبوة ووحدانية الله وما في أسفارهم من قصة الخليفة والطوفان ونوح وأبنائه وإبراهيم وأبنائه وموسى وفرعون ومعجزاته وخروج بني اسرائيل من مصر بقيادته وسيرتهم في شرق الأردن وفلسطين وما كان بينهم وبين غيرهم من احداث متنوعة وما ارتكسوا فيه من مخزافات أشارت إليها الفصول القرآنية العديدة إشارة تدل على ذلك . ولقد جاء في سورة فاطر هذه الآية في معرض التنديد بالمشركين « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم » (٢) وفي سورة الانبياء في نفس المعرض هذه الآية « بل قالوا أضغاث أحلام بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون » (٣) وفي سورة القصص هذه الآية « فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى » (٤) . ولقد استشهد القرآن أكثر من مرة في معرض الحجاج مع المشركين بأهل الذكر والكتاب الذين يدخل اليهود فيهم وبالكتب السماوية وبصحف موسى وإبراهيم وبالأسماء وعلمائهم مما لا نكون الحكمة فيه إلا حالة اعتراف المشركين بأهليتهم للاستشهاد والشهادة لما عندهم من كتب ومعارف ، حيث يقوم في كل هذا دلالات حاسمة على ما قلناه .

ومما تلمه الآيات أيضاً أنهم كانوا يمتقدون بأن العزيز ابن الله وأنهم كانوا يحجرون

(١) ابن هشام ج ٣ ص ٣٧-٤٠

(٢) الآية ٤٣ (٣) ٥ (٤) ٤٨

بقذف السيدة مريم . ويتبعجون بقتلهم المسيح وانهم كانوا يبشرون بعثة النبي العربي
ويذكرون ما في كتبهم من بشارات واشارات عنه وان احبارهم ورجالهم كانوا
يسكتون عن مخالفة بني دينهم لشريعة التوراة وعلى ارتكاسهم في الاثم واخذهم الربا
وأكلهم أموال الناس بالباطل . ويحرفون الكتب المنزلة وينسبون الى الله اشياء ليست بما
أنزل الله ^١ .

اما بالنسبة لاخلاقهم فقد وصفهم القرآن بالكفر والجور والحجاج والاباحية
والترفع عن الغير واعتبار انفسهم فوق مستوى الناس وعدم الاندماج الصادق مع احد
حتى مع من يوالونهم ويوادونهم ويتحالفون معهم والتضليل والدس والتدليس والشره
الشديد إلى ما في ايدي الناس ومحاولة الاستيلاء على كل شيء والتأثير بكل شيء والاعب على
كل حبل وفوق كل مسرح واستحلافهم لما في ايدي الغير وعدم اعتبارهم انفسهم مسؤولين
عن شيء امام الغير وضمنهم بأي شيء للغير اذا ملكوا وقدروا وعدم مبادلتهم الغير في ود
وبر وولاء ومحبة . وحسدكم لكل نعمة على كل احد ولو كانوا على احسن حال
واندماجهم في كل موقف مهما دنو وفجر وكان فيه كفر وفسق وخيانة وغدر في سبيل
التكايه من يناوئونه وتقضم لمبادئ دينهم في سبيل مكايده وعدم تقديمهم بأي عهد
ووعد وميثاق وحق وعدل وواجب وامانة وتشجيعهم لكل حاقد وفساد ومناق
ودساس ومتآمر في سبيل التهديم وشفاء لداء الحسد والحقد والخداع المتأصل فيهم إلا
النادر منهم .

وكانت هذه الاوصاف مؤيدة بواقع ما كان يصدر منهم من افعال واقتوال ذكرتها
فصول القرآن ^٢ . وقد ربطهم القرآن فيها بأبائهم الاولين بقصد تقرير كونها جيلة اصيلة
يتوارثها الابناء عن الآباء وتظهر في كل جيل منهم من لدن موسى إلى زمن محمد
عليها السلام .

واقدم كان تقرير القرآن لهذه الجيلة في اليهود تقريراً معجزاً حقاً لانها استمرت فيهم
بعد النبي عليه السلام الى يومنا هذا بحيث يراهم الناس في اخلاقهم اليوم على اختلاف
منازلهم وبيئاتهم صورة طبق الاصل لما وصفهم به من اخلاق لم تردهم الايام فيها الا

(١) انظر كتابنا عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ص ١٠٥-١٢٢ و ٤٣٦-٤٥٢ وتأريخ

العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٦ ص ٢٨٤-٢٨٥

(٢) اقرأ رسالة القرآن واليهود للمؤلف ص ٣٦-٥٤

وسوياً . وقد شرحنا في بحث العبرانيين في الجزء السابق أسباب ذلك وملابساته .

ولقد اصطدم النبي عليه السلام باليهود بعد هجرته الى المدينة وادى ذلك الى القضاء عليهم في المدينة والأماكن الأخرى ولم يلبث من بقي منهم محقنود الشوكة في يثرب والقرى الأخرى ان رحلوا أو أسلموا مما يدخل تفصيله في منبج الجزء التالي .

٧ - نظام الحكم في القبائل الشمالية

واسلوب حياتها وبعض أحداثها

والمستفاد من الكتب العربية ان شيوخ القبائل العربية الشمالية كانوا هم اصحاب الحكم والسلطان في قبائلهم بالتوارث ابناً عن اب وبالأستقرار على الاغلب في بيوتات معروفة . وانهم هم الذين كانوا يقودونها في الحروب ويمثلونها في المناسبات السياسية وينظمون شؤونها وحلها وترحالها . وقد كان بعضهم يتسمى باسم الملك حيث ذكرت الروايات العربية عدداً غير يسير منهم مثل زهير بن جذيمة العبسي وابنه قيس واخوه شاس ، ومثل حارثة بن عمر بن ابي ربيعة وحذيفة بن بدر الفزاري ومعاوية بن الجون الكندي وابنه حسان وزهير بن جناب الكابي ومالك بن خالد بن صخر الشريد السلمي وكليب بن ربيعة التغلبي وعدي بن حاتم الطائي^١ .

وكان سلطان بعضهم يتجاوز قبيلته ويجعله يقرض الاثاوة ويجبها من قبائل أخرى ذكرت الكتب العربية منهم زهيراً بن جذيمة الملك العبسي الذي كان يتقاضى الاثاوة من هوازن^٢ . وكان الملك يأخذ المربع بحق منصبه وهو ربع الغنائم التي تكسبها قبيلة أو القبائل التابعة له^٣ .

ولقد كان الى هذا امر مشهورة بالقبائل وصفت في الكتب العربية ببيوتات العرب منها بيت عبد الله بن داود من تميم ومر كزه بنو زراوة وبيت قيس فزارة ومر كزه بنو

(١) و(٢) و(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ٢٨٣-٤١٦ والعقد الفريد ج ٢

ص ٢٢١-٢٢٢ وج ٣ ص ٣١٠-٣٨٦ وبلوغ الأرب للأوسي ج ٢ ص ٦٨-٧٤ و ص ١٨٩

بدر وبيت بكر بن وائل ومركزه بنو ذي الجدين وبيت ذرارة بن عدس وبيت بهدلة بن عوف بن كعب . وبيت بني سعد في آل الزبورقان . وبيت بني ضبة في بني ضرار وبيت بني عدي بن عبد مناة في آل شهاب . وبيت النسيم في آل النعمان بن جساس . وبيت قيس في آل عمر بن الطرب العدواني ثم في غنى في آل عمرو بن يربوع ثم تحول الى بني بدر ^١ .

وكان لهم قضاة وحكام يرفعون اليهم قضاياهم ويحكمونهم فيها اشتهر منهم اكثم بن صيفي التميمي وحاجب بن ذرارة بن عدس التميمي والافرع بن حابس ابي عينة التميمي وربيعه بن محاشن التميمي وضمرة بن ضمرة التميمي وعامر بن الظرف العدواني وعيلان بن سلمة الثقفي وربيعه بن حذار الاسدي ويعمر المشداح الكناني وسلمى بن نوفل الكناني ومالك بن جبير العامري وعمرو بن حمة الدوسي والحارث بن عباد الربيعي والقاسم الكناني (ومعنى القاسم البحر) وذو الاصبع العدواني ^٢ .

ولقد كانت بوادي شمال الجزيرة تملج بالقبائل العربية البدوية . وكانت شريعة الحكم والسلب لمن غلب والقوة للكاثرة هي السائدة في البادية . فكان الضعفاء من القبائل يعتمدون الى الدخول في القبائل القوية على طريقة الولاء او الى عقد المحالفات مع بعضهم ليتكفوا من صد العدوان عليهم واخذ ثأرهم من يعتدي عليهم . فكانت هذه الوسيلة من الوسائل التي تحفظ التوازن في كثير من المواقف والظروف .

ايام العرب

على ان هذا لم يكن يمنع التصادم بينها لأسباب متنوعة . حيث روت الروايات اخبار كثير من الحروب التي وقعت بينها والتي عبر عنهم بكلمة ايام العرب ، لأسباب حلفية وشخصية ونسائية او نتيجة لغارات يشنها بعض على بعض . وقد احصاها بعض الرواة القدماء فبلغت ألفاً وسبعمئة يوم ^٣ اي وقعة . واغلب الايام او الوقائع كانت تسمى باسم

(١) انظر العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢١-٢٢٢ وبلوغ الارب ج ٢ ص ١٨٩-١٩٠

(٢) بلوغ الارب ج ١ ص ٣٠٨-٣٤٤

(٣) بلوغ الارب ج ٢ ص ٦٨

المكان الذي وقعت فيه ، ولم يصل البنا إلا اشهرها . وقد لعبت الصنعة والخيال والمنافسات التي قامت بين القبائل العربية بعد الاسلام دوراً فيها وان كانت من الأرجح غير خالية من الحقيقة .

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه من رجال القرن الرابع الهجري قصص اشهر هذه الايام تحت عنوان حروب قيس في الجاهلية وهو يعني حروب القبائل التي تجتمع في الابوة العليا في قيس وبكلمة ثانية معظم القبائل العدنانية وقد بلغت نحو تسعين يوماً^١ . ومن هذه الايام ما هو مهم حقاً ومشهور ومنها ما هو ثانوي واليك ما رايناه من الفائدة ذكره لأهميته او شهرته او اسبابه مع التنبيه الى اننا سوف نكتفي بذكر اسماء الايام والقبائل التي نشبت بينها وسببها المباشر دون تفصيل لأن في ذلك تطويلاً يخرج الكتاب عن الحد المرسوم له ولأن في التفصيل كثيراً من الخيال والصنعة واثار المنافسات والمفاخرات القبلية بعد الاسلام يحمل على الشك^٢ .

١ - يوم منمج : وقع بين قبيلتي غني وبني عبس بسبب اغتسال شاس بن زهير زعيم عبس وملكها في الماء عارياً على مرأى من زوجة غنوي فثارت نخوة هذا ورشقي شاساً بسهم فقتله فتداعت القبيلتان للقتال وكان النصر في هذا اليوم لغني على عبس .

٢ - يوم الثقراوات : بين بني عامر وبني عبس . ولقد كانت هوازن تؤذي الاثاوة او الخراج للملك عبس زهير بن جذيمة فجاءته عجوز من هوازن تعتذر اليه من المحل وتقدم له قرية من السمن فذاقه فلم يستطيعه فرماها بسهم فارقت على قنأها مكشوفة فثارت نخوة زعيم عامري فحرض قومه وهاجم عبساً وكان النصر لعامر وقد كان الملك في جملة القتلى .

٣ - يوم الرحرهران : بين بني عامر وبني قميم . فان بني قميم اجاروا زعيماً يطلبه خصوم اقرباء له من بني عامر فأثاروا بذلك بني عامر فأغاروا عليهم ، وكان النصر لهم وان لم يظفروا بغريمهم حتى استطاع ان يفلت .

٤ - يوم شعب جبلة : بين بني عامر وعبس في جبلة وذبيان وقيم في جبلة . وهذا

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٠-٣٨٦

(٢) ان جواد علي في الجزء الرابع من كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام عقد نبذة على ايام العرب ايضاً ص ٢٢٠-٢٣٢ غير انها في العقد الفريد اوفى واكثر تسليلاً .

اليوم امتداد لليوم السابق حيث أراد بنو تميم الذين كانوا تحت زعامة لقيط بن زراوة أحد مشاهير زعماء العرب أخذ ثأرهم وتحالفوا مع عيس وتحالف بنو تميم مع ذبيان وكان النصر للأولين في هذا اليوم .

هـ - حروب داحس والغبراء . وداحس والغبراء اسماء فرسين لزعيمي عيس وذبيان قيس بن زهير وحمل بن بدر . وقد تراهنا على السبق واحتال حمل بحيلة تساعد فرسه على السبق فثار قيس واتسع الحرق فتداعت القبيلتان إلى الحرب تعصباً لزعيميهما . واستمرت أربعين عاماً وتكررت وقائعها أو أيامها . وكانت قبيلة ذبيان حليفة وشريكة لفزارة فيها . ومن أيامها .

أ - يوم المريقيب بين عيس وفزارة . وكان النصر لعيس

ب - ويوم ذي حسان بين عيس وذبيان . وكان النصر لذبيان

ت - ويوم اليعمرية بين عيس وذبيان . وكان النصر لعيس .

ث - ويوم الهبابة بين عيس وذبيان . وكان النصر لعيس .

وقد قتل رجال عيس في هذا اليوم حذيفة بن بدر وأخاه حملاً زعيم ذبيان . وكان وقع ذلك عظيماً على غطفان التي لم تكن عيس وذبيان وفزارة إلا بطوناً منها فرأت عيس أن لا تقام لها في أرض غطفان فتزحمت إلى اليمامة فنزلت عند بني حنيفة ثم رحلت فنزلت عند بني سعد زيد بن مناة .

ج - يوم الفروق بين عيس وذبيان . حيث عادت إلى منازلها فبادرت إليها ذبيان ثم تدخل بعض الوسطاء فأصاحوا بينهما ولم تقع حرب .

ح - يوم قطن : بوغم الصلح الذي تم فان بعض بني ذبيان قتل زعيماً من بني عيس ثأراً بأبيه فانتقض الصلح وبادرت القبيلتان إلى الحرب . وتدخل خارجة بن سنان أحد زعماء العرب المشهورين فأوثق الصلح بين الطرفين . وفي هذا يقول زهير بن أبي سلمى مادحاً خارجة ورفيقاً له شاركه في سعيه :

تداركنا عيساً وذبيان بعد ما
توافوا وذقوا بينهم عطر منشم

٦ - يوم الرقم : بين قبائل غطفان وقبائل عامر بن صعصعة . وسببه غارة أغارها بعض بني عامر على بعض بطون غطفان فجمعت غطفان جموعها وغزت بني عامر وأخذت ثأرها حيث كان النصر لها .

٧ - يوم النثاء : بين عيسى وعامر . وهذا اليوم امتداد لليوم السابق حيث أراد العامريون أخذ الثأر ففوزوا بنو عيس ولكن هؤلاء ردوهم وانتصروا عليهم .

٨ - يوم شواخط : بين بني محارب وبني عامر . حيث أغار فرسان عامريون على بني عامر واستاقوا إبلًا لهم . فلاحق بهم فرسان محارب وقتلوا منهم عدداً واستردوا إبلهم .

٩ - يوم حوزة : بين سليم وغطفان بسبب ملاسنة بين زعيم سليم معاوية بن الشريد وزعيم غطفاني اسمه هاشم بن حرمة في عكاظ . فلما عاد معاوية حرص قومه وغزاعشيرة الغطفاني وأوقع بها وشفى بذلك ما في نفسه .

١٠ - يوم حوزة الثاني : وهو امتداد للأول لأن غطفان بادرت الى أخذ ثأرها فغزت سليم وقتلت بعض رجالها وشفيت بذلك ما في نفسها .

١١ - يوم ذات الائل : وهو أيضاً امتداد لسابقه حيث غزت غطفان سليماً للمرة الثانية بقيادة زعيمها صخر بن الشريد فاكنتسحت ابلهم . وقتلت بعض رجالهم . غير أن صخراً أصيب بطعنة مات منها بعد قليل . وصخر هو اخو الحنساء الشاعرة الشهيرة وفيه قالت مرثيتها الرائعة المأثورة .

١٢ - يوم الهوى : بين غطفان وهوازن بسبب غزو فريق من هوازن لفريق من غطفان واكتساحه ابل هذا الفريق . وقد لحق فرسان الفريق الغطفاني بالغزاة واستردوا ابلهم وقتلوا بعضهم ومن جملتهم عبد الله بن الصمة زعيمهم وجرحوا اخاه دريداً احد مشاهير فرسان العرب .

١٣ - يوم الصلحاء : بين هوازن وغطفان . وهو امتداد لسابقه حيث أراد دريد أخذ الثأر ففوزا هوازن ولكن هؤلاء تمكنوا من رده .

١٤ - يوم الكديد : بين سليم وكنانة . ولم يقع اشتباك كبير بين الطرفين وإنما قتل بنو سليم فارساً كنانياً مشهوراً اسمه ربيعة بن مكدم . وكان العرب يعقرون على قبوره ولم يعقر على قبر أحد غيره .

١٥ - يوم بوزة : بين القبيلتين حيث أراد بنو كنانة أخذ ثأرهم فأغاروا على سليم وقتلوا ملكهم مالك بن خالد بن صخر بن الشريد .

١٦ - يوم الفناء : وكان أيضاً بين القبيلتين حيث هاجم بنو سليم كنانة وانتصروا عليهم وقتلوا وسبوا .

١٧ - يوم السريان : بين بني عامر وبني تميم بسبب غارة أغارها بنو عامر على بني تميم حيث قتلوا وسبوا .

١٨ - يوم أقرن بين بني عبس وبني دارم بسبب غارة أغارها بنو دارم على بني عبس واستاقوا إبلهم . وقد لحق بهم فرسان بني عبس فاستردوا الإبل وقتلوا بعض المقيمين^١ .

١٩ - بين تميم وبكر : وقعت أيام عديدة بين القبيلتين بسبب غارة أغارها بعض فرسان بني بكر على بني تميم . وتداولت الأيام بينها حيث أغار بنو تميم بقصد أخذ الثأر وأغار بنو بكر بسبيل الرد . ومن الأيام المشهورة مر هذه يوم الوقيط ويوم النباح .

٢٠ - بين بني يربوع وبكر : وقعت أيام عديدة بينها للسبب نفسه وكان البادية بنو تغلب أشقاء بنو بكر . وتداولت الأيام بينها كذلك ومن الأيام المشهورة يوم زروه ويوم ذي طلوع ويوم الحائر ويوم ملهم ويوم القحطح ويوم رأس عين ويوم العظالي ويوم الغبيط ويوم جدود ويوم مخطط ويوم الجبايات ويوم زرود الثاني . وكان النصر فيها جميعاً لبني يربوع .

ولقد كان مجال هذه الحروب جزيرة الفرات لأنها موطن القبائل المتدولة بينها غير أن هذه القبائل عدائية من جهة وكانت تمتد إلى أطراف شمال الجزيرة من جهة أخرى .

٢١ - أيام بكر وتميم : وقعت الحروب بين القبيلتين بسبب ما كان يفعله بنو بكر في أرض بني تميم حينما كانوا ينجعون إليها في أيام الجذب حيث كانوا لا يظفرون بشيء إلا اكتسحوه وهم عائدون إلى منازلهم . فصمم بنو تميم على منعه من هذا الفساد بالقوة وأدى ذلك إلى وقائع عديدة بين الطرفين كان النصر في معظمها لبني بكر ومن أيامها المشهورة أيام الشيطين وصعنوق ومبايض وفيحان والحاجر والشقيق .

٢٢ - حرب البسوس : وهذه الحرب مثل حرب داحس والغبراء امتد أمدها واشتهر خبرها . وكانت بين قبيلتي بكر وتغلب وهما أبناء جد واحد هو وائل . وكان سببها

(١) هذا النوع من الأيام قد تكرر كثيراً فاكفينا بالتمودجين المذكورين في ١٧-١٨

فاقة اسمها سراب لامرأة اسمها بسوس خالة جساس بن مرة أحد فرسان بني شيبان من قبيلة بكر . وكانت هذه الخالة نازلة عند ابن اختها فشردت فاقتها مع نياق كليب بن ربيعة زعيم قبيلة تغلب الذي يذكر الرواة عنه ان جميع قبائل معد قد اجتمعت عليه وجعلت له قسم الملك وتحتته وناجه ، وانه كان معتداً بنفسه وقوته وبلغ من ذلك انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرى احد حياه ويجير على الدهر فلا تخفر ذمته ويعلمن حمايته لنوع من الوحش أو الطير فلا يصاد ولا يهاج وضرب به المثل فليل اعز من كليب . وقد كان من امره حينما جاءت فاقة البسوس مع نياقه ان رماها بسهم فعادت تنزف وتروع فلما رأتها بسوس قد دقت خمارها وصاحت واغلاها واجاراه . فتحبس جساس وذهب الى كليب فعاتبه فاشتدت الملاسة بينهما فما كان من الأول الا ان طعن الثاني فأرداه قتيلًا . فأعاج العمل الحرب بين القبيلتين وتكررت وقائعها وامتدت طويلاً . ومن أيامها يوم النهى ويوم الذنائب ويوم واردات ويوم عنيزة ويوم الحنو ويوم الغويرضات ويوم أنيق ويوم ضرمه ويوم العصيات . وكانت أكثرها لتغلب على بكر واضعفت الحرب الطرفين فلجأ الى ملك كندة الحارث بن عمرو بن معارية آكل المار فأصلح بينهما ثم استعان بها على تحقيق مطمئنه في ملك الحيرة ، وفي هذه الحرب قال المهلهل قصائده في رثاء اخيه كليب .

٢٣ - يوم تياس : بين بني سعد وبني عمرو من قميم . وسبب ذلك ان رجلاً من بني عمرو قطع رجل رجل مسن بني سعد فاجتمعت عشائر الطرفين واقتتل وكان النصر لبني سعد .

٢٤ - ايام الفجار : وهي اربعة . وكانت بين كنانة وحلفائها قريش وبين هوازن . وسميت بالفجار لأنها وقعت في منطقة حرم مكة وفي الاشهر الحرم وكان القتال فيها محرماً .

أ - وكان سبب اليوم الأول ان احد زعماء كنانة كان في مجلس له في سوق عكاظ فقال انا اعز العرب فن زعم انه اعز مني فليضرب رجلي ومد رجله . فبادره احد رجال هوازن فضرب رجله وقطعها وتبادرت قبيلتا الرجلين الى القتال ولكن الناس حجزوا بينهم .

ب - كان سبب اليوم الثاني ان فتية من قريش تحرشوا بامرأة من هوازن تحرشاً فبيحاً حيث طلبوا منها ان تسفر عن وجهها فأبى فشكوا ثوبها بشوكة الى ظهرها فلما

قامت انكشفت عورتها فصاحت يا آل عامر فبادر الحاضرون من قومها الى نصرتها واشتبكوا مع الحاضرين من هوازن ثم تدخل حرب بن امية فأصلح بينهم .

ت - وكان سبب اليوم الثالث ان رجلا من كنانة كان مديناً لرجل من هوازن فمأطله فقتله فهاجت كنانة واستعد الفريقان للقتال ثم سعى الناس فأصلحوا بينها .

ث - وكان سبب اليوم الرابع ان المنذر بن النعمان ملك الحيرة اعتاد ان يبعث كل قافلة تجارية الى سوق عكاظ في جوار شريف من العرب فلما جهزها في احدى السنين سأل اشراف العرب الذين عنده عن يجبرها له منهم قتال زعيم هوازي اسمه البراض انا اجبرها على بني كنانة . فقال النعمان انا اريد شريفاً يجبرها على اهل نجد وتهامة فتقدم زعيم هوازي اسمه عروة واعلن استعداده لذلك فاعتاظ البراض وسار في عقب القافلة حتى اذا كانت في فذك انتبه غفلة من عروة فقتله واستاق القافلة الى خيبر . ثم قتل رجلين من غطفان وغنى اعتراه . وكان بين بني كنانة وقريش حلف فأدى الامر الى دخول قریش في الحرب ضد هوازن الى جانب كنانة وجمع كل من الطرفين جموعهما وحلفاءهما وانحذا يشتبكان في القتال الذي تكررت ايامه حيث اشتبكوا مرة في موقع اسمه نخلة ثم في موقع اسمه شملة ثم في موقع اسمه العبلاء ثم في موقع اسمه شرب ، ثم في موقع اسمه الحريرة وقد تداولت بينها الايام ثم تداعوا الى الصلح واصطلحوا .

٢٥ - حرب ذي قار : نسبة الى ماء بين الكوفة وواسط . وهي آخر ما ذكره مؤلف العقد من ايام العرب . وسيأتي تفصيله في سياق سيرة ملكة الاخشين في العراق .

انساب القبائل العربية

في شمال جزيرة العرب واسماؤها وتفرعاتها

ان الكتب العربية التي تروي روايات انساب القبائل العربية في شمال الجزيرة واسماؤها وتفرعاتها احتوت كالعادة الفث والسجين والتناقض والتضارب . عدا ان الاسماء الاصول الاولى قد جاءت بالفصحى مع ان المفروض انها كانت موجودة قبل البعثة بقرون عديدة اي في ظوف لم تكن اللغة العربية قد بلغت طورها النضج .

ومع ذلك فنقول هنا ما قلناه في صدد روايات هذه الكتب عن اصول القبائل العربية

في جنوب الجزيرة واسمائها حيث يلوح ان الاسماء والانساب التي وردت فيها تمثل واقع حال القبائل في القرنين السابقين للبعثة وما يرويه رجالها ونسابوها بالغتهم الفصحى بالنسبة لما هو اقدم من ذلك من اسماء وانساب وحيث يرجح ان الاسماء والمسميات كانت متداولة وموجودة في القرنين المذكورين . وقد ظلت موجودة الى زمن البعثة ثم في العهود الاسلامية مما قد يكون فيه تأييد لما قلناه . ويسوغ هذا المؤرخ ان يأخذه بعين الاعتبار .

ولقد كانت هذه القبائل من اصول شمالية وجنوبية ولذلك سوف نذكر كلا منها على حدة .

١- القبائل التي ترجع اصولها الى الشمال

ان الاصل الاول الذي ترجع اليه الروايات هذه القبائل هو نزار بن معد بن عدنان ، وترجع عدناناً الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام كجد اعلى . وقد علقنا على هذا في سياق ذكر عرب الشمال في دور ما قبل المروبة الصريحة في الجزء الاول من الكتاب فلا نرى ضرورة للاعادة . وسنقف عند نزار الذي يعتبره التسابون الاصل المباشر الذي تفرعت منه القبائل التي تنتم بالعدنانيين .

ولقد ذكر اسم نزار بصيغة نزرو في حجر قبر امرئ القيس السذي كتب سنة ٣٢٨ ب م والذي اوردها نصه في النماذج . والكتابة تفيد ان هذا الاسم كان يمثل قبيلة او مجموعة قبائل . وهذا هو المعقول اذا اخذنا بروايات نسب النبي ﷺ التي تجعل بينه وبين نزار ثمانية عشر أباً^١ حيث يقتضي هذا أمداً أطول بكثير من الامد الذي بين كتابة حجر امرئ القيس وعام ٤٧٠ ب م الذي ولد فيه النبي ﷺ .

وكتابة حجر امرئ القيس تذكر معدو ايضاً بصيغة تفيد كذلك انه اسم يمثل قبيلة

(١) هذه سلسلة آبائه عليه السلام : عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب

بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن

مضر بن نزار بن معد بن عدنان

أو مجموعة قبائل . والروايات العربية تذكر أنه كان امد بن عدنان ابناً غير نزار^١ حيث يسوغ هذا القول اذا صحت رواية النسب ان ابناً معد غير نزار كانوا ينتسبون اليه فذكر اسمه في الحجر ليمثل مجموعة قبائلهم ، وان كانت الروايات لم تؤكد تذكر قبائل معينة تنتمي اليه رأساً وتذكر نزاراً وحده اصلاً تفرعت منه جميع القبائل العدنانية .

وهذه خلاصة موجزة لما روته الكتب العربية من الانساب والاسماء^٢

١ - ان نزاراً خلف اربعة بنين هم مضر وربيعة وانمار واياه .

أ - وقد خلف مضر ولدين هما الياس وعيلان .

ب - اما الياس فانه خلف مدركة وطانجة وقمقة .

الذين تسمى اعقابهم باسم خنرف نسبة الى اسم أمهم . وخلف مدركة هزيلا وخرزيمة وخلف طانجة أدأ ومزينة . ولم تذكر الروايات خلفاً لقمقة وخلف هزيل لحياناً وخزاعة وحرثياً وكاهلاً . وخلف خرزيمة كنانة وأسداً والهون . وقد صار كل من هؤلاء جدياً لقبائل وبطون عديدة تنتمي اليه ويتسمى بعضها باسمه

ت - وخلف كنانة النضر الذي تقول بعض الروايات ان قريشاً اسم ثان له^٣ ، ثم مالكا وملكاناً وملكاً وغزواناً وعمرواً وعامرأ وحادالا وسعداً وعوفاً ومجربة وعبد مناة . وقد صار من كل من هؤلاء جدياً لقبائل وبطون تتسمى بعضها باسمه وتنتمي اليه .

ث - وخلف النضر مالكاً ويخلد وصلتا . وخلف مالكا فهرأ - الذي تقول بعض الروايات ان اسم قريش هو الاسم الثاني له - وحارثاً وحارباً وجندله . وخلف غالب لؤياً وتيا . وخلف لؤي كعباً وعامرأ وسامة وعائدة وحارثاً وسعداً وعوفاً . وخلف

(١) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ٢٨٥

(٢) انظر الجزء الرابع من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ص ٢٨٣-٣٤٤ والعقد الفريد

ص ٢٢٥-٢٤٢

(٣) اختلاف الرواة في معنى قريش . وفي الجزء الثاني من اساس البلاغة للرخشي في مادة قرش . تارشت الرماح بمعنى تناجرت (اي اختلطت واحتكت) وسعت لرماح قرشة . وفلان يقرش لعياله ويقرش ويقرش (اي يتكسب) والقرش اسم لدابة عظيمة من دواب البحر صغرت لتحويل . فاما ان ان تكون قريش من المعنى الاول او الثاني او الثالث . وقد سمي به احد احفاد النضر وهو قريش بن بدر بن يخلد بن النضر

كعب مرة وهصيصاً وعدياً . وخلف مرة كلاباً وتياً ويقظه . وخلف كلاب قصياً وزهرة
وخلف قصي عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى . وقد صار كل من هؤلاء جداً لبطن
وعشائر تنسب بعضها باسمه وتنتمي إليه . وبنو هاشم عشيرة النبي عليه السلام من عبد
مناف . وبنو أمية من عبد الدار .

ج - ومن ينتمي الى الهون بطون عائدة المشهورة بالرمي والتي سميت القارة بسبب
ذلك . ومن ينتمي الى هزيل بطون هزيل ولحيان وخزاعة وحريث وكاهل وصاهة
وصبح وكعب . ومن ينتمي الى كنانة بطون قريش وبكر بن عبد مناة وجندع بن ليث
وغفار ومدلج وبنو مالك وبنو الحرث والاحابيش وبنو ضمرة . ومن ينتمي الى اسد
بطون دودان وبنو حامة وبنو القعين وبنو الصيداء وبنو حجران وبنو سعد وبنو غنم
وبنو مخدج وبنو ثعلبة . وبعضهم ينسب الى الهون بطون ديش وبنو عضل ثم بطون
الحيا والمصطلق ، وينعت البطنان الاخيران على رأي الرواة بأحابيش قريش .

ح - وينسب الى اسد بنو حامة وبنو الصيداء وبنو فقفس وبنو قعين وبنو حجران
وبنو سعد وبنو غاضرة وبنو غنم . وينسب الى طابخة وابنه أد بطون ضبة التي منها بنو
سعد وبنو السيد وبنو كوز وبنو ذهل وبنو زيد وبنو عائذة وبنو مر ثم بطون عدي
وقيم وثور وعسكل التي تسمى الرباب ثم بنو الغوث الذين يسمون صوفة . وينسب الى
تيم بطون الشقرات وبنو العنبر والحبطات وبنو سعد وغيلان وأسلم وحرب والاحازب
وبنو عطارد وبنو بهدلة وبنو مقاعس .

خ - وجميع من ذكرهم من نسل الياس بن مضر . اما غيلان بن مضر فانه خلف
قيساً . وقد تفرع منه قبائل ويطون كثيرة جداً منها قبائل ويطون عدوان وغطفان -
التي ينضوي فيها بنو عبس وبنو فزارة وبنو ذبيان - واشجع وباهلة وبنو الطفاوة وبنو
خضفة وبنو هلال وبنو سليم وبنو عامر وبنو ذكوان وبحارب وهوازن وثقيف وبنو
عقيل وبنو معاوية . وكل من هؤلاء متفرع الى فروع كثيرة جداً ، ومن هذه القبائل
ما كان كبيراً جداً مثل بنو هلال وغطفان وبنو عامر وهوازن .

د - ولقد خلف ربعة الابن الثاني لنزار أسداً وضبة . وتفرع من كل منها قبائل
ويطون . ومن ينسب اليها قبائل ويطون مراد وعمر وعامر واكاب وعنزة وبنو حلان
وبنو هزان وبنو الدليل وبنو يقدم وبنو خزيمة وبنو حلامة وبنو عجل والنمر بن

ساقط وبني وائل الذي ينضوي فيها بنو بكر وبنو تغلب - وبني ثعلبة وبنو جشم وبنو معاوية وبنو الحرث وبنو حرة وبنو عدي وبنو يشكر وبنو حنيفة وبنو ذهل والهازم . ومنها ما كان أوصار كبيراً جداً مثل عترة وبني وائل وبني حنيفة . وكل منها قد تفرع إلى فروع كثيرة بدوره

ذ - ولقد خلف إباد الابن الثالث لزوار زهراً ودعياً وغارة وثلعة . وتفرع من كل منهم قبائل وبطون . وينسب اليهم بنو الطامح وبنو زهر وبنو حذافة كقبائل رئيسية متفرعة إلى بطون كثيرة .

د - ويقول الرواة أن إثمار الابن الرابع لزوار لا عقد له إلا ما يقال في بحيلة وخشم حيث يقال أنها متفرعتان من ابنتين لإثمار هذا الامم . والقبيلتان لا تعرفان بذلك . وتنتميان إلى الأرومات القحطانية الأزدية الكهلانية .

٢ - القبائل القحطانية في شمال الجزيرة

ذكرت الروايات العربية عدداً من القبائل والبطون القحطانية التي كانت في شمال الجزيرة العربية . ولا تخلو من تضارب وتناقض حيث يذكر بعضها بعض القبائل والبطون كقحطانية بينما يذكرها بعض آخر كمدنانية ؛ ومع ذلك فإن الروايات لا تخلو من حقيقة وإليك خلاصة لما ورد فيها في هذا الباب ١ :

١ - خزاعة التي تذكر الروايات تزوجها من اليمن في عهد قديم وممارستها الحكم والسيادة في الحجاز . وبما ينسب إليها بطون كعب ومليح وسعد وبني ساول وبني جليل وبني المصطلق ؛ مع أن بعض تذكر بني المصطلق في عذاد من ينتمي إلى الهون بل وتذكر اسم خزاعة في عداد هؤلاء أيضاً على ما مر بيانه .

٢ - الأزد : كان من هذه القبيلة قبائل وبطون عديدة في أنحاء مختلفة من شمال الجزيرة . منها بطون بني عبد القيس في البحرين . وبطون مالك بن فهم والجلندي في عمان ووطن بني طريف في الحجاز . ووطن الأوس والخزرج في يثرب . وبطون من خشم

(١) جواد علي ج ٤ ص ٢٣٣-٢٨٢ والعقد الفريد ج ٣ ص ٢٤٣-٢٦٦

وبجيلة في نواحي الطائف على طريق اليمن . ومن فروع خثعم خزيمه ووادعة وأشهل
وخندة . ومن فروع بجيلة قسر وعلقة وبنو أحس وقيس وبنو عرينه وبنو دهن .

٣ - طي : وهي القبائل القحطانية الكبيرة التي نزحت الى شمال الجزيرة وتفرقت في
مختلف انحاءها ثم في العراق والشام ولعبت أدواراً كبيرة في تاريخها وخاصة في العهد
الاسلامي ١ . وكانت أولى مراحل نزوحها بلاد نجد حيث نزلت عند جبلي أجأ وسلمي
فصارا يدعيان جبلي طي . ومن القبائل والبطون التي تنتسب الى طي جديلة وتيم الله وبنو
نبهان وبنو هني وبنو ثعل والثعالب وبنو الفوث وبنو سلامان وبنو جرول وبنو مجتر
وبنو معن وبنو ربيعة وبنو لوزان وبنو أخزم .

٤ - بلي : كان في أعالي الحجاز بطون من قبيلة بلي التي ينسبها النسابون الى قضاة
الكبرى . ومن هذه البطون بنو العجلان وبنو وائلة .

٥ - جهينة : وهذه القبيلة تنسب الى قضاة أيضاً . وقد نزح بطون منها الى نجد أولاً
ثم انتقلت الى الحجاز على مقربة من المدينة بين ساحل البحر ووادي القرى ، ومن فروعها
بنو قيس ومودعة .

٦ - جذام . وهي تنتسب الى قضاة ايضاً . وكان منها بطون نازلة في جهات يثرب
وتمتد الى ينبع . ومنها بطون بني ضبيب وبني مخزومة وبني بعبجة وبني كنانة وبني
نفائة .

٧ - كلب : وهي كذلك تنسب الى قضاة . وكانت منتشرة بين الحجاز والشام
وخاصة في جهات تبوك ودومة الجندل . وهي قبيلة كبيرة . ومن فروعها بنو كنانة
ورفيدة وعرينه وصحب وبنو عدي وبنو زهير وبنو عليم وبنو جناب .

٨ - بنو عذرة : الذين ينتمون الى قبيلة نهد القحطانية . وقد كانوا في أعالي الحجاز
أيضاً . وفروعهم كثيرة منها بنو ضنة وبنو جلهمة وبنو زفرقة وبنو الجليخاء وبنو جروش
وبنو حن وبنو مدالح وبنو رفاعه وبنو كثر وبنو صرمة وبنو حزام وبنو نصر .

٩ - عاملة : لقد نزح بطون عديدة من هذه القبيلة الى الشمال : منها من أقام في نجد

(١) انظر كتابنا العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي ج ١ ص ١٢٢-١٤٥ و ج ٢ ص ١٢٧-

١٣٤ و ١٣٩ و ٤٢١-٤٢٢ و ٥١٧-٥٢١ و ٦٠٦-٦١١

وأعالي الحجاز ومنها ما رحل واستقر بمض النحاء الشام

١٥ - كندة : من هذه القبيلة بطون نزحت الى الشام . منها من انتشر في اعالي الحجاز الى تبوك ودومة الجندل . وكان منها حكام دومة من فرع يقال له السكوت ؛ ومنها ما انتشر في جهات نجد الى جزيرة الفرات .

١٦ - بطون قحطانية اخرى : والى ما تقدم بطون قحطانية اخرى نزحت الى الشمال ونزلت في جوار قبائل عدنانية في جهات الحجاز ونجد تنسب الى قبائل مذجح ومراد وسعد العشيرة وبني رمان والنخع وبني الصداء وبني جنب وبني حبابة وسدوس .

هذا وقد تمكن ان يستدل بالاسماء النصحي للقبائل والبطون القحطانية التي كانت موجودة في شمال الجزيرة في دور العروبة العريق قبل الاسلام على ان نزوحها قد وقع في القرنين السابقين للبعثة أي في ظرف تكامل التطور العربي واللغة العربية . غير ان مما لا شك فيه عندنا ان حركة النزوح من الجنوب الى الشمال كانت تجري منذ أقدم الازمنة نتيجة للعوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تدفع بالموجة بعد الموجة من الجنوب الى الشمال ثم من الشمال الى الهلال الخصيب من ناحية ومن الجنوب الى السواحل الافريقية الشمالية الشرقية ثم الى وادي النيل على ما شرحناه في مقدمة الكتاب في الجزء الاول وفي الاجزاء التالية له .

والمتباهر ان حركة النزوح في طور العروبة الصريحة الى الشمال والاستقرار فيه قد وافقها شعور بوحدة الجنس ثم واقع وحدة اللغة التي كان يتكلم بها الجنوبيون والشماليون وان اختلفت لهجاتها . وان هذا وذلك كان من الاسباب الحافزة للنزوح والاستقرار .

الحالة الاقتصادية والاجتماعية والعقلية والدينية

في شمال الجزيرة

في القرآن آيات كثيرة في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والعقلية والدينية يمكن ان يستلهم اشياء كثيرة فيما كانت عليه هذه الشؤون عند العرب في شمال الجزيرة في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام .

وفي الكتب العربية بيانات كثيرة متحة وموضحة لما جاء في القرآن او زائدة عليه لأن ما احتواه القرآن هو ما اقتضته حكمة التنزيل لتحقيق الهدف المقصود وحسب .
واليك الآن ما أمكن اقتباسه منها .

الحالة الاقتصادية

أولاً

١ - النشاط التجاري

كانت منطقة مكة جدياً ومياها شحيحة مما يفيد وصف القرآن لها بأنها (واد غير ذي زرع)^١

وقد جعل هذا أهلها يستغيضون عن ذلك بالضرب في مناكب الأرض وشد الرحال للأسفار التجارية في الصيف والشتاء والبر والبحر . يتوسطون في نقل السلع ومبادلتها في الأصقاع الجنوبية والشمالية والشرقية والغربية أي اليمن والشام والعراق وفارس ومصر والحبشة وسواحل إفريقية من جهة ، ويشتررون ما يحتاج إليه أسواقهم من السلع والغلات من جهة أخرى . وكان هذا امتداداً لما كان قبل هذا الدور لأنه متصل بطبيعة المنطقة الجغرافية ، وقد نوهنا بما كان من نشاط أهل المنطقة في هذا المجال في الجزء الأول من هذا الكتاب .

ولقد كثر في القرآن ذكر البحر وأسفاره وأخطاره والفلك وتيسير جريانه بأسلوب يتضمن^٢ معنى توطد ذلك بممارسته من قبل أهل مكة الذين كانوا مخاطبين به قبل نزوله عدة طويلة . ولقد ورد فيه كذلك آيات تتضمن تقرير طرق الساميين - أهل مكة أو الحجاز - بلاد عاد في جنوب جزيرة العرب وبلاد ثمود في طريق الشام ثم بلاد البلقاء وفلسطين التي فيها خرائب قوم لوط^٣ . ولقد وصف قرعون بذي الاوتاد في بعض الآيات^٤ وهذا الوصف يعني على ما نعتقد الاهرام وبالتالي يتضمن إشارة ما إلى أن من

(١) سورة ابراهيم الآية ٢٧

(٢) اقرأ مثلاً آيات الانعام ٩٧ ويونس ٢٢ والنحل ١٤ والاسراء ٦٦-٦٩ والعنكبوت ٣٨

والزوم ٩ ويس ٤١-٤٦ والصفات ١٣٠-١٣٨ والثوري ٣٢-٣٣ والجنات ١٣

(٣) اقرأ آيات سورة العنكبوت ٣٨ والصفات ١٣٢-١٣٨

(٤) اقرأ آية سورة ص ١٢ والفجر ١٠

عرب الحجاز من عرف الاهرام معرفة عيانية وبعبارة أخرى من زار بلاد مصر . وكل هذا يدل على ما كان أهل مكة أو الحجاز يقومون به من رحلات تجارية برية وبحرية الى مختلف أنحاء الجزيرة ثم الى مختلف الاقطار المجاورة لها ثم على ما كان لهم من نشاط اقتصادي واسع .

ولقد ذكرت الروايات ^١ ان هذا النشاط كان عاماً عند أهل مكة وان الذين لا يرحلون بأنفسهم كانوا يشاركون الراحلين أو يستأجرون من يسافر لحسابهم مع القوافل ويتجر لهم ؛ وان الحركة لم تكن قاصرة على الأغنياء بل كان يساهم فيها المتوسطون أيضاً . وسورة قريش ^٢ على ايجازها تنطوي على تقرير ما كان من نشاط أهل مكة التجاري وشبهه اذا انعم النظر فيها . ولقد كان أهل مكة يحتفون حفاوة كبيرة بالرحلتين الرسميتين فيودعوها بحفاوة ويستقبلونها بحفاوة ويكون سفرهما وإياهما من أيام مكة المشهوددة . وكانوا يهرعون الى آلهتهم فيدعون عندهم لها بالنجاح من دهاجها ويشكروهم ويقربون لهم القرابين إياها حتى لقد كان من التقاليد ان يكون اول عمل يقوم به رؤساء القافلة الذهاب الى الكعبة والقيام بطقوس دينية شكراً لآلهتهم ^٣ .

ولعل من مؤيدات اتساع الافق والنشاط التجاري البحري الهجرة الاولى التي هاجرها المسلمون السابقون من مكة الى بلاد الحبشة بطريق البحر الاحمر . فانه ليس من المعقول ان يهاجر المكيون الى بلد لم يكن معروفاً عندهم . وهذا يدل على ان بلاد الحبشة كانت من البلاد التي يصل اليها المكيون في اسفارهم التجارية البحرية .

ولقد ذكرت الروايات العربية ^٤ ان السفينة التي هاجر عليها المهاجرون الاولون من المسلمين الى الحبشة كانت سفينة حبشية كما ذكرت ^٥ ان أهل مكة سقفوا الكعبة بحشب سفينة يونانية تحطمت عند الساحل . وقد رأينا جواد علي يستنتج من ذلك ^٦ ان الحجازيين كانوا يخشون البحر ويتحاشون من ركوبه واكتفوا بالاسفار التجارية البرية . وقد أراه

(١) انظر وصف قافلة ابي سفيان التي كانت سبياً في وقعة بدر الكبرى ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٣ وبعدها وجواد علي ج ٥ ص ١٥٠ وبعدها

(٢) لايلاف قريش ايلافهم . رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)

(٣) جواد علي الجزء والصفحة المذكورة آنفاً

(٤) و(٥) و(٦) جواد علي ج ٨ ص ١٢٣

أن يستدل على صحة استنتاجه بما كان من نبي عمر بن الخطاب عن ذلك وتحسبه من عواقبه .

غير ان الآيات القرآنية العديدة الموجهة إلى أهل مكة في الدرجة الاولى تؤيد بقوة ان اهل الحجاز وأهل مكة بالذات كانوا يقومون كثيراً بالاسفار البحرية .^١

ومن السلع التي كان تحملها قوافل مكة التجارية من الحجاز الجلود والزيب والنمر والصوف والوبر ومن السلع التي كانت تجلبها الزيت والحب والسلاح والأواني البيتية المتنوعة الزجاجية والمعدنية .

ولقد كان أهل مكة في الاجمال يتمتعون برغد من العيش بفضل هذا النشاط أشارت اليه آيتان اشارة وجيزة وبليغة^٢ . ولا شك في ان هذا نتيجة لما كانوا يجنونونه من

(١) ثمن في الايات التالية :

١- قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا لتكونن من الشاكرين .

الانعام ٦٣

٢- هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجينا من هذه لتكونن من الشاكرين .

يونس ٢٢

٣- الله الذي خلق السماوات والارض وانزل من السماء ماء فأخرج به الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار .

ابراهيم ٣٢

٤- وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون

النحل ١٤

٥- ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيم

الاسراء ٦٦

٦- أأمنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصعاً من الريح فيفرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا .

الاسراء ٦٩

وهذه الايات ليس كل ما ورد ووجه الخطاب فيه الى سامعين قريين . اقرأ ايضاً آيات سورة البقرة

١٦٤ والحج ٦٥ والثورى ٣٢ والجنانية ١١ والروم ٤٦ والمؤمنون ٢٢ ويس ٤١ وفاطر ١٢

(٢) ١- وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان النحل ١١٢ .

٢- اولم نمكن لهم حرمأً آمناً يبيى اليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا القصص ٥٧

وباللا ريب فيه ان تقليدي الاشهر الحرم والحرم الامن وهما ماسوف يأتي شرحهما في بحث آخر كانا ذا أثر عظيم فيما كان من اتساع النشاط التجاري الحجازي عامة والمكي بنوع خاص . وقد كان يقوم في موسم الحج أسواق تجارية كبرى في ثلاث أماكن قريبة من مكة وهي عسكاط والجنة وذو المجاز . وكان السوق في المكان الاول يستمر عشرين يوماً من ذي القعدة . ثم يبدأ السوق في المكان الثاني فيستمر ثمانية عشر يوماً ثم يبدأ في المكان الثالث فيستمر في أيام الوقفة والعيد^١ . فكان من الطبيعي ان يجد أهل مكة في هذه الأسواق التي كان يقصد إليها العرب من كل صوب من دنجل الجزيرة وخارجها في ظل دينك التقليديين تجالا واسعا للتجارة وأن يستعدوا لها في سائر شهور السنة فيضربوا في مناكب الأرض يرا وبحرا شمالا وجنوبا وشرقا وغربا صيفا وشتاء ويغنموا الفرصة فيحصلوا من بعض البلاد ما يروج في البلاد الأخرى من السلع ويجلبوا الى بلادهم ما تقتضيه حياة أهلها من بدر وحضر .

وليست مكة هي المدينة الوحيدة في شمال الجزيرة بطبيعة الحال . فقد كان أولا في منطقتها قرى ومدن عديدة ذكرنا طائفة من أسمائها في مبحث نظام الحكم في مكة . والمتبادر ان يكون لها مساهمة في النشاط التجاري الذي كانت مكة مركز انطلاقه لأن ذلك من مقتضيات الحياة الحضرية .

ولقد كان في يثرب جالية كبيرة من اليهود . ولا يمكن إلى ان يكون لهم نشاط تجاري كبير . وكان في قصبة يثرب سوق كبيرة لبني قينقاع . والمتبادر ان عرب يثرب لم يبقوا في معزل عن هذا النشاط ولا سيما ان قوافل مكة التجارية كانت تمر بطريق يثرب . وقد كانت سوق بني قينقاع التي ذكرناها آنفاً سوقاً تجارية عامة^٢ . وكان يقام في بدر أيضاً سوق عامة وهي أقرب إلى يثرب منها إلى مكة^٣ . ولقد كانت الطائف على طريق القوافل الذاهبة إلى اليمن والآية منها وكانت مشهورة بجلودها المدبوغة وقرها وزبيبها فكان من الطبيعي ان تكون لها مساهمة فعالة في هذا الميدان^٤ . وقد كان يقام في منطقة تهامة القريبة منها سوق تجارية عامة تعرف بسوق حباشة نسبة إلى

(١) انظر تفسير آية البقرة (١٩٨) في تفسير الحازن

(٢) و(٣) و(٤) انظر جواد علي ص ٢٥٢ وبمدها

المكان . وفي الجزء الأول من الكتاب ذكرنا ددان عاصمة بني الحيان ونشاطها التجاري الذي ذكره سفر حزقيال من أسفار العهد القديم . والمتبادر ان هذه المدينة التي كانت طريق قوافل التجارة كانت ذات نشاط تجاري في هذا الدور امتداداً لما كان من ذلك في الدور السابق .

ويقال هذا أيضاً بالنسبة للسواحل الشرقية والغربية من شمال الجزيرة . ولقد كانت في السواحل الغربية ثغر جده الذي كان ثغر الحجاز وبخاصة مكة ثم ثغر ينبع الذي كان ثغراً يثرب . وكلاهما مدينة قديمة . ومن الطبيعي أنها كانتا تشتركان مع أهل مكة ويثرب في النشاط التجاري البحري بنوع خاص . ولقد كان في السواحل الشرقية ثغور عديدة أيضاً مثل هجر ومسقط وقطر وقطيف وغيرها بالإضافة الى عدد كبير من المدن والقرى التي أوردنا أسماءها قبل فكان من الطبيعي كذلك أن يكون لها نشاط في المجال التجاري وقد ذكرت الروايات^١ انه كان يقيم في هذه الانحاء أسواق تجارية عامة عديدة منها سوق عمان وسوق هجر وسوق المشقر . وقد أوردنا في مبحث ممالك البحرين والساوة واليامة وعلان ما ذكره مؤلفو اليونان والرومان عن مدينة شارقة Charax الواقعة على الواقعة على الخليج العربي ووصفها بأنها مدينة تجارية وعن Amani الواقعة على البحر الكبير والتي هي على الأرجح مملكة عمان ووصف عاصمتها بأنها تتسع بشهرة واسعة في عالم التجارة وان التجار الرومانيين كانوا يتصدونها أكثر من أي ميناء آخر يقع على ساحل هذا البحر . وعن مدينة جرها الواقعة على ساحل الاحساء التي قالوا انها ثغر تجاري هام وان أهلها كانوا من أنشط الناس في التجارة البرية والبحرية^٢ وكلامهم وصف لما كانت الامر عليه قبيل الميلاد المسيحي وبعده بقليل . والمتبادر ان هذا النشاط كان امتداداً لما قبل ثم استمر . ولقد كان في منطقة اليامة التي كانت تشمل بلاد نجد والاحساء كثير من المدن والقرى وكان فيها ممالك على ما ذكرناه قبل . فمن الطبيعي أن يكون أهلها اشتغلوا بالتجارة استيراداً وتصديراً لأن ذلك من مقتضيات الحياة الحضرية . وقد ذكرنا قبل ان هذه المنطقة كانت طريق القوافل التجارية التي كانت تسير بين اليمن من جهة والعراق وفارس من جهة أخرى . فلا بد من أنها قد تأثرت بذلك وساركت فيه .

(١) جواد علي ج ٨ ص ١٥٩

(٢) جواد علي ج ٨ ص ٧٣ وبعدها و ٩٩ وبعدها

٢ - الربا

الربا مظهر من مظاهر الحركة الاقتصادية وبخاصة الحركة التجارية حيث يتدأين بعض الناس من آخريين مالا أو طعاماً أو متاعاً على أن يرده أو يرد ثمنه بعد وقت معين بزيادة متفق عليها ، والربا هو هذه الزيادة .

وفي القرآن آيات عديدة يمكن الاستدلال بها :

١ - على أن اغنياء مكة وتجارها ويهود يثرب كانوا يتعاملون بالربا ويأخذون على ما يداينونه للناس كتاباً أو رهناً .

٢ - على أن الربا كان شائعاً وشديد الرسوخ ومعولاً عليه تعويلاً كبيراً في قضاء الحاجات وتنمية الثروات .

٣ - على أن الذين يتعاملون به كانوا يعتبرونه حلالاً سائغاً كالبيع والشراء ؛

٤ - على أن المرابين كانوا يزيدون الربا إذا ما تعسر على المدينين رد دينهم في الوقت المعين حتى يبلغ أضعافاً مضاعفة .

ومن تحصيل الحاصل أن يقال أن هذه الصورة ليست قاصرة على أغنياء مكة العرب ويهود يثرب ، وإنما كانت في مختلف مدن الشمال البرية والساحلية لأنها متصلة بطبيعة ونشاط الحركة التجارية والاقتصادية التي تتسم به المدن عامة .

والمتبادر أن القرآن حرم الربا لما كان يؤدي إليه من إرهاق الفقراء وأصحاب الحاجات نتيجة لقسوة أصحاب المال وشدتهم وجشعهم .

٣ - النقد

والنقد من وسائل النشاط التجاري . وقد ذكر القرآن اسمين للنقد هما الدينار والدرهم بأسلوب يدل على أنها كانتا دارجين في الحجاز ، والروايات متواترة إلى درجة اليقين على أنها كانتا اسمين لعملتين مضروبتين في بلاد الشام ومصر وفارس والروم .

وأولاهما ذهبية وثانيتها فضية^١ . والكلمتان معربتان قبل الإسلام بدون ريب وهذا يعني أن العملتين كانتا دارجتين قبل الإسلام . وليس هناك ما يدل على أنه كان للحجاز نقد خاص مع أن ملوك العرب في اليمن والشام والعراق قد ضربوا نقداً خاصاً في دور ما قبل العروبة الصريحة وفي دور العروبة الصريحة على ما عرف من النقود السبئية والأوسانية والقنبانية والجزيرية والنبطية والتدمرية التي عثر عليها . ومرد ذلك على ما هو المتبادر إلى أنه لم يكن في الحجاز ملك وبمالك بالمعنى الذي كان في هذه البلاد . وعلى كل حال فأن رواج العملة الرومية والفارسية على السواء في الحجاز دليل على سعة الصلات التجارية بين الحجاز وبلاد الشام ومصر والعراق وفارس .

وقد ذكرت الروايات أسمى عملتين أخريين كانتا دارجتين أيضاً في الحجاز هما الدانق والفلس . والكلمتان معربتان عن الفارسية والرومية^٢ . وهما من النحاس .

ولم تذكر الروايات أنه كان للملوك الأخمين في العراق والفسانيين في الشام والامراء وملوك الشمال الشرقي من الجزيرة إلى اليمامة والبحرين وعمان والساوة نقد خاص ولم يعثر على شيء من ذلك أيضاً . ومن المحتمل أن تكون العملة الرومية هي الداريجة في بلاد الشام والعملة الفارسية هي الداريجة في العراق والممالك الشرقية المذكورة لأن هذه كانت تحت نفوذ الفرس وتلك تحت نفوذ الروم .

ولقد كان الأغنياء منذ القديم اعتادوا أن يستصنعوا لحسابهم في دور الضرب الدراهم والدنانير يقدمون ذهبها وفضتها وأجرة ضربها ويكون لهم من ذلك ربح ما . وقد ذكرت روايات التاريخ الإسلامي أن هذا ما كان جارياً في عهد الأمويين والعباسيين والفاطميين . فليس من المستبعد أن يكون هذا امتداداً لما كان يجري قبل الإسلام وأن يكون أغنياء مدن شمال الجزيرة وملوك العرب كانوا يستصنعون كذلك لحسابهم في دور الضرب الرومية والفرسية الدراهم والدنانير لتكون وسيلة تبادلهم التجاري .

٤ — الذهب والفضة

كان هذان المعدنان مظهرين من مظاهر الثروة والحركة التجارية أيضاً . ولقد ذكرا

(١) جواد علي ج ٨ ص ٢٠٦

(٢) جواد علي ج ٨ ص ٢١٠

في القرآن في مناسبات عديدة منها ما جاء على سبيل الاشارة اليها كثرة محبة محروس عليها^١ ومنها ما جاء في معرض استعمالها حلياً وآنية في الدنيا والآخرة^٢ حيث يدل هذا وذلك :

١ - على ان بيئة النبي عليه السلام كانوا ينظرون الى هذين المعدنين كقياس للثروة ومظهر للغنى والترف .

٢ - على ان منهم من كان يكتز منها مقادير وفيرة .

٣ - على ان منهم من كان يستعملها حلياً وآنية .

والمبادر ان هذا لم يكن قاصراً على مكة او الحجاز بل كان كذلك بالنسبة للانحاء الاخرى من شمال الجزيرة وخاصة المدن منها شأن سائر البيئات المتحضرة والمدن في جنوب الجزيرة وخارجها .

ولقد كان في مختلف انحاء شمال الجزيرة مناجم عديدة من الذهب والفضة كان العرب قبل الاسلام يستخرجون منها المعدنين الكرمين على ما يستفاد من الكتب العربية . ولرشدي الصالح ملخص رسالة مطبوعة جمعت ما ذكرته هذه الكتب مرتبة على حروف الهجاء تنقل منها ما يلي من أسماء المناجم ومواقعها ونوعها :

١- ابرق خترب	معدن فضة	في نجد
٢- الاحسن	معدن ذهب غزير	في اليمامة
	وفي الموقع معدن فضة أيضاً	
٣- البشر	معدن ذهب	في نجد
٤- بجران	« «	في الحجاز
٥- البرام	« «	بين مكة والطائف
٦- البرم	« «	بين ضرية والمدينة
٧- بيشة	« «	في تهامة
٨- تياس	« «	في اليمامة

(١) آيات سورة آل عمران ١٤ والتوبة ٣٤ مثلاً

(٢) آيات سورة الكهف ٣١ والزخرف ٧١ و٣١ والانسان ٢١ و١٥ مثلاً

في اليمامة	معدن ذهب	٩- ثنية ابن عصام
في جهة البتبع	«	١٠- الحراضة
في نجد	«	١١- حرة سليم
في تهامة	« لأزورد	١٢- الحز
في ناحية عمارة	« ذهب غزير	١٣- الحفير
في ديار بني كلاب	«	١٤- حليت
في اليمامة	«	١٥- خزبات دو
في نجد	معدن ذهب	١٦- خصلة
	«	١٧- ذهلول
أودية في جبال السر	« فضة لا مثيل له	١٨- الرضراض
في اليمامة	معدن	١٩- السود
في جبل باهلة	« فضة ونحاس	٢٠- شمام
في بلاد بني قشير	معدن	٢١- الضبيب
في جبال السراة	« ذهب غزير	٢٢- ضنكان
في بلاد قيس	« نحاس	٢٣- العبلاء
قرب حمى ضرية	«	٢٤- عراقيب
بين الحرمين	«	٢٥- عشم
في اليمامة	« ذهب	٢٦- العقيق
في بلاد باهلة	« فضة	٢٧- العوسجة
في اليمامة	«	٢٨- الميسان
في طريق نجد من اعمال	«	٢٩- فران بني سليم
المدينة		
جبل بين المدينة وبتبع	معدن	٣٠- القبيلة
في نجد	معدن حديد	٣١- قساس
في اليمامة	معدن ذهب	٣٢- الماوان
في وادي القري	«	٣٣- المروة
في الحجاز	«	٣٤- منضج

في ديار بني كلاب	معدن ذهب	٣٥- موزر
جبل اسود في ارض	« غني لا يعلم	٣٦- التجادي
الضباب في الحجاز	في الارض مثله	
في ديار بني كلاب بنجد	« «	٣٧- فجب
قرب المدينة	« «	٣٨- ذات النصب
بين مكة والمدينة	«	٣٩- النقرة
في اليمامة	« «	٤٠- المجيرة
في نجد	« «	٤١- المردة

ولقد زعم بعض المستشرقين وجاراهم فيليب حتي^١ بأن العرب لم يكونوا يعرفون الذهب أو أن معرفتهم بالفضة كانت اوسع . وما أوردناه من أسماء المناجم الذهبية التي كان العرب يستخرجون منها الذهب قبل الاسلام والتي كانت في مختلف أنحاء شمال الجزيرة ناقض لهذا الزعم . ولم نر حاجة الى ذكر ذهب اليمن القديم فله من الشهرة التي استفاضت بها كتب اليونان والرومان ما يعني عن ذكره .

٥- الاعداد والحساب

في القرآن آيات عديدة احتوت انواع الاعداد من مضاعفات وكسور وآحاد وعشرات ومئات والوف وعشرات الوف ومئات الوف والنصف والثلث والرابع والخمس والسادس والعشر الخ^٢ مما يدل على أن عرب شمال الجزيرة كانوا يعرفون قبل نزول القرآن ماورد في الآيات وتماثلها وسائر حلقاتها ويستعملونه في معاملاتهم التجارية وغير التجارية .

والمتبادر ان هذا انتهى ما كان معروفاً في العالم اذ ذاك . وفي هذا دلالة على سعة العمل وافق الصلات كما فيه نقض لما حاوله بعض الباحثين ومنهم فيليب حتي من تعميم

(١) تاريخ العرب المطول الترجمة العربية

(٢) انظر مثلاً آيات سورة البقرة ٢٢٦-٢٣٤ و٢٥٩-٢٦١ وآل عمران ١٢٤ والنساء ٣-١٢

والخامسة ٢٦ والانفال ٦٥ و٢٤ والماعراج ٤

جهل العرب لما فوق الألف بسبب رواية متهافة في خد ذاتها (١) .

٦ - المكاييل والمقاييس

وهذه أيضاً متصلة بالحركة التجارية . وفي القرآن آيات عديدة ورد فيها أسماء بعض المكاييل والمقاييس منها القنطار ومنها الصواع ومنها المثقال ومنها الحبة (٢) . وقد ورد كذلك في بعض الآيات ذكر الميزان والقسطاس المستقيم (٣) وصفة المستقيم هذه تدل على أنه كان هناك موازين مضبوطة وأخرى غير مضبوطة وأن بعض التجار كانوا يعمدون أثناء الكيل والوزن إلى حيل معروفة مشهورة لضمان ربحهم على كل حال بما نهيت آيات أخرى على مخالفتها للحق واستحقاق فاعله عقوبة الله ونهت عنه (٤) .

والقنطار والقسطاس كلمتان معربتان . ولا ريب في أنها كانتا مما يستعمله العرب قبل الاسلام . وقد ذكر في القرآن الذراع كقياس للطول وهو قدر ما بين المرفق الى طرف الاصبع الوسطى على ما حدده علماء اللغة .

ولقد ذكرت الروايات العربية كثيراً من المقاييس والمكاييل التي كانت مستعملة قبل الاسلام (٥) وما يزال كثير منها مستعملاً مع التنبيه على أن هناك اختلافاً في مقادير

(١) الجزء الاول من تاريخ العرب المطول الترجمة العربية . اما الرواية فهي ان احد المسلمين سمع النبي عليه السلام يبشر بفتح العراق فاستوهبه بنت عظيم الخيرة وكانت مشهورة ببهاها فوهبها له . فلما فتحت الخيرة جاء الرجل الى القائد واشهد على هبة النبي عليه السلام فنفذ القائد وصية النبي . ولما دخل الرجل عليه وجدها عجوزاً فقالت له وما تريد من عجوز فدعني اشتري نفسي فقالت له اطلب ما تريد فقال الف درهم ففقدته المبلغ وتركها . ولما لاموه قال لهم ما علمت فوق الألف شيئاً . وتهافت الرواية واضح من ناحية عدم **الاحتمال** حين رجل لما فوق الألف مع انه يبدو انه ساه وتقلب في مختلف البلدان ثم من ناحية ان القرآن ذكر الخمسين الفاً والمئة الف . ولا بد من ان يكون الرجل قد قرأ القرآن . ولو فرضنا المستحيل وصدقنا ان الرجل يكيل لما فوق الألف لما جاز ان يصدر المؤرخ حكماً عاماً والرواية التي يستند إليها تقول ان رفاق الرجل لاموه اي انهم كانوا لا يجهلون لما فوق الألف .

(٢) انظر آيات سورة آل عمران ٧٥ وسورة يوسف ٧٢ وسورة الانبياء ٤٧ .

(٣) سورة الرحمن ٨ والثمرات ١٨٠-١٨٢ .

(٤) انظر آيات سورة الانعام ١٥٢ والاسراء ٣٥ والمطفون ١-٣ .

(٥) جواد علي ج ٨ ص ٤١٠ وبعدها .

ما تسعه من جامد أو سائل أو تكون عليه من ثقل وزن .

فمنها (القنطار) الذي يزن . ١٠ أوقية من الذهب أو ما يقدر قيمته بألف ومئتي دينار .
و (الأوقية) وهي ٤٠ درهماً و (الرطل) وهو جزء واحد من القنطار و (المن) وهو
ضعف الرطل وزناً و (الصاع) لما يكال وهو أربعة أمداد و (المدة) وهو ملء كفي
الإنسان المعتدل و (الفسط) ويسع نصف صاع و (الفرق) وهو ستة أقسام و (الوسق)
وهو ستون صاعاً و (الففيز) وهو عشرون صاعاً و (الجريب) وهو عشرة أفزة
و (الملوكة) وهو صاع ونصف و (المئقال) وهو وزن اثنتين وسبعين شعيرة أو عشرون
قيراطاً و (القيراط) ولم تذكر الرواية التي ذكرته وزنه وهو ظاهر عند حساب الشعيرات
التي تقابل وزن المئقال و (الكسر) وهو ستون قفيزاً و (الميل) للابعاد ويترأوح طوله
بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف ذراع أو خطوة معتدلة و (الفرسخ) ويترأوح تقديراً بين
سنة آلاف واثني عشر ذراعاً أو خطوة .

٧ - النشاط الزراعي

ويمدنا القرآن بكثير من مظاهر النشاط الزراعي في الحجاز ، حيث احتوى آيات
عديدة ^(١) فيها تنويه بما ينزل الله من الأمطار ويفجره من العيون والينابيع والأنهار
وينبته من الزروع والأشجار المتنوعة ويحيي الأرض بعد موتها ويجعلها تهتز وتربو وتخرج
من كل الثمرات ومن كل زوج بهيج وكريم موجهاً فيها الخطاب إلى مخاطبين قريين
يذكّرهم بنعمة الله وآياته التي يرونها ويتمتعون بمنافعها وهم أهل مكة وما جاورها من
القرى والمدن ثم أهل الحجاز ، وحيث احتوت الدلالة على أنه كان في الحجاز مناطق تجود
فيها التربة وتكثر الأمطار وتتفجر العيون والينابيع والأنهار ويذبت فيها أزواج وأنواع
من الزروع والأشجار ، واحتوت الدلالة بالتالي على أن أهل المدن والقرى الحجازية
كانوا ينشطون في المجال الزراعي أيضاً .

(١) انظر آيات سورة إبراهيم ٣٢ والنحل ١٠-١١ والكهف ٣٢-٣٣ والحج ٦٧ والمؤمنون
١٨-١٩ والشعراء ٧ والنمل ٦٠-٦٤ والروم ٢٤-٤٦ ولهمان ١٠ والسجدة ٢٧ ويس ٣٣-٣٦
والزمر ٢١ وفصلت ٣٩ والجاثية ومن ٧-١١ والنبأ ١٣-١٦ وعيس ٢٤-٣١

وبما ورد ذكره في الآيات الزرع وسب الحصيد والحب المتراكب والسناهل مما ينصرف الى الجبوب الموسمية ، ثم النخيل والأعناب والزيتون والرمان والتين مضافاً اليه كلمات (من كل الثمرات) و (الفواكه) و (الفاكهة) . وفي سورة البقرة آية (١) حكمت قول بني اسرائيل لموسى بأن يدعو ربه ليخرج لهم من الأرض بقلا وقثاء وثوماً وعدساً وبصلاً . وفي سورة الصافات آية (٢) ذكرت شجرة اليقطين التي أنبتها الله لاستغلال يونس عليه السلام بها . وفي سورة الواقعة آيات (٣) ذكر فيها السدر والطلح في سياق ذكر منازل أهل اليمن في الآخرة . وفي سورة سبأ آية (٤) ذكر فيها السدر والاثل في سياق ذكر سبأ .

وبما لا شك فيه ان سماء القرآن من أهل الحجاز كانوا يعرفون هذه الاسماء ومسمياتها وبكلمة أخرى كانت هذه الاشجار مما تنبت في بلادهم وينتفعون بها .

وفي القرآن آيات (٥) قد تفيد ان العرب كانوا على حظ غير يسير في الزراعة حيث احتوت تنويعاً بما يسهره الله لهم من انشاء جنات الاعناب المحفوفة بالنخل والتي يزرع بينها زرع موسمي أو خضار على الأرجح ، ومن انشاء جنات معروشات وغير معروشات فيها النخيل والأعناب والزيتون والرمان المتشابه وغير المتشابه أي المتنوع الاصناف والمذاق ومن انشاء حدائق ذات بهجة ومن انشاء جنات النخيل والأعناب التي تفجرت فيها العيون وحيث يدل كل هذا على ما كان لهذه النعم الربانية على أهل البلاد من خطورة في حياتهم الاقتصادية والمعاشية .

وفي الكتب العربية (٦) بيانات كثيرة في صدد النشاط الزراعي قبل الاسلام وفي دور

(١) آية البقرة ٦١

(٢) آيات الصافات ١٤٦

(٣) آيات الواقعة ٢٨-٢٩

(٤) آية سبأ ١٦

(٥) انظر آيات سورة الكهف ٣٢-٣٣ والانعام ١٤١ و٩٩ والرعد ٤ والنحل ١٠-١١

والمؤمنون ١٨-٢٠ والنمل ٦٠-٦١ والروم ٤٨-٥٠ ولقمان ١٠ والسجدة ٢٧ ويس ٣٣ والزمر ٢١

(٦) انظر الفصل الرابع الزرع والمزروعات في كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ص ٢١٣

ومعظم ما يأتي مقتبس منه لأنه جامع لما ذكرته هذه الكتب

العروبة الصريحة الذي نحن في صدد منصرف أكثرها أو كلها إلى بلاد الحجاز والنحاء
الجزيرة الشمالية الاخرى متممة وموضحة لما جاء في القرآن وزائدة عليه لأن القرآن إنما
احتوى ما اقتضته حكمة التنزيل وحسب .

ولقد أوردنا في مباحث ممالك البحرين وعمان واليامة والسماعة ثم في مباحث نظام
الحكم في مكة والطائف ويثرب أسماء مئات القرى التابعة لتلك الممالك وهذه المدن نقلاً
عن معجم البلدان . وعدد كبير منها وصفت بالقدم وبأنها ذات مياه غزيرة وفي بعضها
ينابيع وفي بعضها عيون وآبار وفي بعضها وديان وإنها ذات نخيل وعنب وزروع متنوعة ،
والتبادر ان صاحب المعجم إنما فوه بالمهم الخطي أكثر من غيره في ذلك وأن في غير ما
اختصه بالتتويه منها أيضاً مياهاً وزراعة لأن ذلك هو مناط وجود القرية وحياة أهلها .
وهذا بالإضافة إلى الطائف ويثرب وعواصم البحرين وعمان واليامة والسماعة التي كانت هي
الاخرى ذات مياه وبساتين وزراعة على ما ذكرته الروايات .

وينطوي في هذا توضيح لما أجمله القرآن وتقرير لعمومية النشاط الزراعي وشموله
لسائر مناطق شمال الجزيرة .

والمستفاد من الروايات العربية^١ بل والآيات القرآنية ان النخيل في الدرجة الاولى
والعنب في الدرجة الثانية من الأشجار والشعير في الدرجة الاولى من الحبوب الموسمية
مما يحظى بالغزارة لأنها تتوافق مع مناخ البلاد . وكان الرطب والتمر والزبيب والشعير
هي المواد الغذائية لأهلها على ما تفيد الكتب العربية .

وكان الباج والعنب أنواعاً عديدة . فمن أنواع البلح والتمر التي ذكرتها هذه الكتب
الشدن والخم والخيرون والجعر — وهذا نوع رثىء — والعجوة والبلعق والسهريز والبرقي
والتيبي والجدامى والسكري والسنة — وهذا من تمر المدينة — والفرض — وهذا من أجود
تمر عمان — والخضرية والاطيرق — وهذا أبكر نخل الحجاز ثمراً — والقدام — وهذا أبكر
نخل عمان — والعشواء — وهذا مما يتأخر ثمره — والباهين — وهذا من تمر هجر المشهور —
والتعضوة — وهذا رطب أحمر لذين من جيد رطب هجر وحله كبير — والعدائم —
وهذا من رطب المدينة — والعرف — وهذا من رطب البحرين — أما ما ذكرته الكتب

(١) جواد علي ج ٨ ص ٢٥٢ وبهذا هو مرجع للبيانات المذكورة في هذا البحث

العربية من أنواع العنب فهو الجرشي والكلافي والقرني - نسبة إلى قرية - والحمان والرمادي والغريب من عنب الطائف . - وقد وصف الرمادي بأنه اغبر اربد ووصف الغريب بأنه من أشهر الأنواع وكان يصنع منه نبيذ مشهور أيضاً واسمه يدل على انسه أسود - والتبوكي نسبة إلى تبوك والكشمشي .

وقد كانوا يحيطون بساتين النخل والعنب بمحائط ويسمون بها هذا الاسم . وكانوا يصنعون من البلح والتمر والعنب والزبيب الخمر والانبذة والخل . وكان لهم معاصر لعصرها يستعملون فيها أحجار الرعى التي كانوا يثقبونها بمثقاب حديدي غليظ يسمى الصاقور ؛ وكانوا يحفرون في أرض البساتين أقبية للري كما كانوا يحفرون أقبية يجري فيها الماء إلى البساتين من الأماكن البعيدة .

وكان من أشجار الفاكهة التي يفرسونها التين والرمان . والروايات لا تذكر بوضوح ان الزيتون مما كانوا يزرعونه . ومع أن في سورة المؤمنون آية^١ وردت فيها إشارة إلى ان الزيتون ينبت في طور سيناء فإن هناك آيات عديدة يلهم مضمونها بقوة انه مما كانت يزرع ويستغل في بعض أنحاء الحجاز^٢ . ومن المحتمل أنه لم يكن كافياً لحاجتهم وأنهم كانوا يجلبونه حباً وزيتاً من بلاد الشام .

وقد انتفعوا من لحاء الشجر وقشره وأليافه حيث استعملوا قشر الرمان والسدر في الدباغة ولحاء النخل والحزم في صنع الحبال وخوص الدوم والنخل والاثل في صناعة الحصر والارعية التي تنقل بها الحبوب والثمار أي الققف والزناجيل .

ومما تفيد الروايات انهم كانوا يزرعون البطيخ ويسمونونه الخريز ولعله مما كانت تعنيه الآيات بالفاكهة في سياق ذكرها العنب والنخل .

ولقد كان ينبت في أرض الحجاز وغيرها من شمال الجزيرة نباتات وأشجار برية كثيرة

(١) « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصيغ للاكين » (٢٠)

(٢) « وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوات دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلك آيات لقوم يؤمنون »

الانعام ٩٩

« وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا آكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآثروا حقه يوم حصاده ولا تعرفوا انه لا يحب المسرفين »

الانعام ١٤١

ذكرت الروايات أسماء طائفة منها وذكرت ان العرب عرفوا خواص كثير منها واشفقوا به أكلا وصناعة . ومن ذلك الكيابة التي كانت تنبت بوفرة وكان لها أنواع كثيرة مثل العرجون والطرثوث والطنوت والصفوس . ومن ذلك نباتات وأشجار الشوحط والقرظ والرتف والضهاد والسرحد والعرعر والضبيان والابدع والبشام والعشوق والدلب والسدر والتنضب والشبهان والدوم والائل والسماق والحزم والشعب والاثار والرخ والآراك والهام والعفار والنشم والتالب والسهام والنبع والحماط والشفاح والارطى والعشر والطلح والعرفط والحليل والفرق والشت والمظ والرتف والشوح والصبر والسراه والغريف والعتم والضر والتريم والعباب والاثاب والاشكل . وبما ذكر من خواص بعضها أت للتنضب ثمأ يقال له الهمفع يشبه المشمش وبؤكل طيباً وان للسرحد ثم يقال له الألاء يشبه الموز وأطيب منه وأن للحزم ورقاً يشبه ورق البودي وله ساق كساق النخلة وكان يصنع منه أرشية الجياد وأن للشعب أساريع كان يتخذ منها القسي وأن الاثار يقدح ناره بسرعة حينما يحف وانه يستخرج من الاثار والعرعر القطران وان للتالب عناقيد إذا عصرت بعد تجفيفها تخرج منها زيت المصابيح أجود من زيت الزيتون .

وكان كثير من الجبال والمضايق مكسوة بالأشجار الحرجية . ومن هذه الأشجار السلم والسمر والوهط والرح والعوسج والعيص والنبع والايك والرمخ . وكانوا يصنعون من بعضها الفحم ويتنفعون من بعضها انتفاعات أخرى . وقد انتفعوا ببذر القرطم في عصرة الثياب أي صبغها بالأصفر . ولقد زرعوا القطن والقنب واستخرجوا منها خيطاً كانوا يحيكون منها الثياب .

ولقد زرعوا القمح . ولكنهم لم يكونوا ينتجون منه ما يكفي فكانوا يجلبون حاجتهم منه من بلاد الشام واليمن . وكانت الطائف مشهورة بنوع جيد منه يحكى الأولو في لونه . وكان الشعير عندهم أوفر وكان هو المستعمل في الأكثر في صنع الخبز . وكانوا يزرعون الافرة أيضاً ويصنعون منها الخبز كذلك . وكان هناك نوع من الحبوب ينبت بالطبيعة اسمه العلس فإذا أجدبوا طحنوه وأكلوه . وقد زرعوا السمسم واستخرجوا زيتاً بواسطة الارحية التي كانوا يطحنون بها حبوبهم ويمضون رطبهم وتمرهم وعنبهم وزبيبهم أيضاً .

وكانت الارض على الأكثر ملكاً للزعماء والأغنياء فكانوا يؤجرونها للفلاحين

مقابل نصيب من الغلة يتراوح بين الربع الثلث وأحياناً مقابل مقدار معين من أوسق التمر والزبيب والقمح والشعير والاشدة ، وهذا النوع كان يسمى المواكرة .

ومن طرائقهم الزراعية المساقاة • وهي السماح لصاحب الأرض أو فلاحها بأخذ ماء من ماء يملكه آخرون مقابل قدر معين من الغلة • ومنها الخاضرة وهي بيع غلة الأرض من تمر وحب سلفاً وقبل أن تطعم • وكان هذا يجري أيضاً بالنسبة لما كان مغيباً في باطن الأرض كالكرات والبصل • ومنها المزبنة وهي بيع مقدار من العنب بمقدار من الزبيب أو بيع مقدار من الرطب بمقدار من التمر •

وكانوا يستخدمون الثيران والحمار والخيل والجمال في الحراثة والدياسة . ومن آلاتهم الزراعية الرفوش والساحى التى تشبه المجرقة والحفدة وهى حديدية تحدد الأرض بها والفؤوس والحجارة المدببة وقطع الأخشاب ، والعزقة والحنوان وهما أداتان خشبيتان للبذار . والمعلقة وهى خشبة عريضة يجرها الثور لدوس السنبال وإخراج حبه والروحة والمذراة وهما أداتان خشبيتان لتذرية الحب وتخليصه من التبن . وكانوا يسون مكان تجميع الحب جرجاً وجرجياً ويبدراً ومربداً والأخير هو المكان تجميع التمر .

٨ - النشاط الصناعي

ويعمد القرآن كذلك بصورة شتى من النشاط الصناعي عند العرب قبل الاسلام حيث
أحتوى آيات كثيرة^١ فيها مسميات عديدة متنوعة مما لا يتم عادة إلا بالصناعة لمساكن
والصياحي والبيوت والغرف والجدران، والابواب والسقوف والحصون والقواعد والمعارض
والاسرة والارائك والمارق والغزل والزراعي والحياض والغرش والقدر والجفان والصحاف

(١) انظر آيات سورة النساء ١٠١ والمائدة ٩٧ و٩٨ والبقرة ٢٨٣-٢٨٤ والانعام ٧ والاعراف ٤٠ ويوسف ٣١ و٣٢ والتعل ٨٠-٨١ والكهف ٣١ وطه ١٢ والنج ٣٩ و٥٥ والنور ٣٥-٣٦ والنمل ٣٨ ولهمان ٣٧ والاحزاب ٥٩ وسبا ١١-١٣ والزمر ٢ وغافر ٧١ والزخرف ٣٤ و٧١ والفتح ٢٧ والحجرات ٤ والطور ١-٥ والرحمن ١٤ و٣٧ و٥٤ و٧٢ والواضحة ١٥-١٨ والحديد ١٣ و٢٥ والحاقة ٣٣ والانسان ٢٦ والبروج ٢٢ والناشئة ١٢-١٦ ويونس ٢٥ والتعل ٥-٨ والآيات التي فيها ذكر الزراعة والتجارة والمكاييل والموازين والمفايس وانذارهم والذنوب التي اشرع اليها في المساحات السابقة

والأكواب والإباريق والكؤوس والمصابيح والأسرجة والمشايك والزجاج والقوارير
والحلي المتنوعة في المادة والشكل من لؤلؤية ومرجانية وذهبية وفضية وأشباه المتنوعة
الحريرية والقطنية والوبرية والشعرية والصوفية والجلابيب والخمر والسراويل والقمصان
والنعال والرماح والسكاكين والدروع والسلاسل والفرطاس والأقلام والمداد والرقوق
والحديد والنحاس ، وبأسلوب يدل على أن كل هذا إما كان مألوفاً ومستعملاً عند سامعي
القرآن قبل نزوله ، وهذا بالإضافة إلى ما تكرر ذكره في القرآن من الخيل والبغال
والخمر والجمال والسفن والفلك والزراعة والتجارة التي لا بد أن يكون نشأ عنها صور
شئ من صور النشاط الصناعي التي تستلزمها .

وكل هذا يدل بطبيعة الحال على أنه كان للعرب قبل الإسلام وبنوع خاص لسكان
المدن والقرى منهم نشاط غير يسير في المجال الصناعي على تعدد نواحيه . ويدل كذلك
على وجود محلات صناعية وعمال صناعيين لهم أدواتهم وآلاتهم للقيام بهذه الصور الصناعية
المتنوعة الكثيرة من حدادة وتجارة وخباطة وحياكة ونسج وعقادة وعمار وخبانة ولبانة
(صناعة الابن) ونحاسية وسروجية وحدائية وحبالة (صناعة الحبال) وصياغة وغيرها
وغیرها وما يتفرع عنها من صناعات إضافية .

وإذا كان من المحتمل أن العرب الشماليين قبل الإسلام كانوا يجلبون بعض حاجاتهم
مصنوعة جاهزة من البلاد التي كانت أرقى منها حضارة وصناعة والتي كانوا يصنون إليها
في رحلاتهم التجارية فالتبادر أن ذلك قاصر على ما لا يمكن لصناعهم المحليين إجادته
وعلى أدوات وحاجات الترف الكمالية الدقيقة الصنع من زخارف وزينة ونسج وآنية
وسلاح . وهذا قليل بالنسبة إلى ما يحتاج إليه السواد الأعظم من أهل المدن والقرى
والبادية من أعمال ومصنوعات لا تتم عادة إلا محلياً وبأيدي صناع محليين .

وفي معاجم اللغة مئات من الاصطلاحات الصناعية وأسماء الأدوات والآلات الصناعية
المتنوعة من حجرية وخشبية ومعنوية مما يرجح أن كثيراً منه إن لم يكن أكثره كانت
شائناً ومفهوماً ومستعملاً قبل الإسلام . وقد أوردنا طائفة من ذلك في سياق البحوث
السابقة . وفي كتاب بلوغ الأرب^١ اصطلاحات وأسماء صور وآلات وأدوات كثيرة
عائدته إلى صناعة البناء والتجارة والحدادة والحياكة نرجح أن كثيراً منها إن لم يكن

أشهرها مما كان شائعاً ومفهوماً ومستعملاً قبل الإسلام . هما جاء في هذا الكتاب من أسماء أدوات الحياكة والنسيج واصطلاحاتها (الخصة) وهو الذي يلقم اللحية للسدى أو هو المنسج والمناول حسب اختلاف تفسير علماء اللغة و (الوشعة) وهي قصبة في طرفها قرن يدخل الغزل في جوفها وتسمى السهم أيضاً و (المشعة) وهي ما يلف عليه الغزل و (الثناية) وهي ما يثنى عليه الثوب و (العدل) وهو خشبة لها أسنان كالمنشار يقسم بها السدى ليعتدل و (الصيصة) وهي عود من الطرفاء كلها رمي بالسهم فألمه أقبل بالصيصة وأدير بها و (الليز) وهو الخشبة المعترضة فيها الغزل . و (المداد) وهو عصا في طرفيها صنارقان يمدد بها الثوب و (الصنارة) هي رأس الغزل و (الكفة) هي الخشبة المعترضة في أسفل السدى و (الحماران) وهما خشبتان لرفع السوى من الأرض و (المبرم) وهو الحبل الذي يقتل عليه الحيطان العديدة ليكون منها حبل و (الششفقة) هي قصبة تشق وتوضع في السدى عرضاً و (الدعائم) وهي خشبات تنصب ويمد عليه السدى .

ومما جاء فيه من أسماء أدوات الحدادة (القرزم) وهو السندانة و (المطرقة) وهي آلة يضرب بها الحديد و (الفطيس) وهي مطرقة كبيرة وتسمى أيضاً (الميعة) و (المبردة) الذي يبرد به الحديد و (الفسالة) و (البرادة) وهما ما تنثر من الحديد عند الضرب و (المشخذ) وهو مبرد كبير وخشن و (المقرص والمقراض) هو ما يقطع به الفضة و (المنفاخة) هي أداة للنفخ في الكير و (الكير) هو زق أو جلد غليظ ينفخ فيه بالمنفاخة على النار و (الكور) وهو الموقد الذي توقد فيه النار و (المشرجع) وهو مطرق لا حروف لنواحيه و (العسقلان) أصغر مطارق الحداد و (الغداف) الحديدية التي يدخل الحداد في أحد طرفيها الحاتم ويركزها على الخشبة التي أمامه وتسمى هذه الخشبة (الجبأة) .

ولقد كان الحداد يسمى قيناً وجمعها قيون وكان الحدادون أصنافاً منهم صنف متخصص في صناعة لحم الدواب . واللباج مؤلف من عدة قطع منها (الشكمية) وهي الحديدية المعترضة في القم و (الفأس) وهو الحديدية المنتصبة من الشكمية و (الفراشتان) وهما جانبا الشكمية ويربط بها (العذاران والحطافان) و (الشاكلتان) وهما حديدتان معققتان للعنان و (الكلوبان) وهما خرقان يدخل فيها طرفا العنان و (الحكمة) وهي الحديدية التي تستدير حول الأنف والحنك الأسفل وهما اثنتان و (المسعلان) وهما حديدتان تكتنفان الشدقين و (الصدغ) وهو الحديدية التي تقع على الصدغ و (الطرف) وهو ما

يكون في أطراف السيور .

ومن الحدادين صنف متخصص في صنع السيوف ويسمى الذي يصقلها الصيقل ويقال لنصل السيف حديدية ولسنخه القائم السيلان ولظهره المتن ولصدره المقدمة ولبطنه وظهره معاً صفحتا السيف ولحديه الذلقان والذبابان والفراران والشفرتان وأطرفه ظبة ولطرف الظبة شباه النخ .

ومن أدوات النجارة (الفأس) و (الحضين) وهي فأس ذات خلف واحد (الحدأة) وهي فأس ذات رأسين و (الصاقور) وهو الفأس العظيمة ذات الرأس الدقيق ويسمى (المول) أيضاً و (الكرزن) وهو فأس عظيمة لقطع الشجر و (القدوم) وهو فأس صغيرة . ويقال لخشب الفأس نصاب وفعال ولثقبها خرت و (المنشار) و (المحفرة) و (المنقار) و (المسجل) وهو مبرد أخشن من مبرد الحديد و (المثقب) و (الكتبتان) و (العتلة) .

وكانت بيوت القرى والمدن تبني بالابن النيه حيناً وبالابن المشوي الذي يسمى الآجر حيناً وبالحجارة حيناً . وكان البيوت أسماء عديدة حسب سعتها وشكلها وارتفاعها مثل الدوارة والغنى والمثوى والمربع . وتسمى الغرف العالية (علالي) ومفردتها عالية . ومن طرائق البناء (الرهص) وهو تنضيد الطين بمضة فوق بعض ويقال للبيت المسقوف بالخشب المفصى وللحائط المرتفع الذي يوضع عليه السقف الأزج والسطح الآجار وكانوا يضعون للبيوت طناً وتقاريج لمنع المطر من السيل على الجدران ويسمون خشب اعالي الجدران (المردة) والسقيفة الخشبية (النجيرة) وصانع اللبن (اللبنان) والأداة التي يضرب بها اللبن (ملبن) والتي ينقل عليها (السابل) والخشبات التي يصنع منها السابل (الاسمة) وصانع الآجر أي الطوب المشوي (طواب) وأتون الطوب (الأظيمة) وكانوا يحصون جدران البيوت بالكس ويسمون عامل الجص (جصاصاً) ويسمون الذي يطين الجدران والسطوح (طياناً) ويسمون الأداة التي يسهون بها الطين والجص (مالجاً) والخيط الذي تقاس به الأبعاد (المطر) وكانوا يقرسون بيوتهم بحجارة مربعة رقيقة يسمونها (البلاط)

وكان بعضهم يزودون بيوتهم بالكنف التي يسمونها أيضاً (الأحشاش) و (المستراحات) يزودونها بأماكن للاغتسال ويسمونها (بالمرحاض) وبالتنانير لصنع الخبز ويسمونها أيضاً (مسمرأ وساعورأ) وكان يسمون البناء المرتفع المجدل والذند والعقر والصرح وما

ينشئون الحصانة يسمونه حصوناً وأطماً وأجماً . وكانوا ينشئون الحمامات ويسمونهم ديماساً
ويسمون موقد نار الديماس أتوناً . وكانوا يبيعون ويشتررون في أماكن يسمونها الحوانيت
أمامها مصطبة أو عضادة تسمى الحانوت الصغير .

وكانت بيوت البدو تصنع من الصوف ويسمى خباء ومن الوبر ويسمى بجاداً ومن
الشعر ويسمى فسطاطاً ومن القطن ويسمى مرادق ومن الجلد ويسمى قشعاً . ومن عيدان
الشجر ويسمى خيمة .

هذا وقد ذكرت الروايات انه كان في مكة ويثرّب بعض الحدادين والتجارين القرياء
ومن تحصيل الحاصل أن نقول إن وجودهم ليس من شأنه نفي وجود حدادين ونجارين من
العرب الصرحاء في المدينتين وغيرها فضلاً عن العمال والصناع في الصناعات الأخرى ، لأن
الحاجة أوسع من أن يسدها أفراد من القرياء فهي حاجة مئات من القرى وعشرات من
المدن والقصبات .

كذلك من تحصيل الحاصل أن ينسحب ما قلناه من مظاهر وصور النشاط الصناعي
المتنوعة وما يستلزمه ذلك من وجود صناع وعمال صناعيين على مدى الأنحاء الأخرى من
شمال الجزيرة وقراها في الساحل والداخل لأن ذلك من مستلزمات الحياة الحضرية التي
كان أهلها يحيونها .

ولقد ذكرنا قبل عدداً كبيراً من أسماء المعادن الذهبية والفضية والنحاسية والحديدية
الموجودة في مختلف أنحاء شمال الجزيرة والتي عرفها العرب قبل الاسلام واستغلوها . والمتبادر
انه جاز لهم خبرة في ذلك بحيث يصح ان يقال ان صناعة التعدين من جملة ما مارسوه من
صناعات .

٩ - الملاحظة

لقد نبهنا في مبحث النشاط التجاري إلى ما احتواه القرآن من آيات عديدة ذكر فيها
البحر وأسفاره والسفن والفلك والجواري وما كان يعود على الناس من ذلك من منافع
ورزق وما كانوا يتعرضون له من أخطار . وقد استنتجنا من ذلك ان سامعي القرآن من

أهل الحجاز كانوا يمارسون قبل نزوله الاسفار والتجارة البحرية . وينطوي فيه في الوقت نفسه ان من عرب الشمال من كان يمتحن صناعة السفن وتسيورها كما هو واضح . وهو ما يحسن ذكر شيء عنه في هذا المقام لأن ذلك متصل بالنشاط الصناعي .

وبدعي ان هؤلاء انما يكونون من أبناء الثغور الساحلية في حين ان الذين يمارسون الاسفار والرحلات التجارية كانوا من أهل الداخل والساحل على السواء .

وسواحل شمال الجزيرة شرقية وغربية . وفي الأولى سواحل الخليج العربي ثم البحر الكبير الذي عليه سواحل مملكة عمان . وفي الثانية سواحل الحجاز التي كانت جدة وينبع من أشهر ثغورها .

واقد ذكرت الكتب العربية ^(١) انهم كانوا يصنعون مراكب كبيرة ومتوسطة وصغيرة حسب الحاجة . وفي القرآن هذه الآية (وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام) حيث تشير إلى المراكب الكبيرة التي كانت تشبه الجبال في ضخامتها ^(٢) .

ومن أسماء المراكب الكبيرة التي ذكرتها الكتب العربية ^(٣) (الفلك) و (الجارية) و (القرقور) و (الخلية) و (العدولي) و (الخليج) و (الصلفة) و (الزوبية) و (البارجة) . والمتبادر ان الأسماء اختلفت لاختلاف الاحجام والاشكال . وليس في الكتب ما يساعد على معرفة الفروق . وقد ذكرت ان الخليج دون العدولية في الحجم . وان العدولي نسبة الى ثغر في البحرين بهذا الاسم اشتهر في صنع نوع كبير من السفن عرف باسمها . وفي القرآن ذكر (الفلك) و (الجارية) . والاسم الاخير كني به عن سفينة نوح عليه السلام ^(٤) . وقد ذكرت الخلية والعدولي في شعر لطرفة بن العبد البكري الشاعر الجاهلي المشهور يشبه فيه سير هودج حبيته بسير العدولية والخلايا في البحر ، وهذه هي أبيات شعر لطرفة :

كأن هودج المالكية غدوة خلایا سنين بالنواصف من دد
عدولية ام من سفین ابن یامن یجور بها الملاح طوراً وهتدي

(١) جواد علي ج ٨ ص ١٠٦ وما بعدها وبلوغ الارب ج ٣ ص ٣٦٤ وبعدها

(٢) سورة الرحمن ٢٤ انظر تفسيرها في تفسير ابن كثير مثلاً

(٣) جواد علي ج ٨ ص ١٢١-١٢٢

(٤) سورة الحاقة ١٢ وسورة يونس ٢٢

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترتب المفایل باليد (١)
والبيت الثاني يقيد ان ابن يامن هو صاحب سفن عديدة كبيرة يؤجرها أو يسيرها
حسابه .

وقد قال بعض علماء اللغة (٢) ان البارجة اسم لسفينة كبيرة تتخذ للقتال كما قال
بعضهم ان القرامير والحلايا مما كان يستعمل للقتال .

ومن أسماء المراكب الصغيرة المذكورة في الكتب (القارب) و (الزورق)
و (الركوة) و (البوص) و (الرمث) و (الطوف) و (العائم) (٣) .

وقد ورد اسم البوص في شعر للشاعر الجاهلي المخضرم الاعشى حيث قال :

مثل الفرائي إذا ما طوى يقذف بالبوصي والماهر (٤)

والثلاث الأخيرة هي نوع بدائي . فالرمت خشبات مشدودة الى بعضها والطوف قرية
أو قرب منفوخة مشدودة إلى بعضها والعائم عيدان مشدودة الى بعضها (٥) .

وما قاله علماء اللغة (٦) ان اسم السفينة يطلق على كل مركب بحري وانه من سفنه
يعنى قشره لأن المركب يقشر وجه البحر وان صانع السفينة يسمى السفان ومهنته
السفانة

وكانت السفن تجهز بالاشرعة التي كانت تسمى قلعا أيضا كما كانت تجهز بالمجاديف
وتشعر الاشرعة الاسفار الطويلة وتستعمل المجاذيف للابعاد القصيرة وكان صدر السفينة
يسمى جؤجؤاً وذيلها كوناً . وكانت تزود بجبال ضخمة من الليف والخرص تسمى
القلس وبجشبة تدفع بها تسمى المردى . وكانت الآلة التي ترمي بها تسمى المرساة (بفتح
الميم) والمكان الذي ترمي فيه المرساة (بكسرهما) والرئيس يسمى الربان والعامل

(١) بلوغ الارب ج ٣ ص ٣٦٥

(٢) جواد علي ج ٨ ص ١٢١

(٣) المصدر نفسه

(٤) بلوغ الارب ج ٣ ص ٣٦٧ سبباً الى المركب المسمى ببوص والماهر كناية عن
السباح الجيد

(٥) جواد علي ج ٨ ص ١٢١-١٢٢

(٦) بلوغ الارب ج ٣ ص ٣٦٧

يسمى الملاح والنوفي والعركي . وكانوا يسمون أجرة الركوب أو الخلل نولاً^(١) .

وكانوا يصنعون السفن الكبيرة من أخشاب قوية صلبة . وكان خشب الساج من جملة ذلك . وكانوا يستوردونه من الهند . وكانوا يسمون ألواح خشب السفن سقائف وقوادس وما بين كل خشبتين أو لوحين طائفةً . وكانوا يخزنون ألواح الخشب بحبال الليف ويدخلون المسامير بينها ويجعل خلالها القار والزفت . وقد تطلّى جميعها بالقار أيضاً . وقد تستعمل الشحوم والزيت لمد الثقوب والخروق وطلاء الأخشاب لمنع تأثرها بالماء . وقد فسر المفسرون كلمة (دسر) الواردة في آية في سورة القمر في سياق الإشارة إلى سفينة نوح عليه السلام بالمسحور .

وفي كتب اللغة العربية ألفاظ عديدة متصلة بالشؤون البحرية فيها دلالة على أن العرب قبل الإسلام كانوا يعرفون مسمياتها مثل البرزخ والقاموس (للبحر أو وسطه) والخليج والخور والجزيرة والنجة والمد والجزر والشحن والنحر والرسو والمرفئة والغرضة والشعر الخ الخ

والمبتادر أن بحال السفن العربية في السواحل الشرقية هو ممتد ما بين الخليج بسواحل الشمالية والشرقية والغربية وبين سواحل الجزيرة الواقعة على البحر الكبير غرباً وجنوباً مع الجزر العديدة المجاورة لها .

وفي الكتب العربية واليونانية أسماء عدد من الموانئ الواقعة في هذا المجال الطويل والتي كانت ترمي فيها السفن للتزود منها ونقل سلع بلاد أخرى إليها ونقل سلع منها إلى البلاد الأخرى وحمل الركاب منها وإليها . مثل جرها وهجر وخليج القطيف وخليج أبي كيون ومسقط وعقيل وقطر والابلة ولويكة وبيت رصافة وخطى ورأس الخيمة والشارقة ومهانه . وقد قال مؤلف يوناني أن الأخيرة اشتهرت ببناء سفن كانت تسمى (ماديارات) تصنع من ألواح مشدودة بالليف . وقد خرج الباحثون الكلمة بدرعة وقالوا أن من المحتمل أنهم كانوا يصنعون للسفن درعاً من شجر النخل وما ذكره عن الابلة أنها كانت ثغراً تجارياً هاماً وكان يقام فيها سوق تجارية كبيرة . وكان يصد منها إلى الهند حاصلات بلاد العراق والشام ويورد إليها من الهند الابنوس والعاج والتوابل والمنتجات الهندية الأخرى . ولا يذكر الواصفون ما إذا كانت السفن العربية هي التي

(١) نفس المصدر

كانت تتوفى نقل هذه السلع من موانئ الهند الى الابلة ومن هذه الى موانئ الهند وان كان ذلك غير مستبعد . والمعروف أن لعل سواحل الخليج وبقية سواحل الجزيرة الشرقية كالحضرموتيين والكويتيين والعنانيين كانوا الى عهد قريب يقومون بأسفار بحرية بين بلادهم وسواحل الهند وغيرها على متن سفنهم الشراعية ، مما يمكن أن يكون هذا امتداداً لما كان من مثله في القديم .

أما مجال السفن العربية في السواحل الغربية فهو على ما يتبادر سواحل البحر الاحمر الشرقية والغربية من خليج العقبة شمالاً الى باب المندب جنوباً .

وفي هذا المجال موانئ عديدة في الساحل الشرقي (١) مثل جدة وينبع والآيلة والشعبية والجار وخيرها . وليس من المستبعد ان تصل هذه السفن الى سواحل الحبشة والصومال . قالمهاجرون الاولون من المسلمين ما كانوا ليهاجروا الى الحبشة لو لم يكن منهم من يعرفها قبل أو لم يكن العرب الحجازيون قد اعتادوا على التردد عليها . وليس من سبيل إليها إلا البحر . ولقد ذكرت روايات السيرة (٢) ان زعماء قريش أرسلوا عمرو بن العاص إلى الحبشة ليحرض ملكها على المهاجرين وكان يحمل إليه هدية من الادم . وفي هذا تأييد لذلك .

وبيت الاعشى الذي أوردناه قبل قليل قديداً على ان العرب كانوا يسيرون سفنهم في البحار والانهار . وفي آية في سورة ابراهيم ما قد يؤيد ذلك حيث جاء فيها « وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار » (٣٢)

ومها يكن من ثغرات فانه يتضح مما تقدم ان مهنة الملاحة أو السفانة وجميع ما يتفرع عنها من مهن كانت من المهن التي مارسها عرب شمال الجزيرة قبل الاسلام . ولقد كانت هذه المهنة ممارسة في سواحل الجزيرة الجنوبية في عهد المعينيين والسبئيين والهميريين أيضاً وهو طبيعي مستمد من وجود السواحل في جزيرة العرب من شرقها وغربها وجنوبها .

(١) جواد علي ج ٨ ص ٨٨ وبعبارة

(٢) انظر تاريخ ابن الفداء ج ١ ص ١١٨ والجزء الاول من سيرة ابن هشام

١٠ - الانعام

وفي القرآن آيات كثيرة حول الانعام^١ التي يدخل في نطاقها الابل والبقر والضأن والمعز فيها اشارات الى اشعارها وأوبارها وأصوافها وجلودها وألبانها ، وإلى ما كان العرب يحنون من فوائدها ومنافعها وإلى حاجتها الى الماء والمرعى ببقاوة كبيرة وبأساليب متنوعة مما يدل على ما كانت تشغله من حيز مهم في حياة العرب قبل الاسلام جعلهم يعنون بها عناية فائقة ويعرّون عليها تعويلا كبيرا .

ولقد كانت منافع الانعام وفوائدها شاملة للبدو والحضر على السواء . فكان البدو يستخدمون الابل في تنقلاتهم المستمرة ويتغذون بلحومها وألبانها وكذلك بلحوم وألبان الانعام الأخرى . ويصنعون من أوبارها واشعارها واصوافها وجلودها ثيابهم وجباهم وخيائهم ويبيعون ما فضل منها لأهل المدن والقرى مقابل حاجاتهم الأخرى من سلاح وثياب وماعون . وكان سكان المدن والقرى يستخدمون الابل والبقر في الزراعة والابل في رحلاتهم التجارية وغير التجارية ويتغذون بلحوم الانعام وألبانها ويصنعون بدورهم من اصوافها وأوبارها واشعارها الثياب وغير الثياب . وكانت جلودها مادة رئيسية من تجارتهم حيث كانوا يذبحونها ويصدرونها الى انبلاء النجاسة .

وهكذا يصح ان يقال ان الانعام كانت جزءاً مهماً من كيان العرب الاقتصادي قبل الاسلام بدوهم وحضرهم على السواء .

ولقد كان للعرب قبل الاسلام عادات في الانعام مصبغة بصبغة دينية وقد اجلنا الكلام عن ذلك الى فصل الحلة الدينية .

(١) انظر آيات الانعام ١٣٦-١٤٤ والنحل ٥-٨ و ٦٥ و ٨٠ والمؤمنون ٢١-٢٢ والجمعة ٢٧

١١ - الصيد

وفي القرآن بضع آيات ^١ في الصيد بأسلوب يلمح أنه كان كذلك من وسائل معاش العرب وجزءاً من اقتصادياتهم .

وبعض الآيات ^٢ ناهم أنهم ساروا في فنون صيد البر شوطاً غير يسير حيث كانوا يستعينون عليه بالطيور الجارحة والكلاب . وكانوا يعلمون هذه الحيوانات تعليماً لتقوم بمهمتها على وجه مرض .

ونص الآية التي تذكر ذلك ^٣ قد تلهم أن العرب كانوا يرشقون الصيد بالنبل من بعيد ثم يطلقون الكلاب والجوارح وراءه ولقد جاء في آية سورة المائدة (٩٤) جملة (لتبلونكم بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم) حيث نفيد أنهم كانوا يصطادون بالرماح أيضاً .

وكان صيد البحر بخاصة مما يعولون عليه تعويلاً كبيراً على ما تلهمه بعض الآيات ^٤ . ولقد كان هذا الصيد دافعاً في نطاق حظر الصيد في الأشهر الحرم على ما سوف نشرحه بعد فأحله القرآن تيسيراً للناس مما فيه دلالة على ما كان من شديد الحاجة إليه والتعويل عليه .

ولقد كان العرب يأكلون السمك طرياً على الغالب وهو ما ذكره القرآن . كما كانوا على ما ذكرته الروايات ^٥ يملحونه ويحففونه أو ينقعونه في الخل ليأكلوه في أوقات ومخالات أخرى . ربما ذكرته الروايات أنهم كانوا يطحنونه ويعلقون به دوابهم . وكانوا يسمون السمك الطري (القريب) والمالح (الشوط) والمنقوع (المنز) وكان هناك نوع من

(١) آيات المائدة ١ - ٢ و ٤ و ٥ - ٦

(٢) المائدة ٤

(٣) نفس الآية السابقة

(٤) المائدة ٩٦

(٥) جواد علي ج ٨ ص ١١٠ وبعدها

السماك اسمه الحساس يسمون بحففه (القاشع) .

ولقد عرفوا أنواعاً عديدة من السمك فسموها بأسماء مختلفة . منها القرش وهو ضخم كبير وخطر . والحوت وكانوا يسمون بهذا الاسم السمك الكبير . والبياح وهو ضرب من الحيتان . والزجر وهو الحوت العظيم . والجوفي وهو كذلك ضرب من الحيتان . والرخم وهو سمك عظيم الحجم . والتامور والنكيع والسابوط والقبيع والدعموص وهي دواب بحرية لا تشبه السمك العادي . ومن أسماء السمك الحرشف والكنعد وعز الماء . وكانوا يصنعون من عظام بعض الأسماك والحيتان أدوات متنوعة ^١ .

ولقد ذكر في آية في سورة الرحمن ^٢ خروج اللؤلؤ والمرجان من البحر وفي آيتين في سورتي فاطر والنحل إشارة إلى استخراج السامعين - العرب - من البحر الحلي التي يلبسونها بالإضافة إلى اللحم الطري حيث يفيد هذا أن العرب قبل الإسلام كانوا يستخرجون اللؤلؤ والمرجان من البحر . وهذا أمر يقيني ما يزال مستحراً إلى عهدنا وبخاصة في سواحل الخليج العربي وكان من الأمور المعول عليه كثيراً في حياة أهل الاقتصادية إلى وقت قريب امتداداً لما كان من ذلك في الأزمنة القديمة . وقد ذكرت الروايات ^٣ أن العرب كانوا يستخرجون اللؤلؤ من سواحل البحر الأحمر ولا سيما قرب جدة وجنوبها غير أن الشهرة والجودة كانتا للؤلؤ الخليج . وبما ذكرته الروايات أن العرب كانوا يستخرجون العنبر أيضاً من سواحل البحر الأحمر والبحر العربي وكانوا يحنون منه رجاً عظيماً . ولم نطلع على رواية تذكر المرجان . غير أن ذكره في القرآن مع اللؤلؤ دليل حاسم على أن العرب كانوا يستخرجونه أيضاً .

وهكذا يصح أن يقال أن الصيد وبخاصة صيد البحر ولؤلؤه ومرجانه وعنبره كانت جزءاً هاماً من الكيان الاقتصادي والمعيشي للعرب في شمال الجزيرة قبل الإسلام وبنوع خاص لسكان السواحل الشرقية والغربية منهم .

(١) المصدر السابق

(٢) الآية ٢٢

(٣) جواد علي ج ٨ ص ١١٤

١٢ - الثروة والترف

ويبدو ان هذا النشاط الاقتصادي على مختلف مناحيه قد أوجد طبقة ذات ثراء طائل في القرآن آيات كثيرة جداً تذكر الاغنياء واصحاب الاموال وكنزهم الذهب والفضة وحبهم المال حباً جماً وبذلهم الجهد في جمعه وتعييده وانفاق الكثير المتلبد منه على الشهوات ومفاخرتهم به واعتدادهم وتنافسهم وتكاثرهم فيه وتكبرهم ومواقفهم من الدعوة النبوية التي كانت تدعو الى البر بالفقراء والمساكين والاتفاق في سبيل الله وتندد بالبخل والبخلاء وكنز الذهب والفضة والتكاثر والتباهي بالمال .

ومن الطبيعي ان تكون الاسفار والرحلات قد سرت لأهل المدن من العرب الشماليين الاتصال بالعالم الذي كان أرقى حضارة وأكثر استمتاعاً بحياة الترف والنعيم ولا بد من ان يكونوا قد اقتبسوا من مظاهر ووسائل تلك الحضارة وهذه الحياة وان يكون ما نما وتكاثر في أيديهم من أموال نتيجة للنشاط الاقتصادي مما ساعد على ذلك .

ولقد احتوى القرآن أوصافاً كثيرة لما في الجنة من نعيم الحياة وأسباب الترف ولذائذ النفوس والمتع المشتهة^٢ . ومن المعقول ان يكون الذين خطبوا بهذه الاوصاف لأول مرة أي اهل بيته النبي قد عرفوا المسميات والوسائل والمظاهر الموصوفة . ومن المرجح ان يكون طبقات منهم قد عاشوا عيشة ترف ونعيم وعرفوا معرفة بممارسة واستعمال واستمتاع الغرف العالية والقصور والحرير على انواعه من سندس واستبوق والسرر الموضوعة والفرش المبطن بالحرير والارائك والبخارق والزراي والحلي الذهبية والفضية واللؤلؤية والمرجانية والدرية والياقوتية وأواني الذهب والفضة من صحاف وأكواب

(١) انظر مثلاً آيات سورة آل عمران ١٤ والتوبة ٣٤-٣٥ و٥٥ و٧٤ وطه ١٣٢ والمؤمنون ٥٥-٥٦ وسبأ ٢٥ ومحمد ٣٦-٣٨ والذاريات ١٩ والخشر ٧ والمنافقون ٩-١٠ والتغابن ١٥-١٦ والقلم ١٠-١٥ والمدثر ١١-١٢ والبلد ٤-٧ والتكاثر ٢-٣ والهمزة ١-٢ والحديد ٢٠

(٢) انظر آيات الكهف ٣١ والحج ٢٣ والزخرف ٧١ والدخان ٥٣ والطور ١٧-٢٤ والرحمن ٤٦-٧٨ والواقعة ١٥-٢٩ والحاقة ٢١-٢٤ والانسان ٥-٢٢ والنبأ ٣١-٣٦ والمطففون ١٨-٢٨ والغاشية ٨-١٦

وأباريق والزجاج والمصاييح والمشايخ والفوارير والزخارف المتنوعة التي ذكرت ووصفت
في مختلف الآيات القرآنية .

ولقد احتوت بعض الآيات^١ الترف والمترفين من الكفار ونددت بهم حيث ينطوي في
ذلك الدلالة على انه كان هناك طبقة مترفة في حياتها مستمتعة بنعيم الحياة ولذا نذرها

ومن تحصيل الحاصل ان يقال ان ما ذكر ينسحب على أهل المدن الأخرى من الشمال
الشرقي والشمال الغربي من الجزيرة لأن نشاطهم الاقتصادي واتصالهم بهم هم أرقى حضارة
لم يكن أقل من نشاط أهل الحجاز واتصالاتهم ان لم يكن أكثر لأنهم اقرب الى البيئات
المتحضرة . ولقد كان هذا عاماً بالنسبة للطبقة الرفيعة من العرب قبل الاسلام . وبما
يؤيد ذلك ما روته روايات السيرة^٢ عن الأكيدر بن عبد الملك ملك دومة الجندل حين
قدومه على رسول الله عليه السلام في المدينة حيث كان يلبس قباءً من الديباج ويحمل
صليباً من الذهب وقد اخذ المسامون يلبسون القباء ويتعجبون منه فقال لهم رسول الله
عليه السلام أتعجبون من هذا فوالذي نفسي بيده لمناذيل سعد بن معاذ في الجنة أحسن منه .
وما روته روايات السيرة^٣ كذلك عن وفد نجران حين قدم على رسول الله عليه السلام حيث
كانوا يلبسون ثياباً من الحر وأردية مكفوفة بالحرير .

(١) اقرأ آيات سورة المؤمنون ٦٣-٦٤ وسبأ ٣٤-٣٥ والزاقفة ٥-٦ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٥ وابن هشام ج ٤ ص ١٨١

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١١٩

الحالة العقلية والثقافية

ويمدنا القرآن بدلالات مهمة ومتنوعة على ما كان عليه العرب قبل الاسلام في هذا الدور وبخاصة اهل بيته النبي عليه السلام من قوة عقلية ومعارف علمية وفنية .

١ - الكتابة والقراءة

لقد وردت كلمة الكتابة ومشتقاتها في القرآن نحو (٣٠٠) مرة وكلمة القراءة ومشتقاتها نحو (٩٠) مرة وقد ذكرت أدوات الكتابة والقراءة من كتب وقرطاس ورق وصحف واقلام ومداد وسجلات واستنساخ في آيات كثيرة ^١ .

فهذه الحفاوة الكبيرة بالقراءة والكتابة وهذه الآيات الكثيرة التي ذكر فيها وسائلها وأدواتها ومظاهرها دليل قوي على ان العرب وفي بيته النبي عليه السلام بخاصة قبل الاسلام قد عرفوا تلك الوسائل والأدوات واستعملوها ، وعلى ان القراءة والكتابة فيهم كانتا منتشرتين بنطاق غير ضيق . فكثرة التردد تدل على اللفة وهذه لا تكون الى حيث يكون المؤلف فائغاً ذبوعاً غير يسير . وإذا لاحظنا ان اولى آيات القرآن نزولا على ما عليه الجمهور ويلهمه المضمون هي آيات سورة العلق الاولى التي نوه فيها بالقراءة والكتابة والتعليم بالقلم بأسلوب يدل على حفاوة عظيمة ، وان ثانية الآيات نزولا هي آيات سورة القلم التي اقسم الله فيها بالقلم والكتابة (ن . والقلم وما يسطرون) ازداد قولنا قوة وتأيداً .

وفي سورتي الانعام والاسراء آيات جاءت في معرض التحدي والتنديد وبصيغة الجمع

(١) اقرأ آيات الانعام ٧ و ٩١ والاسراء ٥٨ والانبيا ١٠٤ وطه ١٣٣ والكهف ١١٠ والاعلى ١٨ والمدثر ٥٢ والنبية ١٠ والقلم ١-٢ والعلق ١-٥ ولقمان ٢٧ والطور ١-٣ والجن ٢٨

وبأسلوب يدل على إلفة القراءة والكتابة وشيوعها^١ وآيات الاسراء خاصة تفرض ان جميع الناس يقرأون ويكتبون . وإذا كان هذا مما يتصل بمشاهد الآخرة فإن فيه قرينة قوية على الشيوع . وفي سورة المدثر آية فيها نفس هذه القرينة القوية بالنسبة للعالم أيضاً وهي « بل يريد كل منهم ان يؤتي صحفاً منسرة » حيث تقول ان كل واحد من الكفار يريد ان ينزل عليه صحف خاصة به من السماء يقرأها حتى يصدق^٢ .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فإن مكة كانت مدينة تجارية وكانت رحلات تجارها متوالية الى بلاد كانت على حظ غير يسير من الحضارة كالشام ومصر والعراق وفارس واليمن . ومن المعقول ان يكون العادون الرائحون منهم قد تأسوا بما رأوه هناك من الكتابة والقراءة ووسائلها فشحجوا على اذاعتها في بيئتهم . هذا الى ما كانت طبيعة مشاغلهم التجارية تقضي به من القراءة والكتابة والاعمال الحسابية وتحملهم على التشجيع والاداعة أيضاً . وفي آية في سورة البقرة قرائن قوية حيث امرت بكتابة الديون والاعمال التجارية وحثت عليها بأسلوب قوي يلهم ان البيئة التي نزل فيها القرآن كانت مستعدة لذلك اليقة له وانه كان فيها طبقة تحترف الكتابة والتسجيل وكتابة العقود التجارية مما فيه دلالة على ان الكتابة والقراءة كانتا منتشرتين بنطاق غير ضيق .

ثم ان القرآن المكي ضعف القرآن المدني تقريباً . وكانت آياته تكتب في الصحف ويتداولها المسلمون في بيوتهم يقرأونها وينسخونها . فاذا كان من المحتمل ان اكثر المسلمين في مكة او ان كثيراً منهم كانوا يقرأون ويكتبون^٣ وهم اقلية ضئيلة بالنسبة لأهل مكة وكان اكثرهم فقراء فيكون من المعقول ان عدد الذين يقرأون ويكتبون في مكة

(١) ١- ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فسوه بأيديهم .

الاضام ٧

٢- وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . افرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ..

الاسراء ١٣-١٤

٣- او ترعى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه ...

الاسراء ٩٣

(٢) الاية ٢٨٢

(٢) في قصة اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي رواها ابن هشام ج ١ ص ٣١١ ان عمر وجد صحيفة قرآنية في يد شقيقته حيث يدل هذا على ان المسلمين او بعضهم أيضاً كن يقرأون ويكتبون

كان كبيراً ولا سيما ان اكثرية الطبقة من زعماء ووجهاء واغنياء لم تكن من المسلمين وهؤلاء اواكثرهم فطنة القراءة والكتابة .

وعلى هذا يمكن أن نقرر أن ما ذكره بعض المؤلفين القدماء ونقله عنهم المستشرقون والكتاب العرب المحدثون^١ على علته من أن الاسلام جاء ولم يكن يقرأ ويكتب في مكة إلا سبعة عشر رجلاً وأنه لم يكن في جميع اليمن من يقرأ ويكتب وأن الحروف العربية لم تخترع إلا قبيل البعثة وأن الأفراد القلائل التي تعلموها من أهل مكة لم يتعلموها إلا في هذه الظروف وأن وسائل الكتابة في بيئة النبي عليه السلام وعصره كانت على الاكثر لحاء الشجر وأكتاف المعظام وقطع الجلد ورقائق الحجارة وهي ما كان يكتب عليها القرآن هو قول جزاف لا يثبت أمام التمهيص والتدبر وقد نقضته الحقائق العلمية الراهنة^٢.

وإذا كان جل ما قلناه قد انصب على أهل مكة فلا يعني هذا أن أهل يثرب والطائف وغيرهما من المدن والقرى الحجازية لم يشملهم الكلام والدلالات القرآنية . فلفظة القرآن هي لغتهم وملهاتهم تنسحب عليهم بطبيعة الحال . وأهل الطائف تجار وصناع . ويجاور عرب يثرب جاليات يهودية كثير من أفرادها يقرأون ويكتبون . ويمكن تشيل القول إلى الاتجاه المتحضرة الأخرى في شمال الجزيرة مثل بلاد ثمود وحيان في الشمال الغربي وبلاد ساره واليمامة والبحرين وعمان في الشمال الشرقي . ففي هذه البلاد عدد غير قليل من المدن وعدد كبير من القرى . وكانت الحركة التجارية والصناعية نشطة فيها . فمن المعقول أن تكون الكتابة والقراءة منتشرتين فيها بنطاق غير ضيق أيضاً . ولقد عثر على آلاف من النقوش النبطية والشمودية في أنحاء مدائن صالح والعلاء في الشمال الغربي العائدة إلى الحقبة الممتدة من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الخامس بعده بما فيه دليل

(١) الاسلام والحضارة العربية محمد كرد علي ج ١ ص ١٢٤ والالوسي في بلوغ الاربع ج ٣ ص ٣٧٠ من المحدثين والعقد الفريد ج ٣ ص ٣ من القدماء وغيرهم وغيرهم

(٢) إن آلاف النقوش النبطية والمغربية والحفر موية والفتانية والحجرية والشمودية والحيانية والصفوية فضلاً عن النبطية والتدمرية التي اكتشفت في جنوب جزيرة العرب وشمالها وأطرافها والتي يعود كثير منها إلى دور الرومية الصريح الذي يبدأ قبل الميلاد المسيحي بعدة قرون شاهد مادي على خرافة القول . وفي أحد فصول تاريخ الاسلام للشرق الطلياني كاتباتي بحث مسهب في نشأة الخط العربي اثبت فيه أنه قدم الوضع والديوع في مختلف أنحاء جزيرة العرب والشمالية منها خاصة استدلالاً من النقوش التي عثر عليها فيها . وعدم العثور على نقوش وكتابات حجازية تعود إلى ما قبل البعثة لا ينفي هذه الحقيقة .

قاطع على ذلك .

اما البدو او الاغراب فاننا نميل الى القول ان الكتابة والقراءة فيهم لم يكن لها نصيب من الشيوع . ولا يمنع هذا ان يكون بعض افراد في انحاء الحجاز وغيره منهم قد ألوا بها . وفي روايات السيرة ما يستأنس به على صحة هذا القول حيث ذكرت ان بعض تابعي الاغراب قابل النبي عليه السلام في احد المواسم وكان معه ما سماه بحملة إقمان^١ . وحيث ذكرت ان النبي عليه السلام ارسل رسائل عديدة الى قبائل عديدة . وهذا غير ما روي من ارساله الكتب الى كثيرين من امراء اليمن ثم الى امراء ساوه وعمات والبحرين واليامة ..^٢

ونود ان نتساءل عما اذا كانت القراءة والكتابة في المدن العربية تعلمان للصبيان في مدارس او كتاتيب . وليس في القرآن ما يثبت هذا او ينفيه . غير اننا نميل الى الايجاب في الجواب . فان عدداً من شباب المسلمين المكين عرفوا بأنهم يقرأون في كتاتيب . وهذا يعني ان هذه الطبقة تعلمت الكتابة والقراءة في سن الخدانة . وليس من المستبعد ان تكون تعلمتها على يد معلمين بصورة جمعية وهذا معنى الكتاب او المدرسة مها كان الشكل .

ولقد ذكرت كتب السيرة ان والد الحجاج بن يوسف امير العراق كان معلم كتاب في الطائف^٣ . والحجاج ولد في اواخر عهد الخلفاء الراشدين . وربما كان ابوه معلماً قبل ان يولد بأمد ما . وليس من التجوز ان يقال انه لم يخترع الكتاب . ولما هو مما كانت موجوداً قبل البعثة . حتى ولو لم تصح الرواية في ذاتها واريد بها غمز اصل الحجاج وارومته فانها تدل على ان هذا النوع من الكتاتيب كان موجوداً ومعروفاً في عهد ابي الحجاج . وما لا ريب فيه ان الكتاتيب والمدارس كانت شيئاً معروفاً ذائعاً في بلاد الشام ومصر . وليس من المستبعد ان يكون تجار الحجاز وزعمائها قد اقتبسوها منهم . ونرجح ان الجالية اليهودية الكبيرة في يثرب قد انشأت لصبيانها مدارس وكتاتيب استجروا لما كان مألوفاً لها من قبل في فلسطين . وندعم ترجيحنا بحملة جاءت في احدي آيات سورة آل عمران خطاباً لليهود : « ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٤ ص ٤٨

(٢) انظر طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٢ وبعدها

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ٢٧-٢٨

وبما كنتم تدرسون « (٧٩) حيث تلهم انه كان لليهود نوع من المدارس يعلم احبارهم وربانيهم فيها الكتاب . وليس من المستبعد والحالة هذه أن يكون عرب يثرب قد حذوا حذو اليهود في إنشاء كتاتيب يتعلم فيها أبناؤهم .

وما قلناه يمكن أن يشمل المدن الأخرى في الانحاء الأخرى من شمال الجزيرة كما هو المتبادر .

٢ - المعارف التاريخية

في القرآن قصص كثيرة عن الأمم الفائرة في جزيرة العرب وخارجها فيها أشياء كثيرة عن حالة هذه الأمم وبلادها . ومضامين الفصول القصصية القرآنية توحى بأن الذين كانوا يسمعونها كانوا يعرفون شيئاً عن أحوال هذه الأمم وتسوغ القول انهم كان لهم وبخاصة لأهل بيته النبي عليه السلام وعصره قبل البعثة حظ من المعارف التاريخية ، وان من المعقول أن لا يكون هذا قاصراً على ما وردت اشارة مجملة عنه في القرآن لأن ما ورد هو ما اقتضته حكمة التنزيل للغة والتذكير .

ومن الأدلة على هذا ان علماء الاخبار والرواة والمفسرين أوردوا كثيراً من الشروح والبيانات لما جاء في القرآن من القصص معزوة إلى علماء الصحابة من عرب وغير عرب^١ ولا يعقل أن يكون كله مصنوعاً بعد الاسلام ويحتمل كثيراً أن كثيراً منه كان متداولاً بين الناس في عهد النبي عليه السلام امتداداً لما قبله . واتساقه مع ما ورد في القرآن اجمالاً بما يؤيد ذلك .

وفي سورة الانفال آية فيها دلالة قوية على ذلك وهي هذه « وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين » (٣١) حيث تضمنت توكيد قول بعض الكفار من انهم يعرفون كثيراً من القصص التاريخية القديمة التي كانت

(١) انظر كتب تفسير الطبري وابن كثير والحازن والطبري والقرطبي وغيرهم في تفسير القصص القرآنية في سورة الاعراف وهود وابراهيم والحجر ومريم والانبياء وطه والشعراء والقصص والنمل والعنكبوت والافات ...

القرآن يذكرها على سبيل التذكير والتشيل والوعظ .

وقد روي في صدد هذه الآية ^١ ان النضر بن آخرث كان يخلف النبي عليه السلام في مجالس دعوته ويقص على الناس أخبار رستم واسفنديار ويقول والله ما حديثه بأحسن حديثاً مني وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتبها كما اكتبتها وقد نزلت الآية لتحكي قوله منددة مندرة .

وهذه الرواية المتسقة إجمالاً مع فحوى الآية القرآنية قد تدلنا على شيء مهم آخر وهو انه كان عند العرب كتب وصحف ورقوق دونت فيها الاخبار والقصص والمعارف التاريخية قبل البعثة ولم يقتصر تناقلها على اللسنة والصدور ولو لم يصل اليها منها شيء . وفي آية في سورة الفرقان دلالة ما على ذلك وهي « وقالوا أساطير الأولين اكتبها فهي قلمي عليهم بكرة وأصيلا » (٥) حيث تضمنت حكاية قول الكفار عن القصص والفصول القرآنية انها قصص الأولين وأساطيرهم استكتبها النبي عليه السلام وحفظها من كثرة ما كانت تتلى عليه صباحاً ومساء . وحيث تدل على انه كان هناك مدونات تحتوي قصص الأولين وأساطيرهم .

وتعبير « أساطير » وإن كان يطلق على الاقاصيص فانه ينطوي على ما نرجع على معنى مدونات الأولين ان لم نقل ان هذا هو المقصود في هذه الآية وأمثالها التي ورد فيها كلمة أساطير الأولين . وهي عديدة . وأساطير من سطر . وقد استعمل القرآن هذه الكلمة بمعنى الكتابة كما تروى في الآيات التالية :

- ١ - والطور . وكتاب مسطور : في رق منشور . . الطور ١-٣
٢ - ن والقلم وما يسطرون . . القلم ١

وكل هذا يجعلنا نقول ان سامعي القرآن كانوا يعرفون القصص التي وردت في القرآن إجمالاً وتفصيلاً وكان عندهم مدونات تحتوي شيئاً من ذلك قليلاً أو كثيراً سواء أكانت القصص التي وردت في أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد أي الانجيل وملحقاتها أم القصص الأخرى من عربية وغير عربية كقصص قوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وأصحاب الرس من العربية وذي القرنين وأصحاب الكهف والرقم من غير العربية . والاولى كانت

(١) ابن هشام ج ١ ص ٣٢٣

مكتوبة ومتداولة عند الكتابيين الذين كان كثير منهم في الحجاز وغير الحجاز من جزيرة العرب والثانية كانت متداولة من الآباء للابناء أو كان العرب يسمونها في رحلاتهم وأسفارهم الى البلاد الاخرى أو من الكتابيين الاجانب . والحكمة القرآنية في القصص القرآنية هي هذه المعرفة لأن السامع انما يتأثر بما يعرفه من قصص ^١ : ولو لم يسمع العرب بذي القرنين لما سألوا عنه على ما حكاه القرآن . ولو لم يسمعوا ويعرفوا قصة يوسف لما سألوا عنها . وقد حكمت آيات كثيرة طلبهم من النبي عليه السلام الاتيان بآيات كما كان يأتي الرسل من قبله بالآيات مما يدل على معرفتهم ذلك .

بل ونقول ان سامعي القرآن كانوا يعرفون كثيراً من تاريخ الروم والفرس وبلاد الشام والعراق ومصر والحبشة وغيرها مما لم يرد عنه قصص في القرآن ما داموا يعرفون ما ورد في القرآن اجمالاً وتفصيلاً . ورواية ابن هشام عن النضر بن الحارث تدل على ذلك حيث كان يقص على سامعيه قصص رسم واسفنديار ولم يرد ذلك في القرآن .

ونرى هذا طبيعياً ومتفقاً مع المنطق . فالعرب لم يكونوا قبل الاسلام في عزلة عن الامم الاخرى وبلادها حيث كانوا يقومون بالرحلات الى بلاد عديدة وحيث كانت بين ظهرانهم جاليات اجنبية .

٣ - اللغة العربية الفصحى وفنونها ودلالاتها

على قوة العرب العقلية

لا مرأى في أن لغة أمة ما في حقبة من حقب تاريخها هي من مقاييس قواها العقلية والفوقية والفنية في تلك الحقبة . لأن اللغة وسيلة للتعبير عما يكون في ذهن الانسان من أفكار ومعان وما يشعر به من حاجات ومشاعر مختلفة . فاذا كانت أمة ما في حقبة من حقبتها ضعيفة المادة اللغوية والاداء اللغوي كان ذلك برهاناً على ضيق أفقها وضعف معارفها وتجاربها وقواها العقلية . وعلى العكس من ذلك إذا كانت غزيرة المادة دقيقة الاداء تتسع لشق الافكار والمعاني غنية في المفردات مرنة في الاقتباس والاستقاق حيث يكون هذا

(١) انظر كتابنا القرآن المجيد ص ١٦٦-١٨٥ حيث شرحنا هذا الامر . واوردنا شواهد قرآنية على صحته .

دليلاً على نشاط ذهن الأمة وسعة افقها وقوة أفكارها وتجاربها وحيويتها العقلية .

وليس في يدنا صورة للغة العرب قبل الاسلام في دور العروبة الصريحة وبخاصة في
أواخره أصدق ولا أوثق ولا أغزر مادة من لغة القرآن . فهو من جهة فوق كل مظنة أو
شبهة في أنه وصل إلينا كما بلغه النبي عليه السلام وهو من جهة ثانية الكلام الوحيد الذي
وصل إلينا مدوناً وسليماً من كل شائبة وشك من ذلك العصر في حين اننا لا نستطيع أن
نقول هذا القول بهذه القوة والحزم عن أي كلام مما روي من كلام ذلك العصر لأنه لم
يدون إلا بعد مدة طويلة . وظل طول هذه المدة تتناقله الالسن وعرضة للتبديل والتحريف
والزيادة والنقص والتلفيق والصنع والاهواء والاعراض . وما وجد مدوناً في النقوش
الصفوية والنبطية والآرامية والشمودية والحبشية والتدمرية مقتضب ومبتور بحيث لا
يستأهل الاستثناء بالنسبة للغرض المقصود من البحث .

وقد انتهينا في الفصل الاول استناداً الى النصوص القرآنية والادلة المنطقية الى تقرير
كون لغة القرآن غدت قبل الاسلام بمئة سنة على الأقل لغة مشتركة لجميع العرب في
مفرداتها ومصطلحاتها وتراكيبها وعجازاتها وتشابيهها وضوابطها الصرفية والنحوية من
حيث الاجمال .

وقد قيدنا الكلام بالعبارة الاخيرة لانه لا بد من أن يوجد في كل بيئة حتى في أرقاها
تفاوت بين أفرادها في قوة الفهم والتعبير باللغة وحسن الاداء والتلقي ودقة الاستعمال
وحسن السبك والاسلوب وغزارة المادة . وهذا التفاوت مظهر من مظاهر التفاوت
الطبيعي في قوى العقل والذكاء والاطلاع والتجارب والعلم والمعرفة . وما قاله بعضهم من
أن لغة القرآن كانت فوق مستوى عقول الناس ومتناولهم لا يتفق مع الوقائع من جهة
ولا مع طبيعة مهمة الرسول وهي الاتصال بجميع الناس ومختلف فئاتهم ومخاطبتهم بلغة
القرآن والتي كانت حتماً هي لغة النبي عليه السلام وتلاوة القرآن عليهم من جهة أخرى .
وقد شرحنا ذلك في الفصل الاول شرحاً يغني عن الاسهاب في هذا المقام .

ولقد كتب العلماء والادباء والفقهاء قديماً وحديثاً عن طبقة لغة القرآن السامية وما
هي عليه من قوة البيان وروعة الاسلوب وبلاغة التعبير ونفوذ المعنى ودقة الاداء ونصاعة
الحجة وسعة المتناول وغزارة المادة وفنونها والبعد عن التناثر والتعقيد ما لا مزيد عليه
الا ان نقول ان كل ذلك يصح ان يعتبر مصوراً لناحية من النواحي العقلية العربية قبيل

الاسلام . فنجعل تصل مادة التعبير عن ما في ذهنه من معان وحاجات وما يدور في رأسه من أفكار يمثل هذه اللغة القوية في بيانها الرائعة في أسلوبها البليغة في ادائها النافذة في معانيها الناصعة في حجبها الواسعة متناولها الفزيرة في مادتها وفتونها لا يمكن إلا أن يكون من حيث الاجمال على حظ غير يسير من رقي العقل وحدة الذكاء واضطرام الذهن ونشاطه واتساع الافق والتجربة والمعرفة .

ولقد يقول قائل ان القرآن كلام الله وانه لا يصح ان تقاس به قوى العرب العقلية وانه تحدى الكفار بأن يأتيوا من مثله بحديث أو سورة أو سور ففجزوا . ونقول ان هذا لا يتعارض مع ما قررناه من كون لغة القرآن بماهيتها ومفرداتها وتراكيبها هي لغة العرب قبيل الاسلام وبخاصة لغة بيئة النبي عليه السلام وانها كانت اللغة المأنوسة المفهومة من الناس بوجه عام واللغة المفهومة المأنوسة المستعملة في الحديث والكتابة من الطبقة النيرة بوجه خاص مما يسندته تقارير القرآن الصريحة التي شرحناها في الفصل الاول . ولقد حكى القرآن كثيراً من اقوال المسلمين والمنافقين والمشركين بأسلوب يوحى بأن ما جاء في هذه الحكاية هي نفس ما جاء على ألسنة الذين حكمت اقوالهم وهو من نفس لغة القرآن . وقد جاء منسجماً كل الانسجام معها ^١ .

ولقد رويت احاديث لا تحصى عن النبي عليه السلام واصحابه ودونت في عهود مبكرة . ولا تكاد تفرق من حيث مفرداتها وتراكيبها وأساليبها عن مفردات وتراكيب واساليب القرآن . وكل هذا يقوم أدلة لا تتحمل مراعاة على صحة ما قررناه .

ولقد قلنا ان لغة القرآن قد غدت لغة العرب بوجه الاجمال قبل البعثة بنحو مئة سنة أو أكثر قليلاً . وهذا من حيث دور نضوجها الصرفي والنحوي . اما من حيث مادتها ومعانيها فالمتبادر ان ذلك يرقى الى مدة غير يسيرة اخرى وان ما قلناه من دلالة اللغة ومعانيها على قوة العرب العقلية يصح ان يشمل هذه المدة ايضاً .

(١) انظر آيات سورة البقرة ١٨٨ و ٢٠١ و ٢١٧-٢٢٢-٢٨٥-٢٨٦ وآل عمران ١٧٣ و ١٩١-١٩٤ والإصنام ١٢٤ والأعراف ٢٨ والانفال ٣١-٣٢ والتوبة ٤٩ ويونس ١٥ والرعد ٧ ومرم ٧٧ والانبيا ٥ والمؤمنون ٨٢-٨٣ والفرقان ٤-٥ والمنافقون ٧-٨ وهذه الايات ليست كل ما حكى فيها من اقوال المسلمين والمشركين والمنافقين فهناك آيات كثيرة اخرى

فنون نثر اللغة العربية

والقرآن يمثل الأسلوب الثوري في اللغة الفصحى إبان بلوغها ذروة بلاغتها . ويلهمنا أن هذا الأسلوب كان فنونا . منها السجع . وهو الكلام المقفى الذي لا يشترط فيه وزن ولا بحر . وفي القرآن أمثلة كثيرة ورائعة منه . منها الطويل ومنها القصير ^١ . ومنها المرسل الذي لا يتقيد بقافية ولا وزن . وهو أسلوب معظم السور الطويلة والمتوسطة . ومنها الأمثال . وهي في القرآن على نوعين أحدهما تمثيل ومقارنة وفيه بعض الأساليب وفي القرآن من هذا النوع أمثلة في غاية السمو والروعة وقد تضمنت من الحكم الاجتماعية والعظات الاخلاقية ما يتناسب مع أسلوبها السامي الرائع ^٢ . وثانيها أمثال قصيرة مع التنبيه على أنها لم ترو كأمثال قبل القرآن ولم ترد فيه كذلك وإنما تداولها الناس أمثالا بعد نزولها لما فيها من الحكمة البالغة والمعنى النافذ الذي تكون الجملة المأثورة به مثلاً سائراً . وهذه نماذج من ذلك :

- ١- فبهت الذي كفر
- سورة البقرة ٢٥٨
- ٢- قضي الامر الذي فيه تستفتيان
- « يوسف ٤١
- ٣- حاجة في نفس يعقوب قضاها
- « « ٦٨
- ٤- ان بعض الظن اثم
- « الحجرات ١٢
- ٥- مثله كمثل الحمار يحمل أسفارا
- « الجمعة ٥
- ٦- ولا ينبئك مثل خبير
- « فاطر ١٤

ومن هذه الفنون القصة والقصص . وفي القرآن قصص عديدة بأسلوب أخاذ وحنكة

(١) انظر كأثلة على القصص آيات سور النجم والرحمن والمدثر والقيامة والنبأ والزلزلة والفارعة والتكاثر والماديات والاعلى والتيل والشمس والوانمة والتكوير والانفطار . وكأثلة على الطويل سور القمر والفرقان والاسراء ومريم والملك

(٢) انظر آيات سورة ابراهيم ٢٤-٢٥ وسورة النور ٣٥ ويونس ٢٤ والرعد ١٧

واثثة منها قصة موسى والعبد الصالح في سورة الكهف (الآيات ٦٥-٨٢) وقصة سليمان
وملكة سبأ في سورة النمل (الآيات ١٧-٤٤) وقصة يوسف وأخوته وقد استغرقت
معظم سورة يوسف . ويلفت النظر الى ما في هذه القصص من حوار شائق وعبر بالغة .
وعظات حكيمة تحللت حوارها وسررها واسغت عليها ثوباً بديعاً

ضوابط النحو والصرف والاشتقاق

وهناك ناحية فنية من اللغة العربية الفصحى تتمثل في القرآن ونعني بها ضوابط النحو
والصرف والاشتقاق . حيث احتوى ما يصح ان يقال انه فن شامل كامل . ولعل
اتصال هذه الناحية بلغة العرب قبيل الاسلام اشد وضوحاً من جهة وبما لا يتحمل أي
توقف أو سؤال من جهة أخرى . فما لا يتحمل أي ريب ان ما احتواه القرآن هو صورة
لقواعد نحوية وصرفية واشتقاقية كانت ممارسة قبل نزوله وطابعاً مستقراً للغة العربية .
وفيها دلالة قوية على ما وصلت اليه هذه اللغة من هذه الناحية من الدرجة الرفيعة والنضوج
الثام الذي كان وما يزال ولن يزال مشار اعجاب الباحثين المنصفين ودهشتهم سواء في كمال
دقتها وحروف جرها ومعانيها واعرابها أم في تنوع أوزانها وجموعها وصفاتها وصيغها
لم تكند تصل الى درجتها أي لغة مع ملاحظة ان هذا كان منذ خمسة عشر قرناً على الأقل
وطبيعي ان هذا المظهر الرفيع المعبى يصح ان يكون دليلاً على ذهنية حية جواله نشيطة
وعلى ذوق فني بديع . ولا نرى في هذا ما يحتاج الى امثلة او يتحمله هنا لأنه الأساس
"شائع العام في اللغة القرآنية النصحي المتعارف عليها الى الآن . وبما يزيد في الروعة ان
هذا كله كان سليقة وليس بتعلم وتعليم : والى هذا اشار الشاعر العربي الصميم في بيته
المشهور :

ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن سليقي اقول فأعرب

وتقول في هذه المناسبة ان تطبيق علماء اللغة العربية قواعد النحو والصرف التي
وضعوها بعد البعثة بمدة ما والتي جعلوا الشعر الجاهلي شواهد عليها واعتبارهم ما خالفها في
القرآن غريباً أو شاذاً بجانب اللصواب . فالقرآن لا غيره هو الذي وصل اليها مدوناً سليماً
والقرآن لا غيره هو الذي يصح ان يكون مرجع القاعدة اللغوية الصحيح الصادق . وما
يمكن ان يكون فيه شذوذ عن قاعدة مطردة فانه من قبيل المستثنيات التي توجد في كل
لغة حية . والشعر الجاهلي الذي يجعلونه اصلاً لقاعدة لم يصل مدوناً إلى عهد التدوين ووضع

القواعد وكثير منه مصنوع بعد الاسلام لأغراض متنوعة .

التعريب

وبما يدخل في عداد فنون اللغة العربية (التعريب) . وهو بما يتمثل في القرآن ايضاً حيث احتوى كثيراً من الالفاظ الاعجمية المعربة اعلماً واجناساً عن الرومية والحبشية والفارسية والعبرية وغيرها مثل ابراهيم واسماعيل واسرائيل ويوسف ويعقوب وسليمان وداود وعيسى وموسى وجالوت وطالوت وجبريل وميكال ويونس ولوط واسحاق وهارون وايوب وادريس وقارون من الاسماء ومثل درهم ودينار وقنطار . حتى فليس وسجيل واستبرق وربيعين وحواريين وسرادق ومشكاة وكافور وزنجبيل والجبل وتوراة من الاجناس . والتعريب يدلنا على ان العرب قبل الاسلام في دور عربيتهم الصريحة قد اخذوا كثيراً من الالفاظ الاعجمية التي لم يكن لها مقابل في لغتهم حينما اقتبسوها واستعملوا مسمياتها وان هذا كان من اسباب نمو هذه اللغة ؛ ويدل كذلك على انهم كيفوا هذه الالفاظ على اوزانهم وعدلوا وبدلوا في حروفها حتى يتم لهم حسن الاداء والمواءمة مع نبرتهم وحروفهم . وفي هذا وذاك دلالة على سعة صدر اللغة العربية ومرونتها وحيويتها في ذلك العهد ثم على ذهنية جواله نشيطة ومرنة في الناطقين بها فضلاً عن دلالاته على ما كان من احتكاكهم بالامم الناطقة بها .

ولقد ذكر بعض المؤلفين ^١ ان في القرآن ألفاظاً اعجمية لم يعرفها العرب قبل نزولها هي كون رسالة النبي عليه السلام شاملة لمختلف الامم فافتضى أن يكون في القرآن ألفاظ من لغات الامم الاخرى ليتسق بذلك مفهوم الآية الواردة في سورة ابراهيم التي جادفها « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » والتهافت في هذا واضح بحيث لا يتحمل نقداً ولا رداً . فكل كلمة في القرآن كانت مستعملة قبله والالفاظ الاعجمية الاصل صارت عربية بالتعريب ومن هنا كان تقرير القرآن المحكم بأنه نزل بلسان عربي مبين كما جاء في سورة الشعراء ^٢ وكما جاء في سور عديدة اخرى ^٣ .

(١) انظر الاقنان للسيوطي ج ١ ص ١٤٠ وبعدها (٢) الاية ١٩٤

(٢) انظر آيات سورة يوسف ٢ والزمر ٢٧-٢٨ والشورى ٧ وفصلت ٣ والذخرف ٣

فنون أخرى

يضاف إلى ما ذكرنا من الفنون اللغوية ما يتشمل في القرآن من فنون الكلام الأخرى كالجذل والبرهان المقعم وكوصف حالات نفسية وصفاً في منتهى الروعة والنفوذ إلى أدق الاحساسات ، وكوصف مظاهر الطبيعة وصفاً قوياً أخاذاً يحل سامعه وقارده يرى فيه العظمة والابداع والنظام الدقيق المدهش ما يجعله على التسليم بعظمة البارئ عز وجل إذا ما تجرد عن الغرض والمكابرة ؛ وكوصف ما يلقي الناس في الآخرة مسن حساب ونعيم وعقاب وصفاً قوياً فأذا يكاد سامعه وقارؤه كذلك يشعر به كأنه أمام مشاهد ماثلة يتحسسها بيديه وجسمه ويراهها بعينه . والآيات التي تتشمل فيها هذه الفنون كثيرة جداً بل هي كل آيات القرآن تقريباً . ولا بد لمن يريد أن يشعر بها نفسه ويتذوق ما فيها من حلالة وطلاوة وروعة وقوة من أن يتلوها المرة بعد المرة ويقف عند روائعها وقوف المتعجب المستبصر^١ .

ومع أن هذا الأسلوب العالي الرائع قد يكون فذاً في اللغة العربية فإنه على كل حال ليس منقطعاً كل الانقطاع عن أهل البيئة التي نزل القرآن فيها بلسانها ، وليس خالياً من الدلالة القوية على مبلغ حيوية أذهانهم وقوة عقولهم وتصرفهم في فنون القول : ولسنا منفردين فيما نقوله بل قاله كثير من العلماء والمفسرين في مختلف الأدوار نذكر على سبيل المثال ما قاله الطبرسي في تفسيره المسمى بجمع البيان « أن الله خاطب قوماً عقلاء فصحاء قد بلغوا الغاية القصوى من الفصاحة وتسموا الذروة العليا من البلاغة » وما قاله الزمخشري في تفسيره المسمى بالكشاف « أنهم كانوا من صحة التمييز بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الأمور وغوامض الأحوال والاصابة في التدبير والدهاء والفتنة بانزل لا يدفعون عنه » .

(١) انظر على سبيل المثال آيات سورة البقرة ٨-٢٠ و ٢٤ و ٢٦ و ٢٦٦ وآيات سورة آل عمران ٥٥-٦٤ وآيات سورة الأنعام ٥٩-٦٥ و ٦٥-٩٩ وآيات سورة إبراهيم ٤٢-٤٧ وآيات سورة الحزاب ١٣-٢٠ وآيات سورة الحاقة ١٣-٣٧ وآيات سورة المدثر ١١-٢٩

لغة أدب وكتابة ولغة حديث وخطاب

ونقول استطراداً إن العرب في هذا الدور وفي إبان بلوغ لغتهم الفصحى ذروتها من البلاغة لم يكونوا ليخرجوا عن الظاهرة الطبيعية العامة المعروفة من وجود لغة مخاطب وحديث ولغة أدب وكتابة إلى جانب بعضها .

ويعرف هذا من أسلوب الأحاديث والمخاطبات المتنوعة المروية عن النبي عليه السلام وأصحابه وما قبله ومقايسته بالأسلوب القرآني ثم بأسلوب الخطب والأقوال المأثورة الأدبية المروية عن عهد النبي عليه السلام وقبله كذلك ، حيث نرى أن معظم الأحاديث والمخاطبات التي كانت أحاديث ومخاطبات شخصية ومجلسية عادية جاءت دون طبقة اللغة القرآنية نظماً وسبكاً وأتاقة وإبداعاً كما جاءت دون طبقة الخطب والأقوال المأثورة المنمقة .

والكتيب العربية . لا يلاي بالأمثلة والنماذج الأحاديث والمخاطبات العادية والمجلسية والخطب والمأثورات المنمقة معاً بحيث يتيسر لكل شخص أن يرى الفرق ، واضحاً بين الأسلوبين إذا تصفح أي كتاب من كتب الحديث والسيرة والتاريخ والأدب القديمة التي روت أقوال كثير من وجالات العرب قبل الإسلام ثم أقوال النبي عليه السلام وأحاديثه ومجالسه ثم أقوال كثير من أصحابه وضوان الله عليهم وخطبهم ومخاطباتهم مما يجعلنا في غنى عن التعميل لاستنفاضه وسهولة الوقوف عليه والتمييز بينه . ومع أن من المحقق أن كثيراً من الروايات وبخاصة الروايات قبل الإسلام منحول أو موضوع أو مزيد عليه أو مصحح فيها لا ويب فيه أن كثيراً منها صحيح أيضاً .

ومع ذلك فهناك ظاهرة عجيبة لما كانت عليه اللغة العربية من دقة ونضوج يتجليات في أنه لا يكاد يوجد فرق مهم بين مفردات وتراكيب لغة التخاطب والحديث العفوية وبين مفردات وتراكيب اللغة الأدبية والكتاتبية الزاكية أولاً ويتجلبان ثانياً في اتحاد اللغتين في مراعاة قواعد الصرف والنحو والأشتاق والتعريب مما يكاد يكون قلداً بل معجزاً .

(١) اقرأ خاصة سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وتاريخ الطبري والبلاذري والحيوات لأبناخذ والعمد الفريد والإغني للإسهابي ومروج الذهب للمسعودي بالإضافة إلى كتب الحديث .

مواقف المشاقة التي حكاها القرآن عن العرب

ودلائها على قوتهم العقلية ونشاطهم الذهني

ونريد أن نشير الى ما احتواه القرآن من وصف وحكاية مواقف المشاقة والمناوأة والحجاج والجدل والتحدي التي كان يقفها العرب من النبي عليه السلام ورسالته قبل اسلامهم وننوه بما فيها من دلالة على قوتهم العقلية ونشاطهم الذهني تضاف اليه دلالة اللغة العربية بذاتها على ذلك . فالمشاقة والمعارضة في كل زمن وهدف تنطويان على شيء من الحيوية والقوة العقلية التي تدفع اصحابها الى الوقوف من خصومهم تلك المواقف . سواء أكان ذلك بدافع العقيدة والايمان أم بدافع الأنانية والطمع والطموح أم بدافع الحسد والاستكبار والعناد والحجاج والتعصب الاعشى . ولا يمكن أن يبدو ذلك من أفاس أغبياء غافلين وضعفاء خاملين . وبقدر ما يكون عليه موضوع المعارضة والمشاقة مسن خطورة وما يكون الطرفان عليه من قوة مادية او عقلية او نفسية تكون النتائج والمظاهر بطبيعة الحال .

والمتمعن في الفصول القرآنية الكثيرة التي حكمت مواقف المشركين والكفار واقوالهم يجد فيها صورا كثيرة متنوعة من الجدال العنيف والخصومة العنيدة والحجاج والمكابرة والتحدي والاحراج والمسائل والمطالب والمشاكل والانانية والاستكبار والسخرية والاغراء والافغواء . وفي طيات هذه الصور تلوح عقلية قوية وشعور شديد بالذاتية والكيان ونفس طامحة طماعة ودفاع عن تقاليد وصالح تراءى لأصحابها انهم مهتدة وعناد ناشئ عن استكبار وذاتية وعقل أكثر منه . في صور كثيرة — من عناد الغبي الغافل والضعيف الحامل والاحق الجاهل . وقد يكون هذا ضيق النطاق منحصر في الطبقة التي تولت قيادة المشاقة والمعارضة والتي عناها القرآن في آيات عديدة منها هذه الآيات :

١- وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا

انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون »

البقرة ١٢-١٣

٧- وكذلك جعلنا في كل قرية أكبر مجرميها ليذكروا فيها وما يذكرون الا بأنفسهم وما يشعرون . وإذا جاءتهم آية قالوا لنؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب أليم بما كانوا يذكرون ..

الانعام ١٢٣-١٢٤

ولقد يقال ان الماراة والمعارضة لما جاء به النبي عليه السلام من الدعوة المؤيدة بقوة الله وروحانية الحق والمنطوية على صدق للهجة ونصاعة الحججة لا تكون من افاس اقوياء العقول والمدارك .

ومع ان هذا هو الذي كان يدفع بعض المؤلفين قديماً الى الخط من تلك العقول والمدارك وتصوير عهد ما قبل البعثة تصويراً قائماً يتخبط اهل الجاهل والغباء ويرتكسون في الانحطاط والتوحش تديناً وتأثماً وذهاباً الى ان هذا الوصف هو الذي يتسق مع مهمة الرسالة النبوية التي ارادها الله لاخراج الناس من الظلمات الى النور فان من الحق ان نذكر ان القرآن لما عني بالظلمات ظلمات الشرك والوثنية والانحرافات الاخلاقية والاجتماعية والاستغراق في الدنيا وملذاتها وليست ظلمات الجاهل والغباء والتوحش والانحطاط المدارك والقوى العقلية ^١ . وان المواقف التي وقفها اولئك كانت على ما تدل عليه آيات القرآن بسبب شدة رسوخ تقاليد الآباء ^٢ وما انبثق في نفوس الزعماء ازاء النبي عليه السلام من حسد واستكبار ^٣ . وان العقائد الباطلة والاستغراق في الدنيا والانحرافات الخلقية والاجتماعية يمكن ان تكون عند اقوياء العقول والمدارك واصحاب العلوم والثقافة والمدنية الراقية كما يعرف ذلك من البداهة والواقع السابق والحاضر حيث يوجد في كل زمن ومكان اديان مختلفة مع ان الحق لا يصح ان يتعدى ولا يكون الذين يكونون من اتباع الدين غير الحق اغبياء منحطين وسمجاً جاهلين بل كثير منهم يفوقون في عقولهم ومداركهم ومدنيتهم وعالومهم كثيراً من اتباع الدين الحق بما هو مشاهد محسوس لا يتحمل مرأه .

(١) اقرأ مثلاً آيات سورة ابراهيم ١-٤

(٢) « « « « الزخرف ٢٢-٢٣

(٣) « « « « وقاطر ٤٢-٤٣ والانعام ١٣٤ ومن .

وهذا فضلا عن ان كثيراً من علماء المسلمين وعلماء القرآن من وصف العرب الذين وقفوا مواقف المناوأة بقوة العقل ونشاط الذهن بما مر بعض امثلة منه ؛ ولقد كان في عداة الذين وقفوا مواقف المناوأة مدة طويلة او قصيرة كثيرون اسلموا وتولوا اعمال الحرب والفتح والحكم والسياسة والادارة والقضاء تحت راية الاسلام فكانوا مثلاً في العبقرية والدهاء وسعة الحيلة والتصرف وعظمة النفس وبعد النظر امثال عمر بن الخطاب وعمر بن العاص وخالد بن الوليد ويزيد بن ابي سفيان ومعاوية بن ابي سفيان والمغيرة بن شعبة وغيرهم وغيرهم . وطبيعي ان هذه الصفات لم تكن مفقودة فيهم قبل اسلامهم ولم تكن الاهلية التي اضطلموا بقوتها بأعباء مهامهم ونجحوا فيها ذلك النجاح الباهر عفو الساعة . وانما كانت فيهم من قبل نامية او كامنة . وكان كثير منهم بارزين وذوي شأن في بيئتهم . وهذا عدا كبار الصحابة الذين كانوا السابقين الى الاسلام واطهروا الكفاءات والعبقرية في الحكم والادارة والقيادة والقضاء والذين نشأوا في تلك البيئة وكان اكثرهم قد بلغ اشده قبل البعثة ومنهم من كان بارزاً ذا شأن في قومه أيضاً .

فبيئة ينبت منها مثل هؤلاء العقلاء الحكماء الاقوياء في نفوسهم وقلوبهم لا يصح ان تعتبر بطبيعة الحال متوحشة همجية منحطة المدارك والقوى العقلية .

والفصول والآيات القرآنية التي تمثل تلك المواقف وتمثل القوة العقلية الحجاجية العربية منبثقة في مختلف السور المكية والمدنية يحسن بالتقارء ان يتمعن فيها ليعرف هذه القوة العقلية التي كانت في العرب قبل الاسلام ١ .

(١) هذه امثلة من كثير . ولا بد من تلاوة القرآن جميعه تلاوة امعان وتدبر ليقف القارئ على الظاهرة الرائعة من قوة الخصوبة والحيوية العقلية :

سورة الانعام ٧-١٠ و ٢٥ و ٣٣-٣٥ و ٦٦-٦٨ و ٩٣ و ١١٢ وسورة يونس ١٥ وهوذ
والرعد ٣١-٣٢ و ابراهيم ٤٦ والتحل ٢٢-٢٥ و ٣٥ والاسراء ٤٧-٥١ و ٧٣-٧٤ و ٩٠-٩٣
والكهف ٥٤-٥٦ والفرقان ٤-٥ و ٣٠-٣١ و ٤١ والقصص ٥٧ ولقيان ٦-٧ وسبا ٧-٨ و ٣٣
وقاطر ٤٢-٤٣ وغافر ٥٦ والزخرف ٣١-٣٢ وفصلت ٣-٧ و ٢٦ والجاثية ٨-٩ والطور ٢٩ -
٣٣ والقلم ٨-٩ و ٥١ والمدثر ١٨-٢٥ والمطففين ٢٩-٣٢ والبقرة ٨-١٤ و ٢٠٤-٢٠٦ وآل
عمران ١٦٦-١٦٨ والنساء ٦٠-٦١ و ٧٢ و ١٣٧-١٤١ والثوبة ٤٧-٥٠ و ٥٦ و ٥٨ و ٦١-
٦٢ و ٦٤-٦٥ و ٦٧ و ٧٦ و ٧٩ و ٨٦ و ١٠٧ و ١٢٧ والانفال ٣٠-٣٢ والاحزاب ١٢-١٥ و
١٨-١٩ و ٦٠-٦١ و المنافقون ١-٢ و ٧-٨

٦ - الشعر والشعراء

ولقد كان للشعر والشعراء عند العرب قبل الاسلام في دور عروبتهم الصريحة دولة عظيمة الشأن سواء من ناحية ما كان من تأثير الشعر والشعراء فيهم أم من ناحية ما كان من بروز طبقة من نوابغ الشعر الذين كان شعرهم عنواناً على ما بلغ اليه الخيال والذوق والشعور وسعة متناول اللغة العربية وفنونها من درجة رفيعة .

ولقد ذكر الشعر والشعراء في القرآن مرات عديدة ، منها حكاية لنسبة الكفار والشعر الى النبي عليه السلام ونفيه عنه ^١ ومنها ما كان في بيان صفة الشعراء ^٢ .

وبدل الوصف الذي وصف به الشعراء في السورة المسماة بالشعراء على ما كان للشعر والشعراء من خطورة وعلى ما كان لشعراء المشركين من موقف مؤذٍ إبان البعثة النبوية مستمد من قوة مركز الشعراء وخطورتهم وتأثير الشعر في نفوس الناس مما هو امتداد لما قبل البعثة كما هو المتبادر منها . ولقد اقتضت الحكمة تشجيع شعراء المسلمين على الرد على شعراء المشركين ومقابلتهم بالمثل على ما تفيد الآية الأخيرة من سورة الشعراء وفيه الدلالة القوية على ما كان للشعر والشعراء من قوة تأثير في المجتمع العربي ممتداً الى ما قبل البعثة كذلك ، وبما تدل عليه آيات الشعراء انه كان من عادة الشعراء الملاحاة فينظم الشاعر قصيدة في هجو أو عتاب أو فخر ، فيقابلها خصمه عليها بقصيدة هجو أو عتاب أو فخر ؛ وان الشاعر كان ينافح عن قومه أو قبيلته أو نخلته فينتصر خصمه فيرد عليه منافحاً كذلك عن قومه أو قبيلته أو نخلته ؟ وبما تدل عليه أيضاً ان الشعراء كانوا ينحون منحى المبالغة والتهيج والاثارة دون ان يكونوا في ذلك صادقين عن عقيدة وأخلاق وجد حقيقة صادقة .

ولقد احتوت الكتب العربية شيئاً كثيراً عن الشعر والشعراء عند العرب قبل

(١) انظر آيات سورة الانبياء ٥ ويس ٦٩ والصفات ٣٦-٣٧ والطور ٣٠-٣١ والحاقة ٤١

(٢) سورة الشعراء ٢٢٤-٢٢٧

(٣) والشعراء يتبعهم الغاؤون . الم تر انهم في كل واد يهيمون . وانهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي مقلب ينقلبون .

الاسلام وأوردت كثيراً من أسماء الشعراء الجاهليين^١ وشعرهم ، ونوهت بما كان للشعر والشعراء من دولة وقوة شأن وما وصل اليه الشعر من نضوج وما كان عليه من فنون^٢.

ولقد كان العرب يعتقدون ان لكل شعر نافذة شيطانية من الجن يلقنه ما يقوله من شعر . وكان الشعراء النوابيع يعتقدون ذلك أيضاً^٣ . وقد روي ان الاعشى كان يسمي شيطانه مسحلاً كما جاء في بيت له قال فيه :

دعوت خليلي مسحلاً ودعوا له جهنم جديداً للهجين المذمم^٤

وكان حسان بن ثابت يزعم ان شيطانه من بني الشيصبان من الجن كما جاء في بيت له قال فيه^٥

ولي صاحب من بني الشيصبان فطوراً أقول وطوراً هو

وقد روي ان اسم شيطان الخبل احد شعراء الجاهلية عمرو . وروي بيتين لشاعر حدث نافذة وسما^٦ :

اني وان كنت صغير السن وكان في العين نبو عني

فان شيطاني امير الجن يذهب بي في الشعر كل فن

ويظهر ان هذا الاعتقاد كان تفسيراً لما كان يصدر عن النوابيع من الشعر الرائع الاخاذ في لغته وسبكته وروحه وقوته بحيث كانوا يرون ذلك فوق طاقة البشر العادية

(١) جرت عادة الكتاب القدماء على اطلاق كلمة جاهلي وجاهلية على ما كان سابقاً للبعثة النبوية . وقد ذكرت كلمة الجاهلية ثلاث مرات في القرآن مرة في اية سورة المائدة (٥٣) ومرة في اية سورة الاحزاب (٣٣) ومرة في اية سورة الفتح (٢٦) بقصد التنديد بما كان قبل البعثة من بعض العادات . وبعض المفسرين فسروا الكلمة بالجهل الذي هو ضد العلم وبعضهم فسرها بالجهل الذي يعنى السفاهة والغضب والشراسة . ولعل من وجوه معانيها واوجها قصد الحقبة التي لم يكن للعرب فيها كتاب سماوي يسبرون وفقه عن علم وبيئة .

(٢) انظر طبقات الشعراء لابن قتيبة وبلوغ الارب للالموسي ج ٣ ص ٨٢-١٥٠ والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٨٧-٤٢٦ وج ٤ ص ٥٣-١٠٤

(٣) بلوغ الارب ج ٢ ص ٣٦٥-٣٦٩

(٤) المصدر نفسه وجهنم شيطان شاعر كان يتعارض مع الاعشى على ما يفيد الكلام

(٥) نفس المصدر

وانه لا بد من أن يكون من وحي الجن وتلقينهم . وكان لهذه العقيدة اثر في نسبة الشعر والشاعرية الى النبي عليه السلام حينما كان المشركون يسمعون الآيات القرآنية الرائعة . ولقد سبقت آيات سورة الشعراء التي وصف فيها الشعراء بأنهم يقولون ما لا يفعلون وبأنهم في كل واد يسمون والتي أوردناها قبل ثلاث آيات جاء فيها « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افاك اثم . يلقون السمع واكثرهم كاذبون . » (سورة الشعراء ٢٢٢-٢٢٤) حيث يمكن ان تلهم صحة تلك العقيدة عند العرب .

ومع ان فيما أوردته الكتب العربية من الشعر الجاهلي كثيراً من المنحول والمصنوع بعد الاسلام لأغراض حزبية وسياسية وأدبية ودينية فإن فيه كثيراً من الصحيح القوي الرائع الذي يصدق عليه ما ذكرناه قبل من انه عنوان على ما بلغت اليه اللغة العربية من روعة وبلاغة وسعة افق وخيال .

والشعر فنون من ناحية مقاصده كالهجو والفخر والثناء والغزل والشبيب والوصف والتعريض وهو عديد الاوزان او البحور من ناحية الوزن والاداء . ومهما كانت في الشعر الجاهلي مصنوع ومنحول فإن من الحقائق التي لا تقبل مراة ان هذه الفنون والبحور كانت معروفة بممارسة قبل الاسلام عند شعراء الجاهلية بدليل كونها متمثلة في الشعر الذي تكاد جاهليته تكون حقيقة لا تقبل مراة وبدليل كون ما روي من الشعر الاسلامي من عهد النبي عليه السلام الى عهد التدوين اي القرن الثاني للهجرة منسوجاً على نفس النوال . ولم يدع احد ان شيئاً من تلك الفنون والبحور اخترع في القرنين الهجريين الاولين . وهذا فضلا عن شعراء عديدين كانوا مخضرمين اي أدركوا الجاهلية والاسلام وتساق شعريهم في العهدين مثل كعب بن زهير وحسان بن ثابت ولبيد بن ربيعة وأميرة ابن الصلت والحطيئة والزبقران ونخداش بن زهير وابو قيس الجفاري وكعب بن مالك وغيرهم وغيرهم من ذكرت كتب السيرة اسماءهم وأوردت شيئاً من شعرهم .

ولعل نسبة العرب المشركين الشعر والشاعرية الى النبي عليه السلام وهم يسمعونـه يتلو روائع القرآن تدل على ان الشعر الجاهلي كان متساقاً في سمو طبعته وبلاغته وروعته مع لغة القرآن ـ والله ولقرآنه المثل الاعلى ـ وبما لا ريب فيه ان الامة التي تصل قوة الشاعرية فيها الى مثل هذه الطبقة لثم عن رقي في احساسها وفوران في عواطفها وقوة في خيالها الى درجة رفيعة .

وفي الحق ان في ما روي من الشعر الجاهلي الذي يرجح انه جاهلي صحيح والذي عاش

فاظمونه في حقبة المائة سنة التي سبقت البعثة النبوية أي في القرن السادس بعد الميلاد روائع
 بأهرة فيها الدلالة على ذلك كشعر امرء القيس وحطرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى وبشر
 ابن أبي خازم وأوس بن حجر والاعشى والحسناء والنابغة الذبياني والنابغة الجعدي والحارث
 ابن حلزة وعبيد بن الأبرص وليد بن ربيعة والأغلب العجلي وأمية بن أبي الصلت والحطيئة
 والأفوه الأزدي وعلقمة بن عبيدة وأمثالهم من الشعراء الجاهليين الذين تواترت أخبارهم
 وكانت شخصياتهم على الأرجح بل على شبه اليقين تاريخية صحيحة لأن منهم من أدرك
 الإسلام مثل ليبد والحسناء وأمية والأغلب والنابغة الجعدي ومنهم من أدرك أبناؤهم
 الإسلام مثل كعب بن زهير وأخيه بجر وغيرهم وغيرهم .

وقد يحسن التساؤل عن السبب الذي جعل العرب ينسبون الشاعرية إلى النبي عليه
 السلام . فالقرآن لا يحتوي شعراً منظوماً يتفق مع أنماط وبحور الشعر العربي المنظوم
 والذي اتفق علماء اللغة والعروض على أنه هو المقصود بهذا الاسم والذي أساسه البيت
 البيت المؤلف من شطرين متوازيين من جهة والمتساوق في القافية في آخر كل بيت من
 جهة أخرى . فهل كان العرب يعبرون عن الكلام البليغ الذي يحتوي معاني رائعة أو
 شعرية بكونه شعراً ولو لم يكن موزوناً ومقفى ؟ أو هل كانوا يطلقون تعبير الشعر حق
 يتناول الكلام المسجوع بدن وزن أو الموزون بدون سجع بالإضافة إلى إطلاقه على المقفى
 والموزون . فإنه إذا لم يكن في القرآن كلام موزون ومقفى يصح أن يطلق عليه اسم
 الشعر كما عرفه علماء العروض ففيه كثير من الآيات بل السور جاءت بأسلوب مسجع أو
 أسلوب مقفى بل وفيه ما يكاد يكون موزوناً ومقفى بعض الشيء وفيه ما يشبه الرجز
 كذلك ولو لم تكن الجملة في كل من النوعين مؤلفة من شطرين مترابطين كآيات سورة
 النجم الأولى وآيات سورة المدثر الأولى وكسور الشمس والعاديات والليل والنبا والأعلى
 وكآيات سورة الحاقة الأولى وبخاصة الآيات ١٩-٢٤ منها وغيرها وغيرها حيث يجد التالي
 لهذه الآيات وأمثالها الكثيرة كلاماً قوياً إذا لم يكن بالمنظوم ولكنه غير بعيد عنه ولا غريب
 عليه ، ويجد فيه شيئاً مما يقال له ضرورات الشعر في التقديم والتأخير لمساوقة الروى
 والقافية والوزن بالإضافة إلى ما يجده من التمثيل الرائع والوصف البليغ والمعنى
 النافذ .

فهذا يجعلنا نقول أن العرب ما كانوا يقولوا عن النبي عليه السلام أنه شاعر لو لم
 يروا في القرآن ما يصح أن يطلق عليه اسم الشعر في روعة النظم والأسلوب والقوة الأخاذة

المؤثرة في أعماق النفس والمحتوية بليغ الأمثال وروائع الاستعارات والمجاز والوصف دون أن يروا ضرورة التقيد بوزن أو بحر أو قافية . ولا سيما الآيات القصيرة التي فيها روى أو قافية وفيها نبوة الشعر وأدائه والتي نزل كثير منها في أوائل البعثة . فإذا صح هذا فإن مدى الشعر وتعريفه عند العرب أو عند الطبقة النيرة أو المتأدبة منهم ان صح التعبير كان أوسع قبل الاسلام من تعريفه المعروف الذي قرره علماء العروض بعد الاسلام . وهذا المنحى الأوسع هو الذي يقول الأدباء الحديثون به وهم يقسمون الشعر الى منظوم ومنثور ويلاحظون في وصفه جمالته وروعته وفنه وجماله معاً . وهكذا يكون أدباء ما قبل الاسلام قد نفذوا الى معنى لم ينفذ إليه إلا بعد قرون طويلة ويوهنوا بذلك على ذوق فني وروح ملهمة ونظرة بعيدة وأفق أوسع أيضاً .

٤ - المعارف الجغرافية

وفي القرآن آيات كثيرة تشير الى البحر وأسفاره والرياح الطيبة والرياح العاصفة والرياح العاصفة وكذلك الى الاسفار والرحلات البرية والبحرية والتجارية وغير التجارة والسبل والفجاج والعلامات التي يجتدي بها الناس في أسفارهم^١ حيث يوحي هذا بأنهم لا بد من أن يكون صار عندهم ما يصح ان يسمى بالمعارف الجغرافية الطبيعية والاقتصادية والبشرية والبرية والبحرية .

وفي المباحث التي عقدناها على النشاط التجاري والملاحي توضيح وتوكيد لذلك كما ان من شأن ما أوردناه في بحث المعارف التاريخية السابق ان يدعمه من حيث ان العرب الذين حصلت عندهم هذه المعارف لا بد من أن يكون قد حصل عندهم معارف جغرافية عن البلاد والمواقع التي كانوا يرحلون اليها ويتعاملون معها أو يتداولون أخبارها .

ولقد أوردنا في المباحث المذكورة موجز روايات الكتب العربية وغير العربية التي تدعم ذلك فلم نر ضرورة الى اعادتها هنا .

(١) انظر آيات سورة البقرة ١٦٤ ويونس ٣٢ وابراهيم ٣٢ والاسراء ٦٦-٦٩ والكهف ٨٠ والنحل ١٤ والجم ٦٥ والنور ٤٠ والرحن ١٩-٢٤ والشورى ٣٢-٣٤ والجماعية ١١ .

٥ - المعارف الفلكية

وفي القرآن آيات كثيرة^١ ذكر فيها الشمس والقمر ومنازل القمر وفلك الشمس والقمر وحركاتها وتعاقب الليل والنهار وما في ذلك من علم السنين والحساب .

وذكر فيها كذلك النجوم وحركاتها والاهتداء بها في ظلمات البر والبحر وفي الأسفار الليلية التي هي أهم أسفار العرب في الجزيرة أو مسن أمها ، وذكر فيها أيضاً البروج والشمس والشفق والكواكب السيارة والثابتة وعدد الأشهر الخ بأسلوب يدل على ان الذين يسمعون القرآن يفهمون دلالاتها علماً وخبرة ويدل على ان العرب قبل الاسلام كانوا على شيء من العلم بمواقع النجوم وحركاتها واسماء بعضها وانهم كانوا ينتفعون بعلمهم هذا في أسفارهم وحلهم وتوحيدهم وكانوا يقدرّون حركتي الشمس والقمر وينتفعون بها في حساب المواسم والايام .

وفي القرآن كلمتي الجنس والكنس^٢ اللتين فسرهما اللغويون والمفسرون بالكواكب التي تظهر وتختفي . وهما من الكلمات التي كانت مستعملة بدون ريب قبل نزول القرآن حيث يدل على ان العرب لاحظوا اختفاء بعض الكواكب حيناً وظهورها حيناً فأطلقوا التعبيرين على الحالتين .

وفي القرآن آية ذكرت التسمية^٣ وهو تأخير ميعاد الأشهر الحرم على ما يفيد مضمونها وهو ما كان العرب يفعلونه ليوائموا بين حساب الشهور القمرية التي كانوا يحجرون عليها وبين دورة المواسم التي تحدث وفقاً لدورة الشمس حتى يظل موسم الحج يأتي في الحريف . وكل هذا يسوغ القول انه كان عند العرب قبل الاسلام ما يمكن ان يسمى بالمعارف الفلكية .

(١) افطر آيات سورة الانعام ٩٦ ويونس ٥ والعد ٢ والحجر ١٦ وابراهيم ٣٣ والنحل ١٢ و١٦ والاسراء ٧٨ والفرقان ٤٥ والنور ٣٥ والحج ١٨ والاعراف ٥٣ والافات ٦ ويس ٣٨ والنبأ ١٦ والطور ٤٩ والمرسلات ٨ والتكوير ٢ والبروج ١ والملك ٥ والجن ١٢ والرحمن ٥ والواقعة ٣٥

(٢) سورة التكوير الايات ١٥-١٦

(٣) سورة التوبة الاية ٣٧ انظر تفسير الايات في الطبري وابن كثير وغيرها

ولقد عقد مؤلف بلوغ الارب في الجزء الثالث من كتابه فصلاً بعنوان (ما كاث للعرب من العلم بالسماء وكائنات الجو) فيه بيانات كثيرة وطريقة موضحة وداعمة لما قلناه ^١ .

فقد لاحظ العرب كتلة النجوم البعيدة التي تجر بعضها فسموها المجرة . ولاحظوا شدة لمعان بعض النجوم فسموها الداراري ^٢ . ولاحظوا طول الايام في الصيف وقصرها في الشتاء فجعلوا للشمس مشرقان ومغربان الاول للصيف والثاني للشتاء . وبدأ مشرق الشمس ومغربها في الصيف بأطول يوم في السنة ومشرقها ومغربها في الشتاء بأقصر يوم في السنة . وقسموا ليالي القمر عشرة أقسام وجعلوا لكل قسم اسماً متناسباً مع بدء الهلال ونموه وتضاؤله ومحاقه فأولها غرر ثم نقل ثم تسع ثم عشر ثم بيض ثم درع ثم ظلم ثم خنساس ثم دأدى ثم محاق . وقسموا الفلك الى اثني عشر برجاً وربما اقتبسوا العدمن غيرهم وسما كل برج باسم عربي وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت . وقد قسموا منازل القمر على طول ايام السنة على اربعة وثلاثين منزلاً وواءموا بينها وبين دورة الشمس على طول السنة أيضاً وسما كل منزل باسم وهي السرطان والبطين والنجم والثريا والدبران والمسنعة والذراع والبشرة والطرف والجبهة والفرنان والصرفة والعواء والسماك والفقر والزباني والاكيل والقلب والشولة والنعام والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية وفرع الدلو المقدم وفرع الدلو المؤخر .

ولاحظوا تغير الطقس وآثاره في هذا الحساب فاخترعوا اسجاعاً فلكية للدلالة على ذلك مثل (اذا طلع السرطان استوى الزمان وحضرت الاوطان وتهادى الجيران) و (اذا طلع البطين اقتضى الدين وظهر الزين واقتنى بالعطار والقيث) و (اذا طلع النجم فالحر في حزم والعشب في حطم والمعات في كدم) و (اذا طلع الدبران توقدت الحزان وكهرت النيران واستعرت الذبان ويبست العذوان ورمت بأنفسها حيث شاءت الصبيان) و (اذا طلعت الشمري نشف الثرى وأجن الصرى وجعل صاحب النخل يرى) و (اذا طلع الاكيل هاجت الفحول وشمرت الذبول وتخوفت السيول) و (اذا طلع القلب جاء الشتاء

(١) ص ٢٢٣-٢٦١

(٢) في القرآن اشارة ما الى ذلك حيث جاء في آية في سورة النور (كأنها كوكب دري يوقد من

شجرة مباركة) ٣٦

كأنكئب وصار أهل البراشي في كرب ولم تمكن أنفعل إلا ذات ثوب (و) اذا طلع سعد
 الذابح حتى أهله التابح ونفع أهله الراح وتصبح السارح وظهر في الحمي الأافح (و) اذا طلع سعد
 يلح اقتحم الربع ولحق المبع وصيد المرع وصار في الأرض لمع (و) اذا طلع سعد السعود
 نضر العود ولانت الجلود وكره في الشمس القعود (و) اذا طلع سعد الاخبية دهنت
 الاسقية ونزلت الاخوية وتجاوزت الأبنية (الخ) .

وجروا على ما كان جارياً في العالم المعروف عامة وما ظل جارياً الى الآن من تقسيم
 السنة الى اثني عشر شهراً وتقسيم الشهر الى اربعة اسابيع . وجروا في حساب الاشهر على
 دورة القمر وسوها في مرحلة من هذا الدور بأسماء ثم سموها بأسمائها الحالية كما سموا أيام
 الاسبوع بأسماء ثم سموها بأسمائها الحالية . واسماء الاشهر القمرية الاولى كانت (المؤثر)
 للمحرم ثم ناجر وخوان وبضان والحين وورلي والاصم وعلا وفائق وعاذل وهواع ووبركا
 مع التنبيه الى ان هناك روايات اخرى بأسماء اخرى^١ واسماء الاسبوع السابقة هي
 العروبة لاجمعة ثم شيار فأول فأهوب او أهود فجبار فديار قمونس^٢ وقد عرفوا حساب
 الاشهر الشمسية ايضاً واقتبسوا التسميات الاعجية لها وعربوها حيث كانوا يتداولون
 اسماء آذار ونيسان ومايس وحزيران وتموز وآب وأيلول وتشرين الاول وتشرين الثاني
 وكانون الأول وكانون الثاني وشباط . وكان العشرون من آذار عندهم مبدأ الربيع
 ويوم تساوى الليل والنهار ثم يطول النهار ويقصر الليل الى العشرين من ايلول فيبدأ الليل
 يطول والنهار يقصر الى العشرين من آذار حيث يتساويان عوداً على بدء^٣ . ومن الاسماء
 التي اطلقوها على بعض الكواكب (الشعري النمضاء) و (الشعري العبور) و (الجوزاء)
 و (القلاص) و (الديوان) و (الثريا) و (سهيل) و (العيوق) و (بنات نعش) الخ .
 وكانوا يتداولون بعض الاساطير عن هذه الكواكب ودورانها وتقاربها وتباعدها وتألقها
 وخفوتها ومنها اشتقوا الاسماء المذكورة^٤ .

(١) انظر جواد علي ج ٨ ص ٣٧٨-٣٧٩

(٢ و ٣) جواد علي ج ٨ ص ٣٥٢-٤٠٩ انظر ايضاً بلوغ الارب ج ٣ ص ٧٤-٨٠ و ٢٢٤

٦ - المعارف الطبية

ذكر المرض والمريض والمرضى أكثر من مرة في القرآن . وقد ذكرت فيه كلمات الشفاء ويشفين أيضاً . وأشار في إحدى الآيات إلى غسل النحل وما فيه شفاء للناس ^١ .

وفي الكتب العربية أسماء عدد من أطباء العرب الجاهليين ومؤثرات طبية عن بعضهم كما فيها أسماء كثير من الأمراض التي كانت متداولة قبل الإسلام وأوصافها ^٢ .

ومن أطباء العرب الذين ذكرتهم هذه الكتب الحرث بن كلفة الثقفي وابنه النضر وزهير بن جناب الجعري وزينب الأودية (من بني أود) والشردل بن قباب الكعبي النجراfi وابن سجدتم من تميم الرباب وضاد بن ثعلبة الأزدي وعبد الله بن ابجر الكناني ورفيدة الاسلمية وام عطية الانصارية . وبعض هؤلاء قد عاشوا في حياة النبي عليه السلام

وبما ذكرته هذه الكتب عن الحرث بن كلفة أنه سافر الى بلاد عديدة من جملتها بلاد فارس وتعلم الطب وعرف الداء والدواء وأنه سئل عن أهل الطب فقال الأزم أي ضبط الشفتين والرفق باليدين ، وعن الداء الدوى فقال أدخل الطعام على الذئعام وعن الحيرة التي تصطم منها الادواء فقال التخمة ، وعن تعاطي الدواء فقال اجتنبه ما لزمك الصحة فإن هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه . وسئل عن الفواكه فقال كلها في اقبالها . وحين أوانها . وسئل عما جبل عليه بدن الانسان فقال على المرة السوداء وهي باردة يابسة والمرة الصفراء وهي حارة يابسة والدم وهو حار وطيب والبلغم وهو بارد رطب . وسئل عن الحار والبارد فقال كل حلو حار وكل حامض بارد وكل حريف حار وكل مر معتدل وكل بارد لين . وكان ينصح بالحقنة ويقول انها تنقي الجوف وتكتسح الادواء عنه ومن المؤثرات عنه : البطنة بيت الداء والجمية رأس كل دواء .

وبما ذكرته عن ابنه أنه تعلم الطب من ابيه وسافر مثله الى البلاد واطلع على علوم

(١) انظر آيات سورة البقرة ١٨٤ و١٨٥ و١٩٦ والنساء ٤٢ و١٠١ والنحل ٦٩ و٨٣ والشعراء

٨٠ والمزمل ٢٠

(٢) انظر طبقات الاطباء لابن ابى اصيبعة ج ١ ص ١٠٩-١١٦ وبلوغ الارب للالوسي ج ٣ ص

٣٢٧-٣٤٣ وتاريخ الطب قبل الإسلام للدكتور شوكة الشطي ص ١٢٥-١٤٤

الفلاسفة . وعاش في حياة النبي عليه السلام وكان شديد المناوأة والاذى الدعوة .

ومما ذكرته عن ابن عديم انه كان ذا قدم واسخنة في الطب حتى ان بعضهم قالوا انه
أطب من الخارث بن كلداء وابنه وكان يضرب به المثل . ونوه الشاعر الجاهلي اوس بن
حجر في بيت شعر له جاء فيه :

فهل لكم فيها إلى فاني طبيب بما أعيانا النطاسي حذينا

ومما ذكرته عن ابي ربيعة انه كان يزاول اعمال اليد وصناعة الجراح وعاش في حياة
النبي عليه السلام . ومما ذكرته عن الشمر دل انه كان في وفد بني الحارث بن كعب الى النبي
عليه السلام فقال له بعد ان اسلم اني كنت كاهن قوي وكنت أتطلب فما يحل لي فقال له
(فهد العرق وبجدة الطهنة ان اضطرت وعليك بالسنا ولا تداو احداً حتى تعرف دلاءه)
والذي بعثك بالحق أنت أعلم بالطب مني . ومما ذكرته عن ضداد انه عاش في حياة النبي
وانه جاء اليه وقال له حينما سمع قريشاً يقولون انه يحنون يا محمد اني اذاوي من الريح فان
شئت داويتك لعسل الله ينفعك فتشهد رسول الله ﷺ وحمد الله وتكلم بكلمات اعجبت
ضداداً فقال لم اسمع مثل هذا الكلام قط ولقد سمعت كلام الكهنة والسحرة والشعراء ثم
أسلم وبايع النبي عليه السلام على نفسه وقومه . ومما ذكرته عن ربيعة انها كانت في حياة
النبي عليه السلام وامرها بمداواة سعد بن معاذ الذي اصابه سهم في الاكحل في واقعة
الحنلق ، وعن ام عطية انها كانت كذلك في حياة النبي عليه السلام واشتهرت بالجراحة
وكانت تداوي جرحى المسلمين وتقوم على مرضاهم ، وعن زينب الاودية انها كانت
خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات مشهورة بين العرب .

والتبادر ان هذه الاسماء قليلة وان من الممكن ان يقال قياساً عليها انه كان غيرهم
وأكثر منهم من زاول الطبابة من العرب في هذا الدور لم تحفظ اسمائهم .

ومما ذكره مؤلف بلوغ الأرب من الأمراض التي عرفها العرب قبل البعثة ووصفوها
ووضعوها لها أسماء أنواعاً عديدة من الحميات منها ما سموه (ام ملدم) وهي حمى كانت
تنتج حسب رأيهم من تعفن الاخلاط ومنها ما سموه (الغب) وهي الحمى التي تراوح
المريض يوماً بعد يوم ، ومنها (الربع) التي تراوحه كل اربعة ايام و (الصالب) التي
يرافقها صداع و (النافض والراجف) التي يرافقها رعدة ونقضة و (المردمة) التي تستمر

بدون قتلهم و (السبات) التي يعنى فيها الى المريض . وكانوا يسمون النرق الذي يعرقه المريض بالحمى (الرخضاء) ويسمون المريض الذي ينتكس بعد بوه (المستهض) ويسمون الحمى أول ما يحس بها المريض (العرواء) .

ومن الأمراض التي عرفوها ووضعوها (اليرقان) الذي يصفر منه المريض و (الشقيقة) وهي الألم الشديد في جهة واحدة من الرأس و (السعال) و (الزكام) و (الزحير) وهو الشعور بالتقل والحاجة الى الخروج كثيراً مع شيء من الألم وهو نسميه اليوم (الدوسنتاريا) و (الحصر) وهو احتباس البطن و (الأسر) وهو احتباس البول و (الحكمة) و (الجرب) و (الحصبة) و (الجدري) و (الجذرة) وهي ورم حار شفاف براق يسهل غزوه و (الثري) وهو بثور بين الجلد واللحم و (الخيقاء) نوع يشبه الجدري و (القوباء) بثرة يتقوب عنها الجلد و (الثؤلول) و (الجذام) و (داء الثعلب) الذي يسقط منه الشعر و (داء الفيل) وهو ورم الرجلين و (الدوار) و (الهيمضة) التي من أعراضها القيء والسعال و (النملة) وهي بثور صغيرة مع ورم ثم تتقرح وتتسع و (الببضة) نوع من الصداع و (الحدر) و (الفاليج) و (الحزاز) هو ما منه قشرة الرأس و (الباسور) و (البهق) وهو داء كالبرص و (الكلف) وهو كدرة تعلق الوجه و (اللبحة أو الحناق) و (المغص) وجع الامعاء و (الاستسقاء) وهو من امراض الكبد والطحال و (البخر) رائحة الفم الكريهة ...

وأهم ما عرف من أساليب معالجتهم الكمي بالنار الذي كانوا يعالجون به الأمراض المستعصية . ثم الحجامة أو القصادة بقصد اخراج كمية من الدم . ومن المؤسف ان الروايات العربية لم تمدنا بأسماء العقاقير التي كان اطباء العرب يعالجون بها مرضاهم . غير ان من الممكن ان يقال جزماً انهم عرفوا كثيراً من الاعشاب والاملاح الطبية واستخرجوا منها الأدوية .

وعلى كل حال فما تقدم يسوغ القول انه كان عند العرب ما يمكن ان يسمى بالمعارف الطبية وانهم كانوا ينتفعون بها في معرفة الأمراض ومعالجتها . وانه كان منهم من يمتن مهنة الطبابة .

وهناك طبابة عربية روحية تقوم على الرُقَى والتعاويذ وهو ما سوف نذكره في بحث آخر .

٧ — الحكمة والحكام

ذكرت كلمة الحكمة في القرآن كثيراً وفي إحدى الآيات تنويه بها وعن يؤتاهما لأنه يكون قد أوتي خيراً كثيراً^١. وجاءت مرة في آخر سلسلة رائعة فيها أوامر ونواه ومواعظ بليغة إيمانية وسلوكية واجتماعية وأخلاقية واقتصادية^٢. وجاءت مرة في معرض التنويه بلقمان وإيراد بعض حكمه ومواعظه لابنه^٣. وجاءت مرة في معرض الخطبة التي يجب على النبي عليه السلام أن يلتزمها في الدعوة إلى سبيل ربه^٤. وجاءت مرات في معرض التنويه بالحكمة التي آتاهها الله النبي وغيره من الأنبياء عليهم السلام وكونهم قد أرسلوا ليعلموا قومهم الحكمة^٥. حيث يفيد كل هذا أن المقصود منها هو النضوج العقلي والأخلاقي والاجتماعي الذي يحمل صاحبه يصدر في تصرفاته وأقواله عن الحق والهدى والسداد وسعة الصدر والأناة، ويجعله صاحب مركز محترم وكلمة مسموعة، وبكلمة ثانية أنها مظهر من مظاهر القوة العقلية الصالحة الخيرة.

وفي الكتب العربية أسماء شخصيات عربية عديدة عاشت قبل الإسلام وعرف أصحابها ووصفوا بالحكمة والحكام وقوة العارضة والخطابة والبلاغة. وذكر كثير من مآثوراتهم التي تم عن عقل فاضح وفكر ثاقب ونظر بعيد سديد حيث يبدو من ذلك أن هذه الظاهرة العقلية وجدت في العرب قبل الإسلام.

ولقد اختلفت الأقوال في لقمان وهويته ونبوته. وأكثرها على أنه حكيم وليس نبياً وأنه حبشي^٦. وذكره في القرآن بالأسلوب الذي ورد يدل على اسمه وحكمته بما كان متداولاً قبل الإسلام، وقد ذكرنا في مبحث الكتابة والقراءة أن شخصاً قال للنبي عليه السلام إن معه مجلة لقمان، فإذا صحت الرواية فتكون المجلة عربية اللغة ويكون احتمال عروبة لقمان وارداً. وفيما حكاه القرآن عنه تدعم الدعوة النبوية والتقريرات القرآنية

(١) سورة البقرة ٢٦٩

(٢) سورة الاسراء الايات ٢٢-٣٩

(٣) سورة لقمان ١٢-١٩

(٤) سورة النحل ١٢٥

(٥) البقرة ١٢٩ و ٢٣١ وآل عمران ١٦٤ والجمعة ٢

(٦) انظر تفسير سورة لقمان في تفسير ابن كثير والطبرسي مثلاً

الاخلاقية والسلوكية والتوحيدية بما قد يكون فيه دليل آخر على تداول اسمه وحكيمته واحتمال عروبه . وما حكاه القرآن من نصائحه ومواعظه بليغ رائع .

ومن الأسماء الصريحة العروبة التي ذكرتها الكتب العربية مقرونة بوصف الحكمة والبلاغة ١ أكرم بن صيفي التميمي وقيس بن عاصم المنقري وقس بن ساعدة الأيادي ورويد ابن زيد الحميري وزهير بن جناب والحوث بن كعب المذحجي ومرثد الخير الحميري والربيع ابن ضبيع الفزاري وذو الاصبع العدواني وحظلة الكناني وحاجب بن زرارة التميمي والاقرع بن حابس التميمي وغيلان بن سلمة الثقفي ونعيم بن ثعلبة الكناني والحوث بن ذبيان الجاني وعامر بن الظرب العدواني وحمه بن رافع الدوسي والعاص بن وائل القرشي ومالك بن جبير العامري والحارث بن عباد الربيعي وربيعة بن حذار الاسدي وسلمى بن نوفل الكناني من الرجال وهند بنت الحُصيص الايادية وجمعة بنت حابس الايادية وصحر بنت لقمان وحصيلة بنت عامر بن الظرب وحزام بنت الريان من النساء . وهذا يعني ان هذه الظاهرة العقلية كانت شاملة للرجال والنساء . ومن هؤلاء من كانوا حكماً يوجع بهم المتنازعون ويحكمونهم في منازعاتهم .

وقد أورد مؤلف بلوغ الارب ٢ طائفة من المأثورات المنسوبة الى بعض الاسماء . وقد يكون في المأثورات ما هو منحول ومضنوع وقد يكون بعض الاسماء غير حقيقية . ولكن هذا وذالك لا ينيان وجود هذه الطبقة التي تمثلت فيها تلك الظاهرة العقلية القوية الحكيمة .

وبما يعزى الى قس بن ساعدة قوله أفضل المعرفة معرفة الرجل نفسه وأفضل العلم وقوف المرء عند علمه وأفضل للرؤء استيقاء الرجل ما وجهه . وبما يعزى الى أكرم بن صيفي : ان السفية يوهن من فوقه ويثبت من دونه ولا خير فيمن لا عقل له . تباروا فان البهر يبقى على العدد . كفوا ألسنتكم فان مقتل الرجل بين فكيه . الصدق منجاة . وفي طلب العالي يكون العناء . لم يهلك من مالك ما وعظك . ويل لعالم أمر من جاهله . البطر عند الرخاء حق والمعجز عند البلاء أفن . المكثار حاطب ليل . وبما يعزى الى عامر ابن الظرب : رب أكلة تمنع أكالات . الرأي قائم والهوى يقطان . وب زارع لنفسه حارس .

(١) بلوغ الارب ج ١ ص ٣٠٨-٣٤٣ وج ٣ ص ١٥٥-١٧٨ مثلا

(٢) المصدر المذكور آنفاً

سواه . من طلب شيئاً وجده . ان من جمع بين الحق والباطل لم يجتعا له وكان الباطل به أولى . لا تسمتوا بالذلة ولا تفرحوا بالعرّة . ان مع السفاهة لندماً . لبيد العلياء العافية . وبما عزي الى ذي الاصبع العدواني يوصي ابنه : ألن جانبك لقومك يحبك . وتواضع لهم يرفعوك . وابسط لهم وجهك يطيعوك . ولا تستأثر عليهم بشيء يودوك . وأكرم صغارهم كأنك كرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم . وامسح بمالك واحم حريمك . واعزز جارك . وأعن من استعان بك . وأكرم ضيفك . وأسرع النهضة في الصربخ فإن لك أجلاً لا يعدوك . وحن وجهك عن مسألة أحد شيئاً فبذلك يتم سؤددك ١ .

٨ - الكهنة والكهان

ولقد كان من العرب من يتعاطى الكهانة قبل الاسلام . والمستفاد من الروايات العربية ٢ ان العرب كانوا ينظرون الى الكهان نظرة احترام وتقدير ويرون فيهم أطباءهم الروحانيين يفرعون اليهم في كل ملة نفسية ومشكلة روحية تطرأ عليهم وتحدثات لهم ازعاجاً وقلقاً وينشدون لديهم الطمأنينة . فاذا رأى أحدهم رؤيا رهيبة فزع الى الكاهن ليعبرها له واذا وقع بينهم خلاف على بعض الامور الخطيرة المشكلة رجعوا الى الكاهن لحلها واذا حدث أمر عظيم جوي أو أرضي أخاف الناس تهافتوا الى الكاهن يستنبئون ويطلبون منه التفسير والتعليل . وكان الكهان يحققون أملهم ويبعثون في نفوسهم الطمأنينة والهدوء بما يصح ان تعتبر الكهانة بذلك من المعارف الروحية ومن مظاهر أقوى العقليات العربية .

والمستفاد من هذه الروايات :

١ - إن الكهانة ليست مهمة ولا صفة دينية كما كانت عند اليهود ٣ .

(١) اكتفينا بهذه الناذج لان القصد منها توضيح ما كانت تعنيه الحكمة عند العرب والتنويه بما كان عليه الذين وصفوا بها من فضوج عقل وسداد نظر

(٢) انظر بلوغ الارب للالوسي ج ٣ ص ٢٦٩-٣٠٦ وجواد علي ج ٥ ص ٣١٤ وبعدها

(٣) رأينا جواد علي يعزو الى ابن اسحق ان الكهانة عند الجاهليين كانت بمثابة الاجار والرهان عند اليهود والنصارى في حين ان هؤلاء يتصفون بصفة دينية ويمارسون مهاماً دينية ولم يرو احد عن كهان العرب شيئاً من ذلك .

٢- إن الكهان كانوا يرسلون أقوالهم وإجاباتهم على أسئلة السائلين بأدب أسلوب المسجع الرنان . ويضمنونها بعض التوريات التي يجد السامع فيها تفسيراً لما في نفسه .

٣- إنهم كانوا يحدثون الناس عن الميقات والمستقبل بما يرسلونه من الكلام الغامض المسجع المحتوي على التوريات .

٤- إنهم كانوا يوهمون الناس أو إن الناس كانوا يتوهمون ولعل الكهان انفسهم كانوا يتوهمون بسبب ما كان يجري على لسانهم من سجع وتوريات وتنبؤات أن لهم تابعين من الجن يساعدونهم في مهمتهم وإن هؤلاء التابعين كانوا يسترقون السمع ويخطفون الاخبار من السماء ويلقونها في روع الكهان فينطق هؤلاء بها .

وفي القرآن آيات يلهم مضمونها صحة هذا المستفاد من الرويات العربية . منها ما ينفي الكهانة عن النبي عليه السلام التي كان المشركون يصفونها بها^١ ومنها ما يشير الى استراق الشياطين السمع من السماء والى ما كانوا يرمون به من شبه لمنهم من ذلك^٢ ومنها ما ينفي كون الشياطين هي التي تنزل بالقرآن على النبي عليه السلام^٣ ، حيث يتبادر من ذلك ان المشركين لم ينسبوا الى النبي عليه السلام الكهانة ولم يزعموا ان الشياطين هي التي تنزل بالقرآن عليه إلا بسبب ما كان في أفهامهم من صفات الكهان واعمالهم ومظاهرهم التي رأوا فيها مشابهة لما كان يصدر عن النبي عليه السلام فيما يتلوه من الفصول القرآنية المسجعة الرنانة أو المتوازنة في العهد المكّي بنوع خاص ويخبر به من أخبار المستقبل والبعث والحساب والجنة والنار وتنزل الملائكة عليه بالقرآن من السماء بأمر الله تعالى^٤ .

ولقد ذكرت الروايات العربية اشياء كثيرة عن الكهان والكاهنات العرب كما ذكرت اسماء عدد منهم وكثيراً من أقوالهم ونواديرهم . والاسماء والاقوال فصحي حيث يفيد هذا اذا صحت الروايات ان أصحابها ممن عاشوا في القرنين السابقين للبعثة النبوية . وقد يكون منهم ممن عاش قبيل هذه البعثة أو في إبانها .

(١) انظر آيات سورة الطور ٢٩ وسورة الحاقة ٢

(٢) انظر آيات سورة الحجر ١٦-١٨ والصفات ٦-٩ والملك ٥ والجن ٨-٩

(٣) انظر آيات سورة الشراء ٢٠٩-٢١٢ والتكوير ١٩-٢٩

(٤) مثل سور الفارعة والزلزلة والعاديات والشمس والاعلى والسيل والطارق والفجر والعاشية والانفطار والانشقاق والتكوير والنازعات والنبأ والمرسلات والحاقة والمعارج والقيامة وغيرها وغيرها بل اكثر السور المكية .

ومن ذكرت الروايات اسماءهم عزى سلمه وشق بن امار وسطيح بن مازن وطريفة
وزبراء وخنافر وعفراء ومصاد وسلمى بن قارب وفاطمة بنت مر^١.

ومن الحق ان نذكر ان النوادر والاقوال المعزوة الى هؤلاء الكهان والكاهنات
يبرز عليها اثر الصنعة بعد الاسلام بروزاً قوياً^٢. غير ان هذا ليس من شأنه أن ينفي
بطبيعة الحال ان الروايات العربية عن الكهان ورجوع الناس اليهم وحل مشاكلهم وتهذبة
قلقهم وما كانوا يرسلونه من أقوال مسجمة رثانة مثيرة للدهشة تنطوي على حقيقة تاريخية
مؤيدة بالنصوص القرآنية وانها يمكن ان تكون معبرة عن ما كان في أذهان العرب من
صورة قوية مؤثرة للكهان والكهانة وما شغلته عندهم من الخيز الكبير والاهتمام الشديد
وان هذا المظهر العقلي عند العرب بما ينطوي فيه من دعوى الكهانة والاضطلاع بها
واستهواء الناس اليها على اختلاف طبقاتهم دون استثناء الزعماء والناهين لا يمكن إلا أن
يكون من افراد وهبوا حدة ذكاء وسعة حيلة وقوة عقل وقدرة على التصرف في فنون

(١) انظر بلوغ الارب للالوسي ج ٣ ص ٢٦٩-٣٠٦ حيث نجد فيها الاسماء والنوادر والاقوال .

(٢) لم نر سبب ذلك ان نورد ما اورده الالوسي منها وتكتفي بنموذج واحد عن شق وسطيح حيث
يروى ان مالك بن نصر أحد ملوك لحم رأى رؤيا هالته فأحضر الكاهنين شقاً وسطيحاً لتعبرها له . فسأل
الاول سطيحاً عما رأى وفي منامه ليمتحنه فأجابه قائلاً : ايها الملك انك رأيت حمة . خرجت من ظله .
فوقعت في ارض حمة . وأكلت منها كل ذات ججمة « فقال الملك ما أخطأت شيئاً فما عندك في تأويلها فقال
« احلف بما بين الحرمين من حنش . ليهبطن أرضكم الحبش . وليلكن ما بين ايين إلى جرش » فقال
الملك وايك يا سطيح ان هذا لنا لغائظ موجه فتى يكون فقال « بعد حين . اكثر من ميتين اوسعين .
يخضين من السنين . ثم يقتلون ويخرجون منها هاريين » فسأله الملك ومن الذي يلي قتلهم واخراجهم فقال
« ابن ذي يزن . يخرج عليهم من عدن . فلا يترك احد منهم في اليمن » فسأله الملك ايدوم سلطاناً ام
ينقطع فقال « بل ينقطع . يقطعه نبي ذكي . يأتيه الوحي من ربه العلي . من ولد قهر بن مالك بن النضر .
يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر » فسأله وهل للدهر آخر فقال « نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون
ويسعد المحسنون ويشقى المسيئون . فقال له الملك احق ما تقول فأجابه « نعم . والشفق والغسق . والفلق
إذا اتسق . إن ما أخبركم به الحق » . ثم احضر الملك شقاً فسأله عما رآه فقال « انك رأيت حمة . خرجت
من ظله . فوقعت بين روضة واكمة . فأكلت كل ذات نسمة » فسأله وما تأويلها فقال « احلف بما بين
الحرمين من انسان . لينزلن أرضكم السودان . فليغلبن على كل طائفة البنان . وليلكن ما بين ايين إلى
نجران » وسأله عما يجري بعد ذلك على نمط ما سأل سطيحاً واجابه بما اجاب به سطيح عن ذي يزن وعن
الني وعن البعث بسجمات مختلفة .

الكلام . ولعلهم كانوا يمتقدون فعلاً بما أوتوه من مواهب انهم متصلون بالجات ومساعدون منهم على ما كان سائداً في أذهان العرب من اتصال الجان بالنوابع والعبارة وصدور ما يصدر من هؤلاء بوحهم . وهو التفسير المقول في ذلك الزمن لما يمكن أن يكون من نوع ما عرف في زمننا من القدرة على التتويم المغناطيسي وقراءة الافكار مضافاً اليه القدرة على التصرف في فنون الكلام وسعة الحيلة وحدة الذكاء .

وإذا لاحظنا ان الروايات تذكر المرأة والرجل على السواء فرسائاً في هذا الميدان جاز لنا ان نقول ان المرأة العربية كانت مشاركة الرجل في الظاهر العقلية والقدرة على التصرف وسعة الحيلة وفنون الكلام بنصيب غير يسير .

العرافة

والكتب العربية تذكر مع الكهانة (العرافة) وهي من بابها بفرق قليل وهو ان الكهانة مختصة بالتنبؤ بالمستقبل والعرافة بكشف الماضي على رأي البعض وبأن العرافة هي الاستدلال ببعض الحوادث الماضية على الحوادث الآتية بالمناسبة او المشابهة الخفية التي تكون بينها على رأي بعض آخر ١ ، وهناك فرق آخر مهم وهو ان الروايات العربية لا تذكر ان العرافين كانوا يستعينون بتابعين من الجن أو يوهون ذلك أو يتوهون كما كان شأن الكهان . وهناك شعر جاهلي قد يفيد إذا صح ان العرافين كانوا يراجعون للطبيب من ذلك هذا البيت :

فقلت لعراف اليمامة داوئي فانك ان داويتني لطبيب

ومنه هذان البيتان :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد ان هما شقياني
فقالا شفاك الله والله مالنا بما حملت منك الضلوع يدان ٢

حيث يفيد هذا ان الطب الذي كان ينشده العرب عند العرافين هو طب روحي أو نفسي .

(١) بلوغ الارب ج ٣ ص ٣٠٦ وبعدها

(٢) نفس المصدر

ومن الاسماء التي ذكرتها الروايات رياح بن عجلة عراف اليمامة والايلى الاسدي عراف نجد والأجلح وعروة بن يزيد . والاسماء والشعر باللغة الفصحى مما يسوغ القول ان هذا كان في ظرف طور نزوح هذه اللغة أي في القرن السابق للبعثة النبوية . وقد امتد هذا الى زمن النبي عليه السلام حيث روي عنه حديث بالتحذير من الرجوع الى الكهان والعرافين وتصديقها^١ .

وما قلناه في صدد الكهانة وكونها مظهرأ من مظاهر القوة العقلية العربية في هذا الدور وكون الكهان اشخاصاً أوتوا موهبة عقلية وروحية غير عارية يصح ان يقال في صدد العرافة والعرافين .

الزجر والقيافة والعيافة والفراسة

وقد يصح ان يلحق بهذا الباب وبعبارة أدق بباب العرافة فنون الزجر والقيافة والعيافة والفراسة حيث ذكرت الكتب العربية تعاطي العرب قبل الاسلام لهذه الفنون في سياق واحد مع الكهانة والعرافة^٢ .

والزجر هو ما يحدث من تحدث بعض الناس بالغيب عند سنوح طائر او حيوان ، ويدل على وجود قوة خفية فيهم تدرك اموراً أو تحس أموراً لا يدركها غيرهم بمناسبة ذلك . والعيافة هي الاحساس بوقوع شيء قبل وقوعه او بوقوعه في مكان بعيد وصدق ذلك . والقيافة هي تتبع الاثر ومعرفة أوصاف صاحبه مما يحتاج الى دربة وقوة تخيل ومعرفة بأحوال الناس وعاداتهم . والفراسة هي الاستدلال بهيئة الانسان واشكاله واقواله على صفاته وطبائعه . وفي بلوغ الارب^٣ الذي اقتبسنا منه هذه التعريفات بحث طويل في هذه الفنون روى المؤلف فيه نواذر عجيبة في كل فن منها وقعت من أشخاص عديدين عاشوا قبل البعثة النبوية .

(١) رواه مسلم واحد انظر التاج الجامع للاصول في احاديث الرسول ج ٣ ص ٢٠١

(٢) انظر بلوغ الارب ج ٣ ص ٢٦١-٢٦٩

(٣) انظر الصحف السابقة المذكور

وإذا كانت الصنعة بادية على هذه النوادر فإن ذلك ليس من شأنه أن ينفي صحة الأصل أي نبوغ جماعة من العرب في هذا الدور في كل فن من هذه الفنون. وإن تكون هذه النوادر نوعاً من توريد حكايات مماثلة وقمت من أشخاص في ميدان من هذه الميادين ولا سيما أن ذلك لم يكن خاصاً بالعرب أو بدور مضى وانقضى حيث يقع في كل مكان وزمان .

ويظهر أن بعض قبائل العرب اشتهرت أكثر من غيرها في بعض هذه الفنون حيث ذكرت الروايات اشتهار قبيلة بني مدلج في القيافة واشتهار قبيلة بني لهب في العيافة واشتهار قبيلة بني اسد في الزجر .

٩- السحر والسحرة

لقد ذكر القرآن السحر والسحرة في مناسبات عديدة ومتنوعة . منها ما ورد في سياق قصص موسى وفرعون . ومنها ما ورد في معرض حكاية أقوال المشركين ونسبتهم السحر إلى النبي عليه السلام واعتبارهم دعوته وما يعده القرآن من بعث وحشر وحساب وجنة ونار سحراً ونعتهم آياه بالمسحور وقولهم إذا ما رأوا آية أنها سحر ونفي السحر عنه . ومنها في معرض حكاية أقوال الكفار السابقين عما يأتي به أنبياءهم من آيات بأنها سحر ومنها ما احتوى بعض أعمال كان يارسها السحرة وأن لم يذكر فيها اسم ولا اسم السحرة صراحة . ومنها ما جاء في صدد تعاطي اليهود للسحر وإرجاعه إلى تعليم الشياطين وتعليم ملكين في بابل اسمها هاروت وماروت^١ وقد بلغ عدد الآيات التي ورد فيها السحر خمسين مما فيه دلالة على ما كان للسحر والسحرة في أذهان العرب قبل البعثة من حيز وخطورة .

وفي الكتب العربية بيانات كثيرة عنها أيضاً^٢ . ويستلهم من الآيات القرآنية ثم من الروايات العربية :

(١) انظر آيات سورة الاعراف ١١٥-١١٦ وطه ٦٥-٦٦ والانعام ٧ ويونس ٢ وهود ٧ والحجر ١٤-١٥ والاسراء ٤٧ والانبياء ٣ والصفات ١٤-١٦ والقمر ٧ والبقرة ١٢

(٢) جواد علي ج ٥ ص ٣٣٤ وبعدها

١- ان العرب كانوا يعتقدون وجود صلة بين شياطين الجن والسحر والسحرة .

٢- ان العرب كانوا يعتقدون ان الساحر يستطيع ان يغير حقائق الأشياء من محسوسات وموئيات حيث يراها الناس على غير حقائقها ، وأن يبعث الخوف والرهبة في نفوسهم وأن يقرب بين القلوب أو يباعدها بينها وأن يطرد الأرواح الشريرة التي كان العرب يعتقدون انها تحل في الأجساد وتسبب الجنون والصرع ، وأن يسقط المطر وأن يجسه ، وأن يؤثر في عقول الناس ويوقع فيها الحبل والتخليط ، ويوهم أصحابها انهم يرون ويفعلون ما لا يرون ولا يفعلون .

٣- ان العرب كانوا إذا سمعوا شخصاً يتكلم بأمور لم يكونوا رأوها أو اعتادوها أو سمعوها وفيها بعض الأمور الخارقة أو الغامضة اعتبروا انه واقع تحت تأثير السحر :

٤- ان العرب يعتبرون أحياناً ما يقع من الحوارق على أيدي البشر سحراً ولولمسوء بأيديهم ورأوه بأعينهم .

٥- ان الناس كانوا ينشدون عند الساحر مطالب شخصية من الآخرين كإيصال الأذى والضرر وإحداث المرض والحبل لأعدائهم وإيجاد البغض والحبة والتفريق والجمع بين القلوب وطرد الأرواح الشريرة من الأجساد أو تسليطها عليها .

فإذا أردنا بعد هذا البيان رسم صورة للساحر العربي قلنا انه شخص أوتي ذكاء حاداً وقدرة على التصرف وسعة في الحيلة وقوة على الإيham بالاتصال بالجن واستخدامهم في متووع الأغراض وعلى التأثير في عقول الناس واستهوائها بحيث يخيل لأصحابها وجود ما لا وجود له ووقوع ما لم يقع . ويقال في السحرة ما قلناه في الكهان من احتال توهمهم باتصال الجن بهم ومساعدتهم إياهم على مقاصدهم بسبب ما يبدو لهم في أنفسهم من قوى خارقة واستعداد فائق جرياً على عقيدة العرب باتصال الجن بالتوائغ والعباقره وتفسيراً معقولا في ذلك الزمن لما يمكن أن يكون من نوع ما عرف في زمننا من مظاهر التنويم وقراءة الأفكار مضافاً إليها القدرة على التصرف وسعة الحيلة وحدة الذكاء . وهو على كل حال من أطوار العقل العربي ومظاهر قواه في هذا الدور ، مع فارق مهم بينه وبين الكهانة من حيث ان السحر عمل ايجابي يقصد به النفع والضرر والإيham والتخييل في حين ان

(١) في القرآن آيات فيها إشارة إلى ذلك منها آية في سورة البقرة جاء فيها « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » (٢٧٥)

الكهانة عمل سلمي لا تخرج عن التنبؤ بما هو غائب عن الناس من ماضٍ ومستقبل وقضاء بما يجب ان يفعلوه أو لا يفعلوه ويتوقعوه أو لا يتوقعوه .

وفي آية في سورة البقرة^١ ما قد يفيد ان العرب كانوا يعززون أصل السحر الى ملكين في بابل هما هاروت وماروت او انهم عرفوا ذلك من طريق اليهود .

وفي سورة الفلق^٢ ما يفيد ان من أساليب السحرة النفث في العقد اي انهم كانوا يعقدون عقداً في حبل ويتلون عليها ألفاظاً غير منمومة للسامعين . وفي الروايات ما يفيد ان من أساليبهم أيضاً أن يتلوا مثل ذلك على بعض أشياء من الشخص المراد سحره كشعر أو ظفر أو ثوب ، ومنها نقش نقوش غامضة على بعض الاجزاء والخرزات وقطع الجلد أو النفث عليها بألفاظ مماثلة ووضعها في ثياب المراد سحره أو المراد علاجه وطرده الارواح الشريرة منه أو المراد وقايتة منها . وقد يتلو السحرة تعاويذهم وينثون نفثاتهم مباشرة على الشخص المراد طرد الروح الشريرة منه او وقايتة منها . وتسمى الخرزات والاجساد وقطع الجلد بما ينث عليها او ينثس عليها قائم (جمع قيمة) يحملها الشخص . وهي من نوع ما يسمى اليوم عند العامة (حجاب) اما النفثات المباشرة على الشخص فتسمى رقي (جمع رقية) . وهناك روايات تفيد انه كان اشخاص لا يتسمون بسمة السحر قد اتخذوا الرقية مهنة . اما التائم فبالغالب ان السحرة هم الذين يصنعونها ويتولون بيعها .

ولقد كان الوشم من العادات الشائعة عند العرب حيث كانوا يرسمون على أيديهم ووجوههم وأبدانهم بالابر بعض الرسوم والصور ثم يحشون مكان الابرة بالكحل أو غيره من الاصباغ القائمة . ومع ان مؤلف بلوغ الارب الذي ذكر ذلك^٣ قال انهم كانوا يفعلون ذلك الزينة فإن بما يخطر لنا ان الوشم في اصله نوع من التعاويذ والتائم . ولعل السحرة هم الذين كانوا يتولون العمل .

وعبارة النفثات في العقد الواردة في سورة الفلق قد تفيد ان المرأة العربية كانت

(١) واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا اتنا نحن فتنك فلا تكفر فيعلمون منها ما يفرقون بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ... (١٠٢)

(٢) الآية الرابعة « ومن شر النفثات في العقد »

(٣) ج ٣ ص ١٠-١١

تشارك الرجل في هذا الميدان كما كان ذلك شأنها في ميدان الكهانة .

هذا ومن المجيب انه لم يرد فيما اطلعنا عليه من الكتب العربية اسم ساحر عربي على كثرة ما ورد من السحر والسحرة من آيات في القرآن تدل على ما كان تلسحر والسحرة في اذهان العرب من حيز وتأثير . والاسم الوحيد الذي ذكر هو «ليبد بن اعصم اليهودي» الذي ورد اسمه في سياق رواية تروي انه سحر النبي عليه السلام حيث نفث على مشاطة رأس وأسنان مشط ولفها في خرقه وعقد عليها احدى عشرة عقدة وألقاها في بئر فاعتري النبي عليه السلام نتيجة لذلك بعض عوارض مرضية نفسية وقد رأى النبي عليه السلام في منامه الصورة التي فيها المشاطة والاسنان او سمع في منامه من قال له ذلك ودله على مكانها فذهب فاستخرجها فذهبت عنه العوارض^(١) .

ولعل ما كان من طبيعة الأذى والشر والخداع والتهويل التي كانت ترافق السحر والسحرة هو سبب عدم معرفة اسماء الذين كانوا يتعاطون السحر من العرب أو عدم شيوعها وروايتها . فالآيات القرآنية لم تكن لتتناول هذا الموضوع بالسعة التي تناولته بها لو لم يكن امراً مشهوراً عند العرب وممارساً فيما نعتقد .

(١) اقرأ تفسير سورة الفلق في تفسير ابن كثير .

في القرآن سور عديدة ومتنوعة لما كانت عليه الحالة الاجتماعية عند أهل شمال جزيرة العرب قبل الاسلام في دور العروبة الصريحة . وفي الكتب العربية بيانات كثيرة موضحة وداعمة .

وإليك تفصيل ذلك مبوباً على نمط ما فعلناه في المباحث السابقة .

١ - شؤون الأسرة

في القرآن آيات كثيرة في مركز الرجل والمرأة والزواج والطلاق والارث والوصية والحداد وغير ذلك مما يتصل بالأحوال الشخصية يمكن أن يستلهم منها أشياء كثيرة عما كانت عليه هذه الشؤون قبل الاسلام نوجزها فيما يلي ^١ :

١- كان الرجل صاحب المركز الممتاز في الأسرة والمجتمع . فهو قوام الأسرة وربها والمسؤول عن حياتها ورزقها وشؤونها وسلامتها . وهو المكلف بالحرب والمطالبة بالثأر والمفرم والمطالب بها والمخاطب في المسؤوليات الاجتماعية المتنوعة . وكانت المرأة من حيث العوم تابعة للرجل ومنسوبة اليه ومسيرة بأمره . وكان هو الذي يمثلها في مصالحها .

٢- لم يكن حق المرأة في الارث سواء اكانت أمّاً ام بنتاً ام اختاً ام زوجة معينة وثابتاً ولاحقاً في الكسب والتصرف بما تملك مقررأً معترفاً به . وكان هذا وذاك متوجهاً حسب الظروف وشخصية المرأة وعصبيتها . وكانت كثيراً ما تحرم منها .

(١) انظر الايات وتطبيقنا عليها في رسالتنا المرأة والقرآن وفي كتابنا عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ص ١٢٨-١٥٦

٣- كان الزواج يتم بخطبة وعقد وصدّاق دون ما طقوس دينية .

٤- كان الرجل يجمع في عصمته ما يشاء من الزوجات . وكثيراً ما كانت يمنح إلى التعدد كوسيلة من وسائل الابتزاز والمكاييدة والمضارة واستكثار النسل . وقلّ اهتم الزوج للعدل بين زوجاته العديّدات .

٥- كان هناك نكاح يعرف بنكاح المتعة حيث يتفق الرجل والمرأة على التزوج لمدة موقّعة فإذا ما انتهت وقع الفراق .

٦- كان الرجال يستطيعون ان يتسروا بما يملكون من الاماء دون حد وحصر وبدون عقد ومهر . وكانوا يستطيعون أن يهبوا مستقرّساتهم ويبيعهنّ بدون طلاق إذا لم يكن قد ولدن أولاداً . فإذا ولدن امتنع ببيعن وهبتهن وجنّبا يموت مالكن يهبهن أحراراً وكان الأولاد الذين تلدهم الاماء من آباء أحرار يعتبرون أحراراً .

٧- كان من السائغ ان يتزوج العبيد من اماء باذن مالكيهم . والأولاد الذين يولدون من مثل هذا الزواج يكونون عبيداً للمالكين .

٨- كان من العادات المألوفة اتخاذ الرجال والنساء أخداناً أي عشاقاً او اخلاء وتكون بينها المعاشرة الجنسية بدون عقد . والأولاد الذين يولدون من مثل ذلك يلحقون بأبائهم . والفرق بين هذا النوع من المعاشرة الجنسية والزنا أي الزنا الذي كان أيضاً معتاداً فاشياً عمل عابر أو مفامرة وقتية في حين يكون اتخاذ الأخدان متصفاً بصفة الاستمرار .

٩- كان من السائغ ان يتزوج الاحرار بالاماء بعقد ومهر إذا اذن مالك الامة . ولقد كان الاماء معرضات للزنا أكثر من الحرائر ولذلك كان هذا النوع من الزواج مكروهاً في الجملة .

١٠- كانوا يغالون في المهور والشروط فيكون ذلك سبباً في بقاء الرجال والنساء عزاباً كما كان الفقر مانعاً في كثير من الاحيان من الزواج مما كان يؤدي الى كثرة المزاج من الجنسين وإلى الارتكاس في البغاء .

١١- كانت ولادة البنات مكروهة جداً حتى لقد كانت كراهيتهن تصل إلى وأد الآماء بناتهن احياء للتخلص من عبء طعامهن أو عارهن او متاعبن وإلى قتل الامهات

بناتهن أو خنقهن حال ولادتهن غيظاً وسخطاً وتقادياً من مواجهة أزواجهن بهن . وكان الأزواج أحياناً كثيرة هم الذين يأمرؤن زوجاتهم بذلك . هذا مع التنبيه إلى الروايات العربية تفيد ان عادة الواد لم تكن واسعة الانتشار .

١٢- مقابل ذلك كانت ولادة البنين تقابل بالابتهاج . وكانت الرغبة في استكثارهم شديدة . وكانوا يتفاخرون بكثرتهم . ولعل تعدد الزوجات واستفراش الاماء والاستلحاق والاستبضاع متصل بذلك أيضاً . لأن الرجل كان كلما كثرت اولاده كلما كان قوياً مرهوب الجانب في الظروف الاجتماعية التي كان يعيش فيها العرب

١٣- كان الطلاق مألوفاً جارياً وكانت عقدته في يد الرجل . وكان الرجال يسيئون استعماله اساءة كبيرة ويتخذونه وسيلة الى ابتزاز أموال نسائهم .

١٤- كان هناك عادتان لهجر الزوج زوجته غير الطلاق . أولاهما الظهار . وذلك بأن يقول الزوج لزوجته أنت علي كظهر أمي . وثانيتهما الايلاء وذلك أن يحلف الزوج بعدم معاشرة زوجته معاشرة جنسية . فتصبح الزوجة في الحالتين محرمة عليه مع بقائها في عصمته مغلقة لا هي زوجة ولا هي مطلقة . وكان الأزواج يعددون إلى إحدى هاتين العادتين سخطاً على ولادة البنات في الاكثر كما كانوا يفعلون ذلك مضارة للزوجة ووسيلة إلى ابتزاز اموالها . وكان الضن بما يملكن من أموال وخشية حرمان الزوج منها من جهة أسباب هذه العادات كما كان انفة الأزواج من تزوج المرأة بآخر اذا طلقت أو الرغبة في ابقائها لرعاية اولادها من اسباب ذلك .

١٥- لم تكن الحياة الزوجية قائمة على اعتراف بحقوق الزوجة أو شركة متبادلة بين الزوجين . وكانت الزوجة موضع اضطهاد وجنف وابتزاز حتى لقد كان الرجال يصعدون الى الحيلة لحرمان الزوجات من بعض المنافع^١ كما كانوا كثيراً ما يتخذون الطلاق والظهار والايلاء وسيلة لمضارة الزوجات وابتزاز أموالهن وحملهن على افتدائه أنفسهن . وكثيراً ما كانت فكرة الاستمتاع الجنسي هي الدافعة للزواج دون قصد انشاء كيان وأسرة .

١٦- كان يفرض على الزوجة المتوفى عنها زوجها حداد سنة كاملة لا تخرج من بيتها

(١) في سورة الانعام هذه الآية التي ينطوي فيها ما ذكرناه « وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورتنا ومحرم على أزواجنا . . . » (١٣٩)

ولا تتطيب ولا تتزين ولا تلبس الثياب المفرجة ولا تعرض نفسها للزواج ولا يتعرض لها الغير به كما كان ورثة الزوج لا يرون أنفسهم مكلفين بنفقة ما طيلة مدة الحداد المفروضة عليها .

١٧- ومع ذلك فإن في القرآن آيات عديدة تلهم ان كثيراً من النساء كن فاهيات قويات الشخصية يشاركن الرجال في مختلف أنواع النشاط العقلي والحربي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي ويفرض وجودهن واحترامهن . وقد أسلم كثير منهن وهاجرن بدون رضا أهلن او بعولتهن وكان منهن المجاهدات والمناقات والكافرات اللاتي أبدين نشاطاً ملحوظاً في مشاركة الرجال في تأييد الدعوة الاسلامية وصاحبها او معاوناتها .

١٨- كان النبي من العادات المألوفة أيضاً . بحيث إذا تبنى رجل ولداً أصبح بمثابة ابنه من صلبه يحمل اسمه ويرثه ويورثه .

١٩- كان الرجال يستطيعون ان يجمعوا بين الاختين . وكان الابن يسوغ لاهلته يتزوج زوجة أبيه بعد وفاته . وكانوا يحرمون على أنفسهم التزوج بمطلقات وارامل ابنائهم بالنبي .

٢٠- كان بعض الأزواج يحاولون استرداد ما دفعوه لزوجاتهم من مهر وهدايا إذا ما وقع بين الزوجين خلاف أدى الى فراق .

٢١- لم يكن للمهر حدود حيث كان يبلغ أحياناً مبلغاً كبيراً .

٢٢- كان من المألوف أن يدخل الرجال الى بيوت غيرهم بدون استئذان وتكلف وان يسم الرجال والنساء معاً وان يباح للخدم وملك اليمين الدخول على مخادع النوم في اي وقت .

٢٣- كان من المألوف ان تبرز المرأة للرجال وان تتراعى امامهم متبرجة متزينة . وكان النساء يتحلين بالخلي في أرجلهن - وهي الخلاخيل - بالاضافة الى حلي ايدين وآذانهم وجيدهن .

٢٤- كان من عادة البيوت العربية وبخاصة في المدن أن يسترضعوا اولادهم في البوادي أي يسموهم لرضعات بدويات فيكون لهم بذلك فرصة قضاء زمن الطفولة الاولى

في البداية حيث الهواء النقي والصحة الجيدة والعروبة الخاصة .

٢٥- كان كثير منهم يرضعون اطفالهم سنتين كاملتين .

والى هذا الذي تلهمه الآيات القرآنية ففي الكتب العربية روايات كثيرة عن هذه الشؤون يمكن ان تضاف الى ما ذكرناه نوجزها في ما يلي :

١- كان هناك زواج يعرف بزواج الشفار وهو المبادلة فيتزوج رجل اخت رجل او ابنته ويتزوج هذا اخت ذاك او ابنته بدون صداق .

٢- وكان الابن الاكبر الذي يتوفى والده عن زوجة غير امه يلقي ثوبه عليها فتكون حينئذ تحت حكمه ان شاء تزوجها وان شاء عطلها (منع تزوجها من آخرين حتى تموت . وكان ذلك بقصد ابتزاز اموالها او حرمانها من تركة زوجها . وكثيراً ما كانت زوجة الاب تتنازل عن نصيبها فداء لنفسها .

٣- كان هناك نكاح يعرف بنكاح الاستبضاع . وهو ان يوعز زوج لزوجته او امته بالاتصال الجنسي برجل آخر مشهور بقوته او صحته او شجاعته او كرمه او حسبه ثم ينقطع عنها حتى يتبين له حملها من الرجل . وكان القصد من ذلك الحصول على ولد فيه الحلال المذكورة .

٤- كان هناك نكاح يعرف بنكاح الجماعة او الاستلحاق . حيث كان يدخل عدداً من الرجال على امرأة فيصيبونها واحداً بعد آخر . فاذا حملت وضعت غلاماً ارسلت اليهم فلا يمتنع عن الاجابة منهم احد فتخبرهم انها وضعت غلاماً ثم تختار احدهم فتعلن انه والد الغلام فيلحقه به . وكان هناك بغايا يسكن في بيوت عليها راية او علامة . ولها ان تلحق ما تلده من بنين بأحد من اصحابها فيقبل ويلحقه به أيضاً .

٥- كان الاخوة احياناً يشتركون في زوجة واحدة . فاذا دخل احدهم عليها وضع عصاه على الباب . غير انها تكون في الليل من نصيب الولد الاكبر . ويكون اولادها اولاداً للجميع . والراجح ان هذا كان اذا صح عند الذين اعتادوا وأدبناتهم حيث يقل عدد النساء عن عدد الرجال . ونذب الى ان الروايات لم تكذب تذكر من ذلك الا حادثة او اثنتين .

(١) انظر بلوغ الارب ج ٣ ص ٢-٥٦ وجواد علي ج ٥ ص ٢٥٢ وما بعدها

٦- مما ذكرته الروايات في سياق عادة التبني ان الرجل اذا لم يكن له بنين عمد إلى تبني غلام من رجل آخر له بنون عديدون بإذن أبيه أو عمد إلى عبد له فأعتقه وتبناه . وكان المتبني يأخذ الغلام إلى مجلس القوم فيعلن انه تبناه ويقول له دمي دمك وهدمي هدمك توثنى وارثك فيصبح في حكم ابنه في صلبه في كل شيء .

٧- كان الطلاق يوقع مرة واحدة أو على مرات ثلاث . وفي الحالة الثانية كان للزوج حق مراجعة زوجته بعد المرة الاولى ثم بعد المرة الثانية ثم تحرم عليه بعد الثالثة الا بعد ان تنكح زوجاً آخر وتنطلق او تتوكل منه .

٨- كان يحق للمرأة ان تطلب من زوجها طلاقها مقابل فدية مالية تدفعها له وهذا الطلاق يسمى خلعاً .

٩- كان بعض النساء يشترطن ان يكون امرهن في ايديهن فيقبل الزوج ذلك اذا شاء . وهذا يقع على الارجح اذا كانت الزوجة ذا حسب وعصية ومال .

١٠- كان العرب وبخاصة ذوي المراكز الاجتماعية يراعون في أنكحتهم التكافؤ في الحسب والنسب والمركز والقبيلة ويرون التساهل في ذلك عاراً ومسبة . وبالإضافة إلى ذلك فان هؤلاء كانوا يتحرون في اختيار الزوجات والازواج من اجتمعت فيه خلال عديدة جسمانية وخلقية . وفي الكتب العربية بيانات طريفة عن الصفات التي كانوا يتجنبونها ^١ .

١١- كان عند العرب مراسم خطبة حيث كان يذهب الخطيب وأهله واصدقاؤه إلى بيت والد الخطيبة أو إليها بعد الاتفاق المبدئي . فيلقي كبير الوافدين مع الخطيب خطبة يثني فيها على الخطيبة وحسبها ونسبها وصفاتها ثم على الخطيب بمثل ذلك وطلب الفتاة له فيجيبه الوالد أو الولي بخطبة ماثلة ويعلم الموافقة على الطلب . وكانت تقام في هذه المناسبة وليمتان تسمى أولاهما (الشندخ) ومعنى الكلمة السابق في السبق من الخيل . وتقام هذه بعد الإملاك وقبل الدخول . وتسمى ثانيتهما (بشاشة العرس) وتقام بعد الدخول . وتقترن الولائم أحياناً بالغناء وبالضرب على الدفوف . وتلبس الثياب الجديدة المعصورة ويصبغون أيديهم بالزعفران وتكحل النساء .

١٢- وكان من العادة أن تزف العروس إلى بيت عريسها في موكب تكون فيه على

(١) انظر بلوغ العرب ج ٢ ص ١٤ وما بعدها

هودج فوق جمل ويسير فيه الرجال والنساء على الابل الزينة والذيران بين ايدي العروس .

١٣- كان ولي العروس هو الذي يستولي على مهرها على الاغلب . ولعل ذلك متصل بعادة استرداد الأرواح ما دفعوه إذا وقع خلاف بينهم وبين زوجاتهم أدى إلى الفراق ، وهي العادة التي مر ذكرها والتي تلهمها بعض الآيات القرآنية ١

١٤- كانت المطلقة تعتد ثلاث حيضات فلا تتزوج إلا بعد ذلك تحاشياً من اختلاط الانساب .

١٥- كان من العادة ان يوصي المشرف على الموت بما يفعل في ميراثه بعد موته ويقيم وصياً على تنفيذه ذلك . وكانت قاعدتهم في توزيع الارث على الاجمال « لا يورث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال » فيحرم بذلك الضعفاء والنساء ٢ . وكان الرجل من عصبته المتوفى مقدمين في الارث على الاخوات . فاذا لم يكن له من الذكور من يرثه يصرف ارثه الى اخوته او عصبته اذا لم يكن له اخوة ولا يدفع الى الاخوات . وكثيراً ما كان الاوصياء على أيتام المتوفى يعمدون الى تبديد التركة او التصرف بها دون مبالاة بحق الأيتام ومستقبلهم . واذا كان من الايتام بنات تزوجوهن أو زوجوهن لأبنائهم ضناً بتركتهن . وكان حق الآباء في تركات أبنائهم متوجهاً بدليل ان القرآن اوجب على أبنائهم الوصية لهم حينما تحضرهم الوفاة وذلك قبل نزول الآيات التي تعين لهم نصيباً ثابتاً .

١٦- كانوا يفرحون بولادة الابناء الذكور ويتفاخرون بكثرتهم وربما كان تعدد الزوجات ناشئاً عن الرغبة الشديدة في ذلك لأن كثرة البنين قوة هامة في الحياة الاجتماعية قبل الاسلام . وفي القرآن آيات عديدة تشير الى ذلك . وكانوا يقيمون وليمة اسمها « العقيقة » حينما يولد لهم ولد ذكر يذبحون فيها الذبائح . ومنهم من كان يلطخ وجه الولد بشيء من دماغها .

(١) انظر آيات سورة البقرة ٢٢٩ والنساء ٢٠

(٢) اشارت احدى آيات النساء الى ذلك ايضاً وهي الآية (١٢٧) ونصها : ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما ينلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتوهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكوهن والمستضعفين من الولدان وان تقووا لليتامى بالقسط وما فعلوا من خير فان الله كان به عليماً .

١٧- كانت عادة الختان جارية في العرب . وكانوا يعيرون الذي لا يختن أو يتأخر في الختان ويسمونه الاغلف . وكانوا يقيمون وليمة في مناسبة الختان يسمونها « الاعذار »

١٨- كان من عاداتهم نعي الميت وراثاً وشق الجيوب والحداد والبكاء عليه واقامة المباحات له طيلة سبعة ايام . وكان اهل الميت في نهاية الايام السبعة يقيمون وليمة تسمى « الوضيعة » . ومن العرب من كانوا يكفنون موتاهم ومنهم من كانوا يدفنونهم بشياهم ومنهم من كان يضع معهم سلاحهم واشياء اخرى بما كانوا يستعملونه . وكانوا يقيسون على قبورهم قباباً لاقامة اهل الموتى وجيرانهم الذين كانوا يترددون على زيارتهم لمدة طويلة قد تبلغ العام . وكانوا يضعون على القبور حجارة وقد يبنون عليها قباباً او بناء .

٢- تقاليد العصبية وآثارها

ويستفاد من اشارات قرآنية كثيرة ومن الروايات العربية ^١ ان تقاليد العصبية كانت عند العرب قبل البعثة قوية راسخة فكانت تسد ما في مركز القضاة السلي من فراغ فيما يتعلق بالاجبار والتنفيذ والحصول على الحقوق كما كانت تسد الى درجة كبيرة فراغ انقضاء الحكومات والسلطات التي تضطلع عادة بحفظ الامن والنظام ومنع العدوان والبغي في داخل جماعة عربية في بادية أو مدينة أو قرية وبالنسبة للصلات التي تكون بينها وبين جماعة عربية أخرى .

وكانت تلك التقاليد على اشكال متعددة :

١- فكان هناك عصبية الاقارب وذوي الأرحام أو ما يسمى عصبية العشيرة أو الفصيلة الخاصة ^٢ ، حيث كان افراد كل عشيرة يتضامنون في الدفاع عن بعضهم والانتصار لبعضهم في مختلف المواقف والمصالح ويكون من واجب كل فرد ان يحمي واث ينتصر لأي فرد من أفراد عشيرته وفصيلته الخاصتين اذا وقع في مأزق أو وقع عليه عدوان

(١) انظر كتابنا عصر النبي عليه السلام وبعثته قبل البعثة ص ١٥٧-١٨٠

(٢) عشيرة الرجل أو فصيلته تعنيان المحولة أو الاسرة الكبيرة التي يجمعها جديده قريب مثل اسرة بني هاشم وبني امية . والكلمتان وردتا في القرآن بهذا المعنى انظر سورة الشعراء الاية ٢١٤ والتوبة ٢٥ والمآرج ١٣

وان يثار له من المعتدي او من عشيرته وفصيلته الخاصتين ويكون ثار ما اجترحه أحد من عشيرة ضد آخر من عشيرة اخرى من عدوان او قتل او ظلم مطلوباً من اي فرد من عشيرة المعتدي ويكون من واجب كل فرد ان يشترك في الديات والمغارم التي تلزم عشيرته نتيجة لعدوان ما وقع من أحد افراد عشيرته ويكون من واجب كل فرد من افراد العشيرة او الفصيلة الخاصة منفردين ومجتمعين التضامن في الدفاع عن سمعة عشيرته وشرفها ومصالحها المشتركة والانتصار لها بمن يكون قد اعتدى عليها او من عشيرته قولاً او فعلاً وبكلمة واحدة كان أبناء العشيرة يتناصرون ظالمين أو مظلومين حتى ولو كانوا متغايري العقيدة والميول ضد من يقع منهم على أحدهم عدوان ما من عشيرة أخرى ولو كان بينهم وبين هذه العشيرة مصاهرة وخوولة او كانوا ينتسبون الى جد واحد . ومن الامثلة على ذلك ما وقع من قتال بين بني بكر وبني تغلب مع انهم أبناء جد واحد وبينهم مصاهرة وقربى وشيجة . وما كان من انتصار بني هاشم للنبي عليه السلام في حين كان اكثرهم وفي مقدمتهم زعيمهم ابو طالب متمسكين بعقيدة الآباء .

٢- وكان هناك عصبية القبيلة وهي الوحدة التي تتألف من بطون وعشائر عديدة يجمعها جد بعيد ، حيث كان افراد كل قبيلة يتضامنون تجاه القبائل الاخرى في الحروب والدماء والدفاع عن المصالح والتبعات المشتركة ويتعاونون على المسؤوليات والديات والمغارم ويعتبر كل فرد من القبيلة اي اعتداء يقع على أحد افراد قبيلته فعلاً او قولاً واقعاً عليه ومن واجبه الانتصار له والدفاع عنه والثار من المعتدي عليه او من اي فرد من أفراد قبيلته ويكون من واجب كل فرد وكل حوالة وكل فصيلة وكل بطن من القبيلة ان يتضامن مع القبيلة في الدفاع والمجور في حالة القتال مهما كان الباعث حتى ولو كانت ميول العشائر التي تتألف منها القبيلة متغايرة .

٣- وكان هناك عصبية التحالف القبلي او ما يمكن ان يسمى عصبية الاحزاب ، حيث كان كثيراً ما تعقد قبيلتان او اكثر بينها حلفاً وميثاقاً على ان تكون صفاً واحداً متسانداً في الدفاع والمجور في حالة القتال وفي حماية مصالحهم المشتركة او المتقابلة فتتساق نتيجة لذلك عصبية بين القبائل المتحالفة توجب عليهم التضامن في الحروب والتعاون في حماية مصالحهم وفي ما يترتب على بعضهم من مغارم وديات . فاذا ما دعا داعي الحرب نفر افراد هذه القبائل ليكونوا صفاً واحداً . واذا اعتدى معتد على احدي هذه القبائل او ما ينضوي فيها من بطون وفصائل وعشائر هبت القبائل المتحالفة معها الى الانتصار لها واذا تحملت قبيلة تبعة دماء رأيت من حقها ان تستعين على

حملها مجلفاتها من القبائل الاخرى .

وكثيرا ما يكون ضعف قبيلة ما هو الدافع لها على البحث عن قبيلة تتحالف معها لحفظ كيائها ودفع العدوان عنها .

وكثيرا ما تعتمد احدى القبائل الى التحالف مع قبيلة او قبائل اخرى حينما يقع بينها وبين قبيلة ما خلاف ونزاع وقتال . ويذهب كثير من الباحثين الى ان كثيرا من انساب القبائل العربية وتكوين القبائل العربية قد تأثر كثيرا بهذا النوع من التحالف حينما يتقدم عهده حيث يظن الاحقاد ان القبائل المتحالفة تتحدر من جد واحد . وفي الكتب العربية امثلة كثيرة مؤيدة لذلك . وقد شرحنا شيئا منه في سياق ذكر انساب القبائل العربية ١ .

وقد كان التحالف بين القبائل او بطون القبائل المختلفة يعقد براسم مؤثرة احيانا . فقد اختلف ابنه قصي بن كلاب زعيم قريش على المركز الذي فرغ بوفاته أيهم فعقد بنو عبد الدار مع بعض بطون قريش حلفا وعقد بنو عبد مناف مع بعض آخر حلفا ، واخرج هؤلاء جفنة فيها طيب فغمس زعماء المتعاقدين ايديهم فيها فسمي حلفهم الحلف المطيبين واخرج بنو عبد الدار جفنة فيها دم فغمس زعماء المتعاقدين ايديهم فسمي حلفهم حلف لعقة الدم ٢ .

وكانت قريش حينما تعقد مع غيرها حلفا يذهب زعماءها مع زعماء القبيلة المتحالفة معها فيطوفون حول الكعبة ثم يعلنون حلفهم للأل ٣ . وقد فعلوا هذا حينما جاءهم زعماء يهود يثرب من بني قريظة يعرضون عليهم التحالف ضد النبي عليه السلام والمسلمين حيث ذهب زعماء قريش مع زعماء اليهود الى الكعبة فأعلنوا تحالفهم واقسموا على الوفاء به عند اصنامهم ، مما تضمنت اليه اشارة من سورة النساء ٤ . وقد ذكرت الكتب العربية تحالفات عديدة مشهورة بين قبائل مختلفة مثل حلف الرباب بين اسد وغطفان وقبائل ضبة وثور

(١) انظر ايضا تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ٣٥٢ - ٣٥٨ وج ٤ ص ٣٣٣

- ٣٤٤

(٢) انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٤٢ وجواد علي ج ٤ ص ١٩٦

(٣) جواد علي ج ١ ص ٣٥٢ - ٣٥٨

(٤) الاية ٥٠ انظر تفسيرها في تفسير ابن كثير والطبرسي مثلا

وعسكلى وريم وعدي وبني عيس وبني عامر ضد اسد وغطفان^١ والحلف المعروف بحلف الفضول بين بطون قريش لمنع الظلم في مكة^٢ .

وقد سمي القرآن هذا النوع من التحالف بالاحزاب من التحزب معناه التجمع والتعصب والتناصر حينما زحفت قريش مع اخلافها من بني كنانة وغطفان وغيرهم على المدينة مما اشارت اليه سورة الاحزاب^٣ .

ونستطرد هنا الى تصحيح خطأ يقع فيه بعض الباحثين في وصفهم العرب بالفردية وفي عزوهم ذلك الى خلق آباؤهم الاولين ولا سيما اباؤهم بدائهم . فان فيما تقدم دليلاً على ان تقليد التضامن الاجتماعي او العصبية الاجتماعية كان راسخاً في العرب الاولين وركناً من اركان مجتمعهم ان لم يكن اقوى ركن فيه لا غنى عنه ولا معدى . وهو شيء كان يفرض عليهم طبيعة حياتهم الاجتماعية وبخاصة في انحاء شمال الجزيرة التي لم يقيم فيها مملكة كبيرة قوية تفرض النظام وتحفظ الامن والحقوق وتمنع عدوان الناس على بعضهم . واذا كان من مجال للنقد بالنسبة للعرب فهو كون هذه العصبية ضيقة لاتعدو المصالح الخاصة القروية والمحلية ولا الوحدات الاجتماعية الاولى كالمشيرة والبطن والقبيلة . ولا يدخل في نطاقها اهداف قومية وسياسية بعيدة المدى . وهو ما استهدفته الدعوة الاسلامية السامية ونجحت فيه لفترة من الوقت حيث شجبت عصبية القبيلة ووطدت عصبية العرب ووحدتهم مما سوف نشرحه في الجزء التالي ان شاء الله .

٤- وكان هناك عصبية الولاء حيث كان يلتحق بطن او عشيرة من قبيلة بعشيرة او بطن من قبيلة اخرى او بقبيلة اخرى بل يصدق ان تلتحق قبيلة برمتها بقبيلة اخرى التحاقاً كاملاً فيقطع المنتحقون علاقاتهم وتبعاتهم من قبيلتهم الاولى ويصبحون موالي القبيلة الجديدة ويكونون فيها كأنهم منها في التناصر والدفاع والمجور والدماء والديات والمصالح المتنوعة وفي كتب السيرة والتاريخ والتراجم اسماء كثيرين حينما يذكر وبن تذكر اسماء قبائلهم بالولاء فيقال القرشي ولواء او الثقفي ولواء ويراد بذلك هذا الولاء وليس معنى العبودية والرق .

(١) جواد علي ج ١ الصفح المذكورة وجرجي زيدان العرب قبل الاسلام ص ٢٢٤ وبغدها

وجواد علي ج ٤ ص ٣٤٥ وبغدها

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١١٠

(٣) الايات ٩-٢٠

والغالب في التحاق قبيلة بأخرى أو بطن من قبيلة ببطن من قبيلة أخرى على طريق الولاء أن يكون المنتحق أضعف من المنتحق به وأن يبقي عنده المنعة والقوة والعزة ، وربما كان الحافز خلافاً أو نزاعاً أو تهديفاً لحق أيضاً .

ومعلوم أن العرب بعد الاسلام قد أطلقوا تعبير (الموالي) على غير العرب من المسلمين . ومن الواضح أن هذا الإطلاق قد استمد من مفهوم هذا التعبير التقليدي عند العرب قبل البعثة ، حيث اعتبر العرب المسلمون أولئك الذين اعتنقوا الاسلام من غيرهم إما التحقوا بهم أو انتسبوا اليهم التحاق ولأه فأطلقوا عليهم التعبير جرياً على عاداتهم التقليدية فيه . وإذا كان العرب قد نظروا إلى الموالي نظرة الرقيق القوي لمن هو دونه أو نظرة المتبوع فتابع فإن هذا يرجع إلى ما في مفهوم حلف الولاء أو رابطة الولاء من هذا المعنى على ما ذكرناه آنفاً .

وقد يكون الولاء قروباً حيث كان كثيراً ما يلتحق فرد من قبيلة بشخص من قبيلة أخرى ويتولاه أي يتفق معه على الانتساب اليه والتناصر معه فيصبح كأنه من ذوي رحمه وقبيلته ولأه ويكون عليه تبعات عصبية المنتحق به وله حق هذه العصبية على هذا . وكان يسمى المنتحق باسم مولى فلان الذي التحق به . وكان هذا النوع يقوم على أساس تماهي المهد والميثاق فكان كل من الشخصين يقول الآخر على ملا الناس « دمي دمك وهدمي هدمك . وتأري تأرك . وخبري خبرك . . وسامي سمالك . وثقتي وارثك . وتطلب بي وأطلب بك . وتقل عني وأقل عنك »^١ . وقد وصف هيرودوت وهو من القرن الخامس قبل الميلاد طريقة التحالف والواخاء عند العرب ووفاءهم بالعهود فقال أن العرب يحافظون على العهود والمواثيق محافظة شديدة لا يشاركون في ذلك أحد من الأمم ولها عندهم قداسة خاصة حتى تكاد تكون من الأمور الدينية المقدسة . وإذا ما أراد أحدهم عند حلف مع آخر أو قفا شخصاً ثالثاً بينها لأجراء المراسم المطلوبة ليصبح العقد مكملاً مبرماً فبأنشد هذا الشخص حبراً له حافة يخدش به راحتي الشخصين قرب الأصبع الوسطى ثم يأخذ قطعة من ملابسها فيقسمها بدم الراحتين ويأوثر به سبعة أحجار ويكون مكانه هذا الشخص بين الشخصين فيتلو الأدعية للالهة الآلة وهو يفعل ذلك ثم يقود الحليف حليفه

(١) ذكر ذلك الخازن المفسر في سياق تفسير الآية ٣٣ من سورة النساء . ومن المحتمل كثيراً أن يكون عقد الولاء الجماعي أي بين قبيلة وأخرى أو بين عشيرة وعشيرة أو قبيلة وقبيلة يجري وفق مراسم مماثلة لإعلانه للناس .

بعد الانتهاء من هذه المراسم الى اهله وعشيرته لاختبارهم بذلك واطلاق الأمر على الملأ فيصبح الخليف ائماً للآخر ومولاه^١ . وهذا مؤيد لرواية المفسر الحازن او مماثل له كما هو واضح ودليل على قدم هذه التقاليد .

هـ - وكان هناك عصية الجوار حيث كان من عادة العرب ان يطلب شخص من آخر ان يحميه اي يحمله في حمايته ويمنع عنه البغي والظلم والعدو المطارد فاذا قبل المستجير به ان يحمي المستجير اعلن ذلك على ملأ الناس ليكونوا على بينة من الأمر واصبح المستجير في ذمته و«جواره» كأنه من ذوي رحمه او عشيرته او قبيلته . ويتمتع بحمايته بما يحمي به أسرته او قبيلته ويصبح على كل من يتضامن مع المجير عصية من عشيرته وقبيلته واجب حماية المستجير الذي اصبح جواراً لهم بعد ان يكون رئيسهم قد أجاره . ويتحاشى الناس حينئذ المستجير لما يكون له من حماية وعصية من قبل المجير وجماعته . وكثيراً ما كان يجر الجوار الى حروب وبرايق في سبيله الدماء ، وفي نبذة ايام العرب التي أوردناها قبل بعض الامثلة على ذلك . والغالب في الجوار ان يطلبه ضعيف في عصيته . وقد يطلبه شخص بعيد عن عصيته اذا خشي العدوان في أرض هو غريب عنها . واحياناً يعين المستجير الشخص او القبيلة التي يطلب حماية منها فيقول انا عائد بك او مستجير بك من فلان او من القبيلة الفلانية أو يسأله ان يحميه على فلان او القبيلة الفلانية .

ولم يكن كل شخص يقبل ان يحمي اي شخص او على اي شخص او قبيلة . فالناس كانوا يعرفون اقدارهم وقواهم ولا يتورطون فيما لا قبل لهم به لانهم كانوا يرون في ذمة الجوار وعصيته امرأ خطيراً فيه كرامتهم بل وحياتهم ومماتهم .

ويظل الجوار مرعياً الى ان يرده المستجير الى صاحبه الذي أجاره ويبرئ ذمته وجواره على ملأ الناس حتى اذا اعتدى عليه بعد ذلك احد لا يتحمل المجير تبعه هذا الاعتداء . واذا كان المستجير غريباً فيظل جواره مرعياً الى ان يبلغ مأمنه او اهله وارضه . وفي الكتب العربية امثلة كثيرة على الجوار وحوادثه^٢ .

ولقد ذكر في سيرة ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه اراد ان يهاجر من مكة مع

(١) جواد علي ج ١ ص ٣٦٠-٣٦١

(٢) انظر بلوغ الاربع ج ١ ص ١٢٢-١٤٦ مثلاً

المهاجرين الى الحبشة فخرج منها فلقية زعيم اسمه ابن الدغنة فسأله عن وجهته فقال له اني خرجت مهاجراً فقال له مثلك لا يخرج فانما جارك انك فرجع ورجع معه ابن الدغنة فطاف في اطراف قريش يعلنهم انه اجار ابا بكر . وبعد قليل جاء اشراف قريش الى ابن الدغنة فقالوا انه انشأ مسجداً بفناء داره وانه يقرأ القرآن جهراً وانهم يحشون على أبنائهم ونسائهم الفتنة فاذهب فانهم وان ابى فسله ان يرد اليك ذمته فأتى الرجل ابا بكر فقال له لقد علمت الذي عقدت لك عليه فاما ان تقتصر واما ان ترجع الى ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني اخفرت في رجل عقدت له فقال له ابو بكر اني ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله^١ .

وفي القرآن بضع آيات ذكر فيها الجوار بالمعنى الذي عنيناه وذكر فيها بعض الاصطلاحات التقليدية التي كانوا يستعملونها في صده مما يساعد على تثبيت شيء من الصورة المرسومة . فقد اعلن النبي عليه السلام بأمر الله البراءة من المشركين الناكثين بعد فتح مكة اذا لم يتوبوا فصاروا يسألون كيف السبيل الى الوصول اليه والتفاهم معه فنزلت هذه الآية « وان احد من المشركين استجارك فآجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » سورة التوبة (٦) وحينما أزمعت قريش الخروج الى بدر خافوا ان يغدر بهم بنو كنانة من خلفهم لما كان بينهم من دماء فقال لهم سراقة بن مالك من زعماء كنانة انا جارك لكم من كنانة فلن تروا منهم ما تكرهون . فحككت ذلك هذه الآية « واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ... » الانفال (٤٨)

وتعبر « اني جار لكم » من تعابير الجوار التقليدية حيث يتقدم من يريد ان يحمي طالب جواره فيعلن انه جار فلان او يتقدم من يريد ان يعلن حمايته لبعض الناس ويتحدى خصومه فيقول لهم اني جار لكم .

وهناك آية في صده وصف قوة الله بأنه يجبر ولا يجار عليه وهي هذه « قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجبر ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون » سورة المؤمنون (٨٨)

وهذا التعبير من تعابير الجوار اذا اريد منح سيد من سادات العرب والتبوية بقوته وعزته حيث يعني ان هذا السيد يقدر على اجارة من يشاء ولكن احدا لا يقدر على تحديه

(١) سيرة ابي بكر لملي الطنطاوي ص ٧٤-٧٥

باجارة عدو له عليه .

٤- وهناك عصبية التقاليد . وهذا النوع ليس بما كان معروفاً بهذا الوصف وانما كان معروفاً بمفهومه . والمقصود منه هو التعصب للعادات والتقاليد المتوارثة وشدة التمسك بها وكان هذا راسخاً في المجتمع العربي قبل البعثة معدوداً من الفضائل :

وفي القرآن آيات عديدة تشير إلى مفهوم هذه العصبية في معرض التنديد والتقريع للمشركين والمنافقين للدعوة النبوية والكائدين لها^١ . وكانت من أشد العوامل في الموقف الشديد المؤذي الذي وقته العرب بزعماءهم وبخاصة القرشيين من الدعوة الاسلامية وصاحبها . ولقد كان معظم بني هاشم عشيرة النبي الاقربين وفي رأسها زعيمهم ابو طالب يفتنون موقف الحامي للنبي عليه السلام ولا يستجيبون الى ندائه والحاحه في الدخول في دينه . فيفتنون موقفهم الأول بدافع عصبية العشيرة وموقفهم الثاني بدافع عصبية التقاليد^٢

والمبادر ان حكمة الابقاء على كثير من التقاليد التي كان عليها العرب قبل الاسلام سواء منها ما كان متصلاً بحياتهم الاجتماعية والشخصية أم كان له صبغة دينية وطقسية مثل تعدد الزوجات واشراك عصبية الميت في تركته اذا كان اولاده بنات فقط والابقاء على الحالة الحاضرة في الرق وملك اليمين وعلى رمي الجرات والطواف بين الصفا والمروة وتحريم الصيد والوقوف في عرفات والطواف حول الكعبة وتقبيل الحجر الاسود هي تطمين العرب على هذه التقاليد تديراً لدخولهم في الاسلام بعد تثقيتها من شوائب الشرك والوثنية .

٣- الرق

والرق من الشؤون المتصلة بالحياة الاجتماعية من حيث كونه يمثل طبقة من طبقات المجتمع . ولقد كان نظام الرق موجوداً بمقياس غير ضيق عند العرب قبل الاسلام كما كان ذلك شأنه عند الامم الاخرى .

ولقد ورد في القرآن آيات كثيرة متنوعة الاساليب والاهداف حول الرق والرقيق . وفي كتب التفسير وغيرها من الكتب العربية بيانات وروايات متنوعة موضحة وداعمة

(١) اقرأ مثلاً آيات البقرة ١٧٠ والمائدة ١٠٤ والانعام ١٤٧ والاعراف ٢٨ والنحل ٣٥ ولهمان ٢١ وسبا ٤٣ والزخرف ٢٢

وفيها زيادة عما احتوته الآيات التي اقتضت على ما اقتضته حكمة التنزيل .

والمستفاد من الآيات وتفسيرها والروايات العربية الأخرى ١ :

١- ان الرق كان فاشياً في الأوساط العربية قبل الاسلام

٢- ان الارقاء كانوا من الجنسين

٣- ان الرجال والنساء على السواء كانوا يملكون ارقاء

٤- ان من العرب من كان يملك عددا كبيرا

٥- انه كان يطلق على الرقيق تعبيرات « العبد » للذكر و « الأمة » للانثى والعبيد والاماء لجمعها كما كان يطلق عليه تعبيرات « المملوك » والغلام والولد والفتى والمولى للذكر والفتاة والمولاة للانثى . وتعبيرات الولد والفتى كانت للاحداث والذين يقومون بخدمة مالكيهم . وتعبيرات الفتى والمولى والفتاة والمولاة كانت من قبيل التلطف والتعجب .

٦- ان تعبير العبد والعبيد للذكر والامة والاماء للانثى هو الذي كان فاشياً وكان يستعمل نقيض تعبير الحر والحررة .

٧- انه كان يملك العبد او الامة اكثر من مالك واحد شراكة ٢ .

٨- ليس من شأن العبد او الامة ان يكون له ملك او ثروة خاصة .

٩- ان الارقاء كانوا عرضة للاساءة والقسوة من مالكيهم ٣ . وكان مالكوهم يسفروهم في اعمالهم وخدماتهم المتنوعة والبيتية والكسبية . وكانوا يؤجرونهم للغير أيضاً .

١٠- كان من الممكن ان يشتري الرقيق نفسه من مالكة إذا وافق على ذلك . وكان من طرائق ذلك (المكاتبه) وهي تعهد العبد بايراد مبلغ معين الى سيده خلال مدة معينة ثمناً لرقبته على ان يسمح له بالتكسب للحصول على المبلغ ٤ .

(١) انظر كتابنا عسر التي عليه السلام ويثته قبل البعثة ص ٢٣٠-٢٣٦ حيث نجد فيها نصوص الآيات وتفسيرها والروايات الأخرى ومصادرها

(٢) انظر آية سورة الزمر ٢٩

(٣) والدليل على ذلك امر القرآن بالاحسان اليهم في آية سورة النساء ٣٦

(٤) يستلهم هذا من آية سورة النور ٣٣

١١- كان مالكو الاماء لا يتساهلون في تزويج امائهن وكان ذلك مما يدفع الاماء الى الارتكاس في البغاء^١ .

١٢- ان مالك الاماء كان ينكح من امائه ما يريد بدون عقد باعتبارهن ملك ميمنه . ولا يسمى هذا زواجاً .

١٣- كان مالك الرقيق يبيع من رقيقه ما يشاء ويهب ما يشاء ويوصي منه بعد موته ما يشاء باعتباره ثروة ومالا . وكانوا يقسمون على هذا الاعتبار بين الورثة بعد موت سيدهم ويصبحون ملك الوارث الذي يقعون في نصيبه .

١٤- كان اولاد الاماء من مالكن احراراً غير انهم كانوا ينهبون بنهب «الهجين» لمكان امهاتهم من العبودية .

١٥- اذا ولد لأمه من سيدها ولد سميت أم ولد ولا يصح عليها بيع ولا هبة وحينما يموت سيدها تصبح حرة .

١٦- لم يكن العبد ولا الامة يستطيعان التزوج إلا باذن سيدهما . وكان من الجائز تزوج الحر بالأمه وتزوج العبد بالأمه . وكان ابناء الاماء من ازواجهن العبيد والاحرار ملكاً لسيدهن .

١٧- لم يكن الزواج من الاماء شيئاً مرغوباً فيه لأنهن كن عرضة للارتكاس للبغاء اكثر من الحرائر . وانما يتزوجهن العبيد على الاغلب . واذا تزوجهن حر فيكون بسبب الفقر وعدم استطاعته التزوج من حرة^٢ .

١٨- لم يكن من السائع ان يقتص من حر بعبد . فاذا قتل حر عبدا لا يقتل به بل يدفع ثمنه . ويقتل العبد بالحر طبعاً .

وواضح مما تقدم انه كان للرقيق شأن عظيم عند العرب قبل الاسلام . وكان يشغل حيزاً واسعاً في مختلف بيئاتهم . وكان عليه معول اقتصادي ومعاشي كبير . فمن العقول والحالة هذه ان يكون الناس وبخاصة الزعماء والرؤساء والاغنياء قد استكثروا منه واعتبروه

(١) وهذا يستلهم ايضاً من نفس الاية . وبعض المفسرين يستلهمون من هذه الاية ان مالكي الاماء كانوا يطلبون من امائهن ان يتكسبن بالبغاء .

(٢) انظر آية سورة النساء ٢٥

جزءاً منها من وسائل حياتهم الاقتصادية والمعاشية .

ومصدر الرقيق الاول السبي في الحروب . فالقبيلة التي كانت تغلب القبيلة الغدوة كثيراً ما كانت تعتمد الى سبي نساءها واطفالها بل ورجالها ومن ثم تسترقهم . وكراهة الاناث في العرب آتية من خوف عار السبي او ان هذا الخوف من اسبابها .

ومن الروايات المتواترة يفهم ان كثيراً من الرقيق الذي كان عند العرب اسود البشرة . وفي لسان العرب بيت في مادة عبديكاد يفيد ان السواد هو العلامة المميزة للعبيد وهو :

انسب العبد الى آبائه اسود الجلد من قوم 'عبد

ويدل هذا على ان الرقيق كان يجلب من بلاد السودان او ان جيلاً بشرياً اسود كان هاجر او جلب في الازمنة السابقة فنا وتكاثر وظل طابع المبودية ثابتاً عليه . غير ان هناك روايات عديدة وتفيد انه كان عند العرب ارقاء من العرب نتيجة للحروب والغارات والسبي .

وهناك ايضاً روايات^٢ تفيد انه كان عندهم ارقاء احباش وروم وتبط وعراقيون مما يدل على ان تجار العرب كانوا يشترون من اسواق البلاد التي يصلون اليها في رحلاتهم افراداً من الرقيق لينتفعوا بهم شتى الانتفاعات . والمرجح ان من هؤلاء من كان صاحب مهنة او حذق في الخدمة ومن كان يكتب ويقرأ ايضاً وان هذه الصفات بما كانت تعري التجار بهم .

وفي القرآن آيات عديدة تحث على فك الرقاب وتحرير العبيد والتقرب الى الله بذلك واتخاذ ذلك كفارة عن بعض الذنوب^٣ وهي وان كانت تتضمن تشريعاً للمسلمين فانه يستأنس منها ومن الروايات معاً ان عتق الرقيق كان مألوفاً قبل البعثة ومعدوداً من المكرمات التي يتسابق فيها اولو الارحجية والروعة^٤ . وقد باشر النبي عليه السلام هذه

(١) انظر لسان العرب مادة يسر حيث يورد بيتاً لشاعر يذكر انه وقع عليه سباً وزيد بن حارثة متبني النبي عليه السلام هو عري صريح كان مملوكاً للسيدة خديجة رضي الله عنها

(٢) انظر جواد علي ج ٦ ص ١٩٩ وبعدها

(٣) انظر آيات سورة البقرة ١٧٧ والنساء ٩٢ والمائدة ٨٩ والتوبة ٦٠ والجمعة ٣ والبلد ١١-١٣

(٤) انظر اسد الغابة ج ٢ ص ١٦٨ مثلاً

المكرمة بنفسه قبل البعثة اذ استوهب من زوجته خديجة رضي الله عنها غلاماً لها اسمه زيد بن حارثة ثم اعتقه وتبناه^١ . وقد استوى ابو بكر رضي الله عنه بعض ارفاء المسلمين من مالكيهم الذين كانوا يعذبونهم واعتقمهم وكان ذلك في اوائل الدعوة الاسلامية^٢ . ولقد كان العتيق يحتفظ بولائه لمعتقه فاذا مات بدون وارث ورثه معتقه واذا كان له وارث كان لمعتقه نصيب ما في تركته . وقد عرف ذلك في التشريع الاسلامي باسم ولاء العتاقة أو مولي العتاقة^٣ امتداداً لما كان من ذلك قبل الاسلام على الارجح .

٤ - الخمر ومجالس الشراب

وشرب الخمر ومجالسته من اللغو المتصل بالحياة الاجتماعية كما هو المتبادر . وفي القرآن آيات عديدة في ذلك . منها ما اشير فيه الى ما اعده الله للمؤمنين في الجنة من خمر وشراب وصفاتها وآنيتهما ومجالستها وما بينها من شراب الدنيا وخمرها من فروق . ومنها ما اشير فيه الى ما كانت في الخمر من منافع مع التنبيه الى ان الله اكبر من نفعه^٤ . والآيات تلهم :

١- ان سنع الخمر وتعاطيها كانا يشغلان حيزاً غير قليل من اهتمام العرب قبل الاسلام وان تعاطيها كانت واسع الشيوع وشديد الرسوخ . وتكرر وصف الخمر على انه من لذائذ الجنة الاخرية يدل على انه كانت من مطالب النفوس الرئيسية التي لا منصرف عنها في اهل بيعة النبي عليه السلام الذين يسمعون القرآن لأول مرة . والتدرج في تأثم الخمر ثم النهي عنه في الصلاة في حالة السكر ثم النهي عنه اطلاقاً يدل على شدة رسوخ تعاطيه . ويلفت النظر الى ان آيات سورة المائدة ٩٠-٩١ هي من اواخر ما نزل من

(١) انظر نفس المصدر ص ٢٢٤-٢٢٥

(٢) انظر ابن هشام ج ١ ص ٢٨٨-٢٩٠

(٣) انظر تفسير الحازن والمناويين كثير وغيرهم في تفسير آية النساء ٣٣

(٤) انظر آيات سورة البقرة ٢١٣ والنساء ٤٣ والمائدة ٩٠-٩١ والنحل ٦٧ والصفات ٤٤-٤٧

والطور ٢٢-٢٣ ومحمد ٦٧ والواقعة ١٦-٢٣ والانسان ١٧-٢١ والمطففون ٢٢-٢٨

(٥) « يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانساب والازلام من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » وانما يريد الشيطان ان يوقع بينكم المداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة قبل انتم متبهون »

القرآن وفيها سؤال استنكاري موجه للمؤمنين مما إذا لم يؤن الأوان للاستهاء من تعاطي الخمر حيث يعني هذا ان تعاطيها بين المسلمين ظل مستمراً راسخاً الى زمن متأخر من العهد المدني وحيث يدل على شدة تعلق الناس بها . وتقرير القرآن^١ بأن الخمر ذا منافع مع كون الله أكبر من نفعه يدل في حد ذاته على ما كان عليه واقع الأمر من أنه كان يشغل حيزاً كبيراً في حياة أهل بيته النبي عليه السلام الاقتصادية قبل الاسلام بمتداً إلى العهد الاسلامي .

٢- ان أوصاف مجالس الشراب في الجنة وأوصاف الخمر ومنجها مواد أخرى قد تدل على ان ذلك ليس غريباً عن أهل بيته النبي عليه السلام ، وان منهم من كان يستمتع بشيء من ذلك وان المترفين منهم كانوا يتأنقون فيها فيمقدون لها المجالس ويتصبون الارائك والاسرة في الحدائق ويمدون موائد الطعام الحافلة بأنواع اللحوم والفواكه ويلبسون الثياب الحريرية ويطيون خمرهم بما يصلح من طعمها ورائحتها كالزنجبيل والكافور والمسك ويقف على خدمتهم الولدان ويندرون عليهم بأواني فضية وأقداح بلورية^٢ .

(١) يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها اثم كبير ومنافع للناس وانها اكبر من نفعها ويسألونك ماذا ينفقون قل انفقوا كذلك بين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون »
البقرة ٢١٩

(٢) كل الاوصاف هي اوصاف دنيوية مستمدة من مألوفات السامعين لان بذلك يتحقق الهدف القرآني في الترهيب والترغيب وهذا وصف مجلس الشراب في سورة الواقعة :

« على سرر موضوعة متكئين . يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وإباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون . . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون » (١٦-٢١)

وهذا وصف آخر في سورة الانسان : « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا » و « متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا ظهراً ودانية عليهم ظلالها وذلك فطوفها تذليلاً . ويطاف عليهم بأية من فضة واكواب كانت قوارير . قوارير من فضة قدروها تقديراً . ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً . عينا في انسي سلسيلاً . ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم أولئذ آمنشوراً . واذا رأيتهم رأيت حسماً كبيراً . عاليهم ثياب سندس خضر واستبق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » (٥-٢١)

وهذا وصف آخر في سورة الطغفون « ان الابرار لفي نعيم . على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . ومزاجه من تميم . عينا يشرب بها المقربون (الايات ٢٢-٢٨)

وذكر الزنجبيل والكافور والمسك بخاصة من مؤيدات ما نقرره لأنه لو لم يكن مزج الخمر بهذه العقاقير بسبيل تطيبها معروفاً ومألوفاً لما بانّت الحكمة في ذكرها ولا سيما من المعروف اليقيني انها مما كان معروفاً ومألوفاً بصورة عامة وبسبيل تطيب الخمر بصورة خاصة .

٣- ان الخمر تعبير عام يراد به الشراب المسكر ولا يعني نوعاً بعينه . ومن الممكن والحالة هذه ان يكون اهل بيئته النبي عليه السلام قد عرفوا ومارسوا وصنعوا أنواعاً عديدة من جملتها نوع ذو لون أبيض على ما تلمحه آيات في سورة الصفات جاء فيها : « يطاف عليهم بكأس من معين ؛ بيضاء لذة للشاربين . لا فيها غول ولا هم عنها يزفون » (٤٥-٤٧) ، وان الخمر كان يصنع من البلح والعنب اللذين كان للعرب منها يساتين وحدائق كثيرة . وان الناس كانوا يجنون من الخمر منافع خاصة متصلة بالحركة الاقتصادية بالإضافة الى اللذة الشخصية .

والتبادر ان صنع المسكر وتعاطيه كان على الاغلب في المدن . فحدائق النخيل والعنب كانت في الطائف وفي القرى المجاورة لمكة وفي يثرب . فكان اصحابها هم الذين يتولون صنعها أو يبيعون ثمرها لمن يتولى ذلك .

وقد كانوا يضعون الخمر في زقاق من جلد . وكان في المدن حافات لبيعها للناس يقوم عليها طائفة عرفت بالخمارين على ما ذكرته الروايات .

وإذا كنا صبين القول على بيئته النبي عليه السلام وسكانها فإن ذلك لأن القرآن منصّب عليها باعتبار انها اول ما تلي القرآن فيها ووجه اليها . وليس هناك ما يمنع بطبيعة الحال ان يكون ما أوردناه من صورة عن الخمر وصنعها وتعاطيها وبيعائها واقعاً مألوفاً عند العرب قبل الاسلام في غير بيئته النبي عليه السلام من الاقسام الاخرى من شمال الجزيرة . بل نحن نرجح ذلك . فالاقسام الشرقية من شمال الجزيرة وسواحلها متصلة بالعراق الذي كان تحت تأثير حضارة الفرس ومألوف حياتهم . ومن الماثورات المتواترة التي تكاد تكون يقينية ان العرب في العراق وجزيرة الفرات وملوكهم كانوا يتعاطون الشراب ويمقدون له المجالس الانيقة . فالتبادر ان يتأثر بذلك اهل هذه الاقسام .

٥ - الميسر

والميسر من الله المتصل بالحياة الاجتماعية كما هو المتبادر . وقد قال علماء اللغة والفنرون ان الكلمة مشتقة من الميسر بمعنى السهولة لأن متعاطي الميسر يبتغي الربح بيسر وبدون تعب كما قالوا انها مشتقة من الميسر بمعنى التجزئة . لأنهم كانوا ينحرون جزوراً ويجزئونها في معرض المراهنة والميسر .

وفي القرآن بضع آيات ذكر فيها الميسر . منها آية سورة البقرة (٢١٣) التي حكى فيها سؤال بعضهم عن الحمر والميسر مع جواب بأن فيها أثماً كبيراً ومنافع للناس وانها أكبر من نفعها وآياتان في سورة المائدة (٩١-٩٢) احتوتا وحفاً لاخسر والميسر والانصاب والأزلام بأنها رجس من عمل الشيطان وأمرنا باجتنابها ونهتاً الى ان الشيطان يوقع بالحمر والميسر بين المسلمين العداوة والبغضاء ويصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة .

وليس في القرآن نوع صريح معين للميسر . وإنما ورد في سورة المائدة آية وهي الآية (٣) فيها كلمة الأزلام في سياق محرمات الذبائح فسرها المفسرون تفسيراً يجعلها متصلة بنوع من أنواع الميسر^١ ، حيث قالوا ان الأزلام هي عيدان من شجر التبع كانت تسوى كالسهم وتقذف على سبيل المراهنة . وعددها عشرة . وقد اختلفوا في تفصيل العملية . فما روه^٢ ان فتيان العرب وذوي اليسار منهم كانوا يشترون جزوراً ويدبحونه ويجزئونه الى عشرة أجزاء أو أكثر ثم يتراهنون فيما بينهم على ثمنه بقذف هذه السهام فيقوم من اخطأ سهمه ويربح من أصاب . وثمن الجزور يدفعه الغارمون . والاحم يوزع على الفقراء وذوي الحاجة . وكانوا يسمون الذي يذبح الجزور ويجزؤه يامراً . وكانوا يسمون السهام بأسماء ويجعلونها مراتب في الربح والخسارة . فأولها الفذ ثم التوأم ثم الرقيب ثم الخلس ثم النافس ثم المسبل ثم المعلى ثم المنيع ثم السنيح ثم الوغد . وليس للثلاثة الأخيرة نصبة ومن اختار الفذ وأصاب فله حصّة واحدة وان اخطأ فعليه حصّة واحدة ومن اختار التوأم وأصاب فله حصتان وان اخطأ فعليه حصتان وهكذا تزداد حصص الربح والخسارة الى

(١) انظر تفسير آية المائدة المذكورة في تفسير المنار

(٢) انظر المصدر نفسه وانظر تفسير آية البقرة ٢١٣ في تفسير الحازن وبنو العرب ج ٣ ص ٥٣-٦٩

المعالي وصاحبه يربح سبع حصص أو يفهم سبعا . وبما يروى انه كان شخص يوكل اليه اجماله الاقداح أي الاقلام في خريطة وقذفها باسم المترهن يسمونه الخضة وقد فسر في القاموس بأنه أمين المقامرين . وكانوا أكثر ما يجتمعون على هذه العملية في الليل ويوقدون النار . وكانوا يتحمسون أحيانا فينحرون جزوراً ثانياً في جلسة واحدة ويعاود الرائجون والخاسرون المراهنة فيربح ثانية من يربح ويخسر من يخسر .

وقد ذكر المفسرون^١ في سياق تفسير الآيات التي ذكر فيها الميسر علاوة على ما تقدم ان المقصود منه كل مراهنة وان كان من جملة ما يلعبون به على سبيل المراهنة الترد والشطرنج اللذين اقتبسوهما من الفرس .

الرهان على سبق الخيل

وقد يصح ان يلحق بهذا البحث الرهان على سبق الخيل . وفي سورة يوسف آية تحكي قول اخوة يوسف (إنا ذهبنا نستبق) بمعنى التسابق على الخيل على ما هو المتبادر . ولا ريب ان الكلمة كانت مفهومة المعنى والمدى ومألوفة عند السامعين . وفي الكتب العربية بيانات^٢ في صدد ذلك حيث يستفاد منها ان الرهان على سبق الخيل بما كان يمارساً عند العرب قبل الاسلام في دور عروبتهم الصريحة ممتداً على الأرجح الى ما قبل ذلك من حيث انه من طبيعة حياة العربي وبخاصة البدو . وكانوا يسيرون المكان الذي يجري التسابق فيه الخلبة وقد يطلق هذا الاسم على المكان الذي يجتمع الناس فيه للرهان ومراقبة السبق أيضاً . ومن عاداتهم في ذلك انهم اذا تزامن فارسان على السبق ادخلا معاً فارساً ثالثاً يسمونه الخليل او الدخيل دون أن يدفع رهاناً فان سبقها اخذ رهاني الفارسين والا فلا غرم عليه ويكون الرهان للسابق من الفارسين . وكانوا يسمون المسبوق (النسل) . وكان أحياناً يشترك في السبق والرهان عشرة افراس ويكون للافراس السبعة السابقة حظ من الرهان حسب درجة سبقها اما الثلاث الاخيرة فليس لها حظ ويكون ما دفع عنها من رهان من حظ السبع السابقة . وكانوا يسيرون السابق الاول الجلي والثاني المصلي والثالث المسلي والرابع التالي والخامس المراتج والسادس العاطف والسابع المؤمل والثامن

(١) انظر تفسير الخازن لاية البقرة ٢١٣

(٢) انظر بلوغ الاربع ج ٢ ص ١٠٢-١٠٣ والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٦٩

اللطيم والتاسع الوغد والعاشر السكيت . وقد استمرت هذه العادة الى ما بعد الاسلام حيث روي^١ عن محمد بن يزيد بن مسامة بن عبد الملك بن مروان شعر فيه الاسماء العشرة بتعديل خفيف هو اسم الخطي ثامناً واللطيم تاسعاً والسكيت عاشراً دون الوغد .

عنايتهم بالخييل وتمرسهم بالفروسية

ونستطرد الى القول ان العرب قبل الاسلام كانوا على ما تفيد الروايات يهتمون كثيراً لتربية الخيل وتضميرها^٢ وتمرينها على السبق وحفظ أنسابها وأنسابها حتى كانت الرجل منهم يبيت طاوياً ليشبع فرسه ويؤثرها على نفسه وأهله وولده . ولهم في أوصافها وما يحمدها وما يذم وفي مدحها وألوانها وشيائها مأثورات تدل في جملتها على شدة عنايتهم واهتمامهم بالخييل وعلى التمرس بالفروسية . وواضح ان ذلك متصل بحياتهم الاجتماعية وما كان من حروبهم وغاراتهم وغزواتهم دفاعاً وهجوماً . ومع انهم كانوا شديدي العناية بالسبق والرهان عليه فان ذلك في ذاته متصل بذلك أيضاً كما هو المتبادر .

ولقد شرف الله الخيل فأقسم بها في آيات سورة العاديات هذه « والعاديات ضبحاً . فالموريات قدحاً . فالمغيرات صبحاً . فأثرن به نقعاً . فوسطن به جمعاً^٣ . وفي احدى آيات سورة (ص) صفة من صفات الخيل المحببة وهي (الصافنات الجياد) التي تعني الخيل الجميدة التي من صفاتها ان تقوم على ثلاث قوائم وترفع احدى يديها حتى تكون على طرف الحافر^٤ .

وهناك احاديث تعزى الى النبي عليه السلام في الخيل^٥ منها حديث جاء فيه (الخيل

(١) بلوغ الاربع ج ٢ ص ١٠٣

(٢) التضمين هو الاحتفاظ بالفرس نخيلة نوعاً ما وتجنبيها السمكة

(٣) سورة العاديات ١-٥ والضح هو النفس الذي يخرج من الخيل اثناء جريها دون السهيل . ويقصد بالموريات قدحاً الاشارة الى الشرار الذي يتطاير من احتكاك ارجل الخيل بالصوان اثناء ركضها . والنقع هو التبار . والايات في وصف الخيل حينما تجري لتعبر على قوم ما .

(٤) سورة ص ٣١ انظر تفسير الاية في تفسير الطبري

(٥) في بلوغ الاربع ج ٢ فصل طويل عن الخيل هذه الاحاديث وما يأتي بعدها مقتبسة منه (انظر

ص ٧٦-١٢٣

معقود في نواصبها الخيز الى يوم القيامة) وحديث جاء فيه (بطونها كنز وظهورها حرز واصحابها معانون عليها) واستشار رجل النبي عليه السلام في صفة فرس يجب ان يشتريها فقال له (اشتر ادهم او كميث اقرح ارثم محجلا مطلق اليمين . فانها ميامن الخيل)^١

ومن مأثورات العرب في الخيل قول للشاعر الجعفي :

الخيز ما طلعت شمس وما غربت معلق بنواصي الخيل معقود
وقول لطفي الغنوي :

والخيل أيام فن يصطبر بها ويعرف لها أيامها الخير يعقب
وقول لميد :

معاقلنا التي نأوي اليها بنات الاعوجية^٢ والسيوف
وقول عنتره :

ويعننا من كل نفر نخافه أقب كسرحان الالباء ضامر
وكل سبوح في العنان كأنه اذا اغتسلت بالماء فتخاء كاس^٣
وقول ضبيعة العبسي :

جزى الله الاغر جزاء صادق اذا ما أوقدت نار الحروب
يقيني باللبان ومنكميه وأحميه بمطرد الكعوب
وأدفيه إذا هبت شمال بليل صرجه عند الغروب^٤

(١) الادم الاسود والكميت الاحمر الغامق والاقرح هو الذي في وجهه شبة دون الفرة والارثم هو الذي في طرف انفه يابض والخيل هو الذي في خلاخلة يابض فاذا كان البياض في ثلاثة خلاخيل ويمين النرس بدون حبال فيقال له محجل ثلاث مطلق اليمين
(٢) الاعوجية من اسباب الخيل المشهورة

(٣) الاقب دقيق الخمر ضامر البطن والسرطان هو اسم للذئب والالباء امة القصب له او الحلفاء والفتحاء انش العقاب والكاسر من صفات العقبات يعتمد ان الفرس الخيل الخاضع الشبيه بالذئب او الفتحاء الكاسرة في نجومها وطيرانها هي التي تسمى صاحبها مما يخافه
(٤) الاغر الفرس التي لها غرة واللبن الصدر ومطرد الكعوب الرمح والصرجه الريح الشديدة الباردة .

ولمشيات الخيل اسماء عديدة عندهم . فأول المشي هو (العنق) فإذا صار نزواً سمي (التوقص) فإذا مشت الفرس بخطو متقارب كأنها مثقلة من حمل سميت مشيتها (الذالان) فإذا مشت مشية خفيفة سريعة سميت (الذالان) فإذا راوحت بين يديها سميت مشيتها (الحب) فإذا رفعت يديها معاً ووضعتهما معاً فهو (التقريب) فإذا عدت كالثعلب فسميتها (الثعلبية) فإذا زادت فهي (الاحضار) فإذا زادت فهي (الجري) فإذا اضطرم الجري فهو (الاهداب) فإذا اشتد فهو (الالهاب) .

واحب ألوان الخيل عندهم الكمنة والحمة والحوة . والكمنة حمرة غامقة والحمة إذا اشتدت الحمرة غموقاً والحوة الخضرة الضاربة الى السواد . ويقال لذي اللون الأول الكمين والثاني الاحم أو الادهم والثالث الاحوى وإذا كان وجه الفرس ضارباً الى السواد وجماعه (شفاهه) أشد سواداً تسمى (دغماء) وإذا كان غير ناصع الحمرة وابتضت حدقاته سمي (المغرب) والفرس الشقراء هي الفرس الحمراء فاتحة اللون . والفرس الصفراء هي الشقراء الذي يكون ذنبه وعرفه أشقرين أيضاً . وبياض الجبهة (غرة) فإذا صفرت فهي (قرهة) وإذا استطالت فهي (شمراخ) وإذا انتشرت فهي (شاذخة) و (الابلق) هو كل لون خالطه بياض وإذا ابيضت اليد فهو (أعصم) وإذا ابيضت الرجل فهو (أرجل) وإذا ابيضت الخلاخيل فهو (محجل) .

وقد روى مؤلف بلوغ العرب^١ وصف خمس فتيات لأفراس آبائهن بأسجاع غريبة الالفاظ متقاربة المعاني والرواية مصنوعة على الأرجح غير أنها تدل على ما كان يتداوله العرب من صفات الخيل الاصلية المستحبة وهي أن يكون جلدها أملس ناعماً وبطنها واسعاً وتنفسها سهلاً وبصرها حاداً ومشيتها مريحة وخدها أسيلاً ومنخراتها رحيين وجبهتها واسعة وساقاها قصيرين وفخذاها طويلين ورسغها غليظاً ورأسها وعنقها مرتفعين وفقرات ظهرها متقاربة ومؤخرتها مدورة وشداها واسعين وعنقها دقيقة وشفاها رقيقة ومفاصلها متينة ومحازمها غليظة وسنابكها مرتفعة وحوافرها صلبة وصهيلها رناناً .

وقد لاحظوا ما في الخيل من عيوب أيضاً حتى بلغت المئة^٢ ووصفوا كل عيب بوصف من ذلك (الاخدي) المسترخي اصول الاذنين على الحدين و (الامر) الذي ذهب شعر

(١) ج ٢ ص ٨٢ وبعدها

(٢) ج ٣ ص ٣٤٨ وبعدها

فأصيته و (الأسقي) الخفيف الناصية و (الآغم) الذي تغطي فاصيته عينيه و (الأسف) الذي في فاصيته بياض و (الاحول) الذي أبيض مؤخر عينيه وغار السواد من مآقيه و (الآزرق) الذي في إحدى عينيه بياض أو فيها و (الآقني) الذي في أنفه أحديداب و (المغرب) الذي أبيضت أشقار عينيه وضربت إلى الزرقة و (الآدن) الذي يكون عنقه واطناً عن أصله و (الآهنع) الذي يكون عنقه واطناً من وسطه و (الآقصر) الذي في عنقه قصر و (الآكثف) الذي في أعالي كتفيه انفراج و (الآزور) الذي تدخل إحدى لمحي زوره في صدره وتخرج الأخرى و (الآقص) الواطيء الصلب من الصهوة و (الآبرخ) الواطيء الصلب والقطاة و (الآهضم) المستقيم الضلوع الذي دخل أعاليه و (الآفرق) الذي أشرفت إحدى وركيه على الأخرى و (الآرسح) وهو ما أسهل من جانب الورك و (الآعصل) الملتوي الذنب حتى يبرز بعض بطنه و (الآكشف) الذي التوى عسيب ذنبه على أعالي وركيه و (الآصبع) المبيض الذنب و (الآفصح) الذي تباعد كعباه و (الآصدف) الذي تدانى فراءه وتباعد حافراه و (الآمدش) المصطك بواطن الرسفين و (الآحنف) الملتوي الحافرين و (المكبون) القصير القوائم و (العش) الظاهر العظام و (السفل) الصغير الجسم .

وقد اشتهرت خيول عديدة في الجاهلية ومنها ما صار أصولاً لسلاسل تنسب إليها ويهتم أصحابها لنقاء سلالتها^١ . منها الأعوج الأكبر لقني ابن أعصر وهو أكثر الخيل ذكراً وفخراً وقد صار نسله أكثر الخيل أصالة وشهرة . ومنها الأعوج الأصغر لبني هلال بن عامر والأغر لبهاء بن قيس الكنانى والمهراء لعقل بن عروة والأحزم لنبيشة بن حبيب السلمي والبيضاء لقعب بن عتاب اليربوعي وبرجة لسنان بن حارثة المري والبريت لأياس بن قبيصة الطائي والبرحاء لعوف بن الكاهن الأسلمي وجروة لقعين بن عامر النمري وحومل لحارثة ابن أوس الكلبي والحسامية لميد بن حريث الكلبي وخصاف لسير بن ربيعة الباهلي ودعلج لعبد عمرو بن شريح والعراة لهيرة بن عبدمناف اليربوعي وغراف للهراء بن قيس والسفار لمحرت بن عباد وابن النعمانة لعنزة بن شداد ومرهوب لمجبع بن الطامح الأسدي وفاحح لسيويد بن شداد العبشمي ونحلة لسبيع بن الخطيم التميمي واليحصوم للنعمان بن المنذر وسكاب لمبيدة ابن ربيعة التميمي الذي روي أن أحد الملوك طلبها من صاحبها فأبى وقال فيها :

(١) بلوغ الأرب ج ٢ ص ١٠٤ وبعدها

ابيت اللعن ان سكاب علق . نفيس لا يعار ولا يبيع
منداة مكرومة علينا يباع لها العيال ولا تجاع
سلسلة سابقين تناجلاها اذا نسبا يضمها الكراع

ويحسن أن يضاف الى هذه السلسلة داحس لقيس بن زهير العبسي والغبراء لحل بن بدر
الغزاري وهما الفرسان اللذان تراهن صاحباهما على الدين بينهما وأدى الامر الى الحرب
المعروفة بحرب داحس والغبراء والتي امتدت طويلا وكثرت أيامها على ما شرحناه في
مبحث أيام العرب .

٦ - الغناء

والغناء من اللهو المتصل بالحياة الاجتماعية أيضا كل هو المتبادر .

وفي سورة الجمعة آية ذكر فيها اللهو في معرض التنديد ببعض المسلمين الذين اذا رأوا
تجارة أو هوا انفضوا اليها وتركوا النبي قالما . وقد فسر المفسرون اللهو بالطبل والمزمار
وروي ان قافلة تجارية قدمت فاستقبلت كالعادة بالطبل والمزمار فخرج كثير من في
المسجد^١ . والطبل والمزمار من وسائل الغناء .

وفي الكتب العربية بيانات موضحة وداعمة .

فقد روت كتب السيرة^٢ ان فريشا لما سمعت بخروج النبي عليه السلام والمسلمين قاصدين
التعرض لقافلة قريش التجارية الواردة من الشام بقيادة ابي سفيان جمعت جموعها وخرجت
لانتقاها فلما وصلت الى ماء بدر علمت ان القافلة نجت من المسلمين فأرادت أن تعود وأرجعها
فأبى أبو الحكم بن المغيرة الذي سمي في الاسلام بأبي جهل ما لم تنحرج الجزور وتشرب
الجزور وتغني القيان أي الغنيات فكان اصراره سببا من أسباب الاشتباك بين المسلمين
والمشركين ووقوع واقعة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون نصرا ميثا .

(١) آية سورة الجمعة ١١ انظر تفسيرها في تفسير الخازن وغيره

(٢) انظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٨

والرواية تفيد أنه كان هناك من يحترف حرفة الغنساء ويعني الناس في مجالس لهمهم
وخرهم وان من المحترفين نساء يدعين قيانا .

وقد مر في مبحث الأسوة ورواية ان ولائم الفرس كانت تقتون بالغناء والضرب على
الدفوف . والراجح ان المغنيات هن اللاتي يتولين ذلك .

وقد روي ان فتاة من المهاجرين تزوجت بأنصاري في حياة النبي فسأل النبي عليه
السلام عائشة رضي الله عنها أهدبتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال هل بعثتم من يعني
لها قال أو ما علمت أن الانصار يعجبهم الغزل . ألا بعثتم من يقول :

أتيناكم أتيناكم فحيونا فحيكم

والرواية من باب ما مر ذكره .

كذلك مما روي ^٢ أن النبي عليه السلام مر بجارية تغني قائلة :

هل عليّ وبكم ان هوت من حرج

فقال النبي عليه السلام لا حرج ان شاء الله .

ومما قاله مؤلف العقد الفريد ^٣ عزوا الى ابي المنذر بن هشام بن الكلبي ان الغناء عند
العرب كان على ثلاثة اوجه النصب والسناء والمزج . فأما النصب فهو غناء الركبان
والقيينات . وأما السناء فالثقل التجميع الكثير النغمات . وأما المزج فالخفيف الذي يثير
القلوب ويهيج الحليم . وان الغناء كان في أمهات القرى من بلاد العرب ظاهرا وفاشيا منها
المدينة والطائف وخيبر ووادي القرى واليمامة ودومة الجندل حيث كانت تقام اسواق
العرب ، وافى أول من غنى في العرب قينتان لعاد يقال لهما الجرادتان وكان من أدوات
الغناء المزهر والوبريط وهما نوعان من العود .

ومما ذكره مؤلف باوغ الأرب ^٤ عزوا الى اسحق الموصلي احمد مشاهير المغنين في
صدر الدولة العباسية زيادة عما ذكره العقد الفريد ان هناك نوعا من الغناء يسمى الغناء

(١) و(٢) العقد الفريد ج ٤ ص ١٠٧

(٣) ج ٤ ص ١٢٠

(٤) ج ١ ص ٣٦٩ - ٣٧٠

الجنابي اشتقه رجل من كلب اسمه جناب بن عبد الله بن هبل فنسب اليه وانه كانت أصل
الخداء كله وكله يخرج من الطويل في العروض وان المزج هو الخفيف الذي يرقص عليه
ويمشي بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الخلوم . وبما رواه المؤلف نفسه ان اول ما
كان من الغناء عند العرب الخداء وان اول من رجّع الخداء مضر بن نزار بن معد بن عدنان .
فقد سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول وايداء وايداء وكان أحسن خلق
الله صوتاً فأصغت اليه الابل وجدت في السير فجعلت العرب تقمه مثالا يحذون به إبلهم .
وهناك رواية تذكر الاولية في الخداء لغلام رجل من مضر وليس لمضر بالذات ١ .

كذلك مما ذكره هذا المؤلف أنه كان هناك نوعاً آخر من الغناء يسمى التغبير لأنه
كان يخرج من الفم بمنزلة الغبار ٢ .

ومما يكن من أمر فظاھر بما تقدم أن العرب قبل الاسلام عرفوا الغناء على أنواع
ومارسوه ومنهم من احترفه وكان عندهم بعض أدواته كالعود والدف والطبل والمزمار الخ .

وفي الشعر العربي مجوز غنائية الذبارة مما كان ينسج على منوالها قبل الاسلام على الأرجح
ومن المحتمل جداً ان الشعر الذي كان ينسج على منوالها بما كان يفنى به .

منها المجزوء المنوع من العقل الضرب السالم الذي تقطيعه :

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

وهذا شعر على منواله يؤيد ما نقول :

غزال زانه الحور وساعد طرفه القدر
يريك إذا بدا وجهاً حكاك الشمس والقمر
براه الله مسن نور فلا جن ولا بشر ٣

ومنها الضرب المجزوء الذي تقطيعه :

متفاعلتن متفاعلتن متفاعلتن متفاعلتن

وهذا شعر على منواله :

قل ما بدا لك واقفل واقطع حبالك أوصل

(١) و(٢) بلوغ الارب ج ١ ص ٣٦٩-٣٧٠

(٢) المقدم الفريد ج ٤ ص ٧٢ والشعر ليس جاهلياً على ما هو المتبادر غير ان العرب في الجاهلية قد
نسجوا ولا ريب على منواله لان البحر من البحور التي كانوا ينسجون على منوالها .

هَذَا الرِّبْعُ فَتَحِيهِ	وَأَنْزِلْ بِأَكْرَمِ مَنْزِلٍ
وَصِلْ الَّذِي هُوَ وَاصِلٌ	فَإِذَا كَرِهْتَ فَبَدِّلْ
وَإِذَا نَبَّاسُكَ مَنْزِلٌ	أَوْ مَسْكَنٌ فَتَحْوِلْ ^١

ومنها الجزوء المنوع من القبض الذي تقطيعه :

مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن
---------	---------	---------	---------

وهذا شعر على منواله :

أَيَا مَنْ لَامَ فِي الْحُبِّ	وَلَمْ يَعْلَمْ جَوَى قَلْبِي
مَلَامَ الصَّبِّ يَقْوِيهِ	وَلَا أَغْوَى مِنَ الْقَلْبِ
فَإِنْ لَمْتُ فِي هِنْدٍ	مُحِبًّا صَادِقَ الْحُبِّ
وَمَا يَلْقَى لَهَا شَبَهَ	بَشْرٍ لَا وَلَا غَرْبِ
إِلَى هِنْدٍ صَبَا قَلْبِي	وَهِنْدٌ مِثْلُهَا يَصْبِي ^٢

ومنها الضرب الجزوء الذي تقطيعه :

فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن
---------	---------	---------	---------

وهذا شعر على منواله :

يَا هَلَالًا قَدْ تَجَلَّى	فِي ثِيَابِ مَنْ حَرِيرٍ
وَأَمِيرًا	قَاهِرًا كُلِّ أَمِيرٍ
مَا لِحَدِيكَ اسْتَمَارًا	حِمْرَةَ الْوَرْدِ النَّضِيرِ

ومنها العروض الجزوء الضرب الذي تقطيعه :

فاعلاتن	مستفعلن	فاعلاتن	مستفعلن
---------	---------	---------	---------

وهذا شعر على منواله :

مَا لَيْلِي تَبَدَّلْتُ	يَعْدُنَا وَدَ غَيْرُنَا
أَرْهَقْتُنَا مَلَامَةً	بَعْدَ إِضْطِحَاحِ عَذْرَانَا
فَسَلَوْنَا عَنْ ذِكْرِهَا	وَتَسَلَّتْ عَنْ ذِكْرِنَا
لَمْ نَقْلُ إِذْ تَحَرَّمَتْ	وَاسْتَهَلَّتْ بِهَجْرِنَا

(١) المصدر نفسه ص ٧٥ وما قلناه عن الشعر السابق يقال عن هذا

(٢) « ٧٦ « « «

ليت شعري ماذا ترى ام عمرو بأمرنا ١
ومنها الضرب المعصوب الذي تقطيعه :
مفاعلاتن مفاعلين
وهذا شعر على منواله :

وبدر غير محروق من العقيان مخلوق
إذا استقيت فضلته مزجت بريقه ريق
فيالك عاشقاً يفي بقية كأس معشوق ٢
ومنها الضرب المجزوء الذي تقطيعه :
فاعلاتن فاعلاتن
وهذا شعر على منواله :

يا هلالاً قد تجلى في ثياب من حرير
وأميراً قاهراً كل أمير
ما تخديك استعاراً حمرة الورد النضير ٣

وفي الكتب العربية روايات عن الغناء في الحجاز في القرن الاول الهجري بل في عهد الخلفاء الراشدين تدل على أنه كان مألوفاً عديد الادوات والفنون وان بعض رجال قريش البارزين قد برعوا فيه واشتهروا وانه نشأ طائفة من المغنين والمغنيات كان لبعضهم شهرة كبيرة .

ولا نشك في أن ذلك كان امتداداً تطوريا لما كان عليه الغناء قبل الاسلام .
وبما روي ان أحد بني سهم القرشيين واسمه ابن جامع كان من الذين برعوا وغنوا للملوك وأخذوا منهم الجوائز السنية ٤ . وان تاجراً من العراق أتى الى المدينة بحجر بيض وسود فنققت البيض وكسدت السود فشكا أمره للشاعر الدارمي المخضرم فصنع أبياتاً وأعطاهما لصديق له من المغنين فغنى بها فشاع الغناء وسارعت الفتيات الى شراء الحجر السود فاثراً بذلك والأبيات هي :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى خطرت له بباب المسجد
ودي عليه صلاته وصيامه لا تقتليه بحق دين محمد ٥

(١) (٢) (٣) نفس المصدر ص ٨٥ و٧٣ و٨٠
(٤) المقدم الفريد ج ٤ ص ١٠٨ (٥) نفس المصدر ص ١١٢

وأن عروة بن اذينة من التابعين المحدثين كان ي صوغ الألحان والغناء على شعره في
حدثاته وينحطها للمغنين^١ وبما يعزى اليه من الاصوات .

قالت وأبنتها وجدي وبجت به قد كنت عندي تحت الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصري

وان عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن ابي بكر
الصديق المعروف بابن عتيق كانا ممن برعوا في الغناء واشتهروا به وقد زار الاول معاوية
وألح عليه حتى أسمعه بعض غنائه المطرب^٢ وان الثاني غنى لعمته عائشة أم المؤمنين رضي
الله عنها^٣ ، وانه اشتهر من المخترفين بمهنة الغناء طويس الذي أدرك عهد عثمان بن عفان
رضي الله عنه والدلال ومعهبد وابن معاذ ونويرة الضحى وابن سريح وابن بديع^٤ .

على اننا مع ذلك كله نتساءل عن حكمة عدم ذكر الغناء ومجالسه في القرآن في عداد
المتع التي أعدها الله للمسلمين في الآخرة كما ذكرت الخمر ومجالسها الانيقة بشيء من الاطياب
على ما مر شرحه في بحث الخمر ونقول ان هذا قد يسوغ القول ان الغناء وفنونه لم تكن
على درجة من الرقي تثير في الناس الرغبة الشديدة في الاستمتاع بها .

(١) المصدر السابق ص ١١٢ (٢) نفس المصدر ص ١١٤ (٣) نفس المصدر ١١٦ (٤) نفس

المصدر ١٢٠-١٢٣

رابعاً

الحالة الدينية

في شمال الجزيرة في هذا الدور

في القرآن فصول عديدة وفي الكتب العربية روايات كثيرة عن ما كانت الحالة الدينية في شمال الجزيرة في هذا الدور

الشرك

والمستفاد منها ان العرب قبل الاسلام كانوا في الاجمال مشركين على اختلاف مدى الشرك ومظاهره . أي انهم كانوا يعترفون بوجود إله أعلى خالق الكائنات ومدبرها على تفاوت في ذلك متسق مع تفاوتهم في الحضارة والثقافة مع اشراك شركاء متنوعي الماهية معه في الاتجاه والدعاء والعبادة والاستشفاع^١ .

الملائكة والجن

ولقد كانوا يعتقدون بوجود الملائكة كقوى غير مرئية خيرة بارة . وكانت لهم في أذهانهم صور فخمة وكانوا يعتقدون انهم بنات الله وذوو حظوة لديه وشفاعتهم مقبولة عنده . وأنهم في السماء عند الله وحوله يساعدونه ويقومون بمختلف الاعمال والمهام . وكانوا يشركونهم في العبادة والدعاء كشفعاء عند الله ليقربوهم اليه زلفى ويضمنوا قضاء حاجاتهم ومطالبهم عنده ودفع الأذى والضرر عنهم على ما قررته آيات قرآنية عديدة . وكانوا

(١) اقرأ مثلاً آيات سورة يونس ١٨ والمؤمنون ٨٤-٨٩ والزخرف ٩-٢٠ و٨٧ والزمزم ٤-٣ والعنكبوت ٦١-٦٦ والنحل ٥١-٥٥ والانعام ٢٢-٢٤ و ٤٠-٤١ ولقمان ٣٢ و اقرأ كتابنا عصر النبي عليه السلام ويثبت قبل البعثة ص ٣١٩ وما بعدها

أنفسهم في هذه العقيدة أهدي من النصارى الذين اعتقدوا ان المسيح ابن الله مع انه ولد وعاش ومات إنساناً على ما حكته عنهم بعض هذه الآيات ١ .

وكذلك كانوا يعتقدون بوجود الجن كقوى خفية شريرة ومؤذية وقادرة على التشكل بأشكال متنوعة وعلى القيام بالأعمال الجسيمة وعلى الصعود الى السماء وسوقه الاخبار منها ويخافونهم ويدفعون عنهم أذا هم بالعبادة والدعاء على ما قررته آيات عديدة أيضاً ٢ .

الاصنام

وكان لهم على ما تقيده الآيات القرآنية والروايات العربية والنقوش أصنام وأوثان وأنصاب منها المخلق ومنها غير المخلق ومنها الحجري ومنها المعدني والحشي ومنها الشجر ومنها ما كانوا يتخذونه معبودات خاصة أو حماة للقبيلة أو لمجموعة من القبائل ومنها ما كان مشتركاً أو عاماً لمجموعة كبيرة من القبائل أو لأهل الاقليم . ومنها ما كان مخصصاً لطلب من المطالب والمستفاد من الروايات وبعض الآيات أنهم كانوا يعتبرونها رموزاً مادية لألهم السماوية والحفية وأن أرواح هذه الآلهة تحل فيها فتغدو أهلاً للتعبد والاستشفاع وقادرة على النفع والضرر والحماية ٣ .

ومن أصنامهم التي ذكرت في القرآن اللآة ومناة والعزى . وقد قيل في تفسيرها إن اللآة مؤنث الله والعزى مؤنث الاعز ومناة مفعلة من النوء وكانوا يستطرون بها . ولقد تعددت الاقوال في هذه الاصنام . فما قيل ١ - انها كانت مخلقة ومنصوبة في فناء الكعبة ٢ - ان مناة هي أقدم الثلاثة وكانت نصباً منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلا في

(١) اقرأ آيات سورة الانبياء ٢٦-٢٩ والمؤمنون ٩١-٩٢ والفرقان ١٧ والزخرف ١٥-٢٠ والنحل ٥٦-٥٩ وسبأ ٤٠-٤١ والزمزم ٣-٤ والنجم ١٤-١٩ واقرأ كتابنا المذكور آنفاً ص ٣٥٤ وبعدها

(٢) اقرأ آيات الانعام ١٠٠ و١٢٨ والصفات ١٥٨ وفصلت ٢٩ والجن ١-٦ وسبأ ٤١-٤٢ واقرأ كتابنا المذكور آنفاً أيضاً ص ٣٧١ وبعدها

(٣) اقرأ آيات سورة الحج ٣١-٣٩ والمائدة ٩٠ والمآرج ٤٣-٤٤ والاعراف ١٩٠-١٩٨ والنجم ١٥-١٩ واقرأ كتابنا المذكور آنفاً ص ٣٣٩ وبعدها

قديد بين المدينة ومكة وكان الاوس والخزرج أكثر العرب تعظيماً لها واختصاصاً بها . ان الالة كانت صخرة مربعة في الطائف وكان أهل الطائف أكثر العرب تعظيماً لها واختصاصاً بها . ان العزى هي أحدث الثلاثة وكانت شجرة بوادي نخلة على بعد تسعة أميال من مكة . وكانت قريش وكنانة أكثر العرب تعظيماً لها واختصاصاً بها . وبما قيل ان هذا الصنم كان من الاصنام المعظمة عند جميع العرب ^١ .

وذكر الاصنام في آيات مبكرة في النزول وفي وقت لم يكن النبي عليه السلام اتصل بعد بخارج مكة وبأسلوب الخطاب الموجه الى قرييين أو الى أول سامعي القرآن وهم المكيبون يمكن أن يفيد ان هذه الاصنام كانت في مكة ومن معبودات المكيبين . ولقد روي ^٢ ان قريشاً كانت تطوف بالكعبة تهتف بأسمائها وتقول « والالة والعزى ومناة الثالثة الاخرى . انهن الغرائيق العلى . ران شفاعتهن لترجى » . وهذا لا يمنع ان تكون معبودات لغيرهم أيضاً . ولقد استفاضت الكتب العربية بأسماء أشخاص ينتسبون اليها بالعبودية مثل عبد العزى وعبد مناة وعبد الالة . وكان من الذين تسموا بهذه الاسماء جميعها رجال من قريش مما قد يكون فيه دليل على ما قلناه .

والآيات التي ورد فيها ذكر هذه الاصنام وما بعدها تلهم ان العرب كانوا يعتبرونها رموزاً مادية للملائكة الذين كانوا يتخذونهم شفعاء ويشركونهم مع الله في العبادة . وقد كانوا يعتقدون ان الملائكة إناث وانهم بنات الله فأثروا رموزهم المادية تبعاً لذلك .

ومن الجدير بالذكر ان اسماء الاصنام الثلاثة قد قرئت في نقوش ثمودية ونبطية وبابلية وصفوية وتدمرية بصيغ « اللاتو » و « منوتو » و « عزيزو » ^٣ مما يسوغ القول ان تخريج الاسماء على طريقة العربية الفصحى قد كان في دور العروبة الفصحى وحسب وانها مسميات قديمة لمعبودات عربية قديمة اشترك في عبادتها عرب الشمال والجنوب والعراق في دور العروبة غير الصريحة ثم استمر الى دور العروبة الصريحة ، وتطور تخريجها ومفهومها حتى صارت تخرج على انها مؤنث الله والاعز والنوء حتى صارت تعد رموزاً للملائكة . ولقد ذكر القرآن خمسة أصنام أو مغبودات أخرى منسوبة الى نوح عليه السلام

(١) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٥ ص ٨٩-١٠٢ وانظر عمر النبي وبيئته قبل البثنة ص ٣٣٩ وبمدها

(٢) جواد علي ج ٥ ص ٩٦

(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٥ ص ٨٩-١٠٢ وج ٣ ص ١٣٠

وهي ودّ وسواع ويعقوث ونسر^١ . وبما ذكرته الروايات العربية انه كان لقبيلة هذيل صنم اسمه سواع ولهمدان صنم اسمه يعقوث ولذبح صنم اسمه يعقوث ولكلب صنم اسمه ود والذي الكلام صنم اسمه نسر كما ورد في الكتب العربية أسماء كثير من رجال عرب شمال الجزيرة ينتسبون بالعبودية لهذه المعبودات حيث يستأنس بهذا على ان هذه المعبودات كانت أيضاً من معبودات أو أصنام العرب في هذه المرحلة . والامحة العربية القديمة بادية على الأسماء . واقدريه بعضها أي ود ويعقوث في نقوش لحائية وتمودية مما فيه دلالة على ذلك^٢ .

وبما ذكرته الروايات ان ودأ كان على صورة امرأة ويعقوثاً على صورة أسد ويعقوثاً على صورة فرس ونسراً على صورة الطائر المسمى باسمه . وفي الروايات أشياء أخرى عن هذه المعبودات وأشكالها وأماكنها والقبائل التي كانت تشترك في عبادتها صرفنا النظر عن إيرادها لأن فيها كثيراً من التضارب والاختلاف^٣ .

عبادة الكواكب

وفي القرآن آية تنهى السامعين العرب عن السجود للشمس والقمر^٤ حيث يسوغ القول ان من العرب من كان يتعبد للشمس والقمر . والآية تلهم أنهم كانوا يفعلون ذلك من باب الشرك . وفي الروايات العربية^٥ اسم عبد شمس لعدد من رجال قريش وغيرهم . وفيها أيضاً ان كنانة كانت تعبد القمر وقيما كانت تعبد الشمس . وقد صنعت هذه تمثالا للشمس وضعته في بيت خاص .

وعبادة الشمس والقمر أصيلة في الجنس العربي في دور ما قبل العروبة الصريحة في جنوب الجزيرة والحلال الخصب ووادي النيل على ما شرحناه في الأجزاء الأربعة السابقة . والعرب القدماء عبدوا غير القمر والشمس من الكواكب أيضاً . وقد ذكرت الروايات

(١) سورة نوح

(٢) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٥ ص ٨٣ - ٨٧

(٣) سورة فصلت « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس والقمر واسجدوا

لله الذي خلقهن ان كنتم ايها العبدون »

(٥) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٥ ص ١١٢ - ١١٣

أن عرب الشمال في هذه المرحلة فعلوا ذلك أيضاً حيث ذكرت^١ أن منهم من كان يعبد
الدبران ومنهم من كان يعبد الشعري ومنهم من كان يعبد الثريا التي هي على الغالب
الزهرة أي عشتار وعشتروت وعثر في اللهجات العربية القديمة .

عبادة النار

ولقد ذكرت بعض آيات القرآن المجوس^٢ . وهم عبدة النار حسب المفهوم المتواتر .
ولقد ذكرت الروايات العربية^٣ أن بعض أهل بلاد البحرين وعمان واليامة كانوا
يدينون بالمجوسية قبيل الاسلام بل وكان بعض قبيلة تميم تفعل ذلك ، حيث يفيد هذا
أن النار أيضاً من جملة ما تعبد به عرب شمال الجزيرة مع الترجيح أن ذلك قد جاءهم من
الفرس الذين كانوا أصحاب سلطان ونفوذ في الانحاء المذكورة .

اسماء اصنام اخرى

وفي الكتب العربية أسماء عدد كبير من أصنام العرب غير ما ذكر في القرآن مع
بيانات متنوعة حولها فيها الغث والسمين والاختلاف كالعادة .

فمن الروايات^٤ أنه كان لقريش صنم اسمه هُبَلٌ موضوع في جوف الكعبة أو في
فنائها وأنه كان من العقيق الأحمر على شكل إنسان وقد كسرت يد من يديه فصنعت
قريش له يداً من ذهب ، وأن عمرو ابن لحي ملك الحجاز الخزاعي الذي يقال أنه أول من
سن سنة عبادة الاصنام هو الذي احضره من بلاد الشام حيث رأى أهلها يستسقون به .
وكان العرب يستخيرون عنده بالاقداح أي السهام ، وكان هناك سهام مكتوب عليها
عبارات بالأمر بالشيء والنهي عنه أو عبارات ملصق وصريح فاذا احتاروا في اختيار أمر
أو استشكلوا في نسب ولد ذهبوا إلى الصنم فأعطوا سادته هدية وطلبوا منه إجراء

(١) نفس الجزء ص ٣٦٧-٣٦٨

(٢) سورة الحج الآية ١٧

(٣) جواد علي ج ٥ ص ٣٦٣-٣٦٤

(٤) انظر جواد علي ج ٥ ص ٩٥-١١٩ لجميع ماورد في هذا البحث من اسماء الاصنام

الاستخارة فيما احتاروا فيه واستشكلوه .

وبما ذكرته الروايات اسني اسف وناثلة كصنمين من أصنام مكة أيضاً . كما
منصوبين على صخري الصفا والمروة وكانت القرابين تذبح عندهما . والروايات تقول انها
على صورة رجل وامرأة وانها بمسوخان عن رجل وامرأة ارتكبا الفاحشة في الكعبة
ففسخا فنصبا على الصخرتين ليعتبر الناس بهما .

ومن أصنام العرب التي وردت أسماؤها في الكتب العربية (عم انس) صنم قبيلة
خولان و (ذو الخلصة) صنم خثعم وبجيلة وباهلة ودوس وأزد السراة وكان مروة



صورة الصنم مناف واسمه منحور على الحجر مع اسم صاحب الكتابة وهو (ابو معن)
نقلا عن الجزء الاول من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

بيضاء منقوشة عليها كهياة التاج بين مكة واليمن . وقد ذكرت الروايات ان العرب
جميعا كانت تعظمه وانهم كانوا يأتون اليه للاستخارة بالاقداح عنده ، و (سعد) صنم

بني مالك من كنانة بساحل جدة و كان صخرة طويلة وقيل انه قرب اليامة . و (ذو الكفين) صنم دوس و (ذو الشرى) صنم بني الحارث بن يشكر . واسم هذا الصنم قرىء في نقوش نبطية و (الاقيصر) صنم قضاة ولخم وجدام وعاملة وغطفان و كان في مشارف الشام وكانوا يحجون اليه ويخلقون رؤوسهم عنده و (نهم) صنم مزينة و (عائم) صنم أزد السراة و (سمير) صنم عنزة و كان الناس يحجون اليه ويطوفون حوله و (النيلس) صنم طي في جبل أجأ و (اليمبوب) صنم جديلة و (باجر) صنم الازد ومن جاورهم من طي وقضاة و (الجلسد) صنم كندة صخرة بيضاء يكاد يظن الناظر اليها انها صورة وجه انسان و (المحرق) صنم بكر بن وائل و (الشمس) صنم بني تميم وبني أد جميعهم و (تيم) صنم تميم و (أوال) صنم بكر وتغلب و (جهار) صنم هوازن وموضعه بمكاظ و (ذو الرجل) و (مناف) من اصنام الحجاز و (الضمار) صنم بني سليم و (العيبب) صنم قضاة و (عوض) من اصنام بكر بن وائل و (حلال) صنم فزارة و (حمام) صنم بني هند من بني عذرة و (المشقر) صنم بني عبد القيس و (نهيك) من اصنام مكة و (فراض) صنم سعد العشيرة و (رضو) و (جد) و (صم) و (كهل) و (هدد) و (ايل) اصنام ثمود التي قرئت في النقوش و (سمع) و (نصر) و (ذو غابة) اصنام لحيان التي قرئت كذلك في النقوش .

و كان العرب يضعون اصنامهم في بيوت او معابد . وقد روي ^١ انه كان في الكعبة حينما فتح النبي ﷺ مكة ثلاثمائة وستون صنما . و كان العرب يسمونها ببيت الله والبيت ويطوفون بها . والمتبادر ان ذلك كان بسبب حيروتها مكان رموز الآلهة اي الاصنام أو ما ترمز اليها . والذي يتبادر لنا اذا صحت رواية هذا العدد الكبير من الاصنام في الكعبة ان ذلك قد كان في ظروف غدو الكعبة محجاً لجميع العرب حيث جعل ذلك كل مدينة وقبيلة من قبائل العرب ومدنها في مختلف انحاء الجزيرة تصنع صنما لها فيها . ولقد روي ^٢ انه كان المسيح وامه مصورين على جدرانها الداخلية ايضا فاذا صبح هذا فقد يكون دليلا على ان نصارى العرب في الجزيرة وخارجها كانوا يشتركون في حج الكعبة فصوروا المسيح وامه فيها اسوة بما فعله العرب الآخرون من وضع اصنامهم ! ولقد كان من أهم

(١) جواد علي ج ٥ ص ٨٢

(٢) جواد علي ج ٦ ص ٢٦٠

معالم الكعبة الحجر الأسود الذي هو حجر صواني لامع مسطحه نحو سدس متر مربع .
ومن تقاليد العرب انه تزل من السماء فاعتبروه هدية سماوية مقدسة وتبركوا به وعظموه
ووضعوه في ركن بيت عبادتهم الأكبر وكانوا يقبلونه أو يلمسونه أو يومتون اليه كلما
طافوا بالكعبة . ومن المحتمل جداً أن يكون قطعة من نيزك رأوه نجر مضيقاً ويسقط في
مكان قريب من مكة فتعقبوه حتى وجدوه فأخذوه أو أخذوا قطعة منه ووضعوها في أحد
أركان الكعبة .

ومن بيوت الاصنام التي ذكرت في الكتب العربية ^١ بيت صنم تيم الشمس وبيت صنم
في تبالة وآخر في قديد وآخر عرف بالكعبات وكان حنجراً لقبائل بكر بن وائل وآخر في
جرش وآخر في دومة الجندل وآخر في المشقر . وإذا كان العدد المروي قليلاً فإنه لا يعني
انه كل ما كان هنالك من بيوت الاصنام . فمن الأرجح عندنا انه كان لكل أصنام العرب
المنقولة أي التي لم تكن صخرة ثابتة في الأرض أو شجرة بيوت ، وان اصنام أهل المدن
والمستقرين كانت توضع في بيوت أو كعبات مبنية وان القبائل كانوا يضعون أصنامهم
في خيام من جنس خيامهم وتنقلها معها في حلبها وترحالها .

ويستتبع وجود بيوت للاصنام وجود سدة لها . وقد ذكرت الروايات ^٢ أسماء
سدة كانوا يجنون أرباعاً حسنة من الهدايا والنذور التي تقدم إلى الاصنام حيث يبدو من
هذا ان السدانة كانت أمراً مهما دينياً واقتصادياً فكان لا يحظي بها على ما هو المتبادر إلا
الأمر والبيوتات القوية في المدينة أو القبيلة . وكانت هذه الأسر تحرص على الاحتفاظ بها
فتنتقل من الآباء إلى الأبناء .

ومن ذكرت الروايات أسماءهم بنو عبد الدار سدة الكعبة وبنو شيان سدة بيت
الصنم في نخلة وبنو امامة سدة بيت الصنم في قديد وبنو صاهلة من هزيل سدة صنم سواع
وبنو الغطريف سدة صنم مناة وهؤلاء هم الذين ذكرت الروايات ما يجنونه من أرباح
حسنة من الهدايا والنذور التي تقدم إلى صنمهم . وكان بنو صرمة سدة للعزى . ولما
حضرت الوفاة السادن أفلح بن النضر أظهر حزنه خشية أن لا يتولى السدانة بعده شخص
قوي فتعهد له أبو هب بأن يخلفه على السدانة . وكان يسمى عبد العزى . وكان سدة ذي

(١) جواد علي ج ٥ ص ٧٥ وبعدها

(٢) جواد علي ج ٥ ص ٧٥ وبعدها

الخلصة امرأة من باهلة قاتلت مبعوث النبي ﷺ الذي أرسله لهدمه حتى قتل منها مئذرجل دفاعاً عنه ، وكان بنو بولان سدة بيت الفلس صنم بني تميم وكان بنو شكامة سدة بيت الجلسد صنم كندة وكان بنو عمر سدة المشقر صنم بني عبد القيس .

تعليق على مدى الشرك

هذا ولما كانت الصفة العامة لعقيدة العرب هي الشرك أي الاعتراف بالله مع اشراك شركاء معه في الدعاء والاتجاه فمن السائع أن يقال ان تعبد العرب للنار والكواكب والاصنام والجن والملائكة لا يخرج عن هذا النطاق على اعتبار ان الملائكة مقربون الى الله وذوو حظوة عنده وان الجن قوى مؤذية ضارة يجب اتقاؤها وعلى اعتبار ان الكواكب والنار من القوى الكونية الضارة النافعة على اعتبار ان الاصنام رموز مادية للمعبودات غير المادية أو للمعبودات السماوية .

ولقد وصفت الآيات القرآنية الشركاء بوصف الأنداد حيناً وبوصف الآلهة والارباب حيناً وبوصف الشفعاء والاولياء حيناً^١ . مما ينطوي فيه صور متنوعة لمفهوم مدى الشرك عند العرب بحيث يمكن ان يقال ان بعضهم كانوا يعتبرون شركاءهم وسطاء وشفعاء لهم عند الله وان بعضهم كانوا يعتبرونهم أكفأ وأنداداً لله وشركاء له في الكون العظيم وتديره لهم قدرة ذاتية على النفع والضرر والاعطاء والمنع والخير والشر .

والتبادر ان هذا مظهر من مظاهر التفاوت العقلي والثقافي بين المشركين وان الذين كانوا يعتبرون الشركاء شفعاء ووسطاء هم الطبقة النيرة التي تيسر لها ان تتصل بالعالم والكتابيين وان توقع عن اتخاذ الشركاء آلهة أصلية لها قدرة ذاتية بمائلة لقدرة الله وان لم تصل الى طور اساعة الاتجاه الى الله وحده ، قياساً على شؤون الدنيا والملوك من أنه لا بد من شفعاء ووسطاء لضمان قضاء الحاجات والرغائب . وقد كانت حوصلة الكتابيين تتسع لاتخاذ الملائكة والنبيين والقديسين شفعاء ووسطاء على ما تفيد بعض آيات القرآن^٢

(١) انظر آيات سورة البقرة ٢٢ و ١٦٥ وسورة يونس ١٨ وسورة الزمر ٣ و ٣٩ وسورة

الرعد ١٦

(٢) انظر آيات سورة آل عمران ٧٩-٨٠ وسورة التوبة ٣١

وعلى ما هو جار ومشاهد الى اليوم فيهم بل وفي كثير من المسلمين ولو على غير معنى
الشرك الصريح . فأما العوام والبدو خاصة فانهم كانوا دون ذلك يمتقدون في معبوداتهم
او في بعضها على الاقل قدرة ذاتية على الخير والشر والنفع والضرر مع معنى غير واضح عن
الله كإله أعظم ورب للأرباب .

وورود كلمات الشركاء والانداد والآلهة والشفعاء والاولياء في القرآن بصيغة الجمع
يمكن أن يدل على ان المشركين كانوا يعبدون شركاءهم سواء منهم الذين اتخذوا شركاءهم
أنداداً أم شفعاء اي انه كان للجماعة الواحدة شركاء غديدون في وقت واحد، وقد حكى
آيات في سورة (ص) تعجب المشركين وغيظهم من دعوة النبي ﷺ الى الله واحد كما حكى
آيات أخرى في سورتي الانبياء والفرقان استخفافهم بالنبي لأنه يذكر آلهتهم — بصيغة
الجمع — بما يكرهون وعندهم لأنفسهم لصبرهم وثباتهم وعدم تأثرهم بدعوته ^١ . ولقد
ذكرنا قبل ان العرب كانوا يأتون الى صنم هبل ليستخروا عنده وكانوا يذهبون الى صنم
مناة أو صخرة مناة ليستيطروا عندها وان كان لكل مدينة أو قبيلة صنم خاص بمثابة
حاميا بحيث يمكن ان يقال في تفسير التعدد انه كان هناك آلهة عوميون يشترك في عبادتها
اهل المنطقة جميعها وآلهة خصوصيون للجماعات الخاصة التي تجمع بينها وحدة الدم والسكنى
والى هذا فانه كان هناك الله او معبود لكل مطلب من مطالب الحياة الرئيسية فإذا
أرادوا المطر استقاثوا عند معبود وإذا أرادوا الاستشفاء استقاثوا عند معبود وإذا أرادوا
الاستخارة أجروها عند معبودهم جراً حيث كانوا يتوهمون ان تعدد مطالبهم يقتضي وجود
آلهة أو معبودات متعددة سواء أكان ذلك على معنى الاستشفاع أم على معنى القدرة الذاتية
حسب التفاوت العقلي والثقافي . وقد فعل هذا الجنس العربي في اليمن والعراق والشام ووادي النيل
في دور ما قبل العروبة الصريحة كما فعله غير العرب بما يدل على انه طور من أطوار التفكير
الديني . وقد كان هذا عميقاً الى درجة أن مظاهره ظلت مستمرة جارية في أشكال
متنوعة .

على ان من واجبنا مع كل ما ذكرناه ان ننبه الى ان القرآن أكثر من ذكر اشراك
العرب للملائكة أكثر من غيرهم من الشركاء بوصفهم بنات الله وباعتبارهم اصحاب الخطوة
لديه وشفعاءهم ووسطاءهم عنده حتى يمكن ان يفيد ذلك ان هذه العقيدة كانت هي
الغالبية السائدة ، وان السياق التي ذكرت فيه الالة والعزى ومناة — هي الوحيدة التي

(١) سورة ص ٥-٧ وسورة الانبياء ٣٦ وسورة الفرقان ٤١-٤٢

ذكرت في القرآن كمعبودات عربية بصرامة - يفيد أن هذه المعبودات كانت رموزاً مادية لللائكة^١ .

ومن الممكن أن يقال تعليقاً على ذلك أنه كان آخر طور من أطوار الشرك أو أنه كان طور الشرك الغالب في بيئة النبي عليه السلام الخاصة .

الصلاة

ولقد ذكر القرآن صلاة المشركين في آية سورة الأنفال ووصفها بالمكاه والتصدية اللذين فسرهما المفسرون بمعنى الصنير والتصنيق . ومما يكن من أمر فاستعمال الكلمة في مقامها يدل على أن كلمة الصلاة كانت تستعمل قبل الإسلام لتعبر عن طقس تعبدية كان يؤديه المشركون . ولقد ذكر السجود والركوع والقيام في آيات كثيرة ووجهه في بعضها الخطاب إلى المشركين تارة بالامر بالسجود والركوع لله وتارة بالتنديد لامتناعهم عن ذلك بما قد يفيد أن هذه الأشكال التعبدية بما كان يقع من المشركين أثناء أدائها طقسهم .

الصيام

ولقد جاء في القرآن أن الله كتب الصيام على المسلمين كما كتبه على الذين من قبلهم . ويفيد هذا أن الصيام كمعبادة مما كان معروفاً عند السامعين العرب المشركين بالإضافة إلى اليهود والنصارى . وقد روت الروايات العربية^٢ أن قريشاً كانت تصوم في جاهليتها يوم عاشوراء أي اليوم العاشر من المحرم وأنه كان يوم تجديد ستار الكعبة وأن النبي ﷺ صامه قبل بعثته .

(١) انظر آيات سورة النجم ١٩-٢٨ والزخرف ٩-٢٠ و٨١ و٨٢ و٨٧

(٢) انظر تفسير آيات الصيام من سورة البقرة في الخازن وجواد علي ج ٥ ص ٤٠٦

شهر رمضان

إن آيات سورة البقرة التي احتوت فرض صيام شهر رمضان ذكرت أنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن . والاحاديث الوثيقة المتواترة تقرّر ان الله سبحانه أنزل وحيه وقرآنه لأول مرة على النبي وهو معتكف في غار حراء في ليلة من ليالي رمضان حيث اعتاد النبي ﷺ في رمضان من كل سنة أن يعتكف في الغار المذكور كرياضة روحية يتفكر فيها وحيداً في آلاء الله ويتعبد له ^١ . ولقد روت الروايات ^٢ ان الورعين من قريش كانوا يفعلون مثل ذلك في بعض أيام رمضان . فهذا يسوغ القول ان الاعتكاف في رمضان كعبادة ذنيبة أو رياضة روحية مما كان يمارساً في بيئة النبي قبل البعثة . وهذا يستتبع القول أيضاً انه كان لشهر رمضان مزية دينية ما قبل البعثة وان كانت ضاعت عليها معرفة كتبها ومداهها .

يوم الجمعة

ولقد ذكر يوم الجمعة في القرآن بأسلوب يلهيهم بأن له خطورة قبل نزول الآية التي ورد ذكره فيها (انظر سورة الجمعة ٩-١١) واسم اليوم سابق للبعثة حتماً . وفي تسميته باسمه مفهوم لا ينكر بأنه يوم اجتماع وبأنه حينما سمي به قد توخى الدلالة به على حالة تجمعية ما ولقد ذكرنا قبل ان العرب كانوا يسمون يوم الجمعة باسم (العروبة) ولقد ذكرت الروايات العربية ^٣ ان كعباً بن لؤي رتب ومن اجتماعات عامة تقوم في هذا اليوم وبدل اسمه باسم الجمعة كما ذكرت ان اهل يثرب رأوا ان يتخذوا لهم يوماً يجتمعون فيه كما كان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فاختلفوا يوم الجمعة ^٤ . ويتبادر لنا ان تسميته

(١) انظر تفسير سورة الملق في كتب تفسير ابن الطبري وابن كثير . وانظر البخاري في باب بدء الوحي

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٧-٤٨

(٣) جواد علي ج ٥ ص ٢٤٦

اليوم وما توخى منها أعم مسن فطابق يثرب وأن في رواية ترونيب كعب بن لؤي في يوم العروبة اجتماعات عامة حقيقة ما . ولسنا نرى تدخلا في الروايات ولا بعداً عن الاحتمال والمعقول فقد تكون اجتماعات يوم الجمعة المسنونة سابقاً فداشملت فرأى أهل يثرب أحياءها أسوة باليهود والنصارى . ومما روته الروايات العربية^١ كذلك أن أسعد بن زرارة أحد زعماء يثرب المسلمين كان يصلي صلاة الجمعة بمن أسلم في يثرب قبل هجرة النبي عليه السلام اليها . والتعبير (كان يجمع) وأن النبي عليه السلام أقام صلاة الجمعة في حي بني عوف حينما قدم مهاجراً من مكة . والآية التي ذكر فيها يوم الجمعة ليست في صدد تشريع أولي باقامة الصلاة فيها وإنما هي في صدد تذكير بها وحث على المسارعة إلى شهودها وترك مشاغل الدنيا من أجل ذلك . وكل هذا قد يساعد على تأييد كون ذلك اليوم كان يوم اجتماع عام عربي لغاية دينية ما فرأى النبي ﷺ إحياءه في مكة لما فيه من فوائد أسوة بتقاليد الحج على ما سوف نذكره بعد ثم استمر على ذلك بعد هجرته ثم نزلت الآيات القرآنية في الحث عليه .

ولقد قلنا ان الاجتماع العربي في يوم الجمعة كان لغاية دينية ما اجتهداً منا بأن شهود الاجتماعات العامة ما كان ليفرض ويستجاب إلا إذا صبغت بصبغة دينية مقتبسة قياساً على ما كان من متنوع تقاليد الحج . والمتبادر ان بدعة اجتماع الجمعة هي مظهر من مظاهر ما كان يجيش في نفوس العرب من حركة دينية وقومية وفكرية كما انه كان لها أثر في تقوية ذلك . وإذا كان من المحتمل أن تكون الفكرة مقتبسة في أصلها من أهل الكتاب فالاستقلال العربي بارز فيها .

تقاليد الحج والاشهر الحرم والبلد المحرم والنساء

ولقد كان الحج من أهم تقاليد العرب الدينية قبل البعثة النبوية بأمد ما . ويمدنا القرآن وتفسيراته والروايات العربية معاً بصور عديدة عن تقاليد وخطورته العظيمة عند العرب من الناحية الدينية مع عظيم أثرها في النواحي الاجتماعية والاقتصادية أيضاً حيث يستدل منها على انها كانت من أهم تقاليدهم وانها كانت منذ عهد متقدم عن البعثة شاملة

(١) انظر تفسير سورة الجمعة في تفسير الخازن .

لجميع العرب في مختلف أنحاء الجزيرة وخارجها حيث كانت تفتد إلى مكة من كل صوب لهاوسها .

ولقد أوردنا في مناسبة سابقة ما قاله ديودور الصقلي من أهل القرن الثاني قبل الميلاد عن الكعبة وكونها مكان عبادة يحترمه جميع العرب حيث يدل هذا كذلك على قدم تعظيم العرب جميعهم لها وإقامتهم مناسكهم حولها .

وأما سلب بعض الآيات القرآنية ومضامين بعضها^١ تدل على أن معظم تقاليد الحج الإسلامية كانت جارية قبل الإسلام . وفي هذا ما يدل على ما كان لهذه التقاليد من عمق وخطورة .

ولقد انطوى في تقاليد الحج تقليدان عظيمان كانا يسبقان على الحج وموسمه الروعة والخطورة والأمن والقدسية ويدلان على ما كان للحج من تأثير في نفوس العرب وحياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية معاً قبل البعثة . أولهما تقليد أمن منطقة الكعبة التي هي منطقة مكة وتحريم القتال فيها في كل وقت ومهما كانت الأسباب . وثانيها تقليد الأشهر الحرم بحيث يكون القتال وسفك الدماء محظورين فيها . فبينما تكون الحروب مستمرة والغارات قائمة والناس مندفعين وراء ثاراتهم وأحقادهم وعصبياتهم يقف كل هذا حين دخول الناس منطقة الحرم أو حين حلول الأشهر الحرم تعظيماً واحتراماً ويصبحون في هدنة مقدسة شاملة . وقد بلغ التأثر من سفك الدم في منطقة الحرم أو في الأشهر الحرم إلى أن شمل الصيد أيضاً من الطيور والدواجن وذوات الأربع وصيد البحر لما في الصيد من معنى التحرش وسفك الدم وما في ذلك من انتهاك لحرمه الأشهر الحرم ومنطقة الحرم . والآيات تتضمن تقرير التقليدين بأسلوب يسمح عليها الخطورة ويفيد أنها قديمان وشاهدان^٢ .

ونحن في غنى عن الاسهاب في التنبؤ به خطورة هذين التقليدين وحكمتها البليغة ، وبالتالي بالطور العقلي والاجتماعي الذي وصل إليه العرب فكان من نتائجه هذه التقاليد في بيئة

(١) انظر آيات سورة الحج ٢٥-٣٧ وسورة البقرة ١٢٤-١٢٩ و ١٩٣-٢٠٠

(٢) ان سورة المائدة هذه « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد ما دمه حراماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون » تتضمن حل صيد البحر غير ان أسلوبها يفيد ان ذلك تشريع إسلامي لتخفيف عن المسلمين ولييسر الرزق والطعام للقادمين الى الحج من الانحاء الساحلية او الطريق الساحلية . وهي آية مدنية نزلت متأخرة حينما اخذ نطاق الدعوة الإسلامية يتسع ويشمل بعض أنحاء اليمن وروح الآية تدل أيضاً على تحول تقاليد الأشهر الحرم قبل نزولها لمناطق أبعد من منطقة الحجاز

ليس فيها سلطان نافذ ووازع والغارات والثارات وشريعة القوة والسلب لمن غلب سائدة والعصية على أنواعها قوية شديدة والأنفة والحمية متأصلتان ولأهل البيعة في الوقت نفسه حاجات كثيرة ممن سلع لا بد من جلبها وتجارة لا بد لها من مشتريين ومستهلكين ومستوردين . وزراع لا بد لهم من المبادلة على غلاتهم وثأورهم . وأعراب لا بد لهم من استيفاء حاجاتهم من ماعون وثياب ومن بيع ما يزيد عندهم من مواش وشعر ووبر وصوف وسمن . فإذا تكون حالهم لو لم تكن هذه الهدنة المقدسة . ولو لم يتيسر لهم بسببها وفي ظلها إقامة الأسواق العامة وشهودها . وكل هذا عبرت عنه آية سورة المائدة هذه « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والفلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وإن الله بكل شيء عليم »

وظاهر من روح الآيات القرآنية أن العرب كانوا يسبقون على حرمة البلد الحرام وحرمة الأشهر الحرم صفة تقديسية ويصبغونها بصبغة دينية . ولا نشك في أنهم كانوا يعتقدون بأن الإخلال بحرماتها وقداستها يحلب عليهم الشر والنحس والشؤم تبعاً لما كانوا يستهدفونه من تدينهم من جلب النفع ودفع الضرر، وأن هذا الاعتقاد كان الوازع المانع دون الإخلال بهذه الحرمات والقداسة .

والأشهر الحرم ليست معينة في القرآن . ولم يذكر القرآن إلا عددها وهو أربعة ٢ غير أن التواتر الذي لم ينقطع قد عيناها بصورة يقينية . وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والحرم . والأشهر الثلاثة الأخيرة هي أشهر الحج أما شهر رجب فقد روي أنه كان يسمى رجب مضر وأنه مشتق من الترجيب أي التعظيم . وقد ذكرت الروايات أن أهل مكة كانوا يحتفلون بعيد ديني لهم في رجب ٣ . فلا يبعد أن يكون هذا العيد في شهر رجب عيداً خاصاً بقبائل مضر أو قبائل الحجاز وأن يكون هذا هو أصل حرمة التيتمكنوا من الذهاب والإياب والقيام بمناسكهم وطقوسهم في ظل هدنة مقدسة دينية . وآية التوبة التي ذكرت عددها ذكرت بدون تفريق بينها في الحرمة والشمول بما قد يلهم أن حرمة رجب لم تبق قاصرة على قبائل مضر بل صارت عامة .

وليس في الروايات ما يساعد على معرفة أولية حرمة الأشهر الحرم . والمتبادر والمعقول

(١) قيام للناس يعني قوام حياة الناس

(٢) سورة التوبة الآية ٣٦

(٣) انظر جواد علي ج ٥ ص ٢٢٢ و ٢٣٧

ان تكون قد تقروا بعد نشوء الحج وتقاليد واسواقه وبعد نشوء الموسم الديني في رجب المضر ثم بعد ان أخذ نطاق موسم الحج يتسع ويند اليه العرب من أنحاء جزيرة العرب الاخرى ومن خارجها ايضاً اتجهاً منهم الى الحجاز الخارج عن السيطرة الأجنبية التي كانت سائدة في اليمن والشام والعراق ، وان يكون قد حدث احداث تأرية وعدوانية بين الناس أثناء هذه المواسم فاختل الامن وانقبضت وفود الحج عن مكة وكادت ان تتعطل مناسك الحج ومنافع الناس فحضر هذا ذوي النفوذ والنظر الشافق مسن الزعماء والرؤساء ففرضوا الهدنة المقدسة في زمن هذين الموسمين تمكيناً للناس من القيام بمناسكهم وشعائرهم وقضاء حاجاتهم في ظلها . ولعل ذلك كان من زعماء مكة أو مساعدهم . ويساعد على ترجيح ذلك ما كان مكة من مركز ديني محترم في نظر العرب وما كان من اهتمام عظيم لحرمه الاشهر الحرم ومنطقة الحرم عند زعماء مكة . ولقد وقع اشتباك دموي بين فضيلة من المجاهدين المسلمين بعد الهجرة النبوية الى المدينة بمدة قليلة وبين بعض المشركين الأعداء في يوم اشته به أنه أول شهر رجب المحرم فأثار زعماء المشركين في مكة دعاية قوية ضد النبي والمسلمين قائمة على تهمة اخلاصهم بحرمه الشهر الحرام حتى لقد اثر ذلك في المسلمين وفي النبي نفسه على ما تفيده بعض آيات البقرة .

ولقد ذكرت كتب السيرة والحديث ان زعماء مكة تعاهدوا بسبب حادث عدواني وقع على زائر من الزوار على ان لا يجدوا في مكة مظلوماً إلا قاموا معه على ظالمه وهو ما عرف بجلف الفضول الذي اثر ان النبي عليه السلام شهدده وأنه قال انه اذا دعى الى مثله لأجاب ٢ .

ولقد ذكرنا في سياق ايام العرب اياماً سميت بأيام الفجار لأنها كانت في الاشهر الحرم وفي منطقة الحرم . وكان زعماء قريش يسارعون الى فض النزاع حفظاً لحرمه المكات والزمان .

فكل هذا يدعم ما قلناه .

ولقد كان من بركات هذه الهدنة المقدسة ان اشتدت يقظة العرب وتوفرت فرص

(١) انظر الايات ١٩٤ و ٢١٧ وتفسيرها في تفسير الطبري وابن كثير وانظر سيرة ابن هشام

ج ٢ ص ١٩١-١٩٤

(٢) ابن هشام ج ١ ص ١٢٥

تلاقيهم بعضهم في مواسم الحج على اختلاف منازلهم وان اثر ذلك في تطور اللغة العربية وبلوغها ذروة الفصاحة مما نوهنا به في آخر الفصل الأول تنوعاً يعني عن التكرار .

ولقد ذكرنا في آخر الفصل الاول ان الروايات روت ان اسماء الشهور العربية لم تكن هي المتداولة اليوم والتي كانت متداولة قبل البعثة ، وان الاستبدال كان في ظرف طور اللغة الفصحى الذي تكامل خلال القرنين السابقين للبعثة . ونقول هنا انه مما يخطر بالبال استنتاجاً من اسماء الاشهر الفصحى ان هذا الاستبدال متصل بتوقيت شهور الحج لتكون في موسم الخريف وانه جرى في موسم الصيف فسمي رمضان باسمه الدال على وقت شدة القبط اي في آب . ويأتي بعد رمضان شوال الذي يكون في ايلول ثم ذو القعدة الذي يكون في تشرين الاول ثم ذو الحجة الذي يكون في تشرين الثاني ثم الحرم الذي يكون في كانون الاول وهكذا صارت اشهر الخريف اشهر الحج لأنها الزمن المناسب الذي يسمح للناس بالسفر دون ان يكابدوا مشقة الحر الشديد في ذهابهم وإيابهم وإقامتهم في الحجاز .

ولقد ابتدع العرب بدعة النسب أي تأخير الاشهر الحرم أو تقديمها . ومع ان الروايات ذكرت ان ذلك كان يجري بطلب من الناس ليتسنى لهم متابعة حروب بدأوها وتوقفت أثناء الاشهر الحرم فان الذي نرجحه ان ذلك كان من قبيل اساءة استعمال البدعة ، وانها في اصلها لضبط موسم الحج من حيث ان كل سنة قمرية تنقص ١١ يوماً عن السنة الشمسية فتختل بذلك دورة المواسم فرأى العرب ان يؤخروا شهراً في كل ثلاث سنين او يقدموا شهراً فيجعلوا بدء الاشهر شوالاً او نهايتها صفرأ حتى يظل موسم الحج في موسم الخريف

وقد كان اعلان النسب في العهد الاسلامي متوطناً بشخص من كنانة هو ابو ثامة جنادة ايرثاً عن ابيه عوف عن ابيه امية عن ابيه قلع عن ابيه عباد عن ابيه حذيفة الذي يروي انه اول من تولى مهمة اعلان النسب . ويبدو من التسلسل ان البدعة نشأت في ظرف استبدال اسماء الاشهر القديمة بأسماء الاشهر الفصحى مما قد يؤدي هدف هذا الاستبدال الذي ذكرناه . وقد روي ان ابا ثامة كان يقف في الناس في منى بعد عودتهم من عرفات فيقول اللهم اني لا اعاب ولا اخاب ولا مرد لما قضيت اللهم اني احللت شهر كذا من الاشهر الحرم وانسأته الى العام القابل .

يظل الامر في الاسلام على ذلك الى ان نزلت آية سورة التوبة (٣٧) التي

حرمة^١ . ويظهر أن مهمة إعلان النسيء كانت ذات شأن وفخر حيث اذتخر بعض شعراء بني كنانة الذين ينتسب اليهم حذيفة وبنوه فقال فيما قال :

ألسنا الناسئين على معد
شهور الحل نجعلها حراما

أما مناسك الحج القديمة التي استمر معظمها قبل الاسلام بعد تنقيتها من شوائب الشرك فهي :

١ - الوقوف في عرفة في اليوم التاسع من ذي الحجة . وكانوا يسمونه يوم الحج الأكبر^٢ حيث ينطوي في هذا أنه أهم طقوس الحج . وعرفة هذه منبسطة فسيح جداً من الأرض محاط بهضبات ويتسع للآلاف المؤلفة . ولعل سعة عرفة كانت سبباً في اختيارها لاجتماع الحجاج في صعيد واحد تتمثل فيه الأمة العربية التي وفد حجاجها من كل صوب . وقيل الغروب يفيض الناس من مكة إلى المزدلفة التي سميت في القرآن بالمشعر الحرام^٣ وهي بين عرفة ومنى . وكان من العادة أن لا يفيض الناس من عرفة إلا بعد إذن من شخص يتولى إعلان البدء بالأفاضة . وكانت المهمة خطيرة على ما يبدو . وكان يتولاها رجل من بني ثيم . ومن ذكرت الروايات اسماءهم صوفة ثم صفوان وهو الذي كان يتولى المهمة في بدء البعثة النبوية .

٢ - وتسمية المزدلفة بالمشعر الحرام تدل على أنها من الأماكن المقدسة الدينية عند العرب . وكان في سفح جبل ثبير . وبيات الناس في المزدلفة وفي الصباح يفيضون منها إلى منى . وكان من العادة أن يتولى الإذن بالأفاضة منها رجال أسرة من عدوات . وكان آخر من تولاه رجل اسمه أبو سيارة هميلة بن خالد العدواني . وما ذكرته الروايات أنه كان ينظر إلى أعالي جبل ثبير فإذا شاهد عليها أشعة الشمس الأولى نادى اشرق ثبير كما نضير ثم يأذن بالأفاضة . ومن المحتمل الذي يستنتج من الروايات أن قدسية المكان

(١) انظر بلوغ الأرب في أحوال العرب للالوسي ج ٣ ص ٧٠-٧٥ وقد روى المؤلف اسمي عمرو بن لحي الخزاعي كأول الناسئين كما ذكر اسم فقيم بن ثلبة . ولكن تبطل المهمة في أسيرة حذيفة الكلثاني إلى الاسلام قد يجعل رواية كونه أول من تولى المهمة أرجح . والتبادر أن حكمة تحريم النساء في القرآن هي إساءة استعماله وما فيه من تبديل معالم أعيان الحرمات .

(٢) انظر آية التوبة ٣

(٣) انظر آية سورة البقرة ١٩٨

بسبب وجود صنم أو بيت صنم في أعلى جبل ثبر . كان العرب يصعدون إليه للزيارة والتبرك .

٤- وكان الحجاج يفيضون من المزدلفة إلى منى فيمكثون فيها أيام العيد ويرمون خلالها ما كانوا يسمونه الحجرات . وهي حصوات محدودة العدد ترمى رمياً على بعض الأماكن في منطقة منى . ومن التقليد أن هذه الحجرات تلقى على أمكنة ظهر فيها الشيطان لأبراهيم عليه السلام حينما أخذ ابنه ليذبحه بناء على الرؤيا التي رآها والتي ورد ذكرها في سورة الصافات . وكانوا خلال إقامتهم في منى يعتقدون بحال الس الفاهرة والمناشدة الشعرية والخطابية . وفي منى كان يعلن المتولي للنساء أشهر من الأشهر الحرام على ما ذكرناه قبل . لأن منى آخر مكان يجتمع فيه الحجاج .

٥- وكان من أهم مناسك الحج الطواف سبع مرات حول الكعبة وكلما مروا بالحجر الأسود أو ماوا إليه أو لمسوه أو قبلوه للتبرك .

٦- ولقد كانوا يتأثمون من الطواف بشياهم المعتادة تخرجاً من أن يكونوا اقتربوا بعض الذنوب وهي عليهم أو تخرجاً من إقراراف بعض الذنوب بعد طوافهم بها . وكانوا يستأجرون مآزر ليضعوها على أجسادهم بعد خلع ثيابهم . وقد عرفت بالمآزر الاحمية لأن فريقاً من أهل مكة عرفوا باسم الاحامس هم الذين يعدونها ويؤجرونها . وكانت من لا يجد هذه المآزر أو لا يستطيع استئجارها يؤدي طقس الطواف عارياً سواء أكان رجلاً أم امرأة . لأن مثل هؤلاء إذا طافوا بشياهم حرمت عليهم ووجب عليهم طرحتها فكانوا يطوفون عارين ضناً بها ثم يعودون فيلبسونها .

ولعل هذا هو الأصل في الطقس الاسلامي الذي يوجب على المسلم ان يلبس ثياباً غير مخيطة أثناء طوافه بالكعبة وأثناء وقوفه في عرفة . وفي القرآن آيات تفيد ان هذا الطقس الاسلامي نوعان . واحد شامل يبدأ منذ بدء المسلم لرحلة الحج إلى أن ينزل من عرفة ثم يطوف ويسمى طوافه وسعيه الاخيرين حيث يظل لابساً غير المخيط الذي يسمى ثوب الاحرام . ونوع موقت يجب على المسلم ان يفعله حينما يدخل منطقة حرم مكة لأول مرة إلى أن يتم طوافه حول الكعبة ويسعى بين الصفا والمروة ثم يسمح له بلبس ثيابه العادية . وهذا يسمى العرة . ثم يوجب عليه ان يعود الى لبس ثوب الاحرام حينما يذهب إلى عرفة إلى أن ينزل منها ويعود إلى مكة فيطوف ويسمى ثم يحلق شعره أو يقصره

ويلبس ثيابه . وفي أثناء لبسه ثوب الاحرام يجب عليه أن يمتنع من التزين والتطيب
والعاشرة الزوجية . وليس في الروايات ما يفيد أن هذين النوعين كانا جاريين معاً قبل
الاسلام وإن كان هذا محتملاً .

وفي بعض الآيات ما يفيد ان من الممكن أن يقوم المسلم بطقس العمرة في غير موسم
الحج ايضاً . وليس في الروايات ما يفيد بوضوح أن ذلك كان جارياً قبل الاسلام وإن
كان محتملاً . ولعل الموسم الديني الخاص بمصر في شهر رجب المحرم الذي أشرنا اليه
سابقاً هو موسم أداء هذا الطقس . ولعل التقليد الاسلامي المعروف بالزيارة الرجبية
متصل بذلك او قرينة عليه .

٧- وليس في الروايات ما يفيد شيئاً واضحاً عن الاحساس إلا أنهم من قريش وكنانة
وبعض قبائل أخرى . والروايات تذكر أنهم كان لهم بعض المزايا والخصوصيات ،
ومنهم من يفيضون من عرفة والمزدلفة من طريق خاص بهم وإنهم كانوا يطوفون بالكعبة
ثيابهم المعتادة . ولا يلبسون الوبر والشعر ولا يستظلون بخيام من الجلد وكانوا في أيام
الحج لا يأكلون طعاماً مطبوخاً بالسمن والابن . وكانوا مرجع الناس في سنن الحج .
وقد تعني الكلمة « المتحسين » في الدين أو علماء الدين . وقد يفيد هذا انه كان للمشركين
طبقة من رجال الدين يرجع الناس اليهم في شؤونهم الدينية ويصدرون فيها ما يرون فينفذه
الناس ويتبعونه .

٨- وكانوا يسمعون بعد الطواف بالكعبة بين صخرتي الصفا والمروة اللتين كانت
المسافة بينهما نحو ٤٠٠ متر . وكان على كل منهما صنم تقرب عنده القرابين وهما صنما
اساف ونائلة على ما ذكرناه قبل .

٩- وكانوا حينما ينتهون من طقوس الحج يخلقون رؤوسهم أو يقصرون شعرهم
كعلامة للانتهاء من واجبات الحج .

١٠- وكان تقرب القرابين من الغنم والبقر والابل من أهم طقوس الحج . وكانوا
يسمون ما يقدرونه للتقريب منها باسم « الهدى » بمعنى الهداة الى الله او الى البيت .
وكانوا يضعون في رقابها قلائد من الجلد او الياف الشجر او الخيطان اعلاناً بأنها هدي
فتكون محرمة ومحترمة . وكان بعضهم يجرح هديه جرحاً خفيفاً ليسيل بعض دمه على
جلده اشارة الى انه هدي ويسمون ذلك اشعاراً والحيوان المشعور اي المروح شعيرة .

وكانوا يجرمون على أنفسهم أكل شيء من قرابينهم فيدعونهم للفقراء والوحش والطير ويلطخون جدار الكعبة بدمائها .

ولقد كانت هذه التقاليد قوية الرسوخ في العرب متصلة في الوقت نفسه بحياتهم الاجتماعية والعاشية . وكانت أو غدت مع الزمن شاملة لجميع العرب في الجزيرة وأطرافها على اختلاف نحلهم وعقائدهم ووسيلة من وسائل اجتماعهم في صعيد واحد في وقت معين من السنة تقام فيها الاسواق التي ذكرناها في مناسبة سابقة فيقضي الناس حاجاتهم من بيع وشراء ، وتنفذ فيه المجالس التحكيمية والقضائية فتحل فيها المشاك كل وتسوى المنازعات وتجري المصالحات بين المتنازعين والتجارين . ونقوم فيها المباريات الشعرية والخطابية فتسير بشعر النحول من الشعراء وخطب المصاقع من الخطباء الركبان ويحفظها الناس ويكتبونها وينسجون على مموالها فتتقارب اللهجات وتصفو اللغة ، فكان لكل ذلك الاثر القوي في تقريب العرب الى بعضهم وتوطيد التعارف والتعاون والانسجام بينهم ، وهذا مما يفسر حكمة ابقاء الاسلام هذه التقاليد بعد الفناء ما كان متناقضاً مع أسس الدعوة وأهدافها أو ما كان فيه قبح وفحش وتهديب الباقي تهذيباً يجعله منسجماً مع تلك الاسس والاهداف أو غير متناقض معها . ولقد ظلت منافع موسم الحج متحققة للمسلمين ومهبطاً وحياً لله معاً وهو ما عبرت عنه آية المائدة هذه « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والتملأ ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السماوات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم » وما عبرت عنه آية سورة الحج هذه « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام كلوا منها وأطعموا البائس الفقير » هذا بالإضافة إلى ما انطوى فيها من فكرة ومظاهر وسعة العرب التي كانت من أهداف الدعوة الاسلامية .

نذر ذبح الاولاد

ولقد كان من عادات العرب المتصلة بالحالة الدينية نذر ذبح بعض أولادهم إذا ما تحقق لهم مطلب عظيم . ولقد جاء في إحدى آيات القرآن إشارة إلى هذه العادة في هذا النص « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم » (سورة الانعام ١٣٧)

وهذا غير واد البنات خشية الإملاق الذي ذكرته آيات أخرى . وإنما هو طقس ديني كما تلهمه الآية . وما ذكرته الروايات العربية من هذا الباب قصة عبد المطلب جد النبي ﷺ التي تقص خبر نذره ذبح أحد أبنائه إذا بلغ عددهم عشرة حتى يقوى بهم ويحفر بئر زمزم لأنه منع من ذلك . وقد تحقق مطلبه وحفر البئر فاعتزم تنفيذ النذر ثم أشير عليه باستفتاء عرافة ففعل فأفنت بفداء الذي وقعت عليه القرعة وهو عبد الله والد النبي بعشرة من الأبل حيث تضرب القرعة من جديد على الأبل وعلى الولد ثم يزداد عدد الأبل عشرة فعشرة حتى تقع عليها القرعة وقد كان حيث وقعت القرعة على الأبل حينما بلغ عددها مئة ١ . ولقد ورد في القرآن قصة رؤيا إبراهيم عليه السلام التي تقص خبر رؤياه في المنام أنه يذبح ابنه فاعتبر ذلك أمراً ربانياً وهم يذبحه ثم فداه الله ٢ والذي نرجحه أن قصة إبراهيم وابنه بما كان يتناقضه العرب من قصص إبراهيم . وأن ما هم أن يفعل عبد المطلب إذا صحت قصته إنما كان بتأثير ذلك . وحتى لو لم تصح هذه القصة فإن آية سورة الأنعام هي نص قطعي على أن هذه العادة كانت جارية عند العرب بصفتها الدينية . ولقد ذكرت الروايات العربية ٣ حادثة وقعت في عهد النبي ﷺ حيث نذرت امرأة بنحر ابنها عند الكعبة أن فعلت أمراً ثم فعلته فهمت بتنفيذ نذرها فقال لها الناس إن الله قد نهي عن قتل النفس واقترحوا عليها تقديم فداء عن ابنها وذكروا لها قصة عبد المطلب المذكورة . وهذه العادة من العادات التي كان يمارسها الكنعانيون وغيرهم من الجنس العربي في الأزمنة القديمة . وقد ذكرنا شيئاً من ذلك في سيرة الكنعانيين والعبرانيين في الجزء السابق .

عادات دينية متصلة بالانعام

ولقد كان لهم في الانعام عادات مصبوغة بصبغة دينية :

- ١ - منها أنهم كانوا يشقون أذن الناقة التي تنتج خمسة بطون ويخنون سبيلها كأنما هم يعتقونها شكراً للاله فلا يركبونها ولا يحملونها ولا يجهزون وبها ولا يمنعونها من ماء وكلاً ولا يذبحونها . ويسمونها (البحيرة) اشتقاقاً من بحر بمعنى شق الأذن .

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٦٣-٦٥ وبلوغ الأرب ج ٣ ص ٤٦-٤٩

(٢) جواد علي ج ٥ ص ١٩٩-٢٠٠

٢- ومنها انهم كانوا إذا مرض لهم مريض أو عنت لهم أمنية أو طال غياب غائب عزيز نذروا عتق ناقة إذا ما شفي المريض أو تحققت الأمنية أو عاد الغائب . فإذا تم الأمر « سابوا » الناقة المنذورة وأعفوها من الركوب والحمل والذبح وجز الوبر ولم يمنعوها من ماء ولا كلاً وسموها « السائبة »

٣- ومنها انهم كانوا إذا ولدت الشاة أنثى لأول مرة لا يوقعون عليها نذراً وإذا ولدت ذكراً أوقعوا عليه النذر فإذا ولدت أنثى وذكراً في بطن واحد صارت حالة الذكر كالأنثى فلا يوقعون عليه نذراً وقالوا إن الأخت وصلت أخاها أي صانته وسموها « الوصلة »

٤- ومنها انهم كانوا إذا أنتج الفحل عشرة بطون اعتقوه شكراً للالهة وحرّموا ظهره ولحمه وتركوه يرعى ويرد الماء كما يشاء وسموه « حامياً » أي حمي ظهره .

وفي آية من سورة المائدة إشارة إلى هذه التقاليد فيها ما يفيد أنها متصلة بالحالة الدينية وهذا نصها :

« ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون » (١٠٣)

٥- وفي القرآن آيات أخرى تشير إلى عادات عربية في صدد الأنعام مصبغة بصبغة دينية .

آ- منها هذه الآية « وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليه افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون » سورة الأنعام ١٣٧

حيث ينطوي فيها حكاية تحريمهم أو وقفهم بعض الأنعام والزروع في ظروف فلا ينال منها إلا من يستثنون وحكاية تحريمهم استخدام بعض الأنعام في بعض الظروف وكانوا ينسبون ذلك إلى الله افتراء عليه . وكانوا إلى هذا يذكرون اسم شركائهم على الأنعام التي يذبحونها دون ذكر الله مع انهم كانوا يعتبرونه الإله الأكبر .

ب - ومنها هذه الآية « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم

حيث انطوى فيها حكاية نذرهم بعض الانعام والزروع لله ولشركائهم معاً . فإذا ظهر ان ما نذروه لشركائهم رديئاً في غلسته او جنسه وما نذروه لله جيداً فيها حولوا الرديء الى الله والجيد للانعام ولا يفعلون العكس . واذا شرع بعض الانعام او سقطت بعض الثمار والغلات المنذورة الى الله الى جهة ما نذروه لشركائهم ابقوه وقالوا ان الله غني عنه . واذا كان الشارد او الساقط من المنذور للأصنام أعادوه .

وكانوا ينفقون ما يندرونه لله على الضيوف وما يندرونه للشركاء على خدمة الاصنام وبيوتها وسدنتها .

ت - ومنها هذه الآية « وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة للذكورة ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم »

الانعام ١٣٩

حيث انطوى فيها حكاية نذرهم ما يكون في بطون انعامهم للذكور ويحرمونه على الزوجات . فإذا خرج ما في البطون ميتاً أشركوا فيه الزوجات .

ث - ومنها ما جاء في آية من سورة المائدة من تحريم الذبائح التي تذبح على النصب اي الاصنام^١ حيث يفيد ذلك ان المشركين كانوا يقرّبون القرابين لأصنامهم . وفي الكتب العربية روايات عديدة عن ذلك . وقد كانوا يفعلون ذلك اما من قبيل النذر بتقريب قربان اذا ما تحقق للناظر مطلب من جلب خير ودفع اذى وشر واما من قبيل الشكر على ما ناله المرء من خير او اندفع عنه من شر واذى . واما تورعاً وتقرباً الى الاصنام او ما ترمز اليه من قوى . وكانوا يسمون ذبائحهم عتائر (جمع عتيرة) وكانوا يذبحونها عند الاصنام على صخرة معدة لذلك تحتها حفرة تسيل اليها الدماء يسمنونها الغيب^٢ . وكانوا يلطخون الاصنام بدمائها . وما ذكرته الروايات من اسماء الاصنام التي كان يذبح لها او عندها مناة ونائلة واساف والعزى وذا الخلصة ونهم وسعير والانس والجلسد^٣ .

(١) آية المائدة ٣ « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيت وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام .

(٢) جواد علي ج ٥ ص ١١٦-١١٧

ج - وفي آية المائدة المذكورة آنفاً حرم اكل الميتة ولحم الخنزير والدم والحيوانات التي تموت نتيجة للنطح والوقذ والسقوط وافتراس الضواري . والمحرمات الثلاث الاولى قد تكررت ذكر تحريمها في آيات اخرى . حيث يستلهم من ذلك ان العرب او بعضهم كان يأكل بعض الحيوانات الميتة ولحم الخنزير والدم المسفوح والحيوانات التي تموت نتيجة للاحداث المذكورة .

الروح والبعث

في القرآن آيات كثيرة ذكرت فيها الروح . وبما لا شك فيه ان هذه الكلمة كانت مستعملة ومفهومة عند العرب قبل الاسلام . ويستنتج من بعض الروايات والآيات ان العرب كانوا يعتقدون ان الروح شيء غير مرئي كالهواء والنسيم ومستقل عن الجسد محل فيه فتكون الحياة ويخرج منه فيكون الموت ، وان الروح لا تبلى ولا تنعدم بعد خروجها من جسد صاحبها .

وقد ذكرت الروايات ان الشخص اذا قتل ولم يؤخذ ثأره تضرع روحه بحسب اعتقاد العرب هامة او طائراً يظل يزقو عند قبره قائلاً اسقوني اسقوني الى ان يؤخذ بثأره . ولقد كان العرب يزورون قبور موتاهم ويرشونها بالماء ويفرسون في توابلها بعض الغراس ويعتقدون ببقاء ارواح الموتى بعد مغادرتها الاجساد .

اما من ناحية البعث والجزاء الاخرويين فإن الفصول القرآنية تقر ان المشركين كانوا ينكرونها ويستهزئون بالانذار بها ، وان تدينهم سواء باعترافهم بالله كالرب الاكبر الخالق المدبر ام بائخاذهم الشفعاء والوسطاء والشركاء والرموز المادية ام بتقريبهم النذور والذبائح واقامة الطقوس لهم لما كان يستهدف جلب النفع ودفع الضرر وتحقيق المطالب والروغبات في الدنيا وحسب .

غير ان هناك روايات يمكن الاستدلال بها على ان بعضهم كان يعتقد بالبعث بعد الموت مع اكتشاف ذلك بالغموض حيث روي انه اذا مات ميت كبير عقروا على قبره

ذاقته وتركوها حتى تبلى عند قبره لتكون مطية له حيناً يبعث بعد موته ، وحيث روي
انهم كانوا يفسلون موتاهم ويصلون عليهم ويضعون في قبورهم اشياء كانوا يستعملونها
في حياتهم ليستعملوها بعد بعثهم ايضاً .

التطور الديني قبيل البعثة النبوية

لقد ذكرنا قبل ان في القرآن آيات كثيرة تدل على ان العرب كانوا يجمعون بين
الاعتراف بالله والشرك به . ومن هذه الآيات ما هو قوي الدلالة على انهم او كان منهم
من يعتقدون بربوبية الله الشاملة وقدرته العظيمة وكونه خالق السماوات والأرض والرازق
المدير للاكوان والمسيطر عليها والملجأ الاعلى في عظامم الامور والكاشف الاقوى لجسيم
الايثار والقادر وحده على كل شيء وكونه خالق الملائكة والجن يرسل انبياءه لهداية
الناس وينزل عليهم ملائكته بكتبه وآياته وان شركهم محصور في الاستشفاع بالملائكة
واشراكهم مع الله في الدعاء والاتجاه على اعتبار انهم بنات الله وذوو حظوة لديه وان
الاصنام التي يعظمونها ويدعجون لها ويقيمون طقوسهم عندها هي رموز مادية لهم .
سما هو ولا ريب مظهر تطور خطير في صدد العقيدة الدينية واتجاه نحو التوحيد المطلق .

واقدر كان مثل هذا التطور في جنوب الجزيرة ايضاً على ما نبهنا اليه في الفصل الثاني .
وكما رجحنا ان ذلك كان بتأثير انتشار المسيحية واليهودية فإننا نرجح ان هذا في الشمال
كان بتأثيرهما ايضاً حيث كان في الحجاز جالية يهودية كبيرة وجالية نصرانية وحيث
كانت النصرانية سائدة في بلاد الشام والعراق ومصر التي كان تجار الحجاز يصلون
اليها في رحلاتهم التجارية . وحيث كان الحج يجمع في الحجاز بين مختلف الاديان ومن
جملتها النصرانية واليهودية . وقد كان من نتيجة ذلك ان اتخذ بعض العرب يدخلون في
الدين اليهودي والدين النصراني .

والذي نرجحه ان هذا التطور قد اخذ يقع في القرنين السابقين للبعثة النبوية . وان
فكرة الاله الأعلى التي يقرها القرآن عند ساهية من العرب بمزوجة بالشرك كانت قبل

(١) انظر آيات سورة الزخرف ٩-٣٦ و٨٧ والمؤمنون ٨٤-٩٢ والانعام ٣٧ و٨ و٦٣-٦٤
١٠ و١١ و١٤ الاعراف ١٨٩-١٩٠ ويونس ١٨ و١٢ و٣١ و٢٣

ذلك غامضة في اذهانهم . وان هذا الفوض ظل قائماً في اذهان اكثرهم وان التطور الخطير الذي نوهنا به قد كان عند الفئات المثقفة النيرة من اهل المدن .

واذا كان معظم هؤلاء بقوا على تقاليدهم مع ذلك ولم يتهود منهم او ينتصر الاقليل فإن مرد ذلك فيما يتبادر لنا :

اولاً - الى ان الجحاز لم يكن خاضعاً لسلطان الروم الذين كانوا اصحاب السلطان في بلاد الشام واطراف الجزيرة في مصر والذين قد يكون سلطانهم وسيلة من وسائل اتساع نطاق النصرانية فيها . وفي الجزء السابق لهذا الجزء شرحنا ما كان من تأييد قيصرية الروم للنصرانية محاربتها الاديان الاخرى في هذه البلاد بما فيه تأييد لذلك .

ثانياً - الى ما كان الذين لم ينتصروا ولم يتهودوا من مثقفي العرب ومنتزعين الذين كانوا يتجهون نحو التوحيد في تطورهم الديني كما قلنا يرون ما كان اليهود والنصارى فيه من انحراف وانشقاق وخلاف وتزاع يصل احياناً الى القتال والمذابح بما اسارت اليه آيات قرآنية عديدة^١ وايدته روايات المدونات القديمة وشرحناه في الجزء السابق ايضاً .

ولقد جعلهم هذا يتقبضون عن النصرانية واليهودية بل ويرون عقائدهم هي الاصح على ما تلهمه آيات عديدة من القرآن من جملتها هذه الآيات :

« ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون . وقالوا آلهتنا خير ام هو ما ضربه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون^٢ » بل وتجعلهم يتعجبون من ما هم عليه من خلاف وتزاع وقتال وعندهم كتب منزلة ويحلفون لو جاءهم نذير كما جاء اليهم بكتاب من الله بلغتهم ليكون اهدى منهم كما جاء في هذه الآية « واقسموا بالله جهد ايمانهم لو جاءهم نذير ليكون اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا^٣ » ويقولون اننا لا نعرف لغة كتب النصارى واليهود حتى نهدي بها كما جاء في هذه الآيات

(١) انظر آيات سورة البقرة ١١٣ و ١٥٣ وسورة آل عمران ١٩ و ١٠٥ وسورة الشورى

١٣ - ١٥ مثلاً .

(٢) سورة الزخرف ٥٧ - ٥٨ كأنهم يقولون بهذا ان النصارى اهل رسالة وكتاب ويعتقدون ان عيسى عليه السلام الذي ولد ومات انساناً جزء من الله وابنه ونحن اهدى منهم باعتقادنا بأن الملائكة بنات الله لان عيسى ليس من جنس الله بينما الملائكة روحانيون اقرب في صفاتهم وجنسهم الى الله

(٣) سورة فاطر ٣٤

« وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون . ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين . او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدق عنها منجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون » ١ .

اما عدم ايمان معظمهم بالقرآن ونبوة محمد ﷺ في العهد المكّي فإن ذلك يرجع الى اسباب اخرى اشارت اليها بعض آيات القرآن . منها آية في سورة فاطر جاءت تنمّ للآية ٣ التي اوردناها قبل وشرحاً لأسباب نفورهم وهي « استكباراً في الارض ومكر سيئ ولا يحسب المكر السيئ الا بأهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ٢ » ومنها آية الزخرف هذه « وقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ٣ » ومنها آية سورة ص هذه « أنزل عليهم الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب ٤ »

ولقد وصل التطور في بعضهم الى ان حفزهم على البحث عن ملة ابراهيم الحنيفية المستقيمة الصحيحة التي كان ينسب عرب الشمال كثيراً من تقاليدهم اليها وينتسبون في بنوتهم الى صاحبها على اعتبار انها لا يمكن ان تكون شركاً ولا يمكن ان تكون هي ما عليه قومهم وما عليه اليهود والنصارى من عقائد وعادات فيها شذوذ وانحراف وسخف وكانت سبب التنازع والقتال فيما بينهم لما اشارت اليه بعض آيات القرآن التي منها : « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » وانطبق في نفوسهم عقيدة وحدانية الله وتنزهه عن الشريك والولد صراحة او تأويلاً

(١) سورة الانعام ١٥٦ - ١٥٧ وينطوي في الايات دعوة وتنديد حيث تقول ان الله قد انزل الكتاب عربياً ثلاثاً تقولوا ان الكتب الساموية الاولى بغير لغة العربية ولو جاءنا كتاب عربي من الله لاعتدنا به وكنا اهدى من اليهود والنصارى

(٢) سورة فاطر ٤ : اي انهم لم يؤمنوا استكباراً عن النبي وبقصد مكر سوء به

(٣) اي انهم استعظموا ان ينزل الله القرآن على محمد الذي لم يكن من كبار الزعماء وقالوا كان الاولى ان ينزل على زعيم كبير من مكة او الطائف (سورة الزخرف ٣١)

(٤) سورة ص ٨ اي انهم تعجبوا او كفروا لان القرآن انزل على محمد من دونهم .

وتنزه أصل الدين الذي كان عليه إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام عن الخلاف والتناقض لأنه من الله وأخذوا يتعبدون على ما ظنوه أسلوب ملة إبراهيم الخنيفية . وقد ذكرت الروايات العربية نموذجاً من هذا الباب حيث ذكرت أن زيداً بن عمرو أحد موحدي العرب الذي كان حياً قبيل بعثة النبي ﷺ كان يناجي الله عز وجل في عبادته ويقول « لبيك حقاً . تعبداً ورقاً . عذت بما عاذ به إبراهيم . أنفي لك راغم . مهما تجشني فاني جاشم » ثم يسجد . وقد روي أن النبي ﷺ اجتمع به قبل البعثة وقال فيما بعد انه يبعث أمة وحده .

ومن ذكرته الكتب العربية من موحدي العرب وفابذي الشرك قس بن ساعدة الأيادي وأمية بن الصلت وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وأبو قيس النجاري الحزرجي وأبو الهيثم بن التيهان الأوسي وأبو عامر الأوسي وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وورقة بن نوفل وعمير بن جندب الجهني وعامر بن الظرب المدواني وخالد بن سنان العبسي وأرباب بن رثاب وسويد بن عامر المصطلق وعبد الله القضاعي وعبيد بن الأبرص الذي يؤثر عنه هذه الآيات :

من يسأل الناس يحرموه	وسأئل الله لا يخيب
بالله يدرك كل خير	والقول في بعضه تليق
والله ليس له شريك	غلام ما أخفقت القلوب

وهم الطبقة التي نرجح أن لم نقل نعتقد أن القرآن عناها بنعت الصابئين وسلكتها في سلك اليهود والنصارى والذين آمنوا أي في سلك الطوائف الناجية اذا استقامت على الايمان بالله والعمل الصالح والتي لا نشك في أن النبي ﷺ كان منها قبل أن يبعثه الله هادياً للناس .^١

(١) انظر كتابنا عمر النبي عليه السلام وبعثته قبل البعثة ص ٢١٩-٤٣٤ وجواد علي ج ٥ ص ٣٦٨-٣٩٩ . ومن الآيات التي ورد فيها ذكر الصابئين هذه الآية « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » سورة البقرة ٦٢ والاسم مشتق من صبا بمعنى مال وانحرف . ولقد ذكرت الروايات (انظر الصحف المذكورة سابقاً من كتاب عصر النبي) ان قريشاً كانوا يمتنون النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في مبادئ الدعوة بالصابئين والصبأة حيث يفيد هذا أن الانحراف الذي تضمنه معنى الكلمة هو الانحراف عن دين الاباء والاجداد أي الشرك . وهذا ما جعلنا نرجح ان كلمة الصابئين في القرآن عنت الطبقة الموحدة . ولعل العرب كانوا يطلقونها على أفراد هذه الطبقة بدليل إطلاقهم إياها على النبي والمسلمين الاولين .

ويلحظ ان الاسماء لم تكن من بيئة أو قبيلة واحدة حيث فيها القرشي واليثرني والعدواني والايادي والعبيسي والقضاعي والمصطلقى مما فيه دلالة على ان الفكرة كانت واسعة الانتشار .

ثم صار هؤلاء وغيرهم من المستنيرين المختارين يتمنون على الله أن يبعث إليهم نبياً ونذيراً منهم بكتاب عربي يفهمونه ويحيرون هم وسائر قومهم عليه حتى لا يبقوا في حيرتهم وغلالمهم كما أرسل إلى غير العرب أنبياء منهم وأنزل عليهم كتباً بلغاتهم ويقسحون بالله انهم اذا جاءهم مثل هذا النبي العربي بكتاب عربي ليؤمنن به وليكونن أهدي من اليهود والنصارى على ما حكته آيات القرآن التي اوردناها قبل . وقد استجاب الله دعاءهم فاصطفى من بينهم محمداً ﷺ وبعثه رسولا اليهم وإلى الناس كافة وأوحى اليه بالقرآن ليزكيهم ويعلمهم ويهديهم ويمتف بهم بأمر الله « اني هدا في ربي الى صراط مستقيم . ديناً قيميا ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .

ولقد احتوى القرآن مبادئ سامية شاملة وافية بجميع حاجات الانسانية في كل زمن ومكان فكانت مرتبة لما جاء به أنبياء الجنس العربي السابقون ، ومصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئاً عليه ليكون شريعة الخلود وليظهره الله على الدين كله . وهكذا اكملت سلسلة مآثر الجنس العربي الدينية التي كان لها الاثر العظيم الخالد في البشر وحياتهم وكان ذلك إيذاناً ببدء الدور الثالث العظيم لهذا الجنس في شخصيته الصريحة الخالدة .

النصارى والنصرانية في شمال الجزيرة^١

في القرآن آيات كثيرة في النصارى والنصرانية تفيد انه كان في بيئة النبي عليه السلام قبل البعثة طائفة تدين بالمصرانية وان منهم العربي ومنهم الأعجمي .

ولقد كانت النصرانية سائدة في بلاد الشام ونحوم الجزيرة الشمالية في طريق الحجاز والشام ثم في جزيرة الفرات والعراق العربي فضلا عن انها كانت منتشرة في جنوب جزيرة العرب

(١) لقد أوردنا موجزاً فيه الكفاية عن اليهود واليهودية في شمال الجزيرة العربية في بحث نظام الحكم في يثرب فقصرنا البحث هنا على النصرانية والنصارى

نتيجة لانتشارها الواسع في الحبشة ومصر . فمن الطبيعي أن تتسرب الى شمال الجزيرة العربية .

ولقد احتوى القرآن تنفيذاً لما كان عليه النصارى من انحراف في عقيدة وحيدة الله الصافية وسوء تأويل ، وحججاً قوية عليهم . ودعوة متكررة اليهم ليرجعوا الى الحق والصواب وينزهوا الله عما لا يليق به من اتخاذ الولد والحاجة اليه وتقريراً للحق والحقيقة بالنسبة للسيد المسيح . غير انه ليس فيه حملات عنيفة على سلوكهم ومواقفهم من الدعوة النبوية . بل وفيه تنويه بما هم عليه من خلق الرأفة والرحمة ، واستشهاد بهم ، وشهادتهم بصحة وصدق القرآن والرسالة المحمدية وإيمانهم بها . مما قد يكون دلالة أولاً على انهم لم يكن لهم في بيئة النبي عليه السلام كيان قوي وان نطاق النصرانية فيها كان ضعيفاً وانهم كانوا ذوي أخلاق رضية بعيدين عن المكابرة والمجاج مدعين للحق^١ .

وهناك آيات تفيد أن بعض نصارى مكة كانوا ذوي ثقافة دينية ومدنية حيث احتوت حكاية قول المشركين ان النبي عليه السلام يتعلم منهم ويستعين بهم . كذلك هناك آيات تفيد ان منهم من كان أعجمي اللسان . وهذا يعني ان هؤلاء كانوا حديثي الطرء على مكة فظلوا يحتفظون بلغتهم أو لكتبتهم الاعجمية . وهناك الى هذا آيات قد تفيد ان من النصارى في مكة من كان غنياً ذا مركز مرموق يجعله مصوناً من التحرش والمدوان^٢ .

والروايات العربية تؤيد كل هذه الاستدلالات . ولقد ذكرت هذه الروايات اسماء افراد عديدين من النصارى في مكة والطائف ويثرب مثل جبراً ويسار الروميين وهما اللذان عناهما المشركون حسب الروايات بزعمهم انها يعلمان النبي عليه السلام وانسه يستعين بهما ، وكلا على ما ذكرت الروايات يقرآن التوراة والانجيل فيمر بهما النبي عليه السلام فيستمع اليهما قبيل بعثته . ومثل عايش غلام حويطب بن عبد العزى والاسطاس غلام صفوان بن أمية وصهيب بن سنان وكان ذا مال وسلمان الفارسي الذي نوهت الروايات بما كان عليه من علم وثقافة وبلال ووحشي وشقران والاسود من الاحباش . ومثل عداس

(١) انظر سورة الانعام ٢٠ و ١١٤ والاعراف ١٥٧ ويونس ٩٤ والاسراء ١٠٧-١٠٨ ومريم ٣٤-١٠٧ والقصص ٥٢-٥٥ والزخرف ٥٧-٦٥ والنساء ١٧١-١٧٢ والمائدة ٧٢-٧٩ و٨٢-٨٤ و ١٧-١٣-٢٠ والتوبة ٢٩-٣٤ والحديد ٢٧ وانظر تعليقاتنا عليها في كتابنا عصر النبي وبيئته قبل البعثة ص ١٢٢-١٢٦ و ٤٥٢-٤٦٩

(٢) انظر آية سورة النحل ١٠٣ والفرقان ٤-٥

من نينوى في الطائف . ونجار قبلي في المدينة لم يذكر اسمه وهو الذي صنع منبر النبي عليه السلام وقد كرت الروايات أنسه كان في مكة شماس رومي يبشر بالنصرانية ولم تذكر اسمه ^١ .

ولم نر في ما اطلعنا عليه من الروايات الا اسماء افراد قلائل من العرب الصرحاء يمكن أن يكونوا قد دانوا بالنصرانية منهم أبو عامر الاوسي المسمى بالراهب ^٢ وورقة بن نوفل القرشي ^٣ وعثمان بن الحويرث القرشي ^٤ وابو زيد الشاعر النصراني ^٥ مع التنبية الى است الثاني والثالث ذكرنا في عداد الموحدين أيضاً .

ومع ان الآيات كما قلنا تلهم ان نطاق النصرانية كان ضيقاً في بيئة النبي عليه السلام فاننا نرجح انها لم تكن قاصرة على من ذكرتهم الروايات . وقد يؤيد ترجيحنا كثرة الآيات المكية والمدنية التي كانت تذكر النصرانية والنصارى وتنوه بهم وتشيد بمواقفهم التصديقية والايمانية وبما كانوا يقررونه من صفات النبي التي يجدونها مكتوبة عندهم في التوراة والانجيل والتي كانت تجعلهم يتبعونه ، وتمتد من ظل منحرفاً منهم وتقرر الحقائق الايمانية في ولادة عيسى عليه السلام وتحكي ما كان يقوله للناس من انه عبد الله ونبيه وان الله ربه وربهم وانه مصدق لما بين يديه من التوراة ومبشر برسول يأتي من بعده اسماء محمد ودعوته الى الله وحده ، وتبرؤه بما اعتقده النصارى فيه وفي أمه ^٦ . واذا كان كثير من الآيات المكية التي تضمنت الاستشهاد بهم وتقرير شهادتهم الايجابية وحكاية مواقف ايمانهم وتصديقهم قد جاءت بوصف (الذين أوتوا العلم) و (الذين آتيناهم الكتاب) فان كتب التفسير تروي ان معظمهم من النصارى . ولقد ذكر النصارى بصراحة في كثير منها أيضاً .

ولقد جاء في سورتي الاسراء والمائدة هذه الآيات :

١ - (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا تلى عليهم يحرون)

(١) جواد علي ج ٦ ص ١٩٩ وما بعدها

(٢) انظر تفسير آية التوبة ١٠٧ في تفسير الطبرسي

(٣) انظر تفسير سورة الملق في تفسير ابن كثير

(٤) جواد علي ج ٦ ص ٢٠٤

(٥) نفس الجزء ص ٢٠٦

(٦) الآيات المذكورة في الذيل السابق

للأذقان سجداً . ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) .

الاسراء ١٠٨

٧ - (ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم
مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا
يسكتوبون . واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من
الحق يقولون ربنا آتينا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بما جاءنا من الحق ونطمع
أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين)

المائدة ٨٤-٨٣

حيث يفيد هذا ان الذين يسمعون القرآن كانوا يفهمونه جيداً . وهذا لا يتأتى كما هو
المتبادر الا من غرب صرحاء كما ان الآيات تفيد ان الذين تعينهم جماعة فيهم القسيسون
والرهبان والذين على درجة عالية من العلم . وسورة الاسراء مكية وسورة المائدة مدنية
وهذا يعني ان المشهدين مختلفان وقع واحد منهما في مكة والآخر في المدينة . واذا كانت
بعض الروايات تذكر ان المشهدين او ان مشهد المدينة خاصة كان من وفد جاء من الشام
أو الحبشة فان فهم الجماعة التي عنتها الآيات لكلام القرآن هذا الفهم الجيد يحمل هذه
الروايات محل توقف وشك .

ولقد جاء في سورة القصص هذه الآيات :

(الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون . واذا تلى عليهم قالوا آمنا به انه
الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون
بالحسنه السيئة وبما رزقناهم ينفقون . واذا سمعوا النغوا أعرضوا عنه وقالوا لن أعمالنا
ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين)

٥٥-٥٣

وسورة القصص مكية . والآيات تفيد ان الذين حكمت أقوالهم عرب صرحاء مقيمون
في مكة واصحاب ثروة ومركز .

ولقد جاء في سورة العنكبوت هذه الآية :

(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل
إليك وإلينا وإلهم واحد ونحن له مسلمون . وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم

الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يحدد بآياتنا الا الكافرون)

٤٩-٤٧

وسورة العنكبوت مكية . والآية تفيد ان منهم من كان يجادل النبي عليه السلام وينظره وان منهم من كان يؤمن به . وتفيد بالتالي انهم جماعة كبيرة .

ولقد أثر عن حسان بن ثابت رضي الله عنه بيت من قصيدة رثى بها النبي عليه السلام جاء فيه :

فرحت نصارى يثرب ويهودها لما توارى في الضريح الملبد

وهذا يعني انه كان في يثرب جماعة نصرانية . وقد روت بعض الروايات ان النصارى في يثرب كانوا يسكنون في موضع يقال له سوق النبط^١ .

ولقد كان النصارى مختلفين فرقاً ومذاهب . منهم من كان يقول ان عيسى هو الله ومنهم من كان يقول انه ابن الله ومنهم من كان يقول انه ثالث ثلاثة ومنهم من كان يؤله دويم . ومنهم من يقول انه ذو طبيعة واحدة غير مساوية لطبيعة الله لأنها مزيج من اللاهوتية والناسوتية ومنهم من يقول انه ذو طبيعتين لاهوتية وناسوتية ومنهم من يقول انه نبي فقط وولد بمعجزة . ومنهم من يقول ان كلمة الله حلت فيه بعد ولادته وانه لا يجوز ان يقال لمريم أم الله على ما يستفاد من التقارير القرآنية والروايات العربية^٢ . وغير العربية ولا بد من ان يكون هذا شأن النصارى الذين كانوا في الحجاز .

وجل ما قلناه هو في صدد النصرانية والنصارى في بيئة النبي عليه السلام الخاصة أي في الحجاز .

ولقد ذكرت الروايات^٣ ان ملك اليمامة هودبة بن علي الحنفي كان نصرانياً مما يسوغ القول ان كثيراً من بني حنيفة وغيرهم في اليمامة كانوا يدينون بالنصرانية أيضاً . ولقد

(١) جواد علي ج ٦ ص ٢١٠

(٢) انظر آيات سورة النساء ١٧١ والمائدة ١٧ و٧٢ و٧٣ و١١٦ ومريم ١٦-٣٧ وتأريخ سورية للطران الدبس ج ٢ المجلد ٣ ص ٥٥٦-٥٦٠ و٦٣٢-٦٣٥ وج ٢ المجلد الرابع ص ٨٠-٩٢ و ٢٣٠-٢٣٩ و ٢٦٦-٢٧٣ و ٣٧١-٤١٢ و ٥٠٤-٥٢٨

(٣) جواد علي ج ٦ ص ٢١٠

ذكرت المدونات المسيحية شهر اشراك أساقفة من قطر وهجر في الجامع النسطورية التي اعتدت في العراق في سني ٥٧٦ و٥٧٧ و٦٧٦ ب م حيث يدل هذا على ان النصرانية كانت منتشرة في سواحل الخليج العربي . وفي طبقات ابن سعد^٢ انه كان في عداد وفد بني عبد القيس من البحرين الى النبي ﷺ زعيم اسمه الجارود وكان نصرانياً أيضاً بما فيه تأييد لذلك .

ولقد كانت النخوم الشمالية للحجاز ومنها مناطق تبوك ودومة الجندل منازل قبائل بني كلب وبعض فروع من كندة وغيرهما وكانت النصرانية منتشرة في هذه الربوع على ما ذكرته الروايات^٣ التي ذكرت ان الاكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة الجندل كان أيضاً على النصرانية .

هذا وكما كان اليهود واليهودية مصدراً هاماً من مصادر أفكار العرب ومعارفهم الدينية وغير الدينية في الحجاز فقد كان النصارى والنصرانية كذلك أيضاً . وليس من شأن فئة النصارى في الحجاز أن تمتع ذلك . فقد كانت النصرانية منتشرة انتشاراً واسعاً في بلاد الشام ومشارفها التي تلي الحجاز وفي جزيرة الفرات وفي العراق ثم في اليمن ، وكان نصارى أهل هذه الاصقاع يفتدون الى الحجاز في موسم الحج حتى انهم أثبتوا وجودهم في تصويرهم المسيح وأمه عليها السلام في داخل الكعبة أسوة بقبائل العرب من مختلف أنحاء الجزيرة وخارجها الذين أثبتوا وجودهم في وضع نسخ من أصنامهم فيها على ما ذكرناه قبل . وكانت قوافل الحجاز التجارية تتردد سنوياً على هذه البلاد ثم على مصر والحبشة اللتين كانت النصرانية سائدة فيهما . فكل هذا فصح المجال للاحتكاك والتبادل . ولقد كانت كثير من نصارى الشام والعراق وجزيرة الفرات صرحاء المروبة واللسان فكان ذلك بما يسر ذلك الاحتكاك والتبادل وجعلها ايجابيين . وهذا بالإضافة الى ما كان في الحجاز منهم الذين كان فيهم الرهبان والقسيسون ومن كان على ثقافة عالية جعلت المشركين في مكة يقولون ان النبي ﷺ يتعلم منهم ويستعين بهم على نظم القرآن الذي كان يدهشهم ما فيه من بلاغة وروعة وأفكار وقص وقوة حجج . ونعل من أهم ما تأثر عرب الحجاز به من النصارى بالإضافة الى فكرة الله والنبوة والمعجزات والوحي والكتب المنزلة من الله

(١) نفس الجزء ٢١٢

(٢) ج ٢ ص ٧٩

(٣) جواد علي ج ٦ ص ٢٠٩

على الأنبياء فكرة الشفاعة وفكرة اتخاذ الله ابناً ، حيث كان النصارى يستشفعون بالقدسين
 وحيث يعتقدون بأن المسيح ابن الله . وقد تطورت عندهم تطوراً طريفاً لم يلبثوا أن
 وجدوا أنفسهم به أهدى من النصارى . وذلك باعتقادهم ان الملائكة بنات الله وإشراكهم
 معه في الدعاء والاتجاه كشفعاء على اعتبار أنهم ذوو حظوظ عنده . وقد حكى بعض
 آيات سورة الزخرف تبجحهم بذلك ^١ ولقد كانوا يعرفون نتيجة الاحتكاك المستمر بينهم
 وبين النصارى ما هم عليه من خلاف وشقاق وتعدد مذاهب فكانوا يتمتعون من أمرهم
 ويقولون أنهم لو جاءهم نذير بكتاب عربي ليكونون أهدى منهم . وهذا في حد ذاته من
 آثار النصرانية واليهودية القوية في عرب الحجاز . ويضاف الى هذا ما هنالك من تطابق
 بين تقارير القرآن وبعض المذاهب النصرانية مما يمكن أن يلمح فيه أثر من آثار النصارى
 وبما كان في ما نعتقد من عوامل انتشار نصارى الحجاز بنهضة النبي عليه السلام وفرحهم
 بما أنزل عليه وتأثرهم به ذلك التأثير الرائع الذي ذكرته آيات الامراء والقصص والمائدة
 التي أوردنا نصوصها وآية الرعد هذه « والذين آتيناهم يفرحون بما أنزل اليك ... ٣٦ »
 وانضوائهم الى الاسلام ثم إقبال النصارى في بلاد الشام والعراق وجزيرة القرات ومصر على
 الاسلام منذ الأواخر الاسلامية الاولى ولا سيما وقد كانت غالبيتهم تدين بالمذهبين اليعقوبي
 والنسطوري للذين لا يؤمن معتقوهما بالاساوة الشامة بين الله والمسيح ويعتبرون المسيح
 ذات طبيعة واحدة مزيجاً من الناسوت واللاهوت معا ^٢

ولا شك في ان عرب الحجاز عرفوا عن طريق النصارى كما عرفوا عن طريق اليهود
 كثيراً من قصص أسفار العهد القديم وسيرة السيد المسيح ومهمزاته المذكورة في الاناجيل
 وأعمال الرسل والحواريين الملحقة بها كما عرفوا كثيراً من القصص المسيحية الخالصة التي لم
 تذكر في الاناجيل وأعمال الرسل مثل قصة أصحاب الكهف المذكورة في سورة الكهف
 وقصة نزول المائدة المذكورة في سورة المائدة وقصة أصحاب القرية المذكورة في سورة يس على
 ما يلمح ورودها في القرآن . حيث اقتضت حكمة التنزيل ذلك لتذكيرهم بما عرفوه من

(١) آيات الزخرف هي هذه « ولا ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون . وقالوا آلهتنا
 خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون (٥٧-٥٨) والايات تفيد أنهم كانوا يسخرون
 من النصارى لاتخاذهم المسيح الذي ولد ومات انساناً ابناً لله ويقولون أنهم اهدى منهم باتخاذهم الملائكة
 بنات الله لانهم اشد ممانعة له

(٢) انظر تاريخ سورية للديس المجلد ٤ ج ٣ ص ٨٠-٩٠ و ٢٣٠-٢٣٩ و ٢٦٦-٢٧٣
 و ٢٧١-٢٨٢ و ٥٠٤-٥٢٨ وجواد علي ج ٦ ص ٢١٣ وما بعدها

قصص وضرب المثل به .

ولقد ذكرت بعض الروايات العربية ما يفيد ان التوراة والانجيل كانا مترجمين الى العربية قبل البعثة ١٠ وهذا محتمل جداً لأن النصرانية كانت منتشرة انتشاراً واسعاً بين العرب الصرحاء في بلاد الشام والعراق وجزيرة الفرات وأنحاء اليمامة وسواحل الخليج واليمن . والنصرانية تعتبر شريعة التوراة شريعة لها . وهكذا تكون هذه الترجمة العربية أيضاً مصدر كثير من معارف عرب الحجاز عن النصرانية واليهودية ومقتبس كثير من التسميات العربية التي كانت متداولة بين العرب قبل الاسلام والتي كانت ترجمة ما يماثلها عند اليهود والنصارى غير الصرحاء .

وكلمة التوراة تعريب لكلمة قريبة منها في العبرانية وتعني الشريعة . والآيات القرآنية التي وردت فيها الكلمة مراراً تفيد حيناً انها الشريعة الموسوية الواردة في أسفار الخروج والعدد واللاويين وثنية الاشتراع كما تفيد حيناً انها تعني ما كان متداولاً من أسفار العهد القديم غير هذه الأسفار أيضاً وان كان ليس في الامكان تعيينها على اليقين . وفي القرآن كثير من قصص بني اسرائيل التي وردت في اسفار غير الأسفار الأربعة وفيه بالإضافة الى ذلك قصص لم ترد في الاسفار الأربعة وغيرها من الاسفار المتداولة اليوم مما يسوغ التزجج بأنها وردت في أسفار وقراطيس يهودية لم تصل إلينا .

وكلمة الانجيل تعريب لكلمة يونانية قريبة منها بمعنى البشارة والتبشير . ومع أن القرآن ذكر الانجيل منفرداً على اعتباره كتاباً منزلاً من الله على السيد المسيح فان النصارى يتداولون أناجيل عديدة كتبها أشخاص من النصارى بعضهم حواريون كترجمة للسيد المسيح فيها سيرته وأقواله وتعاليمه المنسوبة كثير منها الى الله . ومع ان المعترف به من الاناجيل أربعة فإن هناك أناجيل أخرى غير معترف بها . ومنها ما احتوى من التقارير عن عيسى عليه السلام ودعوته ما فيه تطابق تام مع ما احتواه القرآن وهو الانجيل يوناني الذي ينسب الى احد الحواريين المسمى بهذا الاسم والذي لا يعترف به النصارى في جملة ما لا يعترفون به من الاناجيل الأخرى . ولا يمكن الجزم بعد ما كان متداولاً من الاناجيل في أيدي النصارى في زمن البعثة النبوية وقبلها ولا أسماء مؤلفيهم وان كنا نرجح انها كانت أكثر من واحد وأن من بينها ما فيه

التقريبات المطابقة للقرآن عن عيسى عليه السلام ، وان ذلك من جملة ما جعل النصارى يقبلون على الاسلام منذ ادواؤه الاولى .

ومن التعابير التي كان للنصرانية فيها أثر ما تصير روح القدس . فقد ورد هذا التعبير مراراً في القرآن في معرض ذكر تأييد الله به عيسى عليه السلام وجاء مرة وصفاً للملك الذي كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ . والتعبير عربي فصيح . وبما لا شك فيه انه كان مستعملاً عند العرب ونصاراهم كترجمة للكلمة السريانية او اليونانية التي تعبر عن الاقنوم الثالث (الاب والابن وروح القدس)

وبالاضافة الى ذلك ففي شعر منسوب الى شعراء جاهليين كلمات كثيرة مقتبسة من أعيان النصارى وطقوسهم وعقائدهم ان صح جاهلية الشعر تكون هي أيضاً من آثار النصرانية في اللغة العربية والناطقين بها

واذا كان كلامنا قد انصب على أثر النصرانية والنصارى في عرب الحجاز فان ذلك بسبب كون النصرانية في هذا الاقليم خيفة النطاق . وما قلناه من ذلك ينسحب بطبيعة الحال على سائر أقاليم شمال الجزيرة لأن النصرانية كانت منتشرة فيها أكثر من الاقليم الحجازي ، ونعني مناطق اليمامة وسواحل الخليج العربي ، وانتشار النصرانية فيها يأتي في مقدمة آثارها .

(١) انظر جواد علي ج ٥ ص ٣٧٨ وما بعدها

الفصل الرابع

تاريخ ومآثر العرب في هذا الدور خارج جزيرة العرب

١- تمهيد في حركة الانسياح العربي في هذا الدور الى خارج الجزيرة
وفي مصادر هذا الفصل

٢- تاريخ ومآثر العرب في بلاد الشام

٣- تاريخ ومآثر العرب في بلاد العراق

استمرار حركة الانسياح من جزيرة العرب الى خارجها في هذا الدور

لقد ظلت حركة الانسياح من جزيرة العرب الى الاقطار المجاورة مستمرة في هذا الدور كما كان شأنها في دور ما قبل العروبة الصريحة على ما تدل عليه أسماء القبائل العربية التي روت الروايات المتواترة وجودها في بلاد الهلال الخصيب والتي امتد وجودها الى عهد الاسلام وبعده حيث يدل هذا على ان المحرك الذي يحرك سكان الجزيرة الى الانسياح الى خارجها كان متبقياً من طبيعة الجزيرة الجغرافية والاجتماعية التي لا تتغير والتي ألغتها اليها في مقدمة الجزء الاول والاجزاء التالية له والتي استمرت تعمل عملها بعد الاسلام الى اليوم وإلى ما شاء الله .

وبما ذكرته الكتب العربية كسبب محرك للانسياح في هذا الدور خراب سد مأرب وحدوث السيل العظيم المعروف بسيل العرم حيث تدفقت مياه السد ودمرت الاراضي والحقول وأرعبت السكان وجعلت كثيراً منهم ينزحون الى شمال الجزيرة وسواحلها الشرقية ثم الى الهلال الخصيب ^١ .

وقد مر في الفصل الثاني من هذا الجزء خبر تعدد الخراب الذي طرأ على هذا السد الكبير منذ القرن الاول للميلاد واضطراب ملوك مملكة سبأ وريدان الى نقل عاصمتهم من مأرب الى ظفار بسببه وما كان من الروع الذي استولى على أهل المنطقة حينما تهدم في

(١) انظر تفسير آية سبأ ١٦ التي فيها ذكر سيل العرم في كتب تفسير ابن كثير والخازن وغيرها وانظر جواد علي ج ٣ ص ١٥٨ وبعدها والمسعودي مروج الذهب ج ٢ ص ٨٩ وبعدها

القرن الخامس بعد الميلاد وفرارهم الى الجبال مما فيه تأكيد ما لرواية سيل العرم وآثاره في انسيان القبائل من اليمن .

على أن القبائل العربية التي تذكر الكتب العربية وجودها في مختلف أنحاء الهلال الخصيب في هذا الدور تنتسب إلى الأرومتين القحطانية والمدفانية معاً أي من شمال الجزيرة وجنوبها حيث يفيد هذا أن الأسباب التي كانت تدفع سكان الجزيرة إلى خارجها في هذا الدور والدور الذي قبله أيضاً كانت تحدث في شمال الجزيرة وجنوبها معاً من مثل الحروب بين القبائل والمنازعات على المنازل والسلطان والمياه أو القحط والجفاف ، وإن كان عرف بالإضافة إلى ذلك سبب آخر وهو خراب السدود بالنسبة للجنوب .

والناظر في الكتب العربية القديمة يدهش لما تنطوي عليه من صورة قوية لحركة التموج التي كانت تجري بين الجزيرة والهلال الخصيب بنوع خاص في هذا الدور لما يقرأ من أسماء القبائل وفروعها ورواحها وغدوها واحداثها وحركاتها وحروبها ومنافساتها مما ألعنا إلى شيء منه في سياق بحث القبائل العربية وأيام العرب في الفصل الثاني ١ .

ومن القبائل التي ذكرت الكتب العربية وجودها قبل الإسلام في أنحاء الهلال الخصيب المختلفة الممتدة من الخليج العربي إلى سيناء الضخامة وسليح وقضاة وعاملة وبهراء وجرم والعلاف وبكر وربيعه وشيبان وتغلب والنمر وتميم وغنة وطى وعسان وجذام وكلب وكلاب وتنوخ ولخم وكندة وبلى وجهينة وعباد وبقيلة وبجيلة وبنو دارم وبنو الدار وبنو ضبة وبنو يربوع وبنو مرواياد ومذحج وبنو فهم وأسد ونزار وبنو ثعلبة والسكون النخ الخ ومن هذه الأسماء قبائل ضخمة لها فروع كل فرع منها بمثابة قبيلة مثل طى وقضاة وقيم وكلب وجذام النخ ٢ .

والكتب العربية لم تستوعب مع ذلك جميع أسماء النازحين من الجزيرة إلى خارجها في هذا الدور ، فهناك دلائل أثرية يقينية على وجود قبائل صريحة العروبة في أطراف بلاد

(١) انظر بيانات كثيرة في الجزء الرابع من تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي وتاريخ العرب قبل الإسلام لزبدان والجزئين الأول والرابع من صبح الاعشى والجزئين الثاني والثالث من العقد الفريد وسبائك الذهب في أنساب العرب للسويدي والجزء السادس من تاريخ ابن خلدون .

(٢) انظر الكتب المذكورة آنفاً .

الشام الجنوبية قبل الميلاد المسيحي حيث ذكرت نقوش آشورية تعود الى الحقبة الممتدة من القرن التاسع الى القرن السابع أسماء العربيين والقيداريين والعبايد والزسمات والتموديين والحيابا والبازويين والخلديين والمجلانين والنبطيين والزهرانيين والقضبيين والجفميين والاهليين والبدعيين والجاديين والمسايعين^٤، لم تذكرها الكتب العربية^١ وحيث ذكرت كتب الرومان واليونان القديمة أسماء قبائل وأرومات صريحة العروبة كانت موجودة في انحاء عديدة من بلاد الشام وجزيرة القرات وحدود العراق قبل الميلاد المسيحي وبعده بقليل لم تذكرها كذلك الكتب العربية مثل الرهاويين والحيدايين والشمسانيين والشمبليين والفاراباتيين والحاسنة والبرتاويين والدماريين والسالميين والرعاينة والمرتين والكواكبة والثمانية والثانية والتجانيين والرائونيين والباطنيين والعطاليين والسמידعيين^٢ والميطوريين^٣ والبلداويين^٤ الخ ومن هؤلاء كثيرون كان لهم ممالك وامارات ومشيخات

وقد ذكر بعضهم خبر وجود قبائل صريحة العروبة في حدود سيناء وغزة وفي صعيد مصر بدون ذكر اسماء لها حيث قال أحدهم^٥ ان منطقة غزة وما وراءها كانت في زمن الاسكندر المكدوني (٣٣٣ ق م) مأهولة بالقبائل العربية المتصلة بطور سيناء وان العرب في غزة قاوموا الاسكندر مقاومة شديدة وحيث قال أحدهم^٦ ان قبائل عربية اغارت على شرق صعيد مصر في عهد الامبراطور دقليانوس (٢٩٧-٣١٥) ب م . وحيث قال أحدهم^٧ ان قبائل عربية كثيرة كانت منتشرة في شمال خليج البصرة في ظروف زحف الاسكندر وكانت تابعة للملك اسمه ياسين . ولقد قامت في القرون الثلاثة الاولى بعد الميلاد المسيحي في تدمر دولة كان على رأسها ملوك صرحاء العروبة كانوا أصحاب الزعامة في القبائل العربية الصريحة المنتشرة في منطقة تدمر على ما سوف نشرحه بعد . وكل هذا لم تذكره الكتب العربية .

(١) جواد علي ج ٣ ص ٢٩٩ وبعدها

(٢) جواد علي ج ٣ ص ٢٧٤ وبعدها

(٣) تاريخ سورية للبرس ج ٢ مجلد ٣ ص ٥٩٨

(٤) الاسلام والمسيحية في لبنان للفرندار ص ٣٣-٣٧

(٥) تاريخ قبل الفتح الثاني للاسكندري وسفيديج ج ١ ص ١٣٥

(٦) و (٧) جواد علي ج ٣ ص ٣٧٧-٣٧٥

(٧) تاريخ مصر قبل الفتح الثاني للاسكندري وسفيديج ج ١ ص ١٣٥

ومن النازحين سواء الذين ذكرتهم الكتب العربية أم الكتب الرومانية واليونانية أم النقوش من عاش حياة البداوة ومنهم من اندمج في غيره ولم يعد يذكر باسمه القديم ومنهم من طبع الانحاء التي انتشر فيها باسمه - مثل ديار بكر وديار ربيعة وديار مصر - ومنهم من تحضر وأنشأ المدن والقرى والممالك شأن من كان يتزح من الجزيرة الى خارجها في دور ما قبل العروبة الصريحة .

وفي معجم البلدان لياقوت الخوي أسماء مئات المدن والقرى الصغيرة والكبيرة في مختلف أنحاء بلاد الشام والعراق تحمل اللمحة العربية الصريحة مع لمحة القدم مما يسوغ القول إنها أو ان كثيراً منها بما أنشأه النازحون من جزيرة العرب في هذا الدور . وهي غير الاسماء التي نقلناها من المعجم المذكور وأوردناها في الجزئين الثالث والرابع بما أنشأته الموجات العربية في هذه البلاد قبل دور العروبة الصريحة . وفيها دلالة على ما كان من نشاط النازحين وما هي ذي منقولة من المعجم حسب ترتيب حروف الهجاء :

أولا - في بلاد الشام

اذرح ، اذرعات ، ارك الاثارب ، اربد ، ارقاح ، الارثق ، ارقاد ، اعناز ، افق ، الاندرين ، الاحص ، اعزاز ، اودن ، اورم ، الاوزاع ، ايلة ، الاقحوانة ، الباب ، براق ، باره ، بعين ، بسر ، بصري ، بريدة ، بوزة ، بزاغة ، كفر بصل ، بصير الجيدور ، بطنان ، البقاع كورة فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة ، بلاس ، بلاط ، بوقاس ، البيرة ، بيرين ، بيت الآبار قرى عديدة في غوطة دمشق ، تبنين ، تبني ، تاذف ، تبوك ، تدمر ، تل بني سيار ، تل قياسين ، تنونية ، توزين ، تولع ، تل ماسح ، تل منسى ، تل وزن ، تل هراق ، تبنت ، تنهج ، تولع ، عين ثرماء ، جادية ، جامع ، جبّال ، جبلة ، جبول ، جبة عسيل كورة فيها قرى عديدة ، جذر ، جليجل ، الجرباء ، جسرين ، جوهر ، جوسيه ، الجيدور كورة فيها قرى كثيرة ، جاسم ، حارث ، حارم ، حافر ، حبال ، بطنان حبيب ، هجرا ، حبيزة ، حدس ، الحص ، حديثة ، الحديدجاء ، الحرجلة ، حرلان ناحية بغوطة دمشق فيها قرى كثيرة ، حيلان ، حمورية ، حورة ، حنياء ، حوار ، حوط ، حيانية ، الحنة ، حيلان ، جبلة ، الخانوق ، خساف ، خلاط ، خناصر ، خنافس ، دارة ، دانا ، دوما ، دوسر ، دنوه ، دوغان ، دقانية ، دمر ضاحية دمشق ، راوية ، رمح ، روجين ، سويداء ، سمات ، سكاكة ، شبعاء ، عرنذل ، قمره ، القوينصة ، القريات ، القريتين ، مشحلة ، مؤتة ، نوى ، نيرب ، يحمول .

ثانياً - في جزيرة الفرات

الأنبار ، الأنطاق ، آتم ، عين أباغ ، أفومة ، أتور ، بسومة ، تل بسمة ، تل بني سيار ،
تل بليخ ، تل التمر ، تل جعوش ، تل حران ، تل عبدة ، تل زبيدي ، تل عبلة ، تل بحري ،
تل موزن ، تيرم ، جوزة ، جهينة ، حديثة ، حران ، حر ، حرف ، هريش ، حصانة ،
الحصين ، حصن منصور ، الحضر ، الحنانة ، حورة ، خالدية ، خانوقة ، خفافس ، دارا ،
ديوزور ، ديار بكر ، ديار مضر ، ديار ربيعة ١ ، دوغان ، الدولعية ، دياف ، ديسابا ،
الرافقة ، رأس العين ، الرحبة ، الرقة ، الرصافة ، الزاوية ، الزباء ، السابولية ، رعبان ،
روحاء ، السلامية ، سنجار ، السن ، شرملة ، الشماخية ، الشيبانية ، الشهبية ، الشوشة ،
الصاقبة ، عانة ، عربان ، عزان ، عفزة ، العقر ، العمرانية ، غدر ، غرسة ، فدان ،
الغدين ، الفضلية ، القبضية ، كافل ، كباث ، كرمي ، المونسة .

ثالثاً - في العراق

الانغلاء (صقع في البصرة عامر) افساس ، امره ، بقة ، بنارق ، بنة ، بقيقة ،
بشكر ، بنار ، بوازيج ، جابان ، جاذر ، جامدة ، جباين ، جبّال ، جرزة ، الجوسق ،
حروراء ، حسان ، الحصاة ، الحظيرة ، الخطمية ، حكمان ، الحلة ، حمدان (مدينة
حولها مئة وعشرون قرية) حمران ، الحوز ، الجيلية ، الخويزة ، الحيرة ، الحوض ،
رامح زوار ، الزيدية ، سابس ، ساسي ، ساقية سليمان ، سوق الأربعاء ، شاموخ ، شذا ،
الشرطة ، الصروان ، الصفية ، الضباب ، عقرالون ، عمير ، الغاضرية ، الغامرية ، غرقوب ،
القطقطانة ، قطوان .

ومن تحصيل الحاصل أن نقول ان ياقوتاً لم يستوعب جميع ما كان في أنحاء العراق
وجزيرة الفرات وبلاد الشام .

ومن العسير تعيين مبدأ تاريخي لانسياح القبائل الصريحة العربية من الجزيرة الى
الأقطار المجاورة بسبب تداخل أدوار تطور العروبة الصريحة ببعضها . غير ان هناك دلائل
تدل على ان هذه الحركة في هذا الدور أقدم مما يظن بعض الباحثين من كونها بدأت
حوالي ظروف الميلاد المسيحي ، وعلى انها بدأت قبل هذا الميلاد بقرون عديدة ثم ظلت

(١) هذه الاسماء الثلاثة كانت منازل قبائل بني بكر وبني ربيعة وبني مضر في جزيرة الفرات وشالها
وهي مقاطعات تحوي مدناً وقرى عديدة .

تتابع إلى البعثة النبوية . وكل ما يمكن هو احتمال صحة تخمين الباحثين بالنسبة للقبائل العربية المعروفة الممتدة بآثارها وأسمائها وأنسالها إلى البعثة وبعدها والتي كانت مظاهر عروبتها الصريحة قوية البروز مثل لحم وتموخ وكنده وغسان وبكر وتغلب وطى وقم وقضاة وسلح وبلى وجهينة النخ

وقد يلحظ ان الدول المهمة التي أنشأها العرب في هذا الدور قد قامت في أطراف بلاد الشام والعراق وهي دول عربي وقيدار والانباط وتدمر والغساسنة والمناذرة وان هذا قد يحمل على القول ان الموجات العربية في هذا الدور لم تفتح صميم البلاد التي طرأت عليها وتغلأها وتغلب من كان فيها على أمرهم وتوطد سلطانها الشامل فيها كما كان شأن كثير من الموجات العربية في الدور السابق مثل الاشوريين والكلدانيين والآراميين والعوريين والكنعانيين والقبائل العديدة التي حلت في وادي النيل مما شرحناه في الأجزاء السابقة ، وانما ظلت في أطراف هذه البلاد وبرادها أو في نطاق ضيق في داخلها .

واقصد صادفت حركة التوسع العربي الصريح في هذا الدور لزمان سيطرة الاشوريين على العراق وجزيرة الفرات والشام سيطرة قوية ثم صار الفرس في العراق واليونانيون فالرومانيون في بلاد الشام ومصر أصحاب سيطرة قوية بدورهم فكانت تلك الحركة حافزة للسيطرين فريق بعد فريق على الوقوف في وجهها وصدتها بالقوة وعدم تمكنها من التغلب في صميم البلاد . ومع ذلك فقد اضطر الفرس في العراق والرومان في الشام إلى الاتفاق مع رؤساء بعض القبائل القوية ليكفوا عن البلاد غارات القبائل وأزعاجها وتخريبها مقابل مخصصات يؤدونها وصلاحيات سلطانية يمنحونها لهم . وكان هذا وسيلة من وسائل بروز من برز من العرب في مجال الحكم والسلطان في هذا الدور من جهة وسبباً من أسباب عدم اقتحام الموجات العربية صميم البلاد وبقائها في أطرافها من جهة أخرى في الاكثر .

على ان هذا لا يعني ان القبائل ظلت بعيدة عن صميم هذه البلاد . فهناك دلائل عديدة على أن كثيراً منها قد تسرب إلى الصميم واستقر فيه ثم امتزج مع أنسال الموجات القديمة العربية الجنس على ما سوف نذكره بعد . وكان ذلك من أسباب انتشار الصبغة العربية الصريحة في هذه البلاد كما كان مسهلاً لشمول هذه الصبغة بجميع البلاد وغدوها صبغتها الخالدة حينما جاءت موجة الفتح الكبرى تحت راية الاسلام .

مصادر هذا الفصل

مسند المؤسف العجيب أن لا يعثر على مدونات عربية على القراطيس والرقوق تعود إلى دور العروبة الصريحة قبل الإسلام في خارج الجزيرة أيضاً كما هو الحال في داخل الجزيرة بالرغم من أن الكتابة والقراءة ووسائلها كانت منتشرة بنطاق غير ضيق عند العرب الصرحاء على ما يدل عليه ما خلفوه من نقوش عديدة في تدمر والبلقاء وحوران ثم عند من كان العرب في خارج الجزيرة يعيشون معهم ويتصلون بهم من أنسال الموجات القديمة وغيرهم من يونان ورومان وفرس ، وبالرغم كذلك من أن تدوين الأحداث المتنوعة في القراطيس والرقوق كان من الأمور الشائعة قبل الإسلام بمقياس واسع مما يدل عليه ما وصل إلينا من كتب ومدونات مصرية ورومانية ويونانية وسريانية وآرامية وفارسية وعبرانية .

والذي نرجحه أن العرب الصرحاء دونوا أحداثهم لهؤلاء في قراطيس ورقوق ، وأن مدوناتهم إما أن تكون مملوكة إلى الآن في خزانهم أو أن تكون أبيدت في ظرف من الظروف قبل الإسلام أو بعده .

ولقد نقل الطبري قولاً لابن الكلبي الذي ينقل عنه معظم مؤلفي العرب المسلمين أخبار ملوك الحيرة جاء فيه أنه كان يستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة وأخبارهم وسني حكمهم من مدونات في بيع الحيرة التي كانت عاصمة ملكهم ، كما روى الرواة أن النعمان الثالث المعروف بأبي قابوس أحد ملوك الحيرة كان يأمر بتدوين غرر القصائد التي تنشأ بين يديه في قراطيس وحفظها في خزائنه حيث يدل هذا وذلك على أن ملوك العرب كانوا يدونون أحداثهم ومآثرهم في القراطيس . وفي الكتب العربية روايات عديدة عن المراسلات التي كانت تجري كتابة بين ملوك العرب وغيرهم حيث يدل كل

هذا على ان العرب في هذا الدور لم يكونوا في غفلة عن هذا الأمر وهو مسانراه طبيعياً جداً .

على ان انقضاء المدونات العربية لا يعني انه ليس في اليد مصادر يمكن أن يستقى منها تاريخ نشاط ومآثر الجنس العربي خارج الجزيرة في هذا الدور . فهناك مصادر عديدة منها الموثوق كل الثقة ومنها بما يصح التحويل عليه كثيراً ومنها ما يصح التحويل عليه مع التحفظ .

ومن الاول نقوش الاشوريين التي نقشت قبل الميلاد المسيحي بقرون عديدة حيث ورد فيها اسماء واحداث متنوعة تعود الى العرب خارج الجزيرة في دور العروبة الصريحة غير انها ضيقة المدى لا تساعد على تدوين شاف . ومنها منقوشات عربية وجدت في مناطق الحضا وحوران والبلقاء وتدمر في بلاد الشام نقشت كذلك قبيل الميلاد وبعده . وهي متصفة بالصفة المذكورة آنفاً وان كانت تساعد على تدوين أوسع قليلاً بما تساعد عليه النقوش الآشورية . ومن النوع الثاني كتب اليونان والرومان والسريان التاريخية والكنسية التي كتب بعضها قبل الميلاد وبعضها بعده . وقد احتوت اسماء واحداثاً متنوعة تساعد على تدوين أوسع من النقوش المذكورة نوعاً ما .

أما النوع الثالث فهو الكتب العربية الاسلامية . فقد أمد امتداد نشاط القبائل العربية الى البعثة النبوية وبعدها مؤلفي هذه الكتب الذين دونوا كتبهم التاريخية والادبية في القرون الاسلامية الثلاثة الاولى بروايات كثيرة فيها كثير من الاسماء والاحداث لا تخلو من حقائق تاريخية على كثرة ما شابهها من مبالغات وانتعالات وخيالات وتناقض وتعدد .

وسيكون على هذه المصادر مولانا في كتابة هذا الفصل مع التنبيه الى اننا لن نستطيع عرض ما يعود الى ما قبل الميلاد المسيحي من الاسماء والاحداث إلا في شذرات مقتضبة بسبب ضيق مدى المصادر العائدة إلى تلك الحقبة باستثناء الانباط . حيث امكن ان يكون الكلام عنهم وعن الممالك العربية التي قامت بعد الميلاد في بلاد الشام والعراق وافيأ بعض الشيء وان كان لا يخلو من الثغرات مع ذلك .

وننبه الى ان ما شاب الروايات العربية من الشوائب التي ذكرناها سيكون من أسباب التحفظ في ما نقله عنها من احداث واسماء من جهة ومن أسباب ما سوف ننبه اليه من التباين والتعدد في هذه الاسماء والاحداث من جهة أخرى .

ومن واجبتنا أن ننوه بالدكتور جواد علي مؤلف اجزاء تاريخ العرب قبل الاسلام الذي يسر جهده وتحرياته واساطته كثيراً مما استطعنا تدوينه في هذا الفصل . ونذكر معه كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام لرجي زيدان وكتاب تاريخ سورية الجزء الثاني والجزء الثالث للطران الدبس اللذين اعتمد مؤلفاهما كذلك على النقوش والمدونات القديمة واحتوى كتاباهما ما ساعدنا على تدوين ما دوناه .

الممالك والمآثر العربية

في بلاد الشام

- ١ - مملكة عريبي
- ٢ - مملكة دومة الجندل
- ٣ - مملكة قيدار
- ٤ - مملكة الرها
- ٥ - الايطوريون
- ٦ - امارات ومدن وقبائل عربية أخرى في أنحاء بلاد الشام
- ٧ - النقوش الصفوية ودلالاتها
- ٨ - دولة الانباط
- ٩ - دولة تدمر
- ١٠ - التتوخيون والضجاعة وملوكهم
- ١١ - الدولة الغسانية

١ - مملكة عريبي

ذكرت كلمة أريبي - عريبي وأرض أريبي - عريبي في النقوش الآشورية مرات عديدة مترافقة مع أسماء ملوك وملكات .

والباحثون يذهبون إلى أن هذه الكلمة تعني اسم القبائل البدوية التي كانت تنزل في تخوم جزيرة العرب الشمالية مما يلي بلاد الشام . وقد يكون هذا صحيحاً من حيث المعنى العام الذي كان لكلمات أرابا - أرابيا - أريبي (عرابا - عرابيا - عريبي) في القرون السابقة كثيراً للبلاد المسيحية . غير أن تكرار الكلمة في مقام الدلالة على مملكة أعراية أو بدوية واحدة يعني في رأينا أكثر من هذا المعنى . لأنهم لو أريد بها المعنى العام فقط لكان من المعقول أن تذكر مترافقة مع أسماء جميع ملوك البدو وقبائلهم الذين كانوا ينزلون في تلك التخوم والذين ذكرت النقوش الآشورية كثيرين منهم بأسماء خاصة نسبة إلى بلادهم وغير مقترنة بالكلمة على ما سوف يأتي بيانه بعد .

ولهذا فنحن نرجح أن الكلمة أريد بها مملكة أعراية واحدة نستطيع أن نسميها مملكة عريبي بالنسبة للسابق والمملكة العربية بالفصحى لأن لغة العروبة الصريحة بادية بقوة على أسماء ملوكها ومن عرف من رجالها . والباحثون يقررون ذلك ويعيدونها من العرب الصرحاء .

وقد سلكتها في تاريخ بلاد الشام لأن ما ورد من أحداثها في النقوش الآشورية يدل على أنها كانت في تخوم هذه البلاد وعلى صلة وثيقة بأحداثها أكثر منها في أرض الجزيرة .

وأول من ذكر من ملوكها جنديبو (جندب) وقد ذكر في نقش لسليمانصر الثالث الآشوري (٨٦٠ - ٨٢٥ ق م) كحليف لملك آرام من جملة الحلفاء الذين كان منهم ملوك الحثيين والفينيقيين والكنعانيين ضد آشور . وقد ذكر النقش أنه كان على رأس ألف هجان مع الجيوش المتحالفة في القتال الذي دار بينها وبين جيش الملك الآشوري المذكور .

الذي كان يقوده الملك نفسه ١ .

ثم ذكر اسم الملكة Zabibi الذي فسرهُ الباحثون بزبيبة أو حبيبة . وكان ذلك في نقش من نقوش تغلات بلاسر الثالث ملك آشور (٧٤٥ - ٧٢٦ ق م) مع وصفها بوصف ملكة أرض أريبي (عريبي) في سياق ذكر خبر حملة تنكيلية زحف الملك الاشوري على رأسها على بلاد الشام التي تمردت على آشور سنة ٧٣٨ والتي اندلجت الملكة معها في التمرد وقد ذكر النقش ان الملكة اضطرت الى اعلان ولاءها وتقديم هداياها أو جزيتها للملك الذي انتصر عليهم في جملة من قدم ولاءه وهداياها من الملوك المتحالفين من آراميين وحثيين واسرائيليين .

ثم ذكر اسم الملكة Sami ملكة أريبي الذي فسرهُ الباحثون بشمسة في نقش آخر للملك الآشوري المذكور في سياق ذكر خبر حملة زحف على رأسها سنة ٧٣٢ على بلاد الشام لتمردها ثانية واندماج هذه الملكة في التمرد ، حيث يظهر ان الملكة زبيبة أو حبيبة قد توفيت وصار الملك الى هذه الملكة التي يمكن أن تكون بنتها أو أختها .

وبما جاء في هذا النقش أن الملكة حنثت بالعهد الذي قطعته أمام الآله شماش - شمس بعدم تعرضها للآشوريين بسوء وعدم تمردها عليهم ، وانها اصبحت بجسائر جسيمة جداً حيث قتل وجرح من رجالها مئة الف وغنم من أموالها ثلاثون ألف جبل وعشرون الف رأس من الماشية . وانها توغلت في الصحراء ثم اضطرت الى الخضوع فأرسلت الى نينوى وفدأ لاسترضاء الملك ومصالحته تألف من عدد من رجال قبائلها ذكر النقش أسماءهم التي تبدو عليها السمحة العربية الصريحة قوية مثل Jarapa الذي يمكن ان يكون جربا أو جربوع أو يرفع وكان رئيس الوفد Hatarama الذي يمكن ان يكون خطرات و Janabu الذي يمكن ان يكون جناب و Tamarana الذي يمكن ان يكون ثمرات . وقد تم الصلح على كمية كبيرة من الجبال جزية وفداء . وعين الملك الاشوري عند الملكة نائباً اسمه او اسم وظيفته قيوي Kipu للاشراف على سياستها وتوجيهها حسب ما يريد . وقد نقش على الحجر الذي وجد عليه هذا النقش منظر فارسين آشوريين يحملان رمحين ويتعقبان بدوياً راكباً جملاً وتحت اعقاب الفرسين وامامهما جثث البدو الذين خروا على الارض صرعى وشعرهم طويل معقود الى الوراء ولحاهم كثة وأجسادهم عارية الا من

(١) جواد علي ج ٢ ص ٢٩٩ وبعدها والبيانات الالية مرجعها هذا المصدر ايضاً .

منزور شد بنجام . وحورت الملكة حافية ناضرة شعرها تحمل جرة وقد أضناها الجوع والتعب .

ثم ذكر اسم Samsi شمة ملكة أريبي في نقش لسرجون الثاني ملك آشور (٧٢٤ - ٧٠٥ ق م) ولا يمكن الجزم بما إذا كانت هذه الملكة هي نفس الملكة السابقة عادت فتمردت على آشور أم خليفة لها سميت باسمها .

ثم ذكر اسم Jari ملكة أريبي الذي فسره الباحثون بطيعة والذي يمكن ان يكون عاطية او عطية في نقش لسنحاريب ملك آشور الذي خاف أباه سرجون الثاني (٧٠٥ - ٦٨١ ق م) وقد جاء في النقش ان هذه الملكة أرسلت جيشاً لمساعدة مردوخ بلاداف ملك بابل الذي اشتد نضاله وحركاته ضد سنحاريب تحت قيادة اخ لها اسمه Baskamo الذي يمكن ان يكون الباسق او الباشق وان الجيش الاشوري انتصر عليه وأسره مع عدد كبير من جيشه .

ثم ذكر اسم Telhunu ملكة أريبي في نقش آخر لسنحاريب في سياق خبر حملة أخرى سورها سنة ٦٨٨ ق م . وجاء في النقش ان الحملة انتصرت على جيش الملكة وغنمت كثيراً من ابلها وان الملكة فرت الى Admatto التي قسرها الباحثون بدومة الجندل ومعهما ملك قيدار حيث يدل على انها كانت متحالفة مع هذا الملك الذي سوف تذكر أمه في بحث آخر . وقد جاء في نقش لآسرحدون الذي تولى بعد سنحاريب (٦٨٠ - ٦٦٧ ق م) ما يفيد ان سنحاريب استولى على معقل أريبي Adamu واسر ملكتها التي كانت كاهنة للاله ذي البات Bilbat (ولعل الاسم في معنى ذي البأس) وحمل اصنامها معه واسر كذلك امير اسمها Fahea الذي يمكن ان يكون طابعة او طيبة (او ما هو في معناهما) وكانت صغيرة السن فرباها في بلاطه ثم عينها ملكة على مملكة أريبي .

ولم تعد النقوش الاشورية بعد سنحاريب واسرحدون تذكر أريبي ولكنها صارت تذكر قيدار وما اخذ يقع بين ملوكها وبين خلفاء سنحاريب من وقائع مما يسوغ القول انه طراً على مملكة أريبي ما أرهنا وان قيدار قويته في هذه الاثناء فبسطت سلطانها عليها .

ويظهر من فحوى الاحداث المسجلة ان مملكة أريبي قامت في القرن العاشر قبل الميلاد على الاقل وان سلطانها اتسع حتى شمل معظم بلاد الشام مع بعض انحاء الجزيرة

الشمالية وصارت تشغل حيزاً مهماً في أحداث بلاد الشام والعراق وكانت تأبى الخضوع والاستسلام لآشور وتتحالف مع ملوك بلاد الشام ضدها وتشترك في كل حركة تمردية بسبيل ذلك الى القرن السابع .

ولقد ذكر مؤلف كتاب تاريخ شرق الاردن اسماء شمسه وبقي وتلخونو وقال انهم ملكات عرب الجوف^١ ووصف دومة بوصف معقل اربي في نقش اسرحدون يسوغ القول إنما كانت عاصمة ملكة اربي وان تصوير معقل اربي يؤيد ما رجحناه من أن للكلمة معنى خاصاً وبتعبير آخر إنما اسم المملكة التي ذكرت اسماء ملوكها وملكاتها مقترنة به . ودومة الجندل هي في البداية المتصلة بالمنطقة المعروفة باسم الجوف الى اليوم :

٢ - مملكة دومة الجندل قبل الاسلام

وفي عهد النبي عليه السلام

يستطرد الى القول ان الكتب العربية الاسلامية القديمة تتنبأ^٢ بأن دومة الجندل كانت في عصر النبي عليه السلام مركز مملكة عربية على رأسها ملكان احدهما الأكيدر بن عبد الملك الكندي وثانيهما الجودي بن ربيعة السكوني وأن الملك الكندي كان هو الاصل فنازعه السكونيون ثم اتفقوا على المشاركة ، وأنه كان يقوم في دومة الجندل سوق يقصدها قبائل الشام والحجاز وأعلى نجد وان منافع هذه السوق كانت من أسباب التنافس بين الكنديين والسكونيين .

ولقد ذكرت كتب السيرة امم الأكيدر فقط ملكاً على دومة الجندل في سياق خبر ارسال النبي عليه السلام اليه كتاباً يدعو فيه الى الاسلام وكان نصرانياً^٣ ثم بعث النبي عليه السلام اليه خالد بن الوليد رضي الله عنه في اثناء غزوة تبوك فتغلب عليه وأخذ معه الى المدينة لان النبي كان عاد اليها ، وقد ذكرت كتب السيرة في هذه المناسبة انه كان يكتسي حلة أثارت عجب المساهين ودهشتهم حتى قال لهم النبي عليه السلام إن مناهيسل سعد بن معاذ رئيس الأوس الذي كان توفي خير منها . ولم تذكر كتب السيرة شريكاً له،

(١) تأليف بيك الانكليزي وترجمة طوفان ج ١ ص ٢٤ وبعدها

(٢) جواد علي ج ٤ ص ١٤٤

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٤

(٤) نفس المصدر ج ٢ ص ٢١٩

حيث يجتبل ان يكون الأكيدر قد استطاع الانفراد بالحكم دونه في فرصة ما .
والسياق قد يدل على أن ملك الأكيدر امتداده لملك أسلاف له في دومة الجندل ،
ولعل هذه المدينة ظلت مركز مملكة أو أمانة بشكل ما امتداداً لما كان الأمر عليه بين
القرن العاشر والقرن السابع قبل الميلاد لأنها معصم مهم في البداية التي كانت تعج بالقبائل
العربية وإن كان من المؤسف أن الكتب العربية وغير العربية لم تمدنا بشيء في صدد ذلك
مما يجعلنا نقف عند هذا الحد .

٣ - مملكة قيدار

ورد اسم قيدار Kidar في أكثر من نقش من نقوش الآشوريين في سياق ذكر
حملات ملوكهم التنكيلية على بلاد الشام والقبائل العربية المتوجة على حدودها من ناحية
الجزيرة . وفيقوش يفيد أن هذا الاسم كان يطلق على قبائل كانت تنزل في مشارف
الشام قبل الميلاد المسيحي بعدة قرون .

ولقد ذكر اسم قيدار في الإصحاح (٢٥) من سفر التكوين كأحد أبناء إسماعيل بأسلوب
يفيد أنه كان يطلق حيناً دون هذا السفر على قبيلة حيث جاء بعد ذكر الاسماء هذه الجملة
« هؤلاء بنو إسماعيل وهذه أسماءهم بحسب أحويتهم وحظائرهم اثنا عشر زعيماً لقبائلهم »
وبنو إسماعيل اثنا عشر .

ومن الجدير بالذكر أن بني إسرائيل كانوا ينعنون العرب بنعت الإسماعيلين . وقد
ذكر الإسماعيليون في سفر التكوين (الإصحاح ٢٧) بأسلوب يفيد ذلك في سياق خبر
مؤامرة اخوة يوسف على انقيصهم وبيعهم إياه للإسماعيلين .

وسفر التكوين دون لأول مرة على أحسن تقدير في القرن الثالث عشر قبل الميلاد واعد
تدوينه على الأرجح في القرن الخامس بعد السبي . وحيناً دون لأول مرة ولثاني مرة كان الاسم
يطلق على قبائل في تخوم جزيرة العرب الشمالية . فليس من المستبعد أن يكون الذين
كتبوا هذا السفر قد تأثروا بالواقع ثم اعتبروا هذه القبائل من نسل قيدار بن إسماعيل .
وفي هذا السفر أشياء كثيرة من ذلك على ما شرحناه في مبحث العبرانيين في الجزء
الرابع .

ولحة العروبة الصريحة قوية البروز على أسماء ملوك ورجال قيدار بحيث يسوغ القول
إنها مملكة صريحة العروبة . وقد عدها الباحثون كذلك بناء على ذلك أيضاً .

و اول ذكر لقيدار ورد في نقش لسنجاريب ملك آشور (٧٠٥ - ٦٨١ ق)^١ حيث ذكر اسم Hazaibi حزايل بوصفه ملك قيدار في سياق خبر حملة الملك على البادية وفراق حزايل الى دومة مع الملكة تلخونو . وقد ذكر حزايل مرة ثانية في نقش لأسرحدون (٦٨١ - ٦٦٧ ق م) في سياق خبر قدومه الى نينوى معتذراً وحاملاً معه هدايا للملك كثيرة فرضي عنه الملك وأعادته إلى مملكته ورد اليه أصنامة .

ولما مات حزايل أو خزل عين أسرحدون مكانه ابنه aiaite الذي فسره بعض الباحثين (يوتحه أو بيتع) والذي يمكن أن يكون عويده أو حويطه أو عويضة على أن يدفع جزية مقدارها الف من أو وزنة من الذهب والف حجر كريم وخمسين جملاً والف وزنة من الطيب والبهارات . وهذه المقادير تدل على ما كان من ثروة المملكة وتجارتها وطول يدها .

ويستفاد من النقوش الآشورية أن أهل مملكة قيدار نادوا على ملكهم بزعامة زعيم اسمه Wodo ولعله في النطق العربي أيوب فبادر الآشوريون الى ارسال حملة لاختاد الثورة وتمكنت من ذلك وأمرت الزعيم . غير أن الثورة عادت فاندلعت ثانية بزعامة الملك waite عويده الذي عينه الآشوريون مجازاة على ما يظهر لشعور قومه وبلاد الشام التي كانت تأبى الخضوع لآشور وتحاول الثقل من سلطاتها كلما فرضته عليها . وبادر الآشوريون الى تسيير حملة جديدة تمكنت من اخضاع الثورة وأسرت كثيراً من القيداريين وأخذت أصنامهم أسرى مثلهم . أما الملك الثائر فقد توغل في البادية وظل شريداً الى أن مات أسرحدون فذهب الى نينوى واسترضى آشور بانيبال الذي خلفه (٦٦٧ - ٦٢٧ ق) وعاد الى مملكته ومعه أصنام قومه . ولكنه لم يلبث أن اندمج في حركة تمرد ضد آشور بانيبال وكان شمشو كين اخو بانيبال يناوئ اخاه فأرسل اليه عويده بمدة من رجاله . ولكن السعد لم يحالفه هذه المرة أيضاً حيث تمكنت قوات آشور بانيبال من تشتيت شمل المدد . وكان هذا المدد بقيادة قائد قيداري اسمه Abjate ابوجاد فهرب الى البادية ثم جاء الى نينوى معتذراً فصفح عنه بانيبال وعينه ملكاً مكان عريده الذي كان مشغولاً بغزو حدود الشام وفلسطين المتاخمة للصحراء والتي كانت خاضعة للآشوريين . وقد تعهد ابوجاد بالخضوع وتقديم

(١) جواد علي ج ٢ ص ٣٠١ - ٣٠٣ والبيانات التالية ايضاً مقتبسة من هذا المصدر . انظر ايضاً تاريخ شرق الاردن ج ١ ص ٢٧ - ٣٠ الترجمة العربية المذكورة آنفاً

جزية كبيرة من الذهب والحجارة الكريمة والجمال والحير وقد لجأ الملك الناصر عويده الى ننتو Natnu ملك النبط فما كان من هذا الا أن اعتقله وأرسله الى نينوى تقريباً لملك آشور وقد وضع في قفص وعرض على الناس في نينوى ثم لقي حتفه .

وثارت قidar على ملكها ابي جساد وفادت بابن اخي عويده وكان اسمه كاسه waite ملكا وأعلنت قمردها على آشور فسير بانيبال حملة جديدة على قidar . وطلب القيداريون من ننتو ملك النبط ان يتحالف معهم في صد الحملة فاستجاب اليهم هذه المرة . ولكن القوات الاشورية تغلبت عليهم وغنمت منهم مقادير كبيرة من الحير والجمال والاغنام وامرت ام عويده وزوجته وعدداً كبيراً من اتباعه مع أصنام قidar . وفر عويده مع فريق من جيشه الى البجاه في شرق جبل حوران فطاردهم الاشوريون اليها وقطعوا عنهم الماء فذاقوا من ذلك شديد البلاء ولم يرو محيصاً من الاستسلام والتخلي عن عويده الذي اعتقله الآشوريون واخذوه الى نينوى حيث ظل منفياً فيها بعد ان عذب عذاباً شديداً .

هذا ما اطلعنا عليه من اخبار قidar : ولم تذكر المصادر التي اطلعنا عليها عاصمة هذه المملكة كما لم نطلع على ذكر لها قبيل الميلاد وبعده . ويبدو أنها هي الاخرى بمملكة عربية بدوية قامت في رقعة من منطقة الجوف أو وادي السرحان . ومن المحتمل أن تكون عاصمتها احدى مدن هذه المنطقة التي كانت موجودة قبل الاسلام على الاغلب مثل القریات أو سكاكه أو سوف . وقد كانت في ظروف وجود مملكة عربي ثنوية بالنسبة اليها ثم برزت المركز الرئيسي الذي كانت تشغله عربي من انبساط السلطان والنفوذ والبروز والاندماج في الاحداث السياسية التي كانت تجري على مسرح بلاد الشام . وقد وهنت هي الاخرى نتيجة للضربات التي أصابتها من جراء استمرار الغزو والتنكيل من جانب الآشوريين ولما قويت مملكة الانباط في القرن الرابع قبل الميلاد وبعده دخلت في نطاق سلطاتها .

٤ — مملكة الرها

اشار الكاتب الروماني بيلنوس على ما ذكره جواد علي^١ الى ارض في حوض الفرات سماها Arroeï وقال انها ملك جملة قبائل عربية كما ذكر بعض مدن فيها

١ — تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٣ ص ٢٨٠ وبعدها والبيانات التالية مقتبسة كذلك من هذا

المصدر .

منها Cedesice و Callirrhoe و Garrhoe وقد فسر الباحثون الاسم الأول بأنه منطقة الرها والثاني بأنه مدينة الرها التي تعرف اليوم باسم اورفة والثالث بالموضع الذي يعرف ببركة خليل الرحمن والرابع بأنه المدينة التي عرفت باسم حران . وجميع هذه المواقع في حوض الفرات . ولقد عثر على مدونة عرفت بحولية الرها وكتبت في سنة ٥٤٠م بم جاء فيها ذكر مملكة باسم مملكة الرها . وقد ذكر هذه المملكة كتاب آخرون من الرومانيين أيضاً .

ويستفاد مما كتبه هؤلاء الكتاب وبما جاء في الحولية المذكورة أنه قام في القرن الثاني قبل الميلاد في هذه المنطقة مملكة عرفت بمملكة Arroe (الرها) سكانها وملوكها عرب صرخاء وأن حياتها امتدت الى اوائل القرن الثالث بعد الميلاد (١٣٢ ق م - ٢٢٠ ب م) .

وقد عرف من الحولية والنقود التي عثر عليها عدد من اسماء ملوكها مثل مصنو وبكرو وعبدو وسهرو وابجر ومزعور واورثيل كما عرف من اسماء آلهتها Monimos الذي يمكن أن يكون منعم و azizus الذي يمكن أن يكون عزيز واللمحة العربية الصريحة بادية بقوة على الاسماء بما فيه تأكيد لعروبة هذه المملكة الصريحة .

وفي الجزء التالي من تاريخ كلدو وآثور فصل ١ عن هذه المملكة فيه تأييد لعروبته الصريحة وشيء من سيرتها .

وبما جاء في هذا الفصل ان هذه المملكة قامت سنة ١٣٢ ق م على يد زعيم اسمه اريو وانها ظلت قائمة الى سنة ٢٤٧ ب م حيث قضى عليها الرومان في عهد الملك كاراكلا وصيروها ولاية يحكمها حاكم روماني اسوة ببلاد الشام ومصر ؛ وأنه تعاقب على عرشها بعد اريو الذي ملك خمس سنين (١٣٢ - ١٢٧ ق م) الملوك التاليون :

عبدو بن مزعور ٢	ومدة حكمه	١٢٧-١٢٠
وال فارسي	»	١٢٠-١١٥
بكرو الاول	»	١١٥-١١٢
بكرو الثاني بالاشتراك مع معنو الاول وابجر الاول	»	١١٢-٩٧
ابجر الاول منفرداً	»	٩٧-٦٨

(١) تأليف ادي شير اسقف سعرد ص ١٦٩-١٧٤

(٢) لعل اسم اريو مغلوط عن مزعور ، لان عبدو خلف اريو مباشرة بحيث يحتمل ان يكون ابنه

٦٨ - ٥٣	ومدة حكمه	البحر الثاني
٥٢ - ٣٤	»	معنو الثاني
٣٤ - ٢٩	»	وال فارسي
٢٩ - ٢٦	»	البحر الثالث
٢٦ - ٢٣	»	البحر الرابع
٢٣ - وخلق	»	البحر الخامس
?	»	معنو الثالث
?	»	البحر الخامس ثانية
?	»	معنو الرابع بالاشتراك مع سناتروك
٥٥ ب م	»	سناتروك منفرداً
٥٧ - ٥٥	»	معنو الخامس
٥٧ - ٧١	»	معنو السادس
٧١ - ١٠٩	»	ولاة من الرومان
١١٦ - ١٠٩	»	البحر السادس
١١٦ - ?	»	وال فارسي
١٣٩ - ?	»	معنو السابع
١٣٩ - ١٦٣ وخلق	»	معنو الثالث
١٦٤ - ١٥٧	»	البحر السابع
١٩٧ - ١٧٩	»	معنو الثامن ثانية
١٧٩ - ٢١٤	»	البحر الثامن
٢١٦ - ?	»	البحر التاسع

ولقد كان سرير الملكة مدينة ميدزين التي صارت تعرف في الاسلام الى اليوم باسم نصيبين ثم اتخذت مدينة الرها سريراً فعرفت الملكة باسمها .

ومن احدثات الرها التي رواها بعض المؤرخين القدماء^١ أن ملكها البحر - وربما كان

(١) تاريخ سورية للديبس ج ٢ مجلد ٣ ص ٥٦٣ وبعدها

الهجر الخامس ... كان مصاباً بمرض عضال وانه ارسل الى السيد المسيح الذي كانت بعثته في زمنه رسولاً مع رسالة يطلب منه فيها الشفاء لما سمعه من عجائبه وأن المسيح ارسل اليه جواباً يثني فيه على ايمانه وان احد تلاميذه المسيح ذهب الى الرها بعد وفاة المسيح وشفى الملك وغيره من المرضى فأدى ذلك الى انتشار المسيحية في هذه المملكة .

وقد صار للرها فيما بعد مركز خطير في النصرانية فكانت مركزاً من مراكز المذهب النسطوري الذي ظهر وانتشر في القرن الرابع بعد الميلاد ، ثم مركزاً من مراكز الادب السرياني^١ حيث صار الآراميون الذين كانوا فيها وفيما يجاورها من البلاد والذين اعتنقوا المسيحية يسمون باسم السريان تمييزاً لهم عن اخوانهم الذين ظلوا على الوثنية . وصار لهم لهجة خاصة في اللغة الآرامية عرفت باللهجة السريانية وترجمت اليها الكتب المقدسة على ما ذكرناه في الجزء الرابع .

هذا ولقد كانت هذه البلاد موضع تجاذب بين الفرس والرومان في سياق ما كان يجري بينهم من تشاد وحروب فكانت تخضع أحياناً لهؤلاء وأحياناً لأولئك حسب تداول الأيام بينهم . وكان يلزمها ويلزمها بعض الحن من جراء ذلك فيعبد الفرس الى خلع الملك الجالس أو قتله لانه يكون متضامناً مع الرومان ويولون والياً منهم أو ملكاً عربياً يتعهد لهم بالولاء والخضوع . وكان الرومان يفعلون ذلك ايضاً . وكان يقع أحياناً بين رجال المملكة تنافس يؤدي الى قتل ثم الى خلع بعض الملوك وقتلهم .

وقد ظلت هذه البلاد في حكم الرومان بعد أن قضوا على حكمها العربي إلى أن حررتها موجة الفتح الاسلامي فغدت جزءاً من الدولة العربية الاسلامية .

ولقد ذكر اسم الرها Arroeï المؤرخ الروماني بيلينوس وقال انها ملك جملة قبائل عربية^٢ والرها على حدود جزيرة الفرات بل فيها . وهذا يعني أن القبائل الصريحية العروبة اخذت تتسرب الى هذه الانحاء وتنتشر فيها وتقيم الممالك فيها . وقد ذكر هذا المؤرخ اسماء بعضها الذي كان قائماً في اطراف جزيرة الفرات بما سوف نورد بعد .

ولقد كانت جزيرة الفرات واطرافها الشمالية بما يلي حدود الأناضول مباءة قبائل صريحية العروبة عرفت اسمائها يقيناً لانها ظلت ممتدة الى البعثة النبوية وما بعدها

(١) انظر ايضا جواد علي ج ٣ ص ٢٨٣

(٢) جواد علي ج ٣ ص ٢٨٠

ومن أشهرها وأهمها قبائل بكر وربيعة وفروعها تغلب وشيبان ثم قبائل النمر وإباد وقيم
أو بعض فروعها حيث يبدو من هذا قدم تسلسل القبائل العربية الصريحة واستمرارها فيه
امتداداً لما كان من ذلك قبل دور العروبة الصريحة^١

٥ - الايطوريون

في كتاب الاسلام والمسيحية في لبنان هاشم الدفتردار بحث عن قبيل عربي كان مستقراً
في لبنان وساحة قبل الفتح الروماني الذي وقع سنة ٦٤٤م معزواً الى الكتب الرومانية
واليونانية حيث ذكرت ان الرومانيين حينما استولوا على بلاد الشام وجدوا لبنان في حيازة
قوم من العرب يسمون (الايطوريين) قد عثشوا في جباله وسواحله الشمالية من طرابلس
الى جبيل^٢

وبما ذكره المؤلف المذكور ان هذا القبيل العربي جاء الى بلاد الشام قبل الميلاد بستة
قرون ثم تدفق فريق منه الى لبنان قبل الميلاد بثلاثة قرون وكانوا يارعين بالقروسة
والرمي فنزلوا أولاً سهل البقاع وبعلبك وأقاموا حصنهم العظيم على هضبة عين جر ودعوه
بجدلاً ثم صعدوا لبنان الشرقي والغربي وجبل حرمون ومنطقة الشوف وأنشأوا بعض المدن
التي لا تزال تحمل اسمهم مثل حيتوره وجدره^٣ ثم امتدوا الى الساحل وجعلوا
مراكزهم الرئيسية في مدينتي جبيل وطرابلس بل وامتدوا الى اللاذقية .

وكان لهم رئيس عام عظيم الثروة والشأن . وكان يحكم بلاد الايطوريين الأصلية أي
البحاثة وحووران والجيدور وتمتد سلطته الى الجبل الشرقي وجهات البقاع الشمالية . وكان له
جيش من الفرسان عدته ثمانية آلاف ؛ وكان له نائب في طرابلس .

(١) انظر المصدر نفسه ايضا ص ٢٨٤

(٢) ص ٣٣-٣٧ وذكر المؤلف من مصادره مجلة الشرق وتاريخ الافكار ودواني القنوط وخطط
الشام . وقد ذكر الايطوريين ايضا جواد علي ج ٣ ص ٥٥ ؛ وكتاب لبنان الذي ألفه لجنة من الادباء
ص ٢٣٦ عزوا الى كتاب اليونان والرومان .

(٣) حيتوره تطوير لاسمهم اما جدره فهي نسبة الى كلمة الجيدور التي هي اسم منطقة في سورية نزلوا
فيها في سورية وسما جيدوريين نسبة اليها .

ولما فُتح بومبيوس القائد الروماني على بلاد الشام وجد طرابلس وماجاورها من لبنان في حكم شخص قريب للرئيس الكبير ووجد للايطوريين دولة في جهات جبل الشيخ وبقاع العزيز عاصمتها مدينة عين جر . ولم يخضع الايطوريون للرومان الا بعد نضال قوي بذلوا فيه جهدهم للذب عن حياضهم . وقد خرب الرومان حصونهم المنيعه التي منها جفرتا وسانا ويوروما خضداً لشوكتهم .

ومن المؤسف اننا لا نستطيع ان نذكر غير ما تقدم عن هذا القبيل العربي النشيط الذي كان من أقدم عناصر العروبة الصريحة التي تغلغلت في صميم بلاد الشام قبل الميلاد المسيحي بقرون عديدة بل أقدمها .

ولقد ذكر اسم بطور في الأصحاح (٢٥) من سفر التكوين كأحد أبناء اسماعيل وباسلوب يفيد انه كان يطلق حينما كتب هذا السفر على قبيلة . ولقد ذكرنا قبل ان اسم قيثار ورد في هذا الأصحاح بنفس الاسلوب وما علقناه على ذلك يقال في صدد بطور ايضاً .

ممالك وامارات ومدن وقبائل عربية أخرى

في أنحاء البلاد الشامية

في المدونات اليونانية والرومانية

والنقوش الاشورية

بالإضافة الى ما أوردناه فان أسماء كثيرة أخرى لممالك وامارات ومدن وقبائل صريجة العروبة وردت في كتب اليونان والرومان والنقوش الاشورية بعبارات مقتضبة لا تساعد على ايراد نبد خاصة بها وتدل على كل حال ان مختلف أنحاء بلاد الشام كانت تعج بالعرب الصرخاء بدو وحضر قبل الميلاد المسيحي وبعده وكان لها نشاط فيما كانت يجري على مسرح بلاد الشام من أحداث نوردها في ما يلي :

١- لقد أشير في حولية الرها التي ذكرناها قبل إلى مملكة سميت (حدياب) اشارة خاطفة في سياق ذكر صلات الرحم التي نشأت في القرن الاول بعد الميلاد بين ملوكها وملوك الرها . ويضمن الباحثون^١ انها كانت بين نهري الزاب الاكبر والاصغر في شرق جزيرة الفرات وأن مدينتها العظمى أو عاصمتها هي اربيل . وقد ذكر هذه المملكة المؤرخ اليهودي يوسفوس وقال ان الملكة هملينا أم ملك حدياب المسمى Yzatas الذي يمكن أن يكون عزة أو عزيزاً ، زارت القدس كثيراً وقدمت النذور والهدايا وتهودت وحملت ابنها الملك وإخاه على اليهود ثم أرادت حمل شعبها على ذلك فثاروا وكاتبوا ملكاً عربياً اسمه abras الذي يمكن أن يكون ابيا أو من بابيه ومملكته الى الشرق الجنوبي من مملكتهم وطلبوا منه المجادهم وانقاذهم من ملكهم الذي يريد تهويدهم . والملمحة العربية الصريجة بادية على هذا الاسم والاسماء السابقة .

والمتبادر ان هذه المملكة أيضاً من الممالك الصريجة العروبة التي قامت هي الاخرى في هذه الأنحاء أو بعبارة أدق في حوض الفرات في زمن الحكم السلوقي ثم الروماني وان لم نستطع معرفة شيء غير ذلك عنها مع الاسف .

(١) انظر جواد علي ج ٣ ص ٢٨٢ وبعدها والبيانات التالية أيضاً مقتبسة من هذا المصدر .

٢- وما ذكره الكاتب الروماني بيلينوس اسم مشيخة Iamesenes ووجعها بالعروبة وقال انها كانت قائمة في مدينة Hamesa وانها كانت صاحبة الحكم والسلطان في هذه المدينة والاماكن القريبة اليها . وقد خن الباحثون أن تكون المدينة حصص . ومن المحتمل أن يكون اسم المشيخة نسبة الى المدينة أو العكس ، والاسم على كل يحمل لمحة العروبة الصريحة حيث يمكن ان يكون حصة او حماسة او حماسة أو أصلاً لمثل هذه الكلمات قبل اللهجة الفصحى . والراجح ان هذه المشيخة كانت كسابقتها تمارس الاستقلال الذاتي في نطاق سلطان السلوقيين ثم الرومان .

٣- وقد ذكر الكاتب الروماني نفسه اسم مشيختين اخريين في هذه المنطقة حتى احدهما Sampaicerami التي يمكن ان تكون شمساكرامه وثانيتهما Jamblichi التي يمكن أن تكون حنبلي أو شمبلي وقال انها كانتا قائمتين في أيام بومبيوس وهو الذي فتح بلاد الشام . واللهجة العربية ماثورة على الاسم .

٤- وذكر هذا الكاتب ايضاً اسم مدينة arethusa التي خنها الباحثون بأنها الرسن أو أصل اسم هذه المدينة التي تعرف اليوم به وهي واقعة على نهر العاصي . وقد قال الكاتب انها كانت مركز مشيخة عربية .

٥- وذكر ايضاً اسم مدينة Apamea التي خنها الباحثون انها اقاميه وقال انها تقع في منطقة غالب سكانها عرب ويقيم الى الجنوب منها قبائل بدوية . ومدينة اقامية من المدن التي كانت عامرة قبيل الفتح الاسلامي . ويقوم مقامها اليوم قلعة المضيق . والمتبادر انها كانت هي الاخرى مركز مشيخة عربية .

٦- وذكر اسم Parapatami التي خنها الباحثون انها الهضبة المعروفة باسم العلاء في جزيرة الفرات . وقال انها كانت منطقة عربية تحت حكم شيوخها .

٧- وذكر اسم Prateavi (بوتاوى) وهو اسم قبيلة كانت عاصمتها مدينة Singara التي خنها الباحثون انها سنجار المدينة المعروفة في جزيرة الفرات . وواضح من كلام الكاتب ان المدينة كانت مركز شيوخ القبيلة وحكامها .

٨- وذكر قبيلة اسمها Eldamara (الدمارى) وثانية اسمها Salmai (السالمى) وثالثة اسمها Masci (مامى أو مسمى) وقال ان منازلها على بعض فروع الفرات .

٩- وذكر كاتب بيزانطي اسمه اسطافانوس شيخاً عربياً سماه Manico الذي يمكن أن يكون مالك أو مانك وقال انه رئيس مشيخة عربية اسمها enalacis وقد خمنها الباحثون انها قسرين^١.

١٠- وذكر استرابون اسم themellas الذي يمكن ان يكون تيم الله أو تيم اللات واسم Gmbarus الذي يمكن ان يكون جبار أو ما يقرب من ذلك ووصفها بأنها من مشايخ العرب سكان الحيام^٢.

وسكان الحيام هم على ما تفيدته بيانات الكتاب اليونان والرومان القدماء أعراب يقطنون البادية وأطراف الشام والعراق ، وكانت منازلهم تمتد في بلاد الشام حتى تصل الى افامية وفي الشمال حتى تصل الى حدود مملكة حيداب وجبال العراق وفي الشرق حتى تبلغ ملتقى نهري الفرات ودجلة . وكانوا ينتقلون من مكان الى مكان حيث يكون المرعى أو تتوافر الغنائم لأن الغزو والنهب كان من ديدنهم أيضاً . وقد كانوا يتحكمون في البادية وكان مشايخهم يتقاضون الاثارات من التجار مما جعل بعض التجار يتجنبون السير في مناطقهم . ومنهم من كان يشايخ الرومان ومنهم من كان يشايخ الفرس^٣.

١١- وقد ذكر الكتاب الرومانيون قبيلة اسمها audemoi من قبائل حوران. ومن المحتمل أن يكون الاسم تحويراً لكلمة عودة أو ما يقاربها^٤.

١٢- ولقد ذكر بطليموس^٥ وهو من رجال القرن الاول بعد الميلاد فيما ذكره من أسماء القبائل والمدن والممالك العربية :

أ- اسم قبيلة Raabena الذي يمكن ان يكون رعابنة أو رحابنة وقال انها كانت تنزل على الفرات وان لها ملكاً اسمه Alchaedamus الذي يمكن ان يكون الشيخ دموسي وانه ساعد القائد الروماني باسوس في حربه مع الفرس . وقد خمن الباحثون أن مكان القبيلة هو ما يعرف اليوم باسم الرحبة في جزيرة الفرات . وهو تخمين وجيه وهذا الاسم

(١) جواد علي ج ٣ ص ٢٩٠

(٢) نفس المصدر ص ٤٥٢

(٣) انظر المصدر السابق ص ٤٥٢-٤٥٤

(٤) « « نفس ص ٤٥٥

(٥) جواد علي ج ٣ ص ٣٥٣ وبعدها

متطور كما هو المتبادر عن اسم القبيلة القديم .

ب - اسم قبيلة Batanaee الذي يمكن ان يكون البطاني وقال انها تقيم على مقربة من بلاد الشام .

ت - اسم قبيلة agubeni الذي يمكن ان يكون اجابني او اجيني وقال انها تقيم في شرق منازل القبيلة السابقة .

ث - اسم قبيلة Chouchaleni التي ذكرها كتاب آخرون بصيغة Kookaba (كوكبة أو كواكبة) وقال ان منازلها على مقربة من الفرات .

ج - اسم قبيلة Kindiakalpitia التي خمنها الباحثون انها كندة أو كنانة وقال انها تنزل عند مدينة Kapar (خبر) على ساحل البحر الاحمر .

ح - اسم قبيلة Rathayonki الذي يمكن أن يكون راتية وقال انها كانت تنزل في الساحل الغربي لطور سيناء .

خ - اسم قبيلة Thanita (ثانيتة) وقال انها كانت تنزل على ساحل البحر الاحمر الشمالي عند منطقة تكثر فيها زراعة النخيل . وقد ذكرها ديودوروس وقال انها كانت تحج كل خمس سنوات الى منطقة لها فيها آلهة وتقدم القرابين اليها . وقد ذكرها سترابون وقال ان منها من كان يسكن الحيام ومنها من كان يشتغل في الفلاحة . والكلام يفيد ان الاسم يطلق على مجموعة من القبائل أو على قبيلة لها فروع عديدة . والمتبادر ان هذه القبائل كانت تحمها مشايخها .

د - اسم قبيلة Gaamaie الذي خمن الباحثون ان له صلة باسم الضجاعة القبيلة المعروفة القديمة التي كان لها ملك في حوران سوف نذكره في نبذة خاصة .

ذ - وقد ذكر بطليموس فيما ذكره اسما أربعة مدن في جنوب البلقاء وهي :
١ - Makina التي قال الباحثون انها مثنا المذكورة في كتب السيرة و ٢ - Madiana التي قال الباحثون انها مدين المدينة القديمة المذكورة في سفر التكوين و ٣ - Zaraama (فارام) و ٤ - Kapar على ساحل البحر الاحمر تنزل عندها قبيلة سماها Kindiakalpita التي خمنها الباحثون انها كنانة أو كندة . والمتبادر ان هذه المدن كانت تحت حكم زعماء القبائل الصريحة العروبة التي كانت منتشرة في هذه المنطقة في هذه الظروف

١٣ - واقد ذكر المطران الدبس^١ غزواً الى دراسات اثرية وكتاب مسن الافرنج اسم اذينة رئيس بني السميندع كملك على دولة صغيرة على تخوم سورية والبحرية كانت موجودة في القرن الاول بعد الميلاد . ومن الاسماء التي قرئت على بعض قبور بني السميندع اسم الحرة زوجة اذينة الملك واسم حبيبة السميندية بنت نعم .

١٧ - ذكر كاتب يوناني اسمه اريان ان العرب الصرحاء كانوا يقطنون غزة حينما حاصرها الاسكندر الكدوني وانهم قارموه مقاومة شديدة وان منطقة غزة وما وراءها كانت مأهولة بالقبائل العربية المتصلة بطور سيناء وتمت حكم ملك عربي^٢ .

١٨ - ولقد جاء في نقش تغلات بلاسر الثاني الذي ذكر فيه اسم الملكة سمسي ملكة اريبي وذكرنا في مبحث مملكة اريبي اسماء قبائل عربية عديدة خضعت لسلطان الاشوريين بعد خضوع هذه المملكة وقدمت للملكهم جزية من الذهب والفضة والطيوب . وهي^٣ Masa التي يمكن ان تكون محورة عن مسمى او من بابها و Tima التي يمكن ان تكون تيا و Hayapa التي يمكن ان تكون خياطة او حجابة و Datama التي يمكن ان تكون بطنة و Hatti التي يمكن ان تكون خطي و Idilbail التي يمكن ان تكون عبد بعل . وكانت هذه القبائل تنزل في مشارف الشام واللمحة العربية الصريحة باادية عليها . وسياق الكلام يدور على انها كانت تحت حكم شيوخها الذين كان لهم كيانات خاصة وكانوا اصحاب ثروة وبروز .

١٩ - ولقد جاء في نقش لسرجون الثاني في سياق ذكره الحملات التنكيلية التي قادها نحو بلاد الشام والبادية اسماء قبائل اخرى قال انه انتصر عليها واخذ منها الجزية ونفى بعض زعمائها الى السامرة حيث يفيد هذا ما يفيد الكلام السابق .

والاسماء هي Tamudi الذي يمكن ان يعني قبائل ثمود و Ibadidie الذي يمكن ان يكون عبايدى و Marsamani الذي يمكن ان يكون مرسمان . وكانت هذه القبائل تنزل في منطقة مدين والعقبة على ما تخمنه الباحثون .

(١) تاريخ سورية ج ٢ مجلد ٣ ص ٥٩٨

(٢) جواد علي ج ٢ ص ٣٧٣-٣٧٤

(٣) جواد علي ج ٢ ص ٢٩٩ وما بعدها والبيانات التالية مقتبسة من نفس المصدر

٢٠- ولقد جاء في نقش لأسرحدون انه غزا فيها غزاه من البادية ارض Bazu أو Hazu (بازو أو حازو) وحارب فيها جيوش جبهة متحدة من ملوك وامراء العرب وانتصر عليهم وقتل kiau (قيس) ملك Haldili التي يمكن ان تكون خالدية و A Beru (اكبرو) ملك النبط و Man Sahe (معن ساق) ملك Magalani (مجلاي) و Japa (جبة أو جبهة) ملكة (زهراني) Dihrani و (قبضة أو خبيصة) Habisu ملك Adaba (حدبا أو قضا) و (تحرو) nikaru ملك Gabani (جفان) و B ilu (بعلة) ملكة Ihilu (اهيلة) و Habanemra (خبانرو) ملك Budae (بدع) واسر خالقاً من أتباعهم ونفاهم الى ارض اشور واخذ آفتهم معه ، وان Yaili ملك (يادي أو جادي) Jadi تمكن من الافلات ولكنه ذهب الى نينوى بعد عودة الملك اليها وطلب العفو والصفح فعفا عنه الملك وتأخى معه واعاد اصنام قومه وعينه ملكاً على ارض حازو على شرط دفع الجزية .

والمستفاد من دراسة الاثريين ان هؤلاء الملوك كانوا زعماء قبائل عربية منتشرة في مشارف الشام ووادي السرحان واطراف حوران . ولغة العروبة الصريحة بادية بقوة على الاسماء .

٢١- ولقد ورد في نقش دونه مندوب آشوري سيامي مقيم عند بعض امارات البادية ووجهه الى ملكه ان ملك قهر وهاجم قبيلة Mesa (مسعى) بعد عودة الملك الاشوري الى نينوى وذبح أفرادها واستولى على اموالها حيث يدل ذلك على ملك آخر من ملوك القبائل العربية .

٢٢- ولقد جاء في نقش لآشور بانيبال انه طلب من ملوك آدوم ومواب وعموث ان يؤدبوا بعض امراء وقبائل البادية الذين تحالفوا مع اخيه شمسو كين الذي ثار ضده في بابل وانهم قاموا بالمهمة وقبضوا على الامراء الخامرين وأرسلوهم الى نينوى حيث اتقوا جزاءهم الصارم . ولم يرد في النقش شيء عن هويتهم ولكن تكليف ملوك شرق الاردن يدل على انهم قبائل مشارف الشام ومن المحتمل ان يكونوا الذين ذكروا قبل .

ولقد مر في مبحث مملكة قيدار ان احد ملوكها ارسل مددا الى شمسو كين الثائر على اخيه اشور بانيبال في بابل . ولقد ذكر في مبحثي قيدار وعربي تكرار تمرد المملكتين على سيطرة آشور .

ويبدو من كل ذلك ان جميع القبائل العربية التي كانت تنزل في مشارف الشام كانت تشترك بزعامة شيوخها الذين كانوا يتلقبون بـلقب الملك في التمرّد أيضاً .

٧- النقوش الصفوية ودلالاتها^(١)

عثر في القرن الثامن في الحرة الواقعة بين جبل الدروز وتلّول الصفا على نحو ثلاثة آلاف لوح حجوي متفاوتة الاحجام عليها كتابات بخط قريب من خط المسند . وقد سميت بالنقوش الصفوية نسبة إلى مكان وجودها لا الى قبيل عربي بهذا الاسم كما هو شأن النقوش الحيانية والثمودية التي نوهنا بها في الجزء الاول من الكتاب والتي سميت بهذه الاسماء نسبة الى القوم الذين كتبوها .

1198-1198a.

$\theta \phi \lambda \times 1 \times 900 G Y A M G$
 $1 + \theta \phi \lambda \times 1 \times 900 G Y A M G$
 $1000 \times 1 \times 900 G Y A M G$

نموذج من النقوش الصفوية

نقلا عن الجزء السابع من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

والنقوش الصقوية مقتضة وهي تسجل شؤوناً شخصية وعادية لا تفيد التاريخ بشيء من جهة الاحداث السياسية والحربية وان كان لها فائدة لا تنكر من جهة دلالتها على الحالة الثقافية والدينية للقبائل العربية التي كانت تنزل أو تتجول في المناطق التي وجدت فيها وربما كانت من القبائل المعروفة الوارد ذكرها في النقوش الاخرى أو المدونات

(١) مرجع هذه النبعة تأريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ٤٣١ وبعدها وتاريخ اللغات السامية لاسرائيل ونفسون ص ١٨٢ وبعدها

القديمة . وكل ما في الأمر أنه لم يقرأ على النقوش ما يكشف عنها . وقد نقش في بعضها أحداث تاريخية ولكن أسلوبها لا يساعد على تعيين ظرف كتابتها مثل سنة كذا من حرب النبط أو سنة كذا من حرب نسيان .

ومع ذلك فإن أسلوبها ومضامينها وألفاظها الصريحة العروبة المتفاوتة في مراحل تطورها نحو اللهجة الفصحى قد تدل على أن معظمها كتبت بعد الميلاد المسيحي بعدة قرون أو في زمن الدولة الفسائية وإن كان منها نقوش يدل فحواها على أنها كتبت في زمن الدولة النبطية التي قامت في شرق الأردن قبل الميلاد المسيحي بعدة قرون وعاشت إلى أوائل القرن الثاني بعد الميلاد .

ومن النقوش ما قصد به تخليد زيارة لمكان أو تسجيل حيازة حصان أو جمل . وقد يستدل من أمثال الأخيرة على أنها وثائق وشهادات كان يحملها أصحابها معهم .

ومها يكن من أمر فإن هذه النقوش تنطوي على دلالة ثقافية هامة وهي إلمام كثير من أبناء القبائل العربية التي كانت تتجول في أطراف بلاد الشام في دور العروبة الصريحة بالقراءة والكتابة خلافاً لما يقوم في الأذهان . وهي الدلالة التي تدل عليها ما وجد من نقوش لحسانية وثمودية في أعالي الحجاز التي كانت سبابة تجوال قبائل عربية صريحة العروبة ولم تذكر دلالة ما عثر عليه في مختلف أنحاء اليمن من معينية وسبئية وقبائلية وحضر موتية وأوسانية وحيرية على مثل ذلك لأن المفروض أن أهل هذه البلاد كانوا على شيء من الحضارة والاستقرار ومعظمهم يعيش في مدن وقرى .

ومن أسماء الأشخاص التي قرئت على النقوش :

حنس بن هقيق من قبيلة رجبت ، وحمد ، مباح ، عوذ ، جعبر ، تيم ، ضيف ، وقر ، شهر ، سمرائل ، ناراييل ، أذينت ، برد ، اصالح ، اجبر ، عثمان ، شامت ، شريك ، انعم ، محلم ، ربال ، كهمل ، نصر .

ومن هذه الاسماء ما هو عربي فصيح ومنها ما هو قريب من ذلك . والمتبادر أن النوع الأول قد كتب في المدة التي سبقت البعثة بمئة سنة أو نحوها . ومن هذه الاسماء ما ظل مستعملاً بعد الاسلام كما لا يخفى .

وننبه بخاصة الى اسم اجبر الذي هو مماثل لاسم بعض ملوك مملكة الرها حيث يدل

هذا على أن تطور اللغة العربية نحو الفصحى كان يجري في كل ناحية جريانا متوازيًا .

ومن أسماء الآلهة والأصنام التي قرئت على النقوش : لت ، هلت ، جدعوذ ، بعل سين ، شع هقوم ، دشر ، رضو ، حمس ، رحام^١ .

وقد قرئ على النقوش الثمودية اسم رضو واسم لت كآلهة لثمود . وقد قرئ على النقوش الحميرية عبارة بعل سين (رب السماء أو رب السماوات) حيث ينطوي في هذا نفس الدلالة التي نوهنا بها آنفًا .

وصيغة معظم هذه الأسماء تدل على أنها كتبت في عهد متقدم نوعاً ما أي قبل أن تقترب اللغة إلى اللهجة الفصحى خلافاً لبعض أسماء الأشخاص التي أوردناها قبل .

وهذه نماذج من فحوى النقوش :

١ — لبرد بن أصلح بن أبيجر وشتي هدر وذبح . هلت سلم .

والنقش يدون حادث بحري شخص اسمه برد بن أصلح وتشتيته في المكان وذبحه ذبيحة ويطلب السلام من اللات أو من الآلهة . والنقش متقدم الزمن واللغة بين الفصحى وما قبلها . وحرف التعريف في هلت هو الهاء وهو من اللهجات المتقدمة .

٢ — لأنعم بن قحش وغم سنت حرب نبط .

والنقش يسجل ملكية شيء لأنعم بن قحش ويؤرخ ذلك بسنة حرب النبط .

٣ — لأذينت بن ورد بن أنعم بن كهل بن غم بن كهل ذا النغير . فهلت وشع وجد عوذ وبعل سين ودشر غيرت له . وعور وعوج لذيعور هخطط .

والنقش يدون أن الكتابة لأذينة بن ورد بن أنعم بن كهل بن غم بن كهل من بني النغير . ويطلب المدد والغيرة له من اللات أو الآلهة وحامي القوم والآلهة جد عوذ ورب السماوات وذو الشرى . ويدعو بالعمور والعرج على من يمحو الكتابة .

٤ — لنهر ال بن حجر هخطط . وحضر هدر واثع سلم وخرض قعصن وقر

(١) لت = لاة . هلب = اللاة أو الآلهة . بعل سين = رب السماوات . شع هقوم = حامي القوم .

دشر = ذو الشرى

والنقش يدون ان الكتابة لنصر آل بن حجر ويسجل صاحبه بها حضوره الى هذه المكان - هذه الدار = هنر = وقتله قمصن وفراره ويطلب من الاله أثم السلام .

وظاهر من هذا ان الذين دونوا النقوش يدينون بتعدد الآلهة أسوة بمعظم أهل جنوب الجزيرة وشمالها . ومن المحتمل أن يكونوا من قبائل تمت الى جزيرة العرب أو أطرافها .

٨ - دولة الانباط

- ٩ -

هوية الانباط وعروبتهن^١

هذه الدولة أم المالك التي قامت في بلاد الشام في دور العروبة الصريحة قبل الميلاد المسيحي وامتدت الى ما بعده من حيث سعة انبساط السلطان ووضوح المعالم إجمالاً . والباحثون مختلفون في سبب تسمية الانباط باسمهم . فبعضهم ينسبهم إلى أحد أبناء اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام (بنيوت) وقد ذكر اسم بنيوت في الاصحاح (٢٥) من سفر التكوين بأسلوب يفيد انه كان اسم قبيلة حينما كتب السفر مبتدأً الى اسماعيل بصفته من أبنائه . ومع ذلك فالصلة بين هذا الاسم وبين اسم الانباط والنبط ضعيفة كما يبدو . وبعضهم يجعلون صلة ما بين الانباط وبين جماعة في العراق كانت تنعت بالنبط . وهذا تخريج بعض مؤلفي العرب القدماء . ويتبادر لنا أنه رأي ملقى على عواهنه كشأن جل تخرجات مؤلفي العرب للاسماء والاحداث التاريخية القديمة .

والتسمية فيما نعتقد أصيلة . فقد قرئت كلمات نبطو ونبيط وملك نبطو في منقوشات آشورية من القرن السابع قبل الميلاد كما قرئت كلمة نبط في منقوشات عديدة عثر عليها في أنحاء عديدة من بلاد الشام واعالي الحجاز منها ما هو عائد الى ما قبل الميلاد المسيحي . وقد أوردنا نصوص بعض هذه النقوش في مبحث مراحل تطور اللغة العربية وغايج هذه المراحل .

(١) هذه التبعة مقتبسة من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ٥٠-٧٠ وتاريخ العرب قبل الاسلام جرجي زيدان ٨١-٩٧ وتاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها نوم شقير ص ٤٦٤ وبعدها الجزء الثاني المجلد الثالث تاريخ سورية المطران الدبس ص ٢٠٥-٢٥٠ و ٥٩٨-٦٩٨ وتاريخ شرق الاردن ترجمة طوقان ج ١ ص ٣١-٩٢

ومن المحتمل ان يكون الاسم مستمداً من اسم مؤسس الدولة أو القبيلة . والكلمة في حد ذاتها غير غريبة عن اللغة العربية والتسميات العربية القديمة . فمن المحتمل أن تكون متصلة بجذر نبط وأنبط . ومنه استنباط الماء وانباطه واستنباط الامر أي معرفه كنهه وصوابه .

وقد جاء هذا المعنى في آية قرآنية جاء فيها (ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)^١ حيث ينطوي في هذا دلالة على اصالة عروبة الكلمة وبالتالي على عروبة هذه الدولة وشعبها . ومن أسماء ملوك الدولة المعينية التي قرئت على النقوش اسم « وقة ايل نبط » على ما أوردناه في الجزء الاول^٢ . رزمن هذا الملك نجمن في أوائل الالف الاول قبل الميلاد المسيحي . وهو رزمن لا يبعد كثيراً عن رزمن برون الانباط ودولتهم . وقد قرئ هذا الاسم في نقش قتباني كاسم من أسماء ملوك قتيبان وهو (نبط عم بن شهر هلال) وكان حكمه في القرن السابع قبل الميلاد^٣ وقرئ كذلك في نقشين سبئيين اسمين للمكين قنوين في عهد الدولة السبئية بهاتين الصيقتين (نبط ايل ملك اوبعن) و (السبع نبط بن نبط على ملك كمنهو)^٤

ففي كل ذلك دلالة قوية على اصالة التسمية واصالة عروبتها وكونها مما كان شائعاً في دور العروبة الصريحة بل وقبل هذا الدور . ومن المحتمل ان يكون موجة من جنوب الجزيرة قد طرأت على شرق الاردن في اوائل الالف الاول قبل المسيح تحمل هذا الاسم او يحمله زعيمها فلما تمكنت في هذه البلاد وفرضت نفسها وأقامت دولتها سميت به .

وبعض الباحثين يارون في عروبة الانباط الصريحة ويرون فيما كان يشوب لهجتهم من لهجة آرامية اشارة على انهم آراميون في حين ان اللمحة العربية الصريحة واضحة على النقوش النبطية التي عثر عليها ومنها ما يكاد يكون فصيحاً كالاسماء وقد أوردنا بعض النصوص والاسماء في عداد التمانج في الفصل الاول . وللسنا نرى فيما يبدو فعلاً من ركافة اللغة النبطية او من احتمال امتزاجها بعناصر آرامية ما يمكن ان ينقش دعوى عروبة الانباط

(١) سورة النساء الاية ٨٢

(٢) انظر ايضا العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ٣٩٥ وتاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان

ص ١٣١ طبعة جديدة

(٣) جواد علي ج ٢ ص ٥٧

(٤) نفس الجزء ص ١٣٤ و ١٣٦

وقصارى ما يمكن ان يكون هو انها طور من أطوار اللغة العربية قبل بلوغها طور النصحي
أولاً وأن تكون الموجات العربية التي طرأت على بلاد الشام قبل الميلاد المسيحي تأثرت
هي ولهجتها بالآراميين الذين كانوا منتشرين في بلاد الشام وبلغتهم التي كانت سائدة فيها
ثانياً على ما سرحناه في فصل الآراميين في الجزء الرابع .

ولقد سمي كتاب اليونان عاصمة دولة الأنباط باسم بطرا العربية Arabia Petra^١
وهذه التسمية ترجع الى قبل الميلاد المسيحي بأمد ما . ولقد سعى الرومان بلاد هذه الدولة
بعد أن قوضوها في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد باسم المقاطعة العربية^٣ . ولا يعقل أن
يكون ذلك ارجحاً . ولا بد من ان تكون صراحة العروبة بارزة على هذه البلاد وأهلها
ودولتها قبل التسمية بمد ما يبرز تماماً حتى سجلت عروبتها الصريحة بها .

ولقد كانت منطقة شرق الاردن التي قامت فيها هذه الدولة واطرافها المناوحة لجزيرة
العرب جنوباً وشرقاً تعج بجرمة القبائل الصريحة العروبة ونشاطها على ما تقيدته المقتبسات
التي اوردناها في المبحث السابق من نقوش الآشوريين ومدونات الكتب اليونانية والرومانية
بما يجعل القول ان طابع العروبة الصريحة هو الطابع الذي كان شاملاً لهذه المنطقة سائغاً .
ولقد جاء في كتاب تاريخ شرق الاردن الذي اقتبسنا منه بعض الصور في المبحث
السابق ان الأنباط كانوا في القرن السابع قبل الميلاد اقوياء حتى ان الآشوريين تخوفوا
منهم اذا تركوهم وشأنهم فجدوا حتى اخضعوهم لسلطانهم ، وان الراجح انهم
كانوا في هذه الفترة يقطنون جنوب أدوم وشرقها ووادي السرحان وجبال حسم . وهذه
المناطق متاخمة لجزيرة العرب . والمتبادر ان القبائل التي كانت تنشط فيها هي قبائل
جديدة الانسياح من جزيرة العرب في هذا الظرف الذي اخذت مظاهر بروز العروبة
الصريحة تظهر في الجزيرة على ما ذكرناه قبل .

وفي منقوشات اسرحدون في الثلث الاول من القرن السابع قبل الميلاد - وقد اوردنا
النص قبل قليل - اسم اكبرو ملك نابيتا Akbaru = nabita في عداد الملوك الذين
قتلهم هذا الملك عقوبة على قردهم على آشور . والاسم صريح العروبة كما هو واضح . ولقد
عثر على نقود تحمل اسماء عدد غير قليل من ملوك هذه الدولة الذين حكموا قبل الميلاد
المسيحي وبعده وعروبته لا تتحمل مرأه مثل : ماليكو (مالك) وحررت (حارثة) .

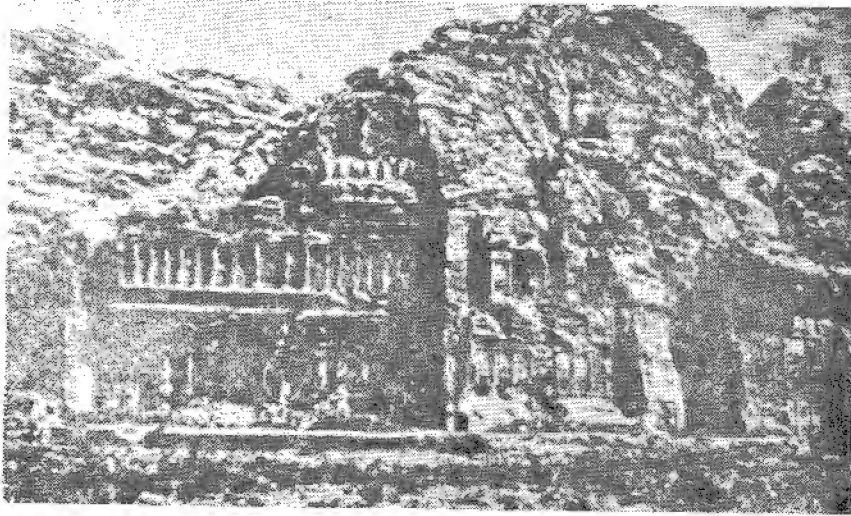
(١) العرب قبل الاسلام زيدان ص ٨٢ طبعة حديثة وبعدها

(٢) جواد علي ج ٣ ص ٤٧ والنص هو Provincia arabia

واياداً (عبادة) ورب ايل وجميل وصقيلة وخلدت (جميلة وصقيلة وخلدة)
وفي كل هذا دلالات لا تدحض على عروبة الانباط ودولتهم الصريحة .
والمؤلفون الخمسة الذين ذكرنا تعويلنا عليهم في كتابة هذا البحث يؤيدون ذلك
تأييداً قوياً .

سُلع وبطرا واولية دولة الانباط

ونقش أسرحدون الذي اشرفا اليه يدل على انه كان للانباط دولة قبل القرن السابع
قبل الميلاد . ولما كانت مدينة سلع التي يرجع انها هي نفس بطرا عاصمة دولة الانباط
كانت في القرن الثامن عاصمة لدولة آدوم على ما يستفاد من سفر الملوك الثاني من أسفار



منظر عام لبطرا

نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

العهد القديم^١ الذي ذكر فيه خبر حرب نشبت بين دولتي يهوذا وآدوم استولت الاولى
بنتيجتها على سلع فالتبادر - ان صح ذلك - ان يكون الانباط قد فرضوا انفسهم

(١) الاصحاح ١٤ الطبعة البروتستانتية

وحكمهم في بدء الامر على اطراف شرق الاردن او في جنوب دولة آدوم وشرقيها
ووادي السرحان وجبال حسماء على ما جاء في كتاب تاريخ شرق الاردن وان تكون غزوة
اسرحدون انما وقعت في هذه المنطقة حيث غلب الانباط وقتل ملكهم اكبرو ، ولم يكن
الانباط قد فرضوا حكمهم على شرق الأردن ، لأنه كان في شرق الأردن في زمن اسرحدون
دول مؤاب وعمون وآدوم . وقد ظلت قائمة بعمده حيث ذكرها آشور بانينبال في احد
نقوشه على ما ذكرناه قبل .

ونستطرد الى القول ان ترجيح كون سلع هي نفس بطرا مستند الى قائل معنى سلع
وبطرا . ومعنى الاولى في العبرانية الحجر او الصخر ومعنى الثانية في اليونانية الحجر او
الصخر ايضاً . واليونان هم الذين سموها باسم بطرا .

والمدينة في موقع صخري ومساكنها ومقابرها منحوتة في الصخر على ما هو مشاهد
الى اليوم . ولقد يدل هذا على ان التسمية العبرانية التي ترجمها اليونان هي وصف . فلو
كان اسم سلع اسماً علمي لكان اليونان استعملوه بالذات ولما توجهوه ترجمة حرفية .

ولم توجد في الآثار النبطية ما يساعد على معرفة اسم علمي لعاصمة الانباط بشكل
حاسم . ولا ندري هل كان اسمها عندهم (سلع) ايضاً لأنها مدينة صخرية ؟ والفتان
العبرانية والكنعانية لهجتان من لغة واحدة وقد تكون كلمة سلع فيها معاً بمعنى الصخر او
الحجر . وفي هذه الحال يكون اليونانيون قد جنحوا الى الاسم المترجم دون
تقييد بعلميته .

ولقد كانت سلع او بطرا عاصمة دولة الانباط في القرن الرابع على ما ذكرته المدونات
اليونانية القديمة في سياق فتح الاسكندر لبلاد الشام ومحاولة هؤلاء اخضاع دولة الانباط
وغزدهم بطرا . والمتبادر ان ذلك كان سابقاً للفتح اليوناني . ولا يبعد ان يكون حدث
في القرن الخامس او في القرن السادس حينما قوض نبوخذ نصر ملك بابل دولة يهوذا
حيث نشط ملوك الانباط الذين كان منهم اكبرو والذين قامت دولتهم في بدء الامر في
منطقة الجوف او وادي السرحان واغتصموا الفرصة السانحة في فترة الارتباك الذي ألم
بدولة بابل بعد قليل من موت نبوخذ نصر على ما شرحناه في الجزء الثالث فهدوا سلطانهم
الى شرق الاردن ثم اتخذوا سلع عاصمة لهم .

ومن الجدير بالذكر ان اليونانيين السلوقيين حينما انشأوا دولتهم في بلاد الشام في

اواخر القرن الرابع قبل الميلاد (حوالي ٣١٢ ق م) لم يكن امامهم غير دولة الانباط في منطقة شرق الاردن . ولم تشر مدوناتهم الى دول آدوم وعمون ومواب التي كانت موجودة الى القرن السابع وذكرت في نقوش آشور بانببال بسل ولم تذكر الا العرب والعروبة في هذه المنطقة مما يمكن ان يدل على ان دولة الانباط قد ابتلعت هذه الدول وان شعوبها قد اندججت في الكيان العربي الجديد الصريح العروبة الذي نشأ بقيام هذه الدولة . وبما لا ريب فيه ان وحدة الجنس وتقارب اللهجات يسر هذا الابتلاع . والاندماج .

ولقد حاول اليونانيون السلوقيون ان يمدوا سيطرتهم الى بلاد هذه الدولة بعد توطيد دولتهم في بلاد الشام الشمالية والساحلية ولكن محاولتهم لم تنجح حيث يدل هذا على ان الانباط كانوا متسكنين اقوياء في القرن الرابع قبل الميلاد .

ولقد جاء في تاريخ ديودور الصقلي المدون في القرن الاول قبل الميلاد عند كلامه عن انطيفوس ملك السلوقيين انه حينما زحف على مصر كنتيجة للنزاع على مناطق الحكم الذي نشب بين ملوك الدولة السلوقية ودولة البطالسة في مصر اضطر الى المرور ببطرا وهي في يد التبطين ، وكان بطليموس ملك مصر قد اجتذب قلوبهم فعزم على قهرهم واعتم فرصة خروج حامية المدينة فاكسح المدينة ونهبها ثم التقى بالحامية وهي عائدة فاشتبك معها وانتصرت عليه وقتكت برجاله . فأعاد الكرة على التبطين بمحملة اخرى تحت قيادة قائد اسمه ديمتريوس وكانت قوية كثيرة العدد فلم يكن من التبطين الا ان آووا الى حصونهم ثم كتبوا الى انطيفوس يعتقدون اليه عما فعلوه بأن ذلك كان دفاعاً عن النفس فأجابه جواباً ليناً . ولم يفتروا بالجواب لأن ديمتريوس لم يرحل عنهم فظلوا متحصنين وطال الحصار كثيراً ثم اطل رجل منهم من السور وشاطب ديمتريوس قائلاً : (ايها الملك لماذا تقاتلنا ونحن مقيمون في بادية لا مطمع فيها لأهل المدن ان تحاربونا لاثنا الرق واحتمائنا في بلد لا شيء له من مرافق الحياة . فاقبل رعاك الله ما ندفعه اليك وانسحب عنا . وسنكون اصدقاءكم . وان ابيتم الا اطالة الحصار فلن تنالوا غير التعب والفشل لأنكم لن تجدوا سبيلا الينا ونحن في هذا الحصن المنيع . واذا قدر لكم الظفر فلن تنالوه الا بعد ان تموت جميعاً ولا يبقى لكم غير هذه الصخور الصماء التي لا تستطيعون سكناها) واثر كلام الرجل في ديمتريوس وتأكد من امتناع المدينة عليه فانسحب عنها^١

(١) زيدان ص ٨٥ وبهذا الطبعة الجديدة

ومما قاله هذا المؤرخ بالإضافة الى ما تقدم أن مقاتلي الانباط عشرة آلاف وانهم لا
شبيه لهم في قبائل البدو وأن وعورة بلادهم ساعدتهم على التمتع بالحرية والاستقلال
وعلى كل حال فان من الحقائق الثابتة أن دولة الانباط ظلت قائمة متمتعة باستقلالها
طيلة وجود الدولة السلوقية ثم ظلت قائمة بعدها في عهد الحكم الروماني الى اوائل القرن
الثاني بعد الميلاد . وحينما كتب ديودور كتابه كانت هذه الحقيقة قائمة . ولعله اقتبس ما
كتبه عنهم من مدونات سابقة او سمعه متداولاً بين الناس .

- ٣ -

اتساع نطاق سلطان دولة الانباط وقوتها

ولقد استفحل امر هذه الدولة بعد ارتداد السلوقيين عنها حتى شمل سلطانها شبه جزيرة
سيناء من الغرب والجنوب وحوران الى حدود العراق من الشرق والجنوب وامتد الى
وادي القرى القريب من يثرب فشمّل ديار تمود وبني الحبان

وفي مختلف انحاء سيناء على الطرق التجارية وفي جوار مناجم المعادن والاماكن
المقدسة في جبل الطور وفي اودية جدران والحجر وفيران والمكتب وضواحي جبل سيناء
وجبل سيراك كتابات نبطية كثيرة بما فيه الدلالة على امتداد سلطان هذه الدولة الى شبه
جزيرة سيناء وشمولها لها^١

ومثل هذا في خرائب مدائن صالح الواقعة على طريق معان - يثرب والتي كان العرب
القدماء يسمونها الحجر والتي كانت ديار تمود^٢

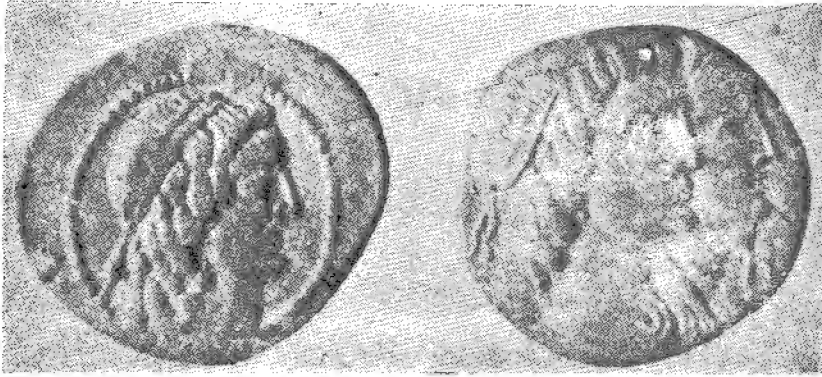
اما في منطقة شرق الاردن وحوران ففيها شيء كثير من الآثار والنقوش النبطية .
وقد وجد في صرخد جبل الدروز نقوش تذكر اسماء بعض ملوك الدولة النبطية بأسلوب

(١) تاريخ سيناء وجغرافيتها نوم شقير ص ٤٦٤ ونذكر بهذه المناسبة اننا قرأنا في صحف مصر
عام ١٩٤٥ ان بعثة اثرية تقوم بالتنقيبات في صحراء بين السبع وسيناء كشفت عن آثار (٣٣) قريبة
تعود الى عهد الانباط

(٢) العرب قبل الاسلام لزيدان ٨٢ ويدها

يبدل على شمول سلطنتهم لهذه المنطقة^١

ولقد امتد حكم هذه الدولة الى سنة ١٠٦ ب م وعرف اسماء عدد كبير من ملوكها
بما عثر عليه من النقود والنقوش . وهذه قائمة بالاسماء التي عثر عليها مع سني حكمهم
اوردها جرجي زيدان في تاريخ العرب قبل الاسلام نقلا عن دوسو^٢



نقود نبطية

نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

١٦٩ - ٥ ق م	الحارث الاول
» ١٤٦	زيد ايل
» ١١٠ - ٩٦	الحارث الثاني الملقب ابوتيموس
» ٩٠	عبادة الاول
» ٨٧	ربيال الاول بن عبادة الاول
» ٨٧ - ٦٢	الحارث الثالث بن ربيال الملقب بلقب فيلهلين
» ٦٢ - ٤٧	عبادة الثاني بن الحارث الثالث
» ٤٧ - ٣٠	مالك الاول من عبادة الثاني
» ٣٠ - ٩	عبادة الثالث بن مالك الاول

(١) المصدر السابق

(٢) نفس المصدر انظر ايضا جواد علي ج ٣ من ٥ - ٧٠

٩ - ٤٥ ب م

الحارث الرابع الملقب فيلوباتر
شقيق عبادة الثالث
الملكة خلدو زوجته
« شقيقه أوصيقه »

٤٥ - ٧٥ ب م

مالك الثاني بن الحارث الرابع
والملكة شقيقه زوجته

٧٥ - ١٠١ ب م

ريبال الثاني الملقب سوتر بن
مالك الثاني . والملكة صقيقة
والدة الوصية عليه والملكة
جميلة زوجة مالك الثالث
مالك الثالث

١٠١ - ١٠٦

وواضح من القائمة أنها لا تمثل إلا نحو النصف الأخير من عهدها . ومن المؤسف أنه لم يمتد على آثار منقوشة من النصف الأول وليس هناك إلا ما جاء في كتاب ديودور عنه وما عرف من أخبار وأحداث الدولة عائداً للنصف الأخير من عهدها .
ولقد ذكرت المدونات اليونانية والرومانية أسماء عبادة الثاني ومالك الأول وعبادة الثالث والحارث الرابع ومالك الثاني ومالك الثالث في سياق بعض الأحداث بينهم وبين اليونانيين والرومانيين^(١)

صور من سيرة الدولة في هذا الدور

- ٤ -

وبما عرف من أخبار الدولة في النصف الثاني من مدة حكمها أن الصلات بينها وبين البطالسة ملوك مصر في الثلث الأول من القرن الثاني قبل الميلاد كانت حسنة حتى إن الباحثين يرجحون أن النصر الذي أحرزه بطليموس فلوماتو على السلوقيين سنة ١٦٩ ق م كان بفضل مساعدة الحارث الأول ملك الأنباط .

(١) تاريخ سيناء وجغرافيته تقوم شقير ص ص ٤٦٤ - ٤٦٨

وكانت صلات الأنباط بزعماء المكابيين اليهود في بدء أمرهم حسنة حتى ان يوناثان المكابي ثاني الزعماء المكابيين كان يسميهم أوليائه ويطلب منهم العون والمدد في نزاعه مع السلوقيين . غير ان الحالة اخذت تتبدل في عهد هركانوس أول من تسمى باسم الملك منهم ثم في عهد ابنه الاسكندر حيث صاروا يطمحان الى التبسط في السلطان . وقد تكررت حركاتها ضد القبائل العربية التي كانت تقطن الضفة الشرقية من نهر الاردن من كان اليهود يسمونهم جلعاديين ومؤابيين وادوميين جرياً على التسمية القديمة وضرها وارغامها على الخضوع لها وأداء الجزية اليها . وقد أعلن عباده الأول الحرب على اسكندر على اثر عدوان من هذا على الجلعاديين وفرضه الجزية عليهم . وقد انتصر عبادة نصراً مبيناً حتى كاد اسكندر يلقى حتفه لولا أنه افلتت بسرعة وارتد الى اورشليم . وبذلك تخلص اهل الضفة الشرقية من السيطرة اليهودية .

ولقد أثار ما كان من صلات حسنة بين ملوك الأنباط وملوك البطالسة ثم بين ملوك الانباط والمكابيين في بدء الامر الحقد والسخط في نفوس السلوقيين ضد المملكة النبطية لأن هؤلاء على عداوة مع البطالسة والمكابيين . وقد قاد انطيوخوس الثاني الملك السلوقي حملة وزحف بها على بلاد الشام للانتقام وكان ذلك في زمن الحارث الثالث الذي يعد من أعظم ملوك الانباط فتصدى لصد الزحف واستطاع ان يكسر الجيش السلوقي كسرة شنيعة وقد قتل الملك السلوقي في المعركة الفاصلة التي وقعت في قانا الجليل في ارض فلسطين . وبعد ذلك زحف نحو الشمال وفرض سيطرته عليه ثم استمر زاحفاً نحو الشمال حتى دخل دمشق عام ٨٥ ق م ونادى بنفسه ملكاً عليها ؛ ثم عاد الى عاصمته وبادر بعد استراحة قصيرة الى الزحف على فلسطين وغزو المكابيين فيها ؛ فسارع الملك اسكندر الى لقائه ولكنه انكسر بدوره كسرة شنيعة قرب اللد واضطر الى طلب الصلح وعقده حسب الشروط التي فرضها الحارث والتي كان منها التخلي عن كل ما في يده من ارض في الضفة الشرقية .

ونشب بعد موت اسكندر نزاع بين ولديه اسطوبولوس الذي تولى الملك وهركانوس الذي تولى رئاسة الكهانة والذي كان يطمح الى الملك أيضاً لأنه الأكبر سناً . وكانت دولة الانباط تحت سلطان ملكها الحارث ملء السمع والبصر فليجأ هركانوس اليه وطلب مساعدته . ولبي هذا الطلب لأنه رأى الفرصة سانحة لبسط نفوذه على الدولة المكابية

وزحف بجيش عظيم على فلسطين وكسر جيش ارسطوبولوس الذي خرج الى لقاته كسرة شنيعة . وقد استطاع ارسطوبولوس أن يفلت ويرتد الى اورشليم ويستحسن فيها . ولحقه الحارث فضرب الحصار على المدينة وكاد أن يفتحها لو لم يطرأ ما اضطره الى التراجع . فقد زحف الرومان بقيادة بوهيوس في أثناء ذلك على بلاد الشام ونسفوا دولة السلوقيين واتجهت حملة منهم بقيادة قائد اسمه سكاروس نحو فلسطين وارسل ارسطوبولوس وهركانوس اليه هداياهما . وكانت هدية ارسطوبولوس اعظم فنال رضاه القائد الروماني الذي بادى الى ائذار الحارث بفك الحصار والرجوع الى بلاده فلم ير مناصاً من الانصياع ، ودخلت الدولة المكيابية تحت نطاق سيادة الرومان نتيجة لذلك . وقد اتجه سكاروس نحو شرق الاردن ايضاً لاختضاع دولة الانباط . غير ان الحارث استطاع بنهائه الاحتفاظ بسلطانه حيث عرض على سكاروس صداقته مع مبلغ من المال . ورأى هذا مناعة بطرا ووعورة الطريق قرضي بالعرض . وهكذا نجحت دولة الانباط وعاصمتها من الغزوة الرومانية في جولاتها الاولى كما نجحت من الغزوة اليونانية من قبل بفضل مناعتها ودهاء رجالها . وقد عثر على قطع نقدية تحمل اسم سكاروس والحارث الثالث وصورتها معاً مما ينطوي فيه انها ضربت لتسجيل ما توطد من صداقة وتآلف .

ولقد ظلت دولة الانباط متماسكة قوية بعد الحارث الثالث إلى امد غير قصير . ولقد امد مالك الأول بوليوس قيصر بمدد عسكري حينما زحف على مصر فكان ذلك من اسباب علو مكانته في الدولة الرومانية . ولقد اشتبك الفرس والرومان في هذه الأثناء بحرب من الحروب التي كانت تتكرر بينهم نتيجة لما قام وظل مشتداً بينهم من تشاد وتنازع على السلطان في الشرق العربي فانتهصر الفرس في هذه الجولة واستولوا على سورية نتيجة لذلك . وجاء ملك الفرس الى فلسطين فبسط سلطانه عليها وخلع ملكها الذي كان موالياً للرومان ونصب مكانه ابن اخيه الذي كان ثائراً عليه بعد أن تعهد بالخضوع والولاء وأداء الجزية . غير ان دولة الانباط استطاعت أن تكون في نخوة من غزو الفرس وسلطانهم بفضل ملكها مالك الثاني الذي اكتفوا منه بعدم إجارة هيودوس احد رجال الدولة المكيابية والذي كان شديد الولاء للرومان .

ولقد استطاع الرومان بعد فترة قصيرة أن ينتصروا على الفرس ويدخلوهم عن بلاد الشام . وعينوا هيودوس ملكاً على اليهود . وكان مالك الثاني ما يزال على رأس دولة الانباط . وكان الرومان من ناحية وهيودوس من ناحية قد حققوا عليه لموقفه الولائي

من الفرس فأخذ يقع بينه وبين هيرودوس اشتباكات حربية تساجل الفريقان النصر فيها وقد زعم يوسيفوس المؤرخ اليهودي أن هيرودوس تمكن في النهاية من الانتصار على العرب وقتل مقتلة عظيمة منهم وارغامهم على صلح من شروطه اداء الجزية اليه^١ وهذا القول يتحمل التحفظ لأن كتاب الرومان روى ان أوغسطس قيصر استمد من الانباط مدداً عسكرياً ومرشدين حينما وجه حملة غالوس الى جزيرة العرب على ما شرحناه في الجزء الثاني من الكتاب . وكان ذلك في زمن هيرودوس وبعد الصلح المذكور بمدة قصيرة . وهذا يعني أن الانباط كانوا متمسكين بخطوطي الود والعون مرموقين المكائنة عند الرومان اصحاب السيادة العليا على بلاد الشام جميعها بما فيها فلسطين وبلاد الانباط . ويضرب أن يصدق قول قائل ان هيرودوس كان يتقاضى جزية من الانباط في مثل هذه الظروف . وكل ما يمكن أن يكون اذا صرح انتصار هيرودوس أخيراً عليهم أن يكون تقاضى غرامة حربية بين يدي هدية أو صلح وضع حداً للحرب بين الطرفين .

وحملة غالوس كانت في زمن الملك عبادة الثالث الذي خلف مالمكا الثاني . وقد اشترك الانباط فيها فكان منهم كتيبة وكان منهم مرشد للحملة سماه الكتاب الرومان Syllane وفسره الباحثون بصالح وكان وزيراً للملك . وقد ذكر استرابون ان صالحاً تعتمد التقرير بالحلة وسار بها في طريق مقفورة وبأرضين لازرع فيها ولا ماء بقصد اهلاكها وإحباط مقصد الحملة ولقد تحقق قصده فعلاً . فإن الحملة لم تستطع الاستمرار وتحقيق الهدف . وعادت دون طائل بعد أن لاقت الشدائد والصعاب في جزيرة العرب .

وبما ذكره أن الصلح الذي انعقد بين هيرودوس والعرب لم يدم طويلاً فقد ظل العرب^٢

(١) تاريخ يوسيفوس اليهودي الترجمة العربية طبعة مكتبة صادر من ١٦٨-١٧٠

(٢) لا يذكر يوسيفوس اسم الانباط وإنما يذكر اسم العرب وسياق كلامه يدل دلالة لا ريب فيها هنا وفي اغلب المناسبات التي يذكر فيها العرب وملوك العرب ان المقصد من ذلك الانباط وملوكهم لانهم هم اصحاب السلطان والملك من العرب في شرق الاردن . واسفار المكابيين التي دونت قبل تدوين يوسيفوس لتاريخه تذكر الانباط صراحة مع وصفهم بالعروبة . وقد ذكرت اسم (ارياس) الحارث بوصفه زعيم العرب في سياق ذكر فرار احد زعماء اليهود اليه وان كانت تذكر مع ذلك الاسماء القديمة التي كانت في شرق الاردن ممالك وشموباً مثل بني عمو وادوم والادوميين وعميون وبني عمون انظر الاصطاحات ٤ و ٥ من السفر الاول والاصطاح ٥ من السفر الثاني

يحقدون على هيرودوس وكانوا يحرضون القبائل العربية الخاضعة له أو المغرض اليه أمرها من الرومان على التمرد عليه وكانوا يحمونهم اذا ما لجأوا اليهم ، وان الاشتباكات الحربية عادت ثانية دون ان يذكر المؤرخ اليهودي نتائج حاسمة لها .

وفي زمن الحارث الرابع وقع حادثان مهمان . فقد كان ملك اليهود هيرودوس الثالث متزوجاً بنت الحارث المذكور فتزوج عليها بزوجة أخيه التي اغتصبها منه في حياته فشق ذلك عليها وعادت الى بيت ابائها وغضب الحارث لابنته فزحف على فلسطين ووقع بجيش هيرودوس مقتلة كبيرة . وشكها هذا امره للامبراطور طيباريوس فأمر هذا قائده في فلسطين ان يزحف فوراً على الحارث الرابع ويقبض عليه ويرسله مكبلاً بالحديد الى رومة أو يرسل رأسه إذا قتله . ولم يلبث طيباريوس أن مات وخلفه غاليقولا فتوقف القائد عن الزحف . واستخدم الحارث دهائه حتى قام بينه وبين الامبراطور الجديد مودة وصلت إلى درجة عالية حتى لقد منحه ولاية دمشق فأقام نائباً عنه فيها . وكان ذلك سنة ٣٧ ب م وقد ذكر ولاية الحارث بولس الرسول في رسالته الى اهل كورنتوس حيث قال إن نائب الملك الحارث في دمشق أراد أن يقبض عليه ولكنه تمكن من النجاة^١ وظلت الصلات الحسنة مستمرة في عهد ممالك الثاني ابن الحارث الرابع حتى لقد ساعد القائد الروماني فسبانوس في حركة التنكيل التي قام بها ضد اليهود في فلسطين حينما تمردوا على السلطان الروماني سنة ٦٧ ب م

وبعد هذا الملك دب الوهن والارتباك في الدولة ومن المحتمل أن الرومان بعد أن وطدوا قدمهم وسلطانهم في بلاد الشام ومصر لم يطبقوا أن تبقى هذه الدولة شاذة تستمتع باستقلالها وسلطانها فأخذوا يدسون فيها أصابعهم حتى ألم بها الوهن والارتباك ثم أقدموا على نسفها نهائياً في فرصة لم تعرف ظروفها في سنة ١٠٦ ب م بعد ان استطاعت أن تصيد أمامهم نخومنة وخمسين سنة ٦٤-١٠٦ ب م بعد سيطرتهم على بلاد الشام ومصر فدخلت هذه البلاد ضمن هذه السيطرة اسوة ببقية بلاد الشام ومصر الى أن حررها العرب ثانية تحت راية الاسلام في اواخر النصف الاول من القرن السابع بعد الميلاد .

ولعل جنسية الانباط هي التي ساعدتهم على الصمود هذه المدة الطويلة . فالبطالسة في مصر والسلوقيين في سورية وفينيقية يونانيون وقد ظل أهل البلاد في معزل عنهم اجمالاً وكانوا يعتبرونهم غرباء بل وانجاساً على ما ذكرناه في الجزئين الثاني والرابع فسهل على

(١) انظر الاصحاح ١١ من رسالة بولس الاولى

الرومان تقويعن سلطانهم الذي كان أجنبياً واستعماراً على كل حال بعكس سلطان الأنباط الذي كان منبثقاً من الجنس العربي ومنسجماً مع سكان البلاد الذين هم من هذا الجنس ومركزاً عليه سواء أكانوا من العرب الصرحاء أم من انسال الموجات العربية السابقة .

ولقد اعتبر الرومان استيلائهم على بطرا وتغلبهم على دولة الأنباط فتحاً عظيماً حتى انهم ضربوا نقوداً تذكارية خاصة به^١ وفي هذا ما فيه من الدلالة القوية على ما قلناه

ولقد امتد سلطان الرومان الأعلى على هذه البلاد نحو ستة قرون ولكنه لم يكن من شأنه أن يقف في وجه التيار العربي الصريح الذي استند تدفقه ونشاطه خلال هذه القرون في المناطق التي كانت داخلة ضمن سلطان دولة الأنباط ، ولا في وجه انتشار الصيغة العربية وأنسابك الانسال العربية الجنس القديمة فيها ولا في وجه سريانها الى انحاء البلاد الشامية الأخرى مما هو من الحقائق التاريخية حيث كان العرب الصرحاء هم الذين يملأون جنبات بلاد حوران والاردن ونحوهما وكانوا يتقدمون في نفس الوقت الى انحاء البلاد الشامية الأخرى ومن جملتها فلسطين وسواحل لبنان وجباله وسور البقاع والجولان وجزيرة الفرات ويقيمون فيها بمالكهم وأماراتهم على ما شرحناه في التمدد السابقة لهذا البحث وعلى ما سوف نشرحه في المباحث التالية له . ولقد ذكر المؤرخ بروكوبيوس أن الرومان عينوا جبله ابا كرب القسافي حاكماً على القبائل التي كانت منتشرة في اطراف فلسطين بما فيه تأييد آخر ولقد أيدت كل هذا كتب التاريخ العربية القديمة التي قصت قصة حركة الفتح الاسلامي على ما سوف نشرحه شرحاً أوفى في الجزء التالي .

- ٥ -

الحالة التجارية والزراعية والصناعية والاجتماعية

والدينية في عهد الدولة النبطية

ولقد زهت بطرا في عهد دولة الأنباط وغدت مركزاً تجارياً مهماً فكانت مصدراً مهماً ومقصداً للقوافل التجارية التي كانت تسير بينها وبين فلسطين فحضر فالشام فالعراق فالهجاز كما زهت بلاد الدولة عمرانياً وثروة ايضاً . وآثار بطرا والحجر الباقية تدل على ما كانت عليه هذه الدولة من مهارة فنية وذوق عمراني ونشاط . وكثير من الابراج

(١) العرب قبل الاسلام زيدان ص ٨٩

والقلاع المنتشرة في شرق الاردن قد انشئت في عهدها لتكون محطات للقوافل وضماناً
لسلامتها وأمنها .



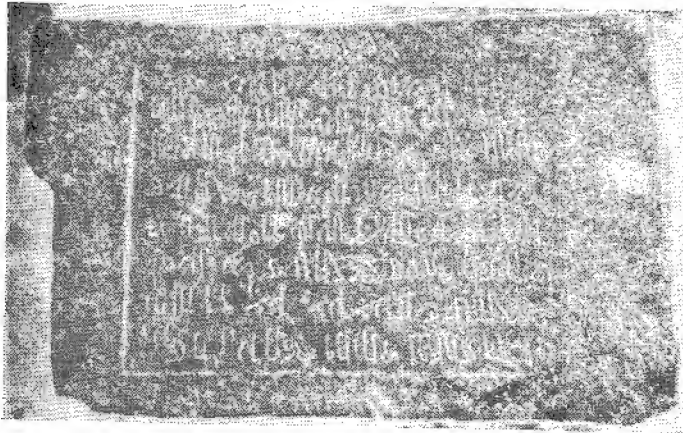
من آثار بطرا وتعرف بخزنة قرعون
نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

وبما وصف به ديودور الصقلي شعب هذه الدولة أنهم كانوا يتجرون بالطيوب والمر
وغيرهما من العطوريات . يحملونها من اليمن وغيرها الى مصر وشرائط البحر المتوسط

وانه لم تكن تجري تجارة بين الشرق والغرب إلا على أيديهم . وكانوا يحكمون إلى مصر بنوع خاص الغار والطيوب للتحنيط والطقوس ؛ وكانوا ضنينين مجريتهم فإذا داهمهم عدو يخافون بطشه لجأوا إلى الصحراء التي كانت امنع حصن لهم لأنها خالية من الماء فلا يدخلها سواهم إلا مات عطشاً . أما هم فكان لهم صهاريج سرية مربعة الشكل منقورة في الصخور أو محفورة تحت الأرض يخزنون الماء فيها ولها فوهات ظاهرة ضيق وباطنها واسع فيملأونها بمياه الأمطار ثم يحكمون سدها فيختفي مكانها على غير العارفين ولهم على فوهاتها علامات توصلهم إليها .

وقد كان للانباط خط خاص عرف باسمهم وهو معدل عن الخط الآرامي الفينيقي وهو على الراجح نواة الحروف العربية الحاضرة .

والمبتادر ان الكتابة والقراءة كانت منتشرة في عهد هذه الدولة بدليل ما عثر عليه من نقوش كثيرة شخصية في مختلف الانحاء التي امتد إليها سلطانها .



كتابة نبطية

تقلا عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

ومع أنه ليس هناك ما يساعد على ايراد بيانات وافية عن الحالة الصناعية والزراعية والاجتماعية فليس من التجوز أن يقال إنها كانت بمثابة لما كانت عليه في شمال الجزيرة وجنوبها بل لعلها كانت أرقى بسبب اتصالها المباشر ببلاد وأمم سابقة في مجال الحضارة مثل سورية وفينيقية والعراق ومصر والنرس والرومان واليونان .

ولقد كانت ديانة الانباط كديانة الجنس العربي في دوره الأول تمتد الى هذا الدور حيث كان لهم آلهة رئيسية وآلهة محلية وحامية وآلهة مختلفة الرغائب والمطالب . وكانوا يتخذون لآلهتهم وموزا من الأصنام والتماثيل يضعونها في معابدهم ويقيمون عندها طقوسهم وآلهتهم الرئيسية سماوية . وكان البعل أكبرها ويرمزون به الى القمر ويعتبرونه اله السموات واله المطر والخصب . وكانوا يتخذون الشمس ايضاً الهأ رئيسياً الى جانبه ويسمونها اللاتو . وقد سماها البابليون بهذا الاسم في ظرف من الظروف . ومن اسماء المعبودات التي قرئت على نقوشهم والتي هي آلهة محلية وحامية أو آلهة رغائب ومطالب : منوتو (مناة) وهبلو (هبل) وشع هقوم (شفيع القوم أو حاميههم) وكان هذا عندهم اله القوافل وعزى (العزى) وقد ورد في نقوشهم جملة (عزى مارة بيتا) اي العزى اميرة البيت أو ربة البيت . ودشرى (ذو الشرى) وكان له معبد عظيم في بطرا يحج الناس اليه سنوياً باحتفال عظيم ولا تزال آثاره قائمة وهي المعروفة باسم الدير ويظن بعض الباحثين انه اله قبيلة الانباط الخاص وحاميهما .

وقد يرد على البال سؤال عما إذا كان لليهودية والنصرانية حظ من الانتشار في دولة الانباط .

ولقد ذكر يوسفوس^١ ان هر كانوس ملك المكابيين مضى الى بلاد آدوم ففتح بعض حصونها وقتل جماعة من اهلها ولما طلبوا الأمان منهم ووافقهم على خراج يحملونه اليه وألزمهم أن يحتنوا ويشترعوا بما فرضته التوراة قبلوا ذلك والتزموه الى أن خربت القدس وتفرقت الامة العبرانية^٢ وحكم هر كانوس في القرن الاول قبل الميلاد المسيحي . وكانت دولة الانباط هي صاحبة السلطان في بلاد آدوم . وقد يفيد كلام يوسفوس أن اهل آدوم قد صاروا يهودا بشكل ما .

غير ان هذا المؤرخ يخلط ويبالغ كثيراً في رواياته . وقد كتب كتابه بعد الحوادث الذي ذكره بنحو مئتي سنة . وقد مر في البحث السابق أن عبادة الثاني أعلن الحرب على اسكندر الذي خلف هر كانوس وانتصر عليه نصرًا مبینًا وتخلصت البلاد التي كانت في حوزته من الضفة الشرقية نتيجة لذلك . هذا من جهة . ومن جهة اخرى فان الحتان كان تقليدًا عامًا عند العرب على ما مر شرحه في الفصل السابق ، فليس من معنى ولا ضرورة لفرضه على الآدوميين الذين كان اليهود يقولون انهم من نسل عيسو بن اسحق بن ابراهيم الذي

(١) ص ٨٧ وبعبدها الترجمة العربية نشر مكتبة صادر بيروت .

(٢) يقصد بذلك حادث تهديم اورشليم والمعد من قبل طيطس سنة ٧٠ م

ينسب إليه تقليد الحثان والذي كانت ذريته يارسونه ... وقول يوسيفوس انهم التزموا ذلك إلى أن خربت القدس يعني انهم بعد ذلك قد نبذوا الشرائع اليهودية . وهو شاهد عيان في هذا الظرف .

أما النصرانية التي ظهرت في عهد حكم هذه الدولة فاننا لم نجد ما يساعد على القول انها انتشرت في بلادها إبان قيامها . والمطران الدبس الذي يؤرخ سير النصرانية منذ أوائل ظهورها لم يشر إلى ذلك .

ولقد كانت النصرانية مضطهدة من قبل الرومان أصحاب الحكم والسلطان على بلاد الشام وسورية فكان نطاقها ضيقاً وحركاتها سرية اجمالاً وكان رجالها يتعرضون للمطاردة والأذى . ولكن كل هذا ليس من شأنه أن ينفي عدم تسربها إلى بلاد هذه الدولة إبان قيامها . فرسل المسيح ومبشر النصرانية نشطوا رغم ما كانوا يلقونه من مطاردة ورغم ما كانت تلقاه من مناوأة وأصابوا نجاحاً ما في مختلف أنحاء بلاد الشام وخارجها . ومن المحتمل جداً أن يكونوا أصابوا شيئاً من ذلك في بلاد هذه الدولة في القرن الأول المسيحي الذي كانت قائمة فيه .

٩ - الدولة التدمرية^(١)

- ١ -

أوليتها ومصادر تاريخها

عثر في تدمر على كتابات وآثار ومقابر تعود إلى ما قبل الميلاد المسيحي وبعده - ومعظمها إلى ما بعده - وحظيت تدمر بنصيب غير يسير من عناية كتاب اليونان والرومان فأمكن بهذا وذاك التوسع نوعاً ما في تاريخ هذه الدولة وأحوالها السياسية والحربية والاقتصادية والعمرانية والدينية .

وقد سميها بالدولة التدمرية نسبة إلى عاصمتها لأنه لم يعرف لها ولا لشعبها اسم خاص ولقد ذكر اسم تدمر في بعض نقوش تغلات بلارس الملك الأشوري الذي كان حكمه في

(١) هذه النبعة مقتبسة من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ص ٧١-١٣٥ والعرب قبل الاسلام جرجي زيدان ٩٨-١٠٨ الطبعة الجديدة وتاريخ سورية الدبس الجزء الثاني المجلد الثالث ص ٥٩٠-٥٩٨

أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد بصيغة تدمور آمورو حيث يدل هذا على قدم المدينة .
والسحة العربية القديمة بادية على الاسم صيغة ومعنى .

وينسب يوسفوس المؤرخ اليهودي بناء المدينة إلى سليمان . وهذا بما ذكر في الكتب
العربية القديمة أيضاً ، حيث ذكرت أن الجن هم الذين بنوها لسليمان . وقد عزي إلى
الناطقة الذبياني الشاعر الجاهلي هذان البيتان في ذلك :

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحدها عن الفند

وجيش الجن اني قد أمرتهم يبنون تدمر بالصقاح والعمد

وقول العرب آت بما رأوه من ضخامة آثار تدمر حيث اعتادوا أن يعزوا كل ضخم
إلى الجن . والراجح أن بيتي الناطقة موضوعان بعد الاسلام لأن القرآن هو الذي احتوى
إشارة إلى ما كان من تسخير الجن لسليمان بنائين غواصين يبنون له ما يشاء من محاريب
ومنايل وجفان كالجواب وقدور راسيات ^١ . وليس في أسفار العهد القديم المتداولة إشارة
إلى هذا . ومع ذلك فليس هناك ما يمنع أن يكون أسفار وقراطيس غير الأسفار المتداولة
قد ذكرت ذلك وضاعت وأن يكون العرب قد سمعوا من اليهود خبر بناء سليمان لتدمر
أيضاً . على أن ورود اسم تدمر في نقش تغلات بلامر الأول دليل قاطع على سبق وجود
المدينة لحياة سليمان الذي كان وجوده وحكمه حوالي عام ١٠٠٠ ق م أو بعدها . ومن
رواة العرب من ينسب بناء تدمر إلى تدمر بنت حسان بن أذينة بن السميزع بن عمليق بن
لاوذ بن سام بن نوح . وليس لهذه الرواية قيمة تاريخية .

ومن المحتمل كثيراً أن تكون من المدن التي أنشأها العموريون . ونسبتها إليهم في
النقش الاشوري قد يكون قرينة على ذلك وآمورو ليست وصفاً جغرافياً وانما هو
وصف علمي قومي على ما شرحناه في الجزئين الثالث والرابع .

والكتاب الرومانيون واليونانيون يسمونها بالميرا Palmyra ويروون ان الاسكندر
المكدوني هو الذي سماها بهذا الاسم بسبب غابات النخيل التي رآها حولها .

والمدينة واقعة في بادية الشام على طريق العراق من ناحية جزيرة الفرات . وكانت

(١) انظر آيات مورة سبأ ١٢-١٤ والجفان هي القصب التي يقدم عليها الطعام والجواب جمع جابية
بمعنى البئر حيث تشبه الآية ضخامة القصب بالبئر .

بطبيعتها مراً للقوافل الآتية الذهاب بين العراق والشام . ومن المرجح ان هذا مما ساعد على نمو المدينة ثم اتخاذها عاصمة الدولة العربية التي قامت فيها .

ولقد عثر على كتابات تدمرية فيها ما يدل على انها كانت مراً للقوافل ومصدراً لها . فهناك كتابة ترجع الى قبل الميلاد المسيحي بنحو مئة سنة تذكر ان القوافل كانت تمر في أسفارها بها حينما تسير بين مدينة دورا والشام .

وهناك كتابة أخرى يرجع تاريخها الى سنة ١٧ ب م هي بمثابة قوائم جركية تبين بعض الرسوم التي كانت تجبى عن البضائع التي ترد اليها وأثمانها باليونانية والتدمرية . وهناك كتابة تدمرية آرامية ترجع الى سنة ١٤٢ ب م تدل على ما كان من نشاط قوافل تدمر في هذا التاريخ مبتدأ إلى ما قبله بطبيعة الحال . وقد عرف منها ان القوافل كانت تسير منها بزعامه وحماية بعض أصحاب المكاثة فيها وبجراحة من يعينونهم لها من حراس حيث سجل كاتبوها شكرهم لزعيم اسمه زبيد بن مقيمو بن زبيد عشتور الذي كان يلقب بلقب يوليوس أورليوس . وربما كان هذا اللقب تشريفاً من الرومان أو أن زبيداً كان صاحب مركز في السلطات الحكومية فسماه الرومان به . وهناك كتابة أخرى فيها تسجيل شكر لزعيم آخر اسمه نسي بن حالاً لأنه أوصل القافلة سالمة الى مدينة في العراق اسمها الجياشا .

وقد عرف من مدونات الرومان ومن الكتابات التدمرية أنه كان في عانا والحيوة كتابت تدمرية في القرن الثاني بعد الميلاد لحماية القوافل . وهذا قد يعني أن سلطان تدمر كان يمتد إلى هذه الأنحاء بشكل ما .

والمنطقة التي تقع فيها مدينة تدمر مراح للقبائل الغادية والرائحة المقيحة الآن . ولا شك في أنها كانت كذلك منذ القديم لأن ذلك هو المتسقى مع موقعها الجغرافي . ومن المحتمل أن يكون الفرس أو السلوقيون الذين خلفوهم على حكم بلاد الشام قد اتفقوا مع زعماء قبيلة قوية من القبائل التي كانت تنزل في هذه المنطقة ليكونوا درينة لغزوات القبائل وعيها وإزعاجها فكان هذا وسيلة إلى تمكن القبيلة واتخاذ زعمائها المدينة التي كانت قائمة في وسط البادية مركزاً لهم .

واقد جاء ذكر كورة تدمر في جغرافية بطليموس من رجال القرن الثاني بعد الميلاد وقد ذكر من أسماء مواقع أو مدن هذه الكورة Rasapha رصافة التي يظن الباحثون

انها التي كان ينزل فيها الأمويون في بعض المواسم وانها ظلت محتفظة باسمها القديم . ومنها Cholle التي يخمن الباحثون انها الموقع المعروف اليوم بالحلة و Oriza التي يظنون انها الموقع المعروف بالطيبة و Peiutea التي يظنون انها الموقع المعروف بأبيار حصار و Adada التي يظنون انها الموقع المعروف بخربة العاشقة و Adach التي يظنون انها الأرك و Danaba التي يظنون ان موقعها هو الخرائب المعروف باسم البصري و Coaria التي يظنون ان موقعها هو خرائب البخرا و Auria التي يظنون ان موقعها هو الجوارير و Asaama التي يظنون ان موقعها هو خرائب خان المنقورة و Adama التي يظنون انها موقع خان التراب و Acra التي يظنون انها موقع خان الشامات . وذلك بالإضافة الى بالмира Palmyra التي هي مدينة تدمر ومركز الكورة حيث يدل هذا على ان مدينة تدمر لم تكن مدينة منفردة منعزلة في وسط البادية وإنما كانت مركز مقاطعة يتبعه عدد غير يسير من المدن . ولعل هذه المواقع كانت طريق قوافل المدينة الى الشرق والجنوب والشمال والغرب .



من مخلفات مقابر تدمر

تقلا عن الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي للدكتور جواد علي

وبعض الباحثين يترددون في التسليم بعروبة الدولة التدمرية الصريحة بسبب ما يشوب الالهجة التدمرية من عناصر آرامية . وهذا كان سبباً لتردهم في التسليم بعروبة الدولة

التبعية أيضاً على ما ذكرناه قبل . وقد أوردنا الدلائل الواضحة على صراحة عروبة تلك تلك الدولة . وهناك دلائل وافية على صراحة عروبة هذه الدولة أيضاً . فيها كان أثر الآرامية في اللهجة التدمرية صحيحاً فإن اللهجة العربية الصريحة بادية على لغة النقوش التدمرية . وقد أوردنا جملة من هذه النقوش في الفصل الأول في سياق غافج مراحل تطور اللغة العربية . ومن الأسماء الواردة في النقوش والمدونات اليونانية والرومانية وهب الالة وأذينة وحيران وزباي وزيدومعنو وطاعي ومقيموا والنيسو وعيسو وعشتورا ونصرو الخ ..

ودولة تدمر ليست مدينة تدمر وحسب بل منطقة تدمر التي كانت قسماً من بادية الشام متصلة بجزيرة الفرات ثم بالعراق من ناحية وبالجزيرة العربية من ناحية . ولقد كانت أطراف بلاد الشام والعراق وجزيرة الفرات تمتع بالقبائل الصريحة العروبة خلال القرون الستة التي سبقت الميلاد المسيحي واستمرت تستقبل قبائل جديدة بعد هذا الميلاد فمن الطبيعي أن تكون منطقة تدمر مجالا من مجالاتها .

وليس غريباً أن تشوب اللهجة التدمرية عناصر آرامية لأن الآراميين كانوا غالبية أهل البلاد المقيمين فيها منذ قرون طويلة وكانت لغتهم هي السائدة قبل نشوء الدولة التدمرية . ولعل جماعات منهم كانت تقطن في تدمر بل هذا هو المحتمل كثيراً . وينبغي أن لا ننسى مع ذلك أن كلتا اللهجتين تنبع من نبع واحد .

ومن الغريب أن الذين يمارون في عروبة الدولة التدمرية الصريحة لا يمارون في عروبة الدولة الفسائية مع أن هذه الدولة قامت بعد مدة قصيرة من سقوط الدولة التدمرية . ومرد هذا على الأغلب أن الفسائية امتدوا إلى زمن البعثة النبوية فاندجوا في هذا الطور من أطوار العروبة صبغة ولغة فوهم الذين يفرقون بينهم وبين التدمريين والتبطين أن هذه الصبغة واللغة كانتا ملازمتين للفسائية منذ الأصل دون هؤلاء في حين أن الخطأ في هذا واضح لأن العروبة الصريحة واللغة الفصحى إنما بلغتا ذروتيهما كما قلنا قبل البعثة النبوية بما لا يزيد كثيراً عن مئة سنة . وإن الفسائية كانوا قبل ذلك في الطور السابق لهذه الذروة مثل سائر العناصر العربية في الجزيرة ومهاجرها . ولعل نقش قبر امرئ القيس الذي أوردناه في الفصل الأول يقوم دليلاً حاسماً على ذلك لأن نظرة الباحثين الممارين في عروبة الدولة التدمرية إلى دولة اللاحمين التي قامت في العراق والتي كان امرؤ القيس من ملوكها في القرن الرابع قبل الميلاد هي مثل نظرتهم إلى دولة الفسائية حيث يسلكونهم

في سلك العرويه الصريحة . ويقال هذا بالنسبة لكثير من النقوش الصفوية والبيانية
والنمودية والهيوية التي لا يماري الباحثين في كونها عربية صريحة مع بعدها عن الفصحى
ومماثلتها للهجة التدمرية .

أما أولية الدولة التدمرية فليس هناك شيء صريح يدل عليها قبل القرن الثاني للميلاد ،
وان كان هناك رواية عن حادث وقع بين أهل تدمر والقائد الروماني مرقس انطونيوس
سنة ٤٤ ق م لا يخلو من قرينة ما . فقد ذكر المؤرخ افيغانوس ان هذا القائد بعد أن
حارب الفرس ودارت عليه الدائرة في السنة المذكورة اتجه نحو الشام فلما قرب من تدمر
أوفد الى أهلها رسلا يخبرهم انه يريد أن يريح جنوده في مدينتهم . رخشي التدمريون من



لوح من الحجر حفر ليكون تذكراً لقافلة تجارة من تدمر
تقلا عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

السلب والنهب فنقلوا أموالهم وكنوزهم من المدينة . ودرى الرومانيون بذلك فتمعّبهم
وأدرّكهم واقتتل الفريقان قتالاً شديداً انتصر فيه التدمريون . والمتبادر انه لا بد من
أن يكون في تدمر في هذا الظرف حاكم أو ملك تولى قيادة هذه الحركة .

وفي سنة ٦٣ زحف بومبيوس القائد الروماني على بلاد الشام فكانت تدمر بما دخل في
حيابة الرومان وسلطانهم . وقد روي ان الامبراطور اديان زاوها سنة ١٣٠ ب م
ومنحها اسمها فصارت تدعى هديانا بالميرا وهديانا بوليس .

ولقد ذكرنا قبل اسم زبيد بن مقيم بن زبيد الذي قرىء على كتابة تدمرية ترجع

الى سنة ١٤٢ ب م لقب فيها بلقب يوليوس اورليوس ووصف بأنه زعيم القوافل وحامياها .
واللقب الروماني قديدل على ان الرومان اعترفوا بزعامة هذا الرجل في تدمير . ومن
المحتمل ان تكون زعامته امتداداً لما قبل التاريخ المذكور وأن تكون مستمدة من
عصبة قبيلية .

ولقد ظلت تدمير ثانوية لا تسكاد تذكر في المدونات القديمة الى ان زالت دولة الانباط
في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد . ثم اخذت تذكر فيها لأنها أخذت تحل محل بطرا وتقود
مرأ ومقصداً رئيسياً للقوافل التي كانت تسير بين الشرق والغرب والشمال والجنوب
تحمل الطيوب والتوابل والعاج والآلئ والحريز والمنسوجات والذهب والفضة وكان ذلك
سبباً لنموها وازدهارها واتساع عمرانها وثروتها ويزورها في مجال الحكم والسلطان لفترة
قصيرة برونزاً داوياً .

ولقد نوه الكتاب الرومانيون من رجال القرن الثاني بعد الميلاد بأسرة تدمرية وقالوا
انها كسبت ود القياصرة وعظفهم ومنحوها الألقاب والأوسمة وأيدوها بالقوة والتكريم .
حيث يفيد هذا ان الرومان ولوا رجال هذه الاسرة حكم تدمر أو زعامتها الرسمية ،
والمبتدأ ان ذلك ناشىء عن عصبة قبيلية وان هذه الاسرة كانت صاحبة الزعامة القبلية
في تدمر وما حولها قبل القرن الثاني الميلادي . وقد ذكرت النقوش التدمرية عدداً من
تولوا حكم المدينة أو زعامتها من هذه الاسرة في القرن الثاني وأوائل القرن الثالث منهم
نصر او تصور Nasoros وابنه وهب الالة Yahaballat وحيوان Airanos ابن وهب .
ولحة العروبة الصريحة بادية بكل قوتها على الاسماء . وقد ذكر الكتاب الرومان
ان حيوان هذا رافق الامبراطور ساويروس (١٩٣ - ٢١١ ب م) في زحفه على بلاد
الفرس ولقب بلقب سبتيموس الذي كان يتلقب به الامبراطور وان أذينة بن حيوان هو
الذي تولى بعده الحكم ثم صار الحكم بعد هذا الى حيوان ابنه ، وكان هو الحاكم حينما زار
الامبراطور اسكندر ساويروس تدمر عام ٢٣٠ ب م .

ولقد عثر على كتابة مدونة بالتدمرية واليونانية تعود الى القرن الثاني عرف منها انه
كان للمدينة مجلس شيوخ للتشريع . وشيخان بلقب Archant يشرفان على شؤون البلد
وديون تابع لهما مؤلف من عشرة حكام وقضاة يتلقبون بلقب Syndees . وفي الكتابة
تعليمات او قرارات اصدرها مجلس الشيوخ لتنظيم التجارة والضرائب . وكان موظفو
المدينة يحملون عناوين او ألقاباً يونانية مضافة الى أسمائهم مما صار الرومان عليه في المدن

اليونانية التي كانت تحت الحماية الرومانية .

ولقد ذكرت الميونات الرومانية ان تدمر كانت في اوائل القرن الميلادي الثاني في درجة مستعمرة رومانية عليها لها حق الامتلاك العيाम والاعفاء من الخراج والحريه السكاملة في ادارة المدينة والتمتع بالحقوق الايطالية الرومانية .

-٢-

دور لمعان تدمر

وفي اواسط القرن الثالث كان على رأس تدمر اذينة بن حيران . وكان طموحاً فلم يكتف بلقب عضو مجلس شيوخ روما الذي منحه له الرومان بل تلقب بلقب ملك وكان هذا مما جرى عليه زعماء القبائل العربية الاقوياء على ما مر بيانه في فصل سابق . واخذ يقوي نفسه ويطمح الى السيادة . فأحس الرومان بنياتسه وقتلوه غيلة بتدبير نائبهم . ثم اقاموا مقامه ابناً له اسمه حيران . ولم يطل حكم هذا فخلفه على الحكم اخ له اسمه اذيته وكان شجاعاً فارساً ذا مكانة في الجيش . وكان يتولى زعامة القبائل وحماية التوافل قبل توليه الحكم . وقدر على كتابة تدمرية دونت سنة ٢٥٨ لقب فيها بلقب قنصل مما يدل على انه احرز مركزاً عند الرومان ايضاً ولقد طالب القيصر بالاقتصاص من الوالي الذي اغتال اياه فلم يؤبه لطلبه . فاغتناظ واخذ يترقب الفرص لشفاء غليله . وجاء ظرف استبكت فيه الفرس مع الرومان بحرب فأرسل سراً وفدا الى كسرى الفرس شاور يعرض عليه التحالف فأظهر هذا تكبراً وازدراء لأنه كان احرز نصراً مبيناً على الرومان واسر امبراطورهم والريانس ، فتحول غيظ اذينة اليه وحشد جيشاً كبيراً فيه فرق قوية من خيالة العرب ورماتهم . وضم اليه الكتائب الرومانية الموجودة في تدمر وخرج متجهاً نحو طيفسون عاصمه الفرس التي يسميها العرب المدائن . وفي أثناء زحفه وصلته انباء انتصار قائد روماني آخر على الفرس في جبهة اخرى وانهم هؤلاء فقير اتجاهه واسرع الى قطع الطريق على المنهزمين وضربهم ضربة شديدة وغنم منهم غنائم عظيمة . وجلا الفرس نتيجة لذلك عن معظم ما كان تحت سلطانهم من جزيرة الفرات فبسط اذينة سلطانه عليها .

وعرف الرومان لأذينة صنيعة فأغدقوا عليه مظاهر التكريم والتبجيل واطلقوا عليه لقب نائب الامبراطور وقائد جيوش روما في الشرق وجعلوا الكتابات الرومانية في الشرق تحت قيادته الفعلية . وأدى هذا إلى انبساط سلطانه حتى شمل جميع سورية وجزيرة الفرات إلى حدود أرمينية شمالاً ووصل إلى حدود مصر جنوباً وتحوم جزيرة العرب . وتلقب بلقب ملك الملوك وبلقب أوغستوس الذي كان لقب القيصرية . ومع أنه كانت شكلياً تابعاً لسيادة روما إلا أنه كان في هذا الملك الواسع مطلق الأمر والسلطان . وقد ذكره أحمد زفيق المؤرخ التركي في عداد القيصرية الذين تعددوا وكان كل واحد يحكم ناحية من أنحاء الامبراطورية في فترة ٢٦٠ - ٢٧٠ ب م^١ .

ومما روي عن هذا الملك أنه منح حرية الدين لجميع الناس وحوّل المسيحيين حتى انشاء الكنائس وقضى على قطاع الطرق وتمتعت الدولة في عهده بالأمن والرفاه .

ويظهر أنه لم يشعر أنه شقى غليله من سابور فرحف على المدائن ثانية سنة ٢٦٥ وخرّب الحصار عليها وكاد يفتحها لولا أن اضطر إلى الانصراف عنها لصد غزوة قوطية طرأت على آسية الصغرى وانتدبه الرومان اليه . وبعد أن قام بالمهمة عاد ثانية إلى المدائن . غير أنه قتل في حصص وهو في طريقه إليها بتدبير ابن أخيه معن الذي اعتبره غاصباً للملك والذي نادى بنفسه ملكاً على حصص . غير أن أهل حصص ثاروا عليه وقتلوه .

وقد انتقل الملك بعد أذينة إلى ابنه وهب الالة وكان حدثاً فتولت أمه (زباي) ، كما قرئ اسمها على النقوش ، السلطان وصية عنه . وأخذت تحصن القلاع وتريد في قواتها . وخشي الرومان عواقب ذلك فأرسلوا حملة التحمت معها فانتصرت عليها وكان قائدها هرقليانوس من جملة القتلى . وفي هذه الاثناء نشبت فتنة تنافسية في روما على الحكم بين قواد الجيش ؛ وهاجم الجرمان حدود الامبراطورية من الشمال فارتبكت الحالة . واغتتمت أم وهب الفرصة فطردت الحاميات الرومانية وأرسلت حملة إلى مصر انتصرت على الجيش الروماني فيها وطرده كذلك فانبسط سلطان تدمر على مصر ونادت بوهب الالة ملكاً عليها بالإضافة إلى ملكيته في بلاد الشام والجزيرة وجنوب آسية الصغرى وضربت السكة باسمها واهم ابنها .

وهكذا غدت تدمر دولة مستقلة عظمى . وكان ذلك سنة ٢٦٨ ب م . وقد تظاهر

(١) ج ٣ ص ٢٤ سمي المؤرخ أذينة (اوده ثاتوس ملك بايرا) وهو ينقل عن كتاب الافرنج .

الرومان بقبول الأمر الواقع مقابل الاعتراف بسيادتهم العليا وانعقد الاتفاق بين زباي وبين كلوديوس القيصر على ذلك . واستمر الى أوائل عهد أورليانوس حيث وجدت نقود ضربت في الاسكندرية تعود الى سنتي ٢٧٠-٢٧١ على أحد وجهيها صورة مزدوجة لوجهي أورليان ووهب الالة^١ .



نقود امرأة من تدمر

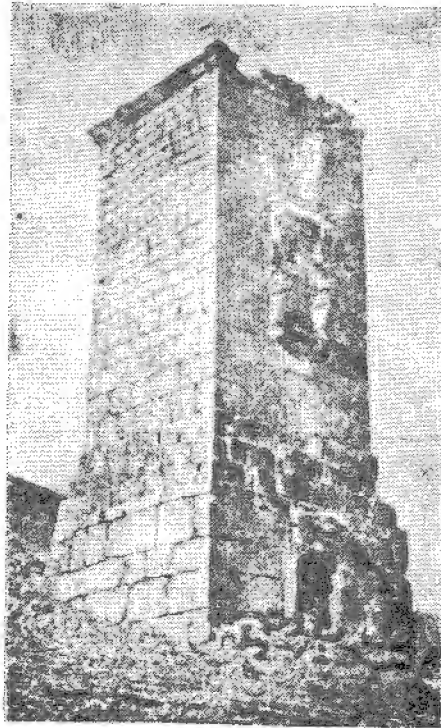
نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

على أن روما لم تكن اترضى بما تم . وانما وافقت عليه مؤقتاً مسايرة للظروف . وما ان تمكن أورليان من توطيد الامن والنظام في روما وصد الجرمان عن حدود الامبراطورية وقمع الفتن المحلية حتى صرف همه الى تمرد تدمر وتحديداً . وشعرت زباي أو الزباء كما ذكرتها الكتب العربية بتواياه فألغت الاتفاق الذي تم بينها وبين كلوديوس

(١) يؤرخ المطران الدبس حكم أورليان ٢٧٠-٢٧٦ ومع ذلك فهو يروي ان النقد المزدوج الذي عليه وجه أورليان ووهب الالة يعود الى سنة ٢٧٢ . والذي روى ان النقود تعود الى سنتي ٢٧٠-٢٧١ هو جواد علي . ومن العجيب ان بعض المؤرخين يؤرخون حكم أورليان ٢٨٤-٢٨٧ . انظر الكافي في تاريخ مصر لشارويهي ج ١ ص ٣٤٠

وأمرت بحجوجه أورليان من النقود وضربت نقوداً جديدة سنة ٢٧٣ ب م خالية منه .
 واتصلت بملكة بلاد الغال التي كانت على عدااء مع الرومان وتحالفت معها وأمرت جيوشها
 بالتوغل في الاناضول حتى بلغت خلقيدون قرب بيزانس التي أنشئت عليها مدينة القسطنطينية
 وكانت تعتمزم السير نحو روما وقد ووي انها هيات عربة فأنخرة للدخول عليها الى روما في
 موكب الظفر .

وسارع أورليان الى العمل فوجه حملة الى مصر بقيادة قائد اسمه بروتوس . وقاد بنفسه
 حملة اخرى زحف بها بوا نحو الشام . وعمد في الوقت نفسه الى دس الدسائس بين حلفاء
 الزباء من الارمن والسر كس حتى عزلهم عنها .



مقبرة تدمرية

تقلا عن الجزء الرابع من تاريخ الجنس العربي للدكتور جواد علي

ولقد حاول قائد حامية مصر التدمري زبداي مقاومة الحملة الرومانية فأخفق
 واستطاع الرومان قهره واعادة سيطرتهم على مصر . وقادت الزباء بنفسها جيشاً كبيراً
 لمقابلة أورليان والتقت به عند انطاكية فدارت الدائرة عليها . وتظاهر اليهود والنصارى

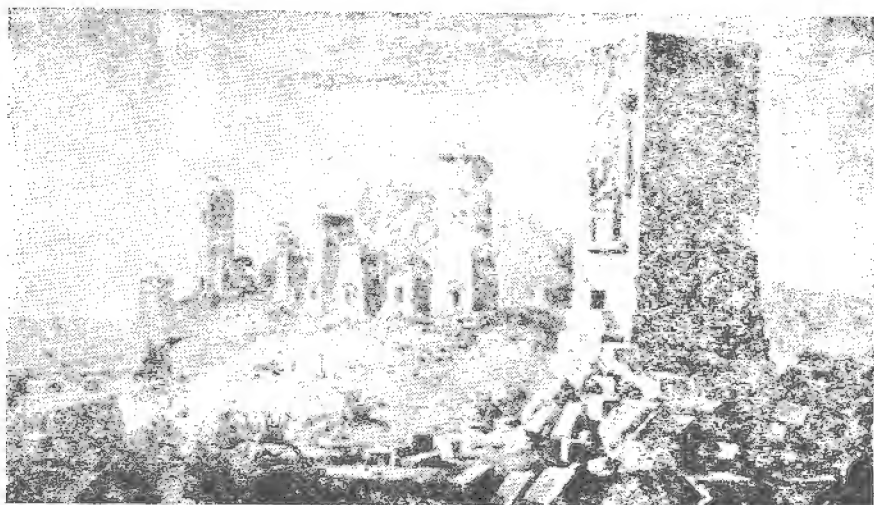
واليونان والرومان في أنطاكية وهم كثرة سكانها فارتحلت عنها مهزومة . وأخذ اورليان يتعقبها ويفتح البلاد التي في طريقه . وجمعت الزباه شمل جيشها قرب حمص والتقت به وكسبت عليه الجولة الاولى ولكنها خسرت في الثانية فارتدت الى تدمر وتحصنت فيها . وجرى بينها وبين اورليان مراسلات بسبيل استسلامها وخضوعها فرفضت . ثم خرجت سراً من المدينة ميسمة شطر بلاد الفرس للاستنجاد بهم وهرى اورليان بذلك فأرسل وراءها كتيبة من الفرسان تمكنت من اللحاق بها وهي تم بعبور الفرات فأمرتها وعادت بها . وقبض اورليان على كثير من رجالها وقتل بعضهم واستولى على ما في خزائنها من اموال ونفائس وقتل عائداً الى روما والزباه وأولادها وخاصتها معه . وحينما وصل الى البوسفور جاءه خبر بنشوب الثورة في تدمر ومصر ضد حامياتهم وعماله فعاد بسرعة الى تدمر التي كان الثوار قد فتكوا بحاميتها وأقاموا قريباً للزباه اسمه انيس ملكاً عليها . واستطاع أن يدخل المدينة عنوة وأن يجمع الحركة ثم أعمل يد التدمير والفتك في المدينة . واتجه بعد ذلك الى مصر فأخذ ثورتها وعاد الى البوسفور ومنها الى روما حيث دخلها بموكب نصر عظيم سارت الزباه وأبنائها وبناتها وحاشيتها مع عربتها المزينة بالذهب والجواهر .

وقد عين لها مكان اقامة في مدينة تيبور معزولة عن الناس ولم تلبث حتى ماتت غماً وكداً .

وهذا روي فيما روي ان ابناءها وبناتها اندمجوا في حياة الرومان وتزوج الابناء من رومانيات والبنات من رومانيين .

ومنذئذ غدت تدمر مقاطعة رومانية عادية . وكانت في سنة ٤٠٠ ب م تابعة لولاية فينيقية وعلى رأسها عامل روماني . وفي سنة ٥٢٧ أمر القيصر بوسنيان بترميمها فرمت بعض الشيء غير ان رواءها لم يعد اليها . وفي اواخر القرن السادس دخلت في نطاق حكم الفساسة الذين يأتي الكلام عنهم بعد قليل . وكان بعض ملوكهم يقضون فيها بعض اوقاتهم . وظل امرها على هذا الى ان كانت حركة الفتح الاسلامي فتخضعت للسلطان العربي كسائر بلاد الشام : ولكنها غدت مدينة صحراوية ثانوية وفقدت قيمتها التجارية ثم غدت قرية وامتدت اليها يد الحراب واخذت الرمال تسمي عليها فطمرت ودمرت كثيراً من معالمها .

ولقد كشف وما يزال يكشف عن بعض هذه المعالم وما يزال بعضها مطبوراً تحت الرمال . وفيما كشف عنه شواهد رائعة على ما بلغت في أيام عزها من فخامة وضخامة ورواء . ومن ذلك بقايا الهيكل الذي كان طول كل ضلع من ضلوعه ٧٥٠ قدماً يحيط به سور علوه ٧٥ قدماً وقائم على أساطين كشف منها نحو مئة صفوفاً منتظمة ويظن أن عددها كان نحو ٤٠٠ ومنها بقايا الرواق الأعظم وهو من العجائب . ويبدأ على بعد مئتي متر من الهيكل . وكان في أصله على ما يحسنه الآثريون مؤلفاً من شارع متوسط وشارعين جانبيين طولهما (٣٧٥٠) وعدد أساطينها ١٠٠ وارتفاع الاسطوانة عن سطح الأرض (٥٧)

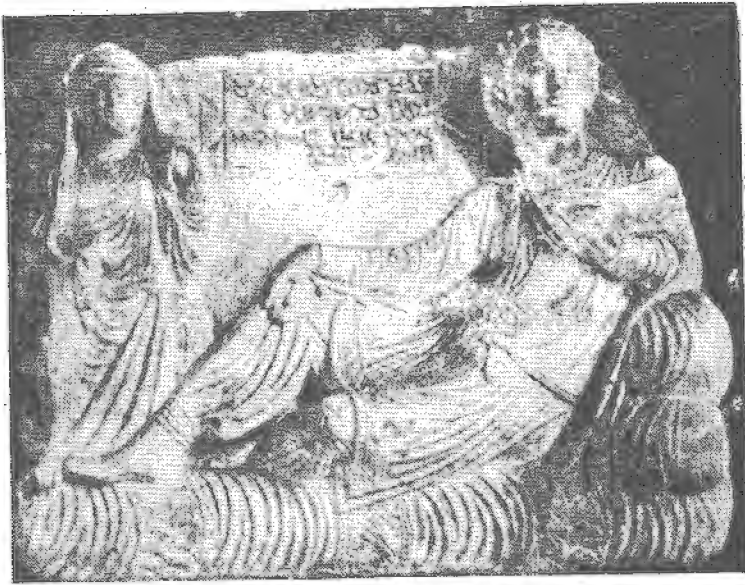


من آثار تدمر

نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي للدكتور جواد علي

قدماً . وقد كشف منها الى الآن ١٥٠ اسطوانة .

ولقد جرت تنقيبات حديثة في العقد السادس من هذا القرن كشفت عن مقبرة فخمة ذات طبقتين وثلاثة اجنحة واروقة لاسرة من اسر تدمر الفنية اسمها اسرة طاعي وتعود الى القرن الثاني بعد المسيح . وقد وجد فيها كثير من التماثيل والزخارف والنقوش التي يمكن ان تدل على ان هذه الاسرة كانت على نصيب وافر من الرقي والرفاء وعلى ان فن الهندسة والزخارف في تدمر قد وصل في عهد مبكر الى مرتبة عالمية . وكشف في هذا



صورة منحوتة على جدار مقبرة تدمرية

نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام الدكتور جواد علي

التنقيبات مقابر عديدة وجد فيها تماثيل وصور تدمرية متنوعة بشباب مزخرفة تبدو كأنها مطرزة وعلى صور النساء عقود لؤلؤية وفي سراويل بعضهن صور حجارة كريمة مربعة تتصل بصفوف من اللؤلؤ الصغير . وكل هذا يدل على ما هو واضح على ما وصلت اليه الحياة في تدمر من اناقة وترف . وما تزال التنقيبات مستمرة ونحن ندفع هذا الجزء الى المطبعة وما يزال يعثر على آثار ويكشف عن مقابر فيها تماثيل وزخارف جميلة تزيد تلك الدلالة قوة وتدعيا^١ .

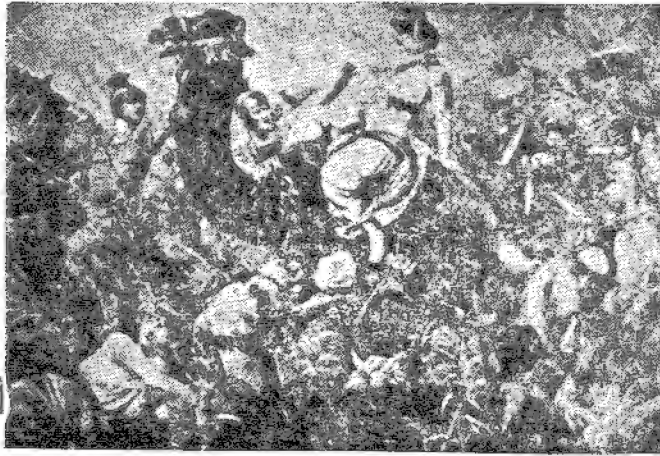
- ٦ -

شخصية الزباه

كانت الزباه النجم الساطع الذي اضى على تدهر العظمة والمجد والصيت الداوي .

(١) اقرأ مجلة الحوليات السورية لسنة ١٩٥٢ وبهذا

ولقد تحدث عنها كتاب الرومان واليونان فقالوا فيما قالوه انها كانت مبن نوابغ النساء شجاعة ودهاء وشدة وثقافة وجمالاً وهيبة ، وكانت تتكلم اليونانية واللاتينية والمصرية فضلاً عن العربية . وكانت منذ صغرها متمرسة بركوب الخيل وصيد الوحوش فبث هذا فيها الاقدام والشجاعة . وكانت تجالس قوادها وتباحثهم وتجادلهم . وكثيراً ما ضم مجلسها رجالاً من امم شتى وبينهم وفود من ملوك الفرس والارمن وغيرهم . وقد يشربون حتى يسكروا وهي لا تسكر . وكانت اذا عقدت مجلساً للبحث في شؤون الدولة ادخلت ابنتها وهب اللآة معها وجلست واية على العرش وعليها افخر الثياب وعلى كتفها

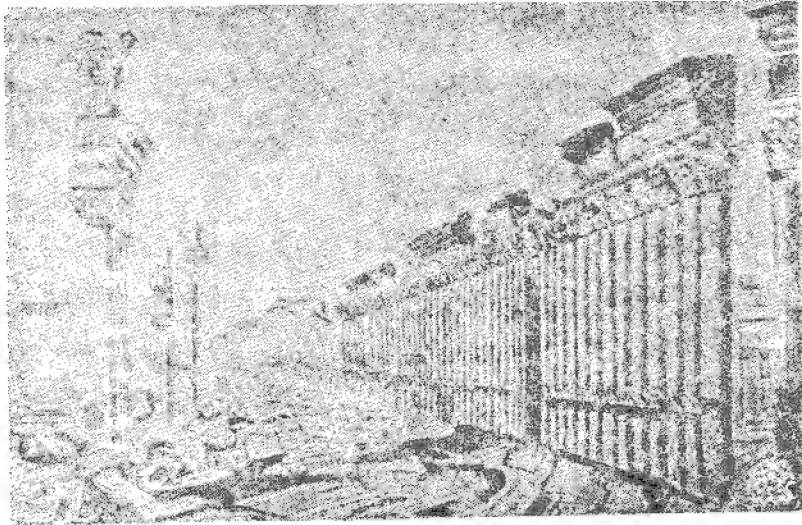


صورة تمثل الزباء حيناً احاط بها الرومان وأسروها

الحلة القيصرية الارجوانية وعلى رأسها التاج . ولم يقف بين يديها قادم إلا لآخر ساجداً على عادة الاكلمرة الذين كانت تتشبه بهم . واذا استعرضت جندها وقفت امام قصرها فوق جوادها وعليها حلة الحرب وعلى رأسها الخوذة الرومانية مزينة بالدر والجواهر . وعلى غلاتها اهداب منسوجة بأسجال ارجوانية وقد جردت احد ذراعيها كما يفعل قدماء اليونان والرومان وكلما مرت كتيبة من كتائبها من امامها التفت اليها المراعظ محرصة على الصبر والثبات والشجاعة والاقدام . فكان الناس اذا ما رأوها في هذا الموقف حسبوها الالهة من الآلهة العظام . وهذا فضلاً عن تفوقها في السياسة وسداد رأيها وجمالها ولطفها بما لم يسمع باجتماعه في امرأة .

ولقد بلغ القيصر اورليان ان الذين في روما كانوا يسفرون من عجزه عن احتلال
تدمر والتغلب على الزباء حينما تحصنت منه فكتب الى مجلس الشيوخ يقول « قد يضحك
الناس مني لمحاربي امرأة فاعلموا ان زنوبيا - وهذا ما كان يسميها به الرومان - اذا
قاتلت كانت اشد رجولة من الرجال .

وبما ذكره الكتاب الرومان عنها انها التفت كتاباً اختصرت فيه ما قرأته من تواريخ
الامم وانما استقدمت مشاهير رجال الفكر الى عاصمتها منهم الكتاب الفيلسوف الشهير



بقايا الرواق العظيم في تدمر

كاسيوس ديونيسيوس لونيغنوس ، واتخذته مستشاراً لها . ومنهم الكاتب المؤرخ فليكرت
الصوري والفيلسوف اللغوي لوبر كوس البيروتي والمؤرخ بوسانياس الدمشقي ؛ وانها
كانت على المذهب الافلاطوني الحديث . وقد قال بعض الكتاب القدماء ان الزباء كانت
يهودية الدين كما قال بعض آخر انما كانت نصرانية . وتوسط بعضهم فقال انها لم تكن
يهودية محضاً ولا نصرانية محضاً وانما كانت وسطاً بين الدينين ، فكانت تعتقد بوجود الله
وترى الوحدة الالهية كما يراها الفيلسوف . وقال بعض الباحثين ان شأنها هذا وما كانت
عليه من ثقافة عالية وميول عامية وفلسفية يسوغ القول ان الناس في تدمر كانوا في
عهدنا متمتعين بحريتهم الدينية .

وكتاب الرومان يسمونها كما قلنا آنفاً زوبيا . وقد ذكروا انها أنشأت حصناً قرب
الفرات سمته باسمها هذا^١

وهؤلاء الكتاب يذكرون أقوالاً عديدة عن أصلها فمنها انها من دم يوناني مصري
وانها هي نفسها كانت ترعى ذلك حيث زعمت انها من نسل كليوباترة البطلمية اليونانية ،
وانها ألفت كتاباً عن تاريخ مصر فيه اشارة إلى صلتها بالملكة المذكورة . ومنها
انها من أب عربي وأم مصرية . ومنها انها تدمرية واسم أبيها Achillie (اخيلي) ومنها
ما ذكر اسماً غير هذا وهو زباي . واسمها في النقوش التدمرية بت زباي . وقال بعضهم
إن معنى الجملة بنت زباي . والعرب يسمونها الزباء والرومان يسمونها زوبيا . وهذا ما
يحمل على التوقف بتخريج جملة (بت زباي) بأنها بنت زباي ويسوغ القول ان هذه الجملة
اسمها الشخصي .

ولقد احتوت الكتب العربية أشياء كثيرة عن الزباء فيها كثير من المفارقات والخيال
وبما جاء فيها عنها^٢ انها نائلة أو ليلي بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميذع
ابن هور العمليقي ، وانه كان لها جند من بقايا العماليق والعرب العاربة الأولى ومن سليح
وقضاة . وأن الملك على أرض الجزيرة ومشارف الشام كان لأبيها الذي كان منزله بين
الخابور وقرقيسية ، وانه كان هناك ملك عربي آخر اسمه مالك بن فهم يحكم عرب الضاحية
النازلة بين الحيرة والأنبار والذين تجمعهم تسمية تنوخ فنشب بين الملكين نزاع أدى إلى
حروب هلك فيها أبوها . ومن الروايات ما يذكر ان الحروب إنما نشبت بين ابي الزباء
وجذية بن الأبرش وهو من ملوك تنوخ أيضاً ، وان الزباء تولت الملك مكان أبيها ثم
أخذت تتوقب القرص وتعمل الفكر في الثأر لأبيها من قاتله حتى استطاعت أن تستدرجه
إلى تدمر التي لم تكن عاصمة ملكها وإنما كانت مدينة من مدنها تنزل فيها حيناً بعد حين
– وتقتله . وحينئذ صار دور الثأر لخليفة المقتول الذي كان له وزير داهية اسمه قصير عمد
إلى حيلة بارعة لادخال رجال مسلحين إلى تدمر حيث وضعهم في زكائب بمثابة بضاعة
فلما صاروا فيها خرجوا من زكائبهم فسيطروا على المدينة وحاولت الزباء الفرار من
سرداب فلم تنجح فصت خائفاً مسموماً في يدها حتى لا تقع أسيرة . وهذه ملخص قصة من

(١) ذكر ياقوت في معجم البلدان اسم « الزباء » كمدينة على الفرات

(٢) الم جواد علي في الفصل الذي عقده على مملكة تدمر بما في الكتب العربية من روايات . وهذه

النبتة مقتبسة منه

القصص ووردت في الكتب العربية بأسلوب أدبي مريض بالأشعار والأمثال تبدو الصنعة عليه بارزة .

وهناك قصة أخرى عن قصير واحتياه على التقرب من الزباء وحملها على الاطمئنان اليه تمهيداً لعملية ادخال الرجال المسلحين تبدو عليها الصنعة بارزة أيضاً . والمفارقة ظاهرة في الخلط في نسب الزباء والعرب العاربة والمالقي وسليح وقضاعة ولحم وتنوخ . ومن تمام المفارقة ان الكتب العربية لم تشر الى مملكة تدمر وأسلاف الزباء فيها وما كان من صلات وحروب بينها وبين الفرس والروم حتى لكأن من يقرأ أخبار الزباء فيها يقرأ أخبار مملكة عربية غير مملكة تدمر وأخبار مملكة غير مملكة تدمر .

على أن رواية كون الزباء هي بنت الملك عمرو بن الظرب بن حسان وكون ملكه شاملاً لأرض جزيرة القرات ومشارف الشام ومنزله بين الحابور وقرقيسياً ونشوب نزاع وقتال بينه وبين ملك من ملوك تنوخ قد يكون انطوى فيها حقيقة ما ثم اختلطت مع التداول بروايات زباء تدمر . وفي هذه الحالة نكون ازاء ملك عربي آخر في ناحية من أنحاء جزيرة القرات لم يبق من معاله إلا ما ذكرته الروايات .

- ٧ -

الحالة الدينية في الدولة التدمرية

كانت الحالة الدينية في الدولة التدمرية متسقة بوجه عام مع مثلها في الدولة النبطية بل وفي شمال الجزيرة وجنوبها حيث كان لهم آلهة رئيسية وأخرى ثانوية وحيث كانت آلهتهم سماوية أو ما يتصل بالسماء وحيث كان لهم أصنام يتخذونها رموزاً مادية لآلهتهم ويضعونها في المعابد ويقربون اليها قربانهم ويقسمون عندها طقوسهم .

ولقد كان البعل هو الاله الرئيسي شأن سائر بلاد الشام في هذا الدور وقبله وكانوا يعتبرونه الاله السماوات والارض . وإلى جانبه (ملك بل) الاله الحصب والناء و (أغل بل) الاله القمر (بوجال بل) الاله الشمس و (شن بل) الاله المطر . وكلها مشتقة كما يلحظ من بعل — بل — أو منسوبة اليه فكأنها كانت ملائكته ومساعديه . وكان من آلهتهم كذلك الزهرة — عشتار — وعزيزي واللات وان لم تعرف اختصاصاتها كما عرفت اختصاصات

الآلهة السابقة ، ومن اهتهم (شع هقوم) وكان اله القوافل وحامها ودهرى (ذوالشرى)
وكان اله الحمر . ولقد بلغ أنواع الأصنام التي عثر عليها في التنقيبات التدمرية (٢٢) والاسماء
التي مر ذكرها بما قرىء على الاصنام المكتشفة حيث يؤيد هذا ما قلناه من أنها كانت
رموزاً لآلهتهم .

ولقد وجد نقش تدمري احتوى عبارة معناها (يورك اسمه الى الابد الرحمن الرحيم)
بما فيه دلالة على تطور في التفكير الديني مقارب لما وصل اليه عرب شمال الجزيرة وجنوبها .
والراجح ان ذلك كان في القرن الثالث أو بعده حيث أخذت النصرانية تنتشر بمقياس
واسع في بلاد الشام مع التنبيه الى ان هناك مدونات مسيحية قديمة ذكرت ان النصرانية
بدأت تتسرب الى أهل منطقة تدمر في القرن الاول الميلادي أسوة بسائر بلاد الشام ؛ ثم
اتسع نطاقها بعد غدوها الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية .

ولقد قرىء أسماء عدد من أسماء اساقفتها مدونة في سجلات الاعمال الكنسية مثل
الاسقف مارينوس الذي حضر مجمع نيقية المنعقد عام ٣٢٥ ب م والاسقف يوحنا الذي
شهد مجمع خلقيدونيا عام ٤٥١ ؛ والاسقف يوحنا الثاني الذي اشتهر في أيام القيصر انستاس
(٤٩١-٥١٨) والذي نفى في عهد يوستينياس (٥١٨-٥٢٧) لدفاعه عن المجمع الخلقيدوني
وقوله بطبيعيتين للمسيح وهو المذهب الذي كانت عليه الامبراطورية الرومانية حيث يبدو
من هذا ان النصرانية قد عمت أو كادت تعم تدمر منذ القرن الرابع .

ولقد عرف من المدونات اليهودية انه في مدينة تدمر وغيرها من مدن الدولة التدمرية
كثير من الجاليات اليهودية في زمن الزباء وقبلها ، وقد لجأوا الى هذه البلاد من فلسطين
نتيجة للاحداث التي جرت بينهم وبين الرومان في القرنين الاول والثاني بعد الميلاد ، حتى
لقد بالغ بعض رواة الرومان في عددهم فقالوا انهم كانوا نصف سكانها . ومع ذلك فقد
كانوا يكرهون الزباء وبلادها ويتمنون هلاكها كما هلكت ثمود على ما ذكرته بعض
المدونات اليهودية . وكان كثير منهم في صفوف أعدائها ، وكانوا يجارونها مع الفرس تارة
ومع الرومان أخرى .

ولقد كانت أسماء ملوك تدمر والنبط في النقوش بلهجة غير فصيحة ، فذكرتها الكتب
العربية بلهجة فصحي . وهذا من ذلك الباب تقريباً .

١٠ - التنوخيون والضجاعة

تمهيد

يستفاد مما ذكرته الروايات العربية انه قام في حوران ومشارف الشام بعد زوال مملكة الأنباط مملكتان عربيتان واحدة تنوخية وأخرى ضجعية . ومهما كان في هذه الروايات من شوائب فاننا نرجح انها تنطوي على حقيقة تاريخية تداولتها الألسنة جيلا بعد جيل . ومن المحتمل ان تكون حركة القبائل العربية البدوية امتدت في اطراف المعمورة الشامية بعد انهيار دولة الأنباط التي كانت دويئة لهذه المعمورة من حركات تلك القبائل وعيشها فلم ير الرومان بدأ من معالجة الامر في النطاق العربي البدوي عملا بالمثل السائر (ان الحديد بالحديد يفلح) فعبدوا الى التفاهم مع بعض الزعماء الاقوياء من بدو العرب ليكونوا هذه الدرثية . وقد يرد مأخذ على فصاحة اسماء الملوك التي تروى بها الروايات على ما سوف يأتي بعد لأن أصحابها عاشوا قبل طور الفصحى بمدة طويلة . وليس من شأن هذا أن ينفي وجود اصحابها ومن السائق ان يقال ان الاسماء قد تداولتها الاجيال التي تكلمت بالفصحى قبل الاسلام فوصلت الى الرواة كذلك بعد الاسلام . ولقد كانت اسماء ملوك تدمر والنبط في النقوش بلهجة غير فصيحة ، فذكرتها الكتب العربية بلهجة فصحية وهذا من ذلك الباب تقريبا .

التنوخيون

وكان التنوخيون هم اصحاب الملك الاول . وهم على ما يستفاد من الروايات العربية فرع من قبيلة تنوخ او مجموعة القبائل التي سميت بتنوخ والتي هاجرت من اليمن في اوائل القرن الثاني بعد الميلاد الى شواطئ الخليج العربي ثم تسرب فريق منها الى العراق وآخر الى الشام على النحو الذي كان يجري دائما .

ولم يذكر رواية العرب من ملوك التنوخيين في الشام الا ثلاثة وهم النعمان بن عمرو وعمرو بن النعمان والحواري بن عمرو^١ . ولم يذكروا لهم مآثر في مجال الحكم والسلطان

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٢٩-٣٠

والنشاط السياسي والحربي والاجتماعي والعمراني مما يدل على أن ملكهم لم يعد زعامة بدوية تسمت باسم الملك على العادة التي كان يسير عليها زعماء القبائل الكبيرة والقوية بما أوردنا أمثلة له في الفصل السابق ، مع فرق مهم وهو موافقة الرومان أو اعترافهم بهذا الملك واتفاقهم مع الملوك ليكونوا دريثة ومانعاً لعيث القبائل البدوية في المعورة الشامية ومن المحتمل جداً أن يكون الرومان قد عينوا لهم تخصصات لقاء ذلك .

الضجاعة أو سليح

وضعت قوة التنوخيين على ما يظهر في أواخر القرن الثاني لسبب ما فعل محلهم في الملك العربي البدوي زعماء قبيلة الضجاعة وهي إحدى فروع قبيلة سليح الكبرى التي كانت إذ ذاك تنتشر في حوران وشرق الأردن^١ والمتبادر أن هذا كان أيضاً بموافقة واعتراف الرومان حينما رأوا أن هؤلاء أقوى من التنوخيين للقيام بالمهمة المؤكولة اليهم .

وقد ذكرت رواية عربية أسماء ثلاثة ملوك أيضاً من سليح وهم النعمان بن عمرو وابنه مالك وعمرو بن مالك^٢ . ولم تذكر لهم مآثر في مجال السلطان والحضارة والحرب أيضاً . وذكرت روايات أخرى اسم زياد بن الهبولة كأحد ملوكهم^٣ وقالت أنه كان معاصراً لحجر بن معاوية بن الحارث الكندي آكل المرار الذي ذكرنا خبره في فصل سابق . ويلحظ أن زمن زياد متأخر جداً عن الزمن الذي يفرض فيه قيام ملك الضجاعة ، لأن حجر كان من رجال القرن السادس الميلادي ! وذكرت رواية ثالثة اسم الضيزن بن معاوية كأحد ملوك سليح^٤ . وذكرت رواية رابعة اسم سبطة بن المنذر بن داود أو سبط بن ثعلبة بن عمرو من ملوكهم أيضاً^٥ . وقالت هذه الرواية أن الفسانيين أخذوا الملك منه ، حيث وثب عليه أحدهم وقتله وتغلبوا بعده على الحكم .

وعلى كل حال فالروايات المتعددة عن الضجاعة أو سليح وملكهم تسوغ القول أن ذلك

(١) انظر مروج الذهب أيضاً ج ٢ ص ٣٠

(٢) انظر بلاوغ العرب للألوسي ج ٢ ص ١٧٢

(٣) و (٤) جواد علي ج ٤ ص ١٢١-١٢٢

(٥) جرجي زيدان ص ١٩٧

لا يخلو من حقيقة تاريخية .

ولقد ذكر احد كتاب اليونان القدماء شيخاً عربياً سماه Zakamos وقال انه كان عاملاً على العرب من قبل الروم بدرجة فيلاوخوس . وذكر كاتب يوناني آخر هذا الاسم ايضاً . وبما رواه الكتاب ان هذا الشيخ تنصر وتنصر معه عدد كبير من اتباعه . وان الحكم صار من بعده لماوية او مارية . ولعلها ابنته او زوجته . وانها اختلفت مع الرومان وأدى الخلاف الى حرب في اواسط القرن الرابع الميلادي وانتصرت غير مرة عليهم ثم تصالحت معهم . وكان من جملة ما اشترطته تعيين راهب عربي اسمه موسى كانت يتعبد في بادية الشام راهباً لعربها فوافق القيصر على ذلك .

ولقد نحن جواد علي^١ ان يكون اسم زوكوموس محرفاً عن ضجعم . وهذا يعني اذا صح ان الاسم اسم القبيلة لا اسم الشيخ ، وقد ذكر الاسم زيدان وخمته كما نحنه جواد علي ايضاً^٢ .

وفي هذه الحالة يكون في الرواية دعامة للملك الضجعمي الذي حل محل الملك التنوخي بالاتفاق مع الرومان كما هو المتبادر . وان كان يرد على هذا مسألة الزمن لأن الروايات تذكر ان الفسانيين حلوا محل الضجعمي في الملك في القرن الثالث على ما سوف نذكره بعد .

١١ — الدولة الفسانية^٣

— ١ —

اولية الفسانيين

قام بعد الملك الضجعمي السليحي الملك الفساني الذي كان أسعد حظاً من سابقيه من

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٤ ص ١٢١-١٢٢

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٩٧

(٣) هذه النبذة مقتبسة من تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ٤ ص ١١٨-١٦٠ وتاريخ

العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ٢٠٧-٢٢٠ الطبعة الجديدة وتاريخ سورية للديس الجزء الثاني

المجلد الرابع ص ٣١-٣٦ و١٣٩-١٤٤ و٢٩٥-٣٠٠

حيث معرفة الشيء الكثير عنه ثم من حيث امتداده ونشاطه الاجتماعي والسياسي والحربي والعمراني .

ونسابو العرب ينسبون الفساسنة الى قبيلة الازد القحطانية الكبرى ويقولون انهم فرع منها انساح من اليمن على أثر سيل العرم فيمن انساح ونزلوا أولاً في تهامة على ماء يقال له غسان فنسبوا اليه ثم ارتحلوا عنه الى بلاد الشام وان جدهم الذي ينسبون اليه هو جفنة بن عمرو بن مزريقاء بن عامر بن ماء السماء .

وليس من امكان لتثبيت او نفي ما ذكرته الروايات العربية في صدد نسبهم ونزوحهم لأنها متعددة متضاربة مع التنبيه الى ان نسبتهم الى جفنة والى ماء السماء والى مزريقا من الامور التي تكررت فيها الروايات حتى اتصلت بعهد النبي ﷺ .

ويخمن انهم جاؤوا الى بلاد الشام في القرن الثاني بعد الميلاد . وبما يروى انهم نزلوا في جوار قبيلة سليح ف ضرب ملوك الضجاعة عليهم الاتاة . فتحملوها زمناً ثم استنقلوها وتحايل زعيم لهم اسمه ثعلبة حتى قتل زعيم الضجاعة او ملكهم فأدى ذلك الى حروب بين الطرفين انتصر فيها في النهاية الفساسنة وصاروا اصحاب الحكم والسلطان في اطراف بلاد الشام . وعلى كل حال فان وجود الفساسنة وملكهم في بلاد الشام من القرن الثالث الميلادي الى ما بعد وفاة النبي عليه السلام حقيقة من الحقائق التاريخية .

ولقد ذكر الكتاب القدماء على ما رواه المطران الدبس^١ ان الامبراطور الروماني فيلبس (٢٤٤-٢٤٩ م) عربي من اهل بصرى . كان من قواد الجيش الروماني في سورية واشتهر ببسالته في حرب الفرس فنودي به عاجلاً بعد مقتل كورديان . وكانت هذا بما جرى كثيراً في هذه الفترة من تاريخ الامبراطورية الرومانية .

ولا يذكر الكتاب انه غساني . وبصرى كانت عاصمة الفسانيين . ومن المحتمل ان يكون منهم . وفي هذه الحالة اما ان يكون احد ملوكهم الاولين او احد ابطالهم استخدمه الرومان في جيشهم فأبلى معهم بلاء حسناً فكان ذلك مؤدياً الى اعتلائه العرش . وحينئذ يكون قدوم الفساسنة الى بلاد الشام واستقرارهم في منطقة حوران سابقاً بمدة غير قصيرة لتاريخ ارتقاء هذا القائد عرش الامبراطورية . ويكون تخمين طروثهم في القرن الثاني بعد الميلاد وجيهاً .

(١) تاريخ سورية المجلد الرابع الجزء الثاني ص ٦-٩

ملوكهم المذكورة اسمائهم في الروايات العربية والافرنجية

لقد تعددت الروايات وتضاربت في عدد ملوك الفساسنة ومدد حكمهم . فهناك قائمة رواها حمزة الاصفهاني فيها اثنان وثلاثون ملكاً مع مدة حكم كل منهم . وهذه هي الاسماء الواردة فيها كما ذكرها جرجي زيدان

٤٥	مدة حكمه	جفنة بن عمرو بن مزريقيا
٥		عمرو بن جفنة
١٧		ثعلبة بن عمرو
٢٠		الحارث الاول بن ثعلبة
١٠		جبلة الاول بن ثعلبة
١٠		الحارث الثاني بن جبلة
٢		المنذر الاكبر بن الحارث
١٥		النعمان الاكبر بن الحارث
١٣		المنذر الاصغر
٣٤		جبلة الثاني
٣		الايهم
٢٦		عمرو
٢٧		جفنة الثاني بن عمرو
١٦		جبلة الثالث بن النعمان
٢١		النعمان بن الايهم
٢٢		الحارث الثالث
١٨		النعمان بن الحارث
١٩		المنذر بن النعمان

٣٣	مدة حكمه	عمرو بن النعمان
١٢		حجر بن النعمان
٢٦		الحارث الرابع بن حجر
١٧		جيلة بن الحارث
٢١		الحارث الخامس بن جيلة
٢٧		النعمان بن الحارث أبو كرب
٢٧		الايهم بن جيلة بن الحارث
١٣		المنذر « « «
٢٥		شراحيل « « «
١٠		عمرو « « «
٤		جيلة بن الحارث
٣		جيلة بن الايهم

ومدة حكم هؤلاء الملوك تقرب من ستمئة سنة وهذا يعني ان حكمهم بدأ في القرن الاول للميلاد وهو غير صحيح .

وقد رتب تولد كه المستشرق الالماني قائمة فيها عشرة أسماء اقتباساً من مصادر يونانية وشرقية قديمة وهذه هي كما ذكرها جرجي زيدان أيضاً .

٥٠٠	توفي سنة	جيلة أبو شمر
٥٦٩	«	الحارث بن جيلة
٥٨٢	«	المنذر أبو كرب بن الحارث
٥٨٣	«	النعمان بن المنذر

٥٨٣-٦١٤	}	الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر
		الحارث الأعرج بن الحارث الأصغر
		النعمان بن الحارث الأصغر
		عمرو بن الحارث الأصغر
		حجر بن عمرو

ومدة حكم هؤلاء نحو مئة وخمسين سنة وفي القائمة ثغرات واضحة . وقد توقف زيدان في قبول رأي تولدكه بسبب ذلك ووصل في بحثه واستنتاجاته إلى توجيه كوث مدة حكم الدولة أربعمئة سنة (٢٢٠-٦٣٣) غير أنه لم يستطع على ما يبدو أن يضع قائمة حاسمة للموكلهم كما ترى في هذه القائمة المقتبسة على الراجح من الروايات العربية :

٢٢٠	ب م	جفنة بن عمرو
٢٦٥		عمرو بن جفنة
٢٧٠		ثعلبة بن عمرو
٢٨٧		الحارث الاول بن ثعلبة
٣٠٧		جيلة بن الحارث الاول
٣١٧		الحارث الثاني بن جيلة ابن مارية
٣٢٧		عمرو بن جيلة الايهم ، النعمان ، المنذر الاصغر ، المنذر الاكبر .
٣٨٠		النعمان - الحارث الثالث
٤٣٠		النعمان
٤٦٠		حجر - المنذر - عمرو
٤٨٦		الحارث الرابع
١٢		جيلة بن الحارث
٥٢٩		الحارث بن ابي شمر
٥٦٩		النعمان بن ابي شمر
٦٢٥		شراحيل ، الايهم ، المنذر ، عمرو ، الحارث (والاخير لم يحكم)
٦٣٣		جيلة

وبما يجدر ذكره ان روايات السيرة ذكرت ان ملك الفساسنة في السنة الهجرية السادسة كان الحارث بن ابي شمر وهو الذي أرسل النبي عليه السلام كتاباً اليه يدعو فيه الى الاسلام . وهذا الاسم بكامله يأتي في قائمة زيدان وقائمة حمزة متقدماً كثيراً عن البعثة . وفي آخر قائمة زيدان اسم الحارث بدون صفة أخرى وفي جانبه جملة (لم يحكم) والمفقول ان هذا هو الذي أرسل النبي عليه السلام اليه كتاب الدعوة .

والبداية التي فيها زيدان في قائمته لحكم الفساسنة متقدمة أكثر من اللازم اذا صح
تخريج جواد علي لكلمة زوكوموس بالضجاعة على ما ذكرناه قبل حيث يكون ملك
الضجاعة قد امتد الى القرن الرابع .

ولقد أورد جواد علي قائمة حمزة بدون سنين وقائمة تولدكه وقوائم أخرى مقتبسة من
البطليمي والمسعودي وكتاب البدء والتاريخ والجرجاني وابن خلدون . ومنها ما يقتصر
على ذكر احد عشر ملكاً . والاسماء مماثلة لما ورد في قائمتي حمزة وزيدان فلم نر ضرورة
الى ايرادها .

- ٣ -

سيرة الفساسنة

يمكن ان يقال ان من أسباب بروز الفساسنة وتقدمهم في مجال الحكم والسلطات
النزاع الذي نشب بين الرومان والفرس في القرن الاول قبل الميلاد ثم امتد الى القرن
السادس امتداداً لما كان من نزاع بين الفرس واليونان أو بين الشرق والغرب واستمراراً
له . ولقد اشتد هذا النزاع في القرن الخامس واستمر شديداً . وعهد الفرس الى ادخال
دولة اللخمين في العراق الى جانبهم فيه ففعل الروم مثل ذلك بالنسبة لدولة الفساسنة
وصاروا يطلبون من ملوكها الاشتراك بكتائب عربية مع كتائبهم وكانوا يفدقون عليهم
بسبب ذلك الاموال والالقاب والتكريم ويستزيرونهم عاصمتهم القسطنطينية ، فجعل هذا
الفساسنة يزهون ويبرزون بل وأحياناً يمتنون ويتبطرون ويتمردون على الروم .

ومما يسجل مع الأسف ان ذلك أدى في الوقت نفسه الى التنافس والتنازع بين
الدولتين العربيتين في نطاق العروبة حتى غدتا عدوتين لبعضهما وصار كل منهما يؤلب معه
ما يقع في نطاق سلطانه وقدرته من القبائل العربية لتشتبك في الحروب التي كانت تقع
بين الدولتين وحسب بما ذكرته الروايات العربية في سياق ذكر أيام العرب وحروبها .

ومن الغريب ان الكتب العربية امتلأت بأخبار دولة اللخمين في العراق وملوكها
على ما سوف نذكره بعد في حين انها لم تذكر شيئاً كثيراً من اخبار دولة الفساسنة ،
مع ان الآثار الممرانية التي خلفها الفساسنة والتي ما يزال كثير منها قائماً بأعيانه أو أطلاله

وآثاره في حوران وشرق الأردن تدل على أنهم كانوا أنشط من الأخمينيين في مجال الحضارة والعمران .

ولعل ظروف جمع وتدوين الروايات العربية مما يفسر هذا . فقد دونت هذه الروايات في عهد الدولة العباسية . وكان مركزها العراق . وكانت مصادر الروايات البدو والبادية المناوئة للعراق على الأرجح والأغلب . وكانت هذه مناطق الدولة النخعية . فزودت هذه المصادر الرواة بما كان يتداول في مناطقها من أحداث جليها متصل بهذه الدولة وملوكها في حين لم يقسم مثل هذا الاهتمام للمناطق التي قامت فيها الدولة الغسانية . ولعل ما ذكره بعض مؤلفي العرب القدماء من أنه كان في أديار الحيرة سجلات تحتوي تاريخ ملوكها^١ كان من أسباب ما نراه من كثرة أخبار الأخمينيين في الكتب العربية خلافاً لأقربائهم الغسانية .

وبما ذكرته الكتب اليونانية القديمة من سيرة هذه الدولة أن الملك جبلة نصر الروم سنة ٩٧ هـ ب م وأخذ ثورة أزعجتهم فمحقوه رتبة فيلارك^٢ وجعلوه عاملاً على بطرا وبعبارة أخرى امتد سلطان الغسانيين إلى شرق الأردن . وأن الروم استعانوا بالملك الحارث على حركة قردية في السامرة فساعدهم على قمعها فمحقوه رتبة باسيلوس^٣ ولقبوه بلقب بطريق^٤ ، وأنه حارب الفرس معهم وكان من أقوى أنصار القائد بليزاربوس الذي قاد الجيوش الرومانية وأبلى في الحرب بلاء حسناً ، وأنه زار القسطنطينية فلقي حفاوة عظيمة . وكانت له عند الروم شهرة عظيمة في الشجاعة وشدة البأس حتى كانت نسائهم يخوفن أولادهن به . وأن الملك المنذر كان نصيراً كبيراً للروم وأنه زار القسطنطينية هو الآخر مع ولدين له فلقي من القيصر طيباريوس حفاوة عظيمة وألبسه تاجاً . ولم تحتو الكتب اليونانية ما يساعد على معرفة هؤلاء الملوك في سلسلة ملوك الغسانية . وقد نحن زيدان الذي نقل عنه هذه الأخبار على ما يستفاد من كلامه أن جبلة هو والد الحارث بن جبلة وأن الحارث هو الحارث بن أبي شمر وأن المنذر هو ابنه .

(١) جواد علي ج ٤ ص ٣٠

(٢) يعني أمير على ما فسر زيدان

(٣) يعني ملك وقد ذكر جواد ثورة السامرة ولكنه رواها بصيغة ثورة السامريين في فلسطين عزواً إلى مؤرخ سرياني اسمه ملالا

(٤) لقب عسكري يعني القائد

وقد يرى البعض ان ما رواه زيدان عن الكتب اليونانية من تنويع النساء الرومانيات
لأولادهن بالحارث غير معقول . ونحن لا نشارك هؤلاء في رأيهم . فليس ما يمنع ان
تكون زيارة الحارث للقسطنطينية أثارت اهتمام سكانها وان يكون منظر الملك العربي
بشبابه العربية مما أثر في النظارة وجعل الناس يتحدثون عنه .

ولقد قلنا قبل ان العداء بين الروم والفرس اثار عداء بين ملوك غسان ولحم وأدى الى
تكرار الحروب بين الطرفين . وقد ذكرت الروايات اليونانية خبر حرب منها وقعت سنة
٥٢٨ بين الحارث بن ابي شمر ملك غسان والمنذر بن ماء السماء ملك لحم . وخبر حرب
اخرى سنة ٥٣١ بينها أيضاً . وقد ذكرت الروايات المذكورة في سياق ذكر الحرب
الثانية بصراحة انها كانت بتحريض كسرى انوشروان ملك الفرس المنذر على الحارث .

وبما ذكره زيدان الذي ننقل عنه هذا السياق ان قيصر الروم جوستنيان طلب الصلح
من انوشروان فوافق ثم ندم لأنه أتاح للروم فرصة نشاط ونجاح في ميادين أوروبيه
وافريقية ولم يرد ان ينقض العهد مباشرة فأوعز للمنذر فتدبر بنذريه نزاع على طريق
الماشية في جنوبي تدمر كان كل من الملكين يدعي ملكيتها وهاجم المنطقة فنشبت
الحرب بين الملكين العربيين وعادت الحرب ثانية نتيجة لذلك بين الفرس والروم . وكان
النصر حليفاً للحارث . ثم اقتتل الطرفان ثانية وطالت بينهما الحروب وكان من أيامها
اليوم المعروف في الروايات العربية بيوم عين اباغ نسبة الى واد بين الكوفة والرقه وقد
انتهت الحرب بنصر الحارث ودخول قسرين في حيازته . وبما ذكرته الروايات العربية
على ما أورده زيدان في سياق يوم اباغ ان المنذر نزل على عين اباغ وارسل للحارث
يطلب منه فدية وينذره بالحرب ان ابقى فما كان من الحارث الا ان سار اليه بمجموع بلغ
عدها اربعين الفا . ولما وصل الى عين اباغ ارسل للمنذر يقول انا شيخان فلا تهلك جنودنا
وانما يخرج ولد من أولادي وولد من أولادك فمن قتل خرج عوضه ولد آخر واذا فني
أولادنا خرجت انا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك فوافق المنذر ولكنه غدر حيث
اتزل بعض رجاله بدلا من أولاده فقتل للحارث ولدان ثم علم بالمكيدة فحمل على المنذر
فقتله وهزم رجاله ^١ . واعقب يوم اباغ يوم حليمة - نسبة لاسم مرج ^٢ - حيث حمل

(١) يروي جواد علي عزوا الى روايات عربية ان الحارث زحف بعد ذلك على الحيرة فنهبا ودفع
ابنيه القتيلين فيها
(٢) مما يروي جواد علي ان حليمة اسم بنت الحارث وهي التي اعلن زواجها لمن يقتل المنذر كما جاء في المتن

المنذر بن المنذر المقتول للأخذ بشار ابنه فخرج الحارث الأعرج الذي تولى بعد الحارث ابي
شمر فالتقى الجمعان في مرج حلبيمة ودارت الحرب بينهما أياماً لا ينتصف احدهما من
صاحبه فجعل الحارث ابنته زوجة لمن يقتل المنذر فقتله ليبدن عمرو الغساني . وكانت
واقعة هائلة اجتمع فيها عرب العراق كافة تحت راية المنذر وعرب الشام كافة تحت راية
الحارث . وزيدان يقول ان ابن الاثير يذكر ان الحارث هو صاحب عين رباغ ولكن
السياق يقتضي ان يكون غيره .

ومما ذكره زيدان ان الحارث بن ابي شمر هو الذي توسط لامرئ القيس الشاعر في
الذهاب الى قصر القسطنطينية على ما روته الروايات العربية .

ولقد شاد الفساسة كثيراً من القصور والمدن والقرى والقناطر والحصاريج . وفي
حوران سهلها وجبلها وفي شرق الاردن آثار كثيرة وهامة تنسب إليهم . منها ما لا يزال
قائماً باعيانه ومنها ما بقي أطلاله وآثاره او كشف عنه حديثاً . وكثير من منشأتهم
بالطراز الروماني حيث كانت البلاد تحت سلطان الروم الأعلى فتأثر الفساسة بطرازهم
وأسايلهم وهو ما كان شأن تدمير أيضاً . ومما ينسب إليهم قصر صرح الغدير وقصر الابيض
وقصر المشق وقصر القضا وقصر المنار وقصر السويداء وقلعة الزرقاء وقصر بوكه وقصر
ابن ودير حالي ودير الكهف ودير هنا ودير النبوة الخ .

ولحسان بن ثابت الشاعر الخزرجي الخضرم قصيدة في مدح بعض ملوك غسان تدل
اذا صحت - وليس ما يمنع صحتها - على أن شعراء العرب كانوا ينفدون على ملوك غسان
من الجزيرة وغيرها يشدونهم المدايح ويأخذون عطاياهم ، وأنهم كانوا يتخذون مصايف
لهم على نهر بردى يقضون صيفهم في رّف ونعيم . وهذا بعض شعر لحسان فيهم :

لله در عصابة فادمتهم	يوماً يخلق في الزمان الاول
يمشون في الخال المضاعف نسجها	مشي الجمال الى الجمال البنول
الخاطرات فقسيرهم بغنيهم	والمتمعون على الضعيف المرمول
اولاد جفنة حول قبر أبيهم	قبر ابن مارية الكريم الافضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم	لا يسألون عن السراد المقام
يسقون من ورد البريس عليهم	بردى يصفق بالريحق السلسل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم	شم الانوف من الطراز الاول
فلبثت أزماناً طوالاً فيهم	ثم اذكرت كائني لم أفضل

ويستفاد من ثنايا الروايات أن سلطان الغساسنة اتسع حتى شمل سلطان الأنباط بل وأوسع من ذلك حيث كان سلطانهم نافذاً في حوران ومشارف الشام إلى الحجر وشرق الأردن ومنطقة تدمر وسائر عرب سورية وفلسطين ولبنان بدوم وحضرم ، وإن الدولة قد بلغت أوج عزتها وسعتها في أيام الحارث بن أبي شمر الذي كان حكمه في النصف الأول من القرن السادس وصار له من المنزلة والسطوة والمكانة ما لم ينله أحد قبله .

ولقد نبهنا إلى أن هذا السياق مقتبس من كتاب جرجي زيدن . وما احتواه كتاب جواد علي يتطابق معه مع زيادات معزوة إلى كتب اجنبية وعربية .

من ذلك ما ذكره كاتب روماني قديم اسمه ثيوفانس من خبر غزو جبلة بن الحارث لفلسطين حوالي سنة ٥٥٥ بم ونسبة بناء القناطر وأذرع والقسطل إليه .

ومنه ما ذكره المؤرخ بروكينيوس من أن المنذر ملك الحيرة لما أكثر الغارات على امبراطورية الروم وعجز قواد الروم من أرباب لقب دوق Dux ومشايخ العرب من أرباب لقب فيلارك المحالفين للروم عن صده منع القيصر الحارث بن جبلة لقب ملك وطلب منه الوقوف في وجه غزوات المنذر وقال إن هذا اللقب لم يمنح لأحد من قبله .

والحارث هذا هو الذي أرسل رسولا إلى أبرهة حاكم اليمن الحبشي في مأرب . وكان معه رفيق اسمه أبو كرب بن جبلة وصف بأنه كان عاملاً للروم على عرب غابات التخييل الواقعة على حدود فلسطين الجنوبية على ما مر ذكره في فصل مملكة سبأ وريدان وحضرموت ويمنت الخ

وكان هذا الحارث من اتباع المذهب القائل بوحدة طبيعة المسيح والذي كان يعرف بالمذهب اليعقوبي . وهو غير مذهب الروم الذي كان يقول بطبعيتين للمسيح . ولكنه استطاع أن يحتفظ بمذهبه الذي كان مذهب معظم بلاد الشام وبالعلاقات الحسنة بقيصر الروم معاً فكان له الفضل في بقاء هذا المذهب وانتشاره . وقد شرحنا ما كان من اختلاف النصارى في أمر المسيح وذكرنا أن جمهور نصارى الشام ومصر والعراق قد كانوا من اتباع مذهب وحدة طبيعة المسيح وعدم مساواته مع الله - الاب - مساواة كاملة وانهم تعرضوا بسبب ذلك لاضطهاد الروم في الجزء السابق .

وبما ذكره مؤرخ سرياني اسمه مخائيل أن محاولة جرت بين الحارث بن أبي شمر والبطريق افرام في طبيعة المسيح وفي مذهبه القائل بطبيعة واحدة فيه . وقد صيغت الرواية بأسلوب

يفهم منه أن تغلب على خصمه البطريق بأدب ولطف ومما ذكر في هذه الرواية أن
المحاربة جرت بالسريانية واليونانية . وفي هذا ما فيه من دلالة على سعة ثقافة الحارث
وقوته في الجدل المذهبي .

ومما ذكره المستشرق صموئيل من أخبار الحارث أنه هو الذي أمر ببناء كنيسة
الرصافة الكبرى . وكان العرب يقدسون هذه المدينة لوجود قبر القديس سرجيوس ذي
المكانة العظيمة عندهم فيها .

ومن ذلك ما ذكره البطليمي من أن الحارث هو الذي بنى الحفر ومضنها بين
دعجان ومعان .

ومن ذلك ما ذكرته المصادر الأجنبية من أن الروم لم يلقبوا المنذر بن الحارث
الذي خلف أباه بلقب الملك وإنما كانوا يلقبونه بلقب (فلايوس المنذر البطريق الفائق
المدبح) وقد نبه المصدر إلى أن لقب البطريق كان عند الروم من القاب الشرف الفخمة
ولم يكن يمنع إلا لعدد قليل من الخاصة . وكان بعض الملوك يهتمون للحصول عليه
من القيصر .

ومن ذلك ما ذكرته المصادر الأجنبية القديمة من خبر خلاف نشب بين القيصر
جوستينيانوس والمنذر المذكور تطور إلى قطيعة وأدى إلى حرد المنذر على الروم وإيغاله
في البادية . وقد اغتم ملوك الحيرة الفرصة فأخذوا يقزون بلاد الشام ويوقعون للعرب في
أهلها مما حل الروم على مراسلة المنذر والتودد إليه واسترضائه . وقد أرسلوا إليه بطريقاً اسمه
يوطنيانوس واجتمع معه في مدينة الرصافة وانتهى الاجتماع إلى رضاه المنذر وعودته إلى
قواعده للقيام بالدفاع عن حدود الشام . وقد زار المنذر بعد ذلك وفي عهد القيصر
طيباريوس القسطنطينية فلقى احتراماً وتكريماً واغدقت عليه الهدايا والالطاف ومنحه
القيصر لقب ريكس مع التاج . وكان لهذا اللقب شأن كبير في الامبراطورية . ثم
تمكرت اتصالات بينه وبين الروم وانتهى الأمر بفاجعة حيث اتهمه القائد الروماني
موريقوس بالخيانة في ظروف حربية بين الروم والفرس وأثارت التهمة القيصر فأصدر
امراً سرياً إلى حاكم الشام بقتله . ودعاه هذا إلى حفلة تدشينية لكنيسة حوارين وكان
صديقاً له . فلما جاء اكتفى بالقبض عليه وأرساله مخفوراً إلى القسطنطينية حيث أقام
فيها لإجبارياً . وخلف موريقوس القائد طيباريوس فأمر بنفي المنذر إلى صقلية وبقطع

الاعانة السنوية التي كان يدفعها الروم للغساسنة . وأثر هذا العمل ثائرة أبناء المنذر
فحردوا وتوغلوا في البادية ثم أخذوا يهاجمون الروم ويلحقون بهم الحسائر وسيرو القيصر
حملة عليهم فلم تجد شيئاً . وكان المتولي لحركة العصيان النعمان كبير أبناء المنذر قدعاه
قائد الحملة بحجة التفاوض والتسوية ولما جاء اعتقله ونفاه الى القسطنطينية حوالي سنة
٥٨٣ م .

وبما روي ان النعمان هاجم فيما هاجمه من حواريين واستولى عليها وقتل واسر ونهب
ثم عاد الى البادية ، وأنه ذهب الى موريقيوس حينما رأى الروم يلحقون في طلبه واعتذر اليه
وقال له إنما حارب مع الفرس لئتمكن بذلك من انقاذ والده من الاسر ، وان موريقيوس
طلب منه التحول الى المذهب الخلقيدوني - أي الذي يقول بطبعين للسبح -
أجابته ان جميع القبائل العربية على المذهب الآخر وأنه اذا بدل مذهبه لا يأمن على
نفسه من القتل ؛ فاعتقله ونفاه .

وقد قال جواد علي ان بنيان الغساسنة يعد ذلك تصدع وتفرقوا ووهنوا ومنهم من
هاجر الى العراق ومنهم من ترك المذهب اليعقوبي واعتنق المذهب الرومي واعقب ذلك
اضطراب في الامن وفوضى في القبائل . وعزا هذا الى ابن العبوي ومخائيل السرياني وقال
ان الكتاب القدماء ويعني كتاب اليونان والرومان والسريان - لم يوردوا يشيرون
الى ملك الغساسنة . ثم قال ان الروايات العربية لم تذكر شيئاً من ذلك واستمر في ذكر
الملوك الذين تولوا بعد المنذر حسب قائمة حمزه الأصفهاني وما رواه هذا من مآثرهم . وهي
في هذه القائمة واحد وعشرون وفي قائمة زيدان ستة عشر . ولا يكاد يعقل أن يكون
كل هذا العدد قد تولوا بعد سنة ٥٨٣ اذا صح أنها سنة اعتقال المنذر ثم اعتقال ابنه
النعمان ونفيهما .

ومهما يكن من أمر فإن استمرار الملك الغساني بعد المنذر الى خلافة عمر بن الخطاب
اي الى ما بعد سنة ٦٣٥ م بما يكاد يكون حقيقة تاريخية .

وبناء على هذا فلا يكون إغفال الكتاب القدماء لذكر الملك الغساني يعني انقطاع
هذا الملك كما هو واضح . وكان ما يمكن أن يكون حصل هو ضعف السلطان الغساني
وقرة نفوذ وهينة الرومان .

وبما ذكره حمزه الأصفهاني ان الملك جبلة الذي تولى بعد المنذر قد اتخذ مدينة حارب

عاصمة له وبني فيها قصرًا ومصنعة^١ وإن الملك الأيهم الذي تولى بعده بسى (دير ضخيم) و (دير النبوة) و (دير سعف) وأن الملك عمرو الذي تولى بعد الأيهم تولى السدير وأنشأ في دمشق عدة قصور شاحنة منها قصر الفضاء وقصر صفاء العجلات وقصر منار . وهو الذي مدحه النابغة الذبياني . وقد صور في بعض قصوره مجالسه وجلساه ورؤساء دولته وصوره في أشكال مختلفة . وتولى بعده جفنة الذي يعرف بالاصغر بن المنذر الأكبر ثم النعمان بن عمرو بن المنذر الذي ينسب إليه قصر السويداء وقصر حارب وكان ابنه جبلة الذي تولى بعده ينزل في صفين . وتولى بعده النعمان بن الأيهم ثم النعمان بن الحارث وهو الذي أصلح صهاريب الرصافة . ومن أشهر من تولوا بعده الحارث بن جبلة المكفي بابي كرب والملقب بقسطام والذي عناه النابغة الذبياني في قوله :

بكى حارث الجولان من فقدوه وحوران منه خاشع متضائل

من قصيدة مدح فيها ابنه . ثم الأيهم بن جبلة صاحب تدمر وقصر بوكه وذات انمار ثم الحارث الاصغر الذي زاره حسان بن ثابت ومدحه والذي زحف على ثعلب لعمد اهتمامهم له حينما ردهم فانهزم من أمامهم ثم عمرو بن الحارث الذي زاره النابغة الذبياني ومدحه ثم أخوه هذا النعمان الذي زاره النابغة ومدحه كذلك . ثم الحارث بن أبي شمر الذي أرسل النبي عليه السلام إليه كتاب دعوة . وكان له قصر منيف وحجاب . ثم جبلة بن الأيهم آخر ملوكهم . وقد حارب مع القبائل المتحصنة جيوش الفتح إلى جانب الروم ثم أسلم وزار يثرب في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم ارتد وفر إلى القسطنطينية على ما ذكرته الروايات العربية مما سوف نشرحه في الجزء التالي .

هذا ، ولقد كانت جميع المناطق التي يشملها سلطان الفساسنة مسكونة بعناصر صريحة العروبة على ما تفيد الروايات . ومعنى هذا أن الموجات العربية الصريحة قد ملأت جنبات هذه البلاد وأن كثيراً من أنسال الموجات القديمة الآرامية والكنعانية والعمورية فيها قد اندجوا فيها وانسكبوا في بوتقة العروبة الصريحة . ولا نشك في أن سائر البلاد الشامية الحضرية التي لم تكن في مشول السلطان الفساني قد أخذت تتأثر بذلك شيئاً فشيئاً لأن غالبية سكانها من أنسال تلك الموجات حتى إذا جاءت موجة الفتح العربي تحت راية الإسلام ثم انسياك الجميع في بوتقة العروبة الصريحة وصارت هذه العروبة طابع البلاد

الشامل الحالد المقدس . واذا كان بقي بعض الجماعات محتفظة باللغة السريانية فرد ذلك الى عزلتها من جهة والى الاعتبار الدينية من جهة أخرى . وهي من الفألة ما يجعل أمرها ناقضاً لذلك التعميم .

- ٤ -

الحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية

والدينية في الدولة الفسانية

ليس هناك ما يساعد على زيادة بيان عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الدولة الفسانية إلا ما سبق ذكره في سياق ملوكها وأحداثها . ولقد كان معظم سكان البلاد التي كان يشملها سلطان هذه الدولة من حضر وبدو من العرب الصرحاء الذين أخذوا يهاجرون من شمال الجزيرة العربية وجنوبها قبل الميلاد المسيحي واستمروا على ذلك بعد الميلاد . والذين يمتون إلى الأصول القحطانية او اليمنية منهم جاؤوا في بدء الامر الى شمال الجزيرة ثم ارتحلوا عنه . ولقد ظل التواصل بالإضافة الى ذلك قوياً بينهم وبين سكان الجزيرة وبخاصة شمالها . فكل هذا يسوغ القول إن معظم ما ذكرناه في الفصل السابق من الحالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي كان عليها العرب قبل الاسلام في الجزيرة وبخاصة في شمالها سواء من كان منهم في المدن والقرى ام في البادية استلها من القران واستثناساً بالروايات ينسحب على أهل مدن الدولة الفسانية وقرائها وباديتها .

وقد يمكن ان يقال إن طبيعة الاتصال المباشر بين اهل الدولة وأهل بلاد الشام القدماء والرومان الذين كانوا أصحاب الحكم والسلطان في هذه البلاد يسوغ القول ان اهل هذه الدولة كانوا أحسن حالاً من أهل الجزيرة وشمالها خاصة في هذه الحالات لأن اهل البلاد القدماء والرومان كانوا متقدمين اكثر منهم في مجال الحضارة .

اما الحالة الدينية لاهل الدولة الفسانية فقد كانت على ما تفيد الروايات . والنقوش مماثلة في القرون الاولى لما كانت عليه في الدولة النبطية التي قامت الدولة الفسانية على انقاضها من تأليه الشمس والقمر والكواكب وتسمية الاله الرئيسي بعن ومن اتخاذ آلهة ثانوية وحامية باسماء اخرى واصطناع تماثيل لها توضع في المعابد ليقوم الناس باداء الطقوس وتقريب القرابين عندها ثم اخذت النصرانية تنتشر بينهم تبعاً لانتشارها في

أنحاء البلاد الشامية الأخرى ثم أخذ نطاقها يتسع في القرن الرابع وما بعده تبعاً لاعتناق
القيصرية لها حتى غدت ديانة أغلبية أهل الدولة الفسائية .

وقد أنشأ ملوك الفسائية ورجال دولتهم البارزون كثيراً من الكنائس والأديرة
التي لا يزال آثار بعضها موجودة إلى اليوم في أنحاء حوران والبلقاء . وفي النقوش التي
أوردناها في الفصل الأول نقش وجد بباب دير من هذه الأديرة أنشأه زعيم اسمه
شرحيل بن ظلمو في القرن السادس قبل الميلاد . وقد ذكرت الكتب العربية عدداً من
الأديار يرجح أنها من منشأتهم أيضاً مثل ١ دير اسحق ودير البخت في منطقة دمشق ودير
البتراء في وادي موسى ودير بصرى ودير كمب ودير نجران ودير الحمان ودير الباعقي في
حوران ودير خالد ودير صليبا ودير ساير في إقليم الحولان ودير سعد في ديرة الشام ودير
فتق في منحدر الأردن . وهذه الأديرة غير كثير أخرى ذكرت في الكتب في داخل
الشام وساحلها .

وقد كان يختار لها مواقع تزهة فتكون مقصد للرواد . وقد نوه بعض الشعراء
الاسلاميين بما كانوا يجدون فيها من بشاشة وقرى ومتعة وسرور .
من ذلك في دير اسحق الذي كان بين حمص والسلمية :

جاءتك غيث سحاب وهورق	واذا مررت بدير اسحق فقل
وهواؤه بلطافة المشوق	دير يشبه مأواه بهوائه
ومن ذلك في دير البنات :	

وانت من دون الاماني المرام	دير البنات الزهر انت المني
تألفه بلى أذهبت بالمرام	لم أنس يوماً فيك أذهبت
والعيش مثل الطيف حلو اللام	ونحن في غرة ايامنا
والروض طفل ما جفاه الغمام	والدوح ما جفت له زهرة
واغيد قد فاق بدر النجم	وبيننا خود كشمس الضحى
ومن ذلك في دير يونا :	

حيث نسقى براحه ونفنى	هكذا يومنا بدير يونا
إذا خبروا بما قد فعلنا	واستهنأ بالناس فيما يقولون

(١) انظر خطط الشام لكردي علي ج ٦ ص ٢٥ وبمدها

وهذان البيتان للوليد بن يزيد الخليفة الأموي ؛ حيث يتبادر من كل ذلك أن هذا كان امتداداً لما كان عليه الحال قبل الإسلام ، وفيه ظاهرة من مظاهر الحياة الاجتماعية والدينية والعمرانية للدولة الفسائية والبلاد الشامية في عهدها .
ومع كل ما ذكرناه فإن الوثنية لم تزل بالمرّة في نطاق هذه الدولة وقد ذكرت الروايات أنه كان لقبائل مشارف الشام من لحم وجزام وعاملة وغطفا من قبيل البعثة النبوية صنم اسمه الاقصر يحجون اليه ويحلقون رؤوسهم عنده ^٢ كما ذكرت أن الحارث بن أبي شمر الفسائي أهدى لصنم طي المسمى (الفلّس) سيفين وجدّهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خزانة الصنم حينما بعثه النبي عليه السلام لهدم الصنم ومعبده ^٣ حيث يدل ذلك على أن الديانة القديمة لم تزل بالمرّة .

ومع أن المذهب اليعقوبي كان هو المذهب النصراني الغالب في بلاد الشام ومن جملتها المملكة الفسائية ومع ما رويناه قبل من تمسك الحارث بهذا المذهب ومجادلته عليه ومن قول النعمان لموريقوس إن جميع القبائل عليه فأننا نميل إلى القول أنه كان للمذهب الرومي أو الملكاني الذي كان يقول بطيقتين للمسيح نصيب من الانتشار بعد أن ضعف الملك الفساني وازدادت هيمنة الروم عليه في أواخر القرن السادس بعد الميلاد ، ويؤيد هذا ما ذكره مخائيل السرياني وابن العبري وأوردناه قبل قليل . بل ويتبادر لنا أن وقوف الفسائنة وبعض القبائل المنتهرة موقف المناوئ للدعوة الإسلامية إلى جانب الروم وما كان من عدوانهم على قوافل المساكين ورسول النبي عليه السلام ثم ما كان من محاربتهم حملة الفتح إلى جانب الروم ناشئة عن ما كان من انسجام مذهبي بينهم وبين الروم وبالتالي عن كونهم أو كون بعضهم تحولوا إلى المذهب الملكاني ، وهو ما كان من سكان جبل لبنان الموارنة أو المردة الذين كانوا يتمذهبون بهذا المذهب .

على أن العرب المنتصرة سواء منهم المتمذهبون بالمذهب اليعقوبي أم بالمذهب الملكاني ثم أهل أنحاء البلاد الشامية الأخرى الذين كانوا يديشون بالنصرانية لم يلبثوا بعد جلاء الروم عن البلاد أن دنوا بالولاء للسلطان العربي الإسلامي إجمالاً واخذوا يعمقون الديانة الإسلامية التي جاءت الموجة الجديدة تحت رايتها على ما سوف نفضله في الجزء التالي .

(١) كان للاديرة في الدولة المغمية التي سوف نذكرها في نبذة خاصة بعد قليل شأن كبير مماثل .
وقد روى شعر جاهلي فيه تنويه بها مما فيه تأكيد لامتداد الحالة إلى ما قبل الإسلام .

(٢) جواد علي ج ٥ ص ١١٠

(٣) نفس المصدر ص ١١١

ولقد احتفظ بعضهم بنصرانيتها فأقرهم ولاية المسلمين على ذلك . وقد ظل أنسال بعضهم يحتفظون بها في حوران وشرق الأردن وأنحاء البلاد الشامية الأخرى كدليل حاكم على أن الاسلام إنما كان دعوة حرة يقبلها من يقبلها وينأى عنها من ينأى عنها بدون إكراه ولا إجبار إلا واجب ضمان الحرية لها ومقابلة المعتدين عليها والتأمرين بسبيل ذلك مع الأجانب بالمثل عملاً بقول القرآن (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) و (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) ١ .

والذي نرجحه أن معظم الذين احتفظوا بنصرانيتهم كانوا من أتباع المذهب الملكاني الرومي وأن الذين كانوا يتمذهبون بالمذهب اليعقوبي قد أقبلوا على الاسلام لأنهم كانوا من جهة عرضة لاضطهاد الروم ورأوا من جهة أخرى أن ما يقوله الاسلام في شأن المسيح متسق من ناحية ما مع ما كانوا يعتقدون به .

ومن المؤسف أن الروم كانوا وظلوا يدسون دسائسهم مع هؤلاء ويحرجونهم ضد الاسلام والسلطان الاسلامي ، وإن منهم من كان وظل يستجيب لهذه الدسائس فيجبر ذلك إلى أحداث أليمة لهم وللبلاد وللسلطان العربي الاسلامي بما سوف يكون شرحه من منهج الجزء التالي أيضاً .

-٥-

مدى السلطان الفسافي

والأحداث والروايات تسوغ القول أن الملك الفسافي لم يكن عمالة رومية عادية مرتبنة بروضاء الروم وإنما كان يقوم في أصله واستقراره واستمراره وتسلسله على عضوية وقوة ذاتية ورأى الروم أن يستفيدوا منها في حماية معصومة الشام من البدو والبادية ورأى الفسافنة من جانبهم مصلحة ومنفعة في التوافق والاتفاق مع الروم على ذلك .

ويؤيد هذا رواية حرد المنذر وتوغله في البادية واضطرار الروم إلى مراسلته واسترضائه ثم استزارته القسطنطينية ومنحه لقباً ملكياً مع التاج واغداق الهدايا والأطاف عليه ،

(١) سورة البقرة الآيات ١٩٠ و ١٩٤

واستزارته قبله أباه الحارث وتلقبهم إياه بلقب الملك وحفاوتهم العظمى به . واقد روى المطران الدبس في كتابه تاريخ سورية رواية حرد المنذر نقلا عن المدونات الافرنجية القديمة بمعنى أقوى حيث يقول ان حرده كان بسبب عدم احسان الروم لجائزته بعد حرب حاربها معهم ^١ . وروى المطران أيضاً أن كسرى الفرس طلب من جوستينيانوس قيصر الروم عقب جولة حربية كانت الغلبة فيها للفرس اقاوة سنوية مقابل هدنة طلبها الروم وقال له إني لا أريد أن تكون هذه الاقاوة جزية بل جعلاً كالجمل الذي يدفعه الى الهون والعرب ^٢ .

حيث يدل هذا على ان الروم كانوا يدفعون للغساسنة مخصصات سنوية لا على أساس مرتبات عمال ولكن على أساس أنها مقابل ما يقومون به من حماية الحدود وممارسونه من الهيمنة على البدو والبادية . ولقد كان الروم يوجهون للملوك الغساسنة ألقاباً ولكنهم لم تكن ألقاب عمال وإنما هي ألقاب ملوكية وتشريفية على سبيل الترضية والتكريم مما فيه تأييد لما تقرره . ولقد كان ملوك الغساسنة من ناحية أخرى يمارسون الحكم والسلطان الفعلي في أنحاء مملكتهم ويولون العمال ويحبون الضرائب حتى في أواخر حكمهم إبان البعثة النبوية وحركة الفتح بعد وفاة النبي عليه السلام على ما تقيده روايات السيرة والفتح ^٣ ويتلقبون بلقب الملك ويستمتعون بأبته ويرسلون الوفود الى الدول الاخرى باسمهم ^٤ ويتسلسل الملك في ذريتهم من الآباء الابناء مما فيه مظاهر الحكم والسيادة والاستقلال والسلطان بارزة .

(٢١) تاريخ سورية الجزء الثاني المجلد الرابع ص ٤٤٠

(٣) انظر طيفيات ابن سعد ج ٣ ص ٥٤-٥٦ و١٧٥-١٧٧ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٨٦ وبعدها

(٤) ذكرنا هذا في تاريخ الدولة الحميرية في عهد الحاكم الحبيشي ابرهة .

الممالك والمآثر العربية في بلاد العراق

- ١- التوخيون
- ٢- مملكة الحضر
- ٣- مملكة عربية في شمال الخليج العربي
- ٤- المملكة اللخمية

١ - التتوخيون

- ١ -

اوليتهم وهويتهم

من أقدم من برز في العراق في مجال الحكم والسلطان على ما يستفاد من الروايات^١ التتوخيون . وقد ذكرت بعض الروايات انهم لم يكونوا قبيلة تحمل هذا الاسم في الاصل وانما كانوا مجموعة قبائل أو بطون عربية متفرقة هاجرت معاً وتجمعت على بعضها فسميت باسم تنوخ الذي يعني التجمع والتكتل في حين ان بعض الروايات ذكرت انهم من قضاة اليمن وان اسمهم اصيل . وقد يكون هذا هو الواجهة . وقد يكون بعض فروع من قبائل اخرى التحقت بتنوخ بطريق الحلف والولاء جرياً على عادة العرب على ما ذكرناه في فصل سابق فنشأ هذا الاسم . ولقد ذكر جواد علي^٢ انه يرجح ان تنوخ هي القبيلة التي ذكرها بطليموس باسم Thannita فيكون هذا إذا صح من مؤيدات اصالة الاسم .

ولقد ذكر اليعقوبي^٣ انه كان في منطقة المعرة قبيلة باسم تنوخ كانت اندمجت في حركة الفتح ثم استقرت في هذه المنطقة وان رئيسها في القرن الثالث الهجري يوسف بن ابراهيم قام بحركة فرض سلطانه بها على المعرة ثم على قسرين^٤ . ومن المعرة اتجه بعض رجال من تنوخ مع عشائريهم في القرن الهجري الثاني الى الساحل الشامي فاستقر بعضهم في مدينة اللاذقية وجبلها وبعضهم في جبل لبنان .

والمستفاد من الروايات ان هجرة التتوخيين من اليمن كانت في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد فزلوا أولاً في شواطئ الخليج العربي ثم أخذوا يتسربون الى العراق . ومنهم

(١) انظر جواد علي ج ٤ ص ١٨-٢٨ ومن هذا المصدر اقتبنا معظم ما جاء في هذه النبهة

(٢) نفس المصدر

(٣) ج ٣ ص ٢٢٣

(٤) انظر الجزء الاول من كتابنا العرب والعروبة في حقبة الغلب التركي ص ١٥٢ وبمدها وفي هذا ذكرت المصادر انظر أيضاً روض الشقيق لشكيب ارسلان ص ٢٤٠ وبمدها واخبار الاعيان لشدياق ص ٦٤٦ وبمدها

من تسرب الى بلاد الشام وهم الذين تولى زعمائهم سلطان البادية بعد سقوط الدولة النبطية على ما ذكرناه قبل . وتاريخ هذا التسرب متقارب مع تاريخ بروزهم في بلاد الشام .

ولقد كان تسرب التنوخيين الى العراق في أيام الدولة الارشكانية الفارسية التي سيطرت على العراق بعد حركة الاسكندر المكدوني بمدة ما ، وكانت اذ ذاك تمر في فترة ضعف وارتباك فعمدت الى التقاهم على ما يظن مع زعيم التنوخيين مالك بن قهم على أن يتولى سلطان البادية ويكف غارات اهلها عن معمورة العراق كما كان يفعل الروم في بلاد الشام فكان ذلك بدء الدولة التنوخية .

وقد استقر هذا الزعيم الذي تلقب بلقب الملك في مدينة بقة أولا ثم أنشأ قصرأ على ضفة الفرات في المكان الذي عرف بالحيرة وأحاطه بجنة واسعة . وأخذ يحض زعماء قبيلته على بناء المنازل فلم تلبث أن قامت مدينة الحيرة التي يوصف موقعها بأنه من أنزه المواقع وأطيبها هواء وأعذبها ماء وأصفها جوا .

وقد اختلف في معنى اسم الحيرة . فن مؤلفي العرب من قال أنها من الحيرة بمعنى الضلال والتحير . ومنهم من قال ان أصل الكلمة (الحير) التي تعني باللغة القديمة الحظيرة أو البستان . وقد يكون هذا وجهاً^١ . وقد قال زيدان^٢ ان الكلمة سريانية بمعنى الحصن أو المعقل . وقال المستشرقون^٣ ان الكلمة من حرثا السريانية التي معناها الخيم أو المعسكر ولا يخلو هذا من وجاعة أيضاً . غير أننا لا نرى ضرورة لوصف الكلمة بالسريانية حيث يحتمل أن تكون مشتركة المعنى في السريانية والعربية القديمة الصريحة التي سبقت الفصحى . وقد ذكرت في كتب يونانية وسريانية قديمة بلنظ (ايرتا) حيناً و (حيرتو) حيناً^٤ .

- ٢ -

اسماء ملوكهم والمأثور من سيرتهم

ولقد ذكرت الروايات ملكين آخرين من ملوكهم غير مالك بن قهم الذي ذكر قبل

(١) انظر لسان العرب مادة حيرة

(٢) العرب قبل الاسلام ص ١٩٩

(٣) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ٥-٧

(٤) المصدر السابق نفسه

وهما أخوه عمرو وابنه جذيمة المعروف بالوضح والأبرش . وقد سمي كذلك لبرص
كان فيه .

وينوه الرواة بالثالث ويصفونه بأنه من أعظم ملوك العرب رأياً وأثبتهم جأشاً
وأشدهم نكاية وأكثرهم هبة وبأساً . وبأنه أول من اجتمع له الملك بأرض العراق
وضم اليه العرب وخضع له قبائل العراق وأطراف الجزيرة وبادية الشام ونفذ حكمه في
الحضر والبدو على السواء . وكان في نطاق سلطانه ما بين الحيرة والأنبار وبقعة وهيت
وعين التمر وأطراف البر الى الفير والقطقطانة وخفية وما والاها والرقعة وسائر قراها
وقبائل معد وبعض أنحاء اليمن . وقد امتد حكمه ستين عاماً . وقد روت الروايات عنه
فيما روت أنه غزا جديساً وطسما في اليمامة فوجد حسناً بن تبع أسعد أبي كرب قد سبقه
الى غزوهما فانكفأ راجعاً بن معه وتبعته خيول تبع فاجتاحت مرية من سراياه ...

ولقد عثر في ام الجمل في حوران على نقش جاء فيه ^١ « هذا موضع فهر بن شلي مربي
جديت ملك تنوخ » حيث يثبت بهذا ان ملك جذيمة لتنوخ وبالتالي ملك تنوخ من
الحقائق التاريخية يقطع النظر عما جاء في الروايات العربية من خيال وغلو .

وفي الكتب العربية قصص طريفة تدور حول جذيمة لا نستبعد أن يكون لها اصل ما
أو أن تكون تويداً لصدى اسمه وصيته على ما فيها من شجعة وغلو . وهو صاحب
التيمن الذين يضرب بها المثل العربي القديم فيقال كندماني جذيمة ملازمة وإخلاصاً . وقد
تمثل شاعر جاهلي بالمثل في رثاء أخ له في هذين البيتين الحزينين :

وكنّا كندماني جذيمة حقبة	من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كآني ومالك	لطول اجتماع لم تبت ليلة معا

وينسب الى جذيمة شعر عربي فصيح كما تذكر كتب الادب العربية أقواله وأقوال
معاصريه بأسلوب عربي فصيح فضلاً عن اسمه واسم ابيه واخيه . وهذا من جملة التخليط
لأن عهده كان في القرن الثالث الميلادي ولم تكن اللغة العربية قد نضجت وتكاملت
وصارت الى طورها الفصيح . وهذا من الشعر المروي عنه :

والملك كان لذي براش	حوله يزري مجابر
بالسباغات وبالقنا	والبيض تبرق والمغافر

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ١٠٢

أزمان لا ملك يجير ولا زمام لن يجاور
أودى بهم غير الزمان فمجنّد منهم وغائر

والنقش المعروف بنقش امرئ القيس أحد ملوك لخم والذي أوردناه في فصل مراحل اللغة دليل حاسم على اختلاق هذا الشعر وما يدخل في لغته وأسلوبه من كلام العرب وأسمائهم في القرون الأربعة بل والخمسة بعد المسيح . وكل ما يمكن من أمر الأسماء أنها انقلبت الى لهجة فصحي في التداول وكانت قبل الفصحى قريبة منها .

وبما رواه الرواة عن جذيمة انه تكهن وتنبأ . وانه كان له صنان سماها الضيفان وكان يستنصر ويستسقي بها ، وانه كان يغازي إباداً النازلين بعين إباغ فأرسلوا من سقى سدة صنبيه خراً ثم سرقوها وأرسلوا الى جذيمة يفأوضونه على أعادتها بشرط أن يكف عن غزوهم فوافق بشرط أن يرسلوا اليه غلاماً من لخم فيه جمال وظرف موجود عند احوال له فيهم اسمه عدي بن نصر ليتخذ نديماً له ، فأرسلوه اليه فجعله على شرابه . وقد تزوج بأخته رقاش نتيجة حب نشأ بينه وبينها وقد أورد رواية العرب قصة هذا الحب والزواج بأسلوب أدبي طريف تبدو الصنعة فيه بارزة .

والروايات تذكر ان جذيمة مات مقتولاً ، قتلته الزباء انتقاماً لأبيها عمرو بن الظرب ابن حسان ملك الجزيرة ومشارف الشام حيث كانت مصالوة تنافسية مديدة بين الملكين جرت في سياقها حروب كثيرة وانتصر جذيمة في النهاية وقتل خصه فاحتالت الزباء عليه ودعته الى مقرها ثم قتله في خبر طويل طريف تبدو عليه كذلك الصنعة بارزة . والخبر يفيد ان الزباء هذه غير زباء تدمر ...

وقبل ان يقضي جذيمة نحبه وهى بملكه من بعده لابن اخته عمرو بن عدي اللخمي فلما مات تولى هذا الملك فكان ذلك بداية الدولة اللخمية .

٢ — مملكة الحضر

ذكرت الروايات العربية مملكة في العراق كانت عاصمتها مدينة الحضر الواقعة قرب تكريت ^١ . وقد وصفت الروايات هذه المدينة بأنها كانت محصنة وكان فيها ستون برجاً

(١) انظر مجمل البلدان لباقوت في مادة حضر والطبري ج ١ ص ٤٨٣-٤٨٦ وقارنح العرب قبل الاسلام زيدان ص ١٩٧

كباراً وبين كل برج وبرج تسعة صغار. وكان يمر بها نهر الترتار وهو نهر عظيم عليه قرى
وجنان . وكان له ملك يقال له الساطرون أو الفيزن ومن الروايات من قال انه من
الجرامقة ومنها من قال انه من قبيلة قضاة وانه الفيزن بن معاوية نسبة لأبيه أو الفيزن
ابن جلهمة نسبة لأمه . وانه ملك جزيرة القرات كلها الى الشام وكان يغير على بلاد الفرس .
فزحف عليه سابور ملك الفرس وحاصر مدينته سنتين وفتحها وأعمل يد القتل في قضاة
حتى أبيادهم أو كاد . ومما روته الروايات ان سابوراً سبى بنتاً للفيزن اسمها النضيرة
وتزوجها وكانت جميلة شافقة البشرة فسألها بأي شيء كان يغدوك أبوك فقالت بالزبد والمخ
وشهد الابكار من النحل وصفو الخمر فقال لها وأبيك لانا أحدث عهداً وأوثر من أبيك
الذي غذاك بما تدكرين ثم ربط غدائرهما بفرس جموح واستر كضهما فتعطت قطعاً .

وقد روت هذه الروايات شعراً كثيراً عن الحضر وقضاء سابور على مملكتها فمن ذلك
ما يعزى الى الجدي بن الدهلات او عمرو بن إلهة من رجال الفيزن في رواية من هذه
الآيات :

الم يحزنك والانباء تمنى	بما لاقت سراة بني عبيد
ومصرع خيزن وبني أبيه	واحلاش الكتائب من يزيد
أتاهم بالقيول مجلات	وبالابطال سابور الجنود
فهدم من أوامى الحصن صخوراً	كأن ثقاله زهر العديد

ومن ذلك هذان البيتان للأشقي :

ألم تر للحضر اذ أهله	بنعمى وهل خالد من سلم
أقام به سابور الجنود	حولين تضرب فيه القدم

ومن ذلك هذه الآيات التي تعزى لعدي العبادي :

واخو الحضر اذ بناء واذا	دجلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرأ وجله كلساً	فلطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد	الملك عنه فبابه مهجور

ومنها هذا البيت في نضيرة :

أقفر الحصن من نضيرة	فالرباع منها فجائب الترتار
---------------------	----------------------------

ومها يكن من أمر فإنه ليس من المستبعد أن يكون قد انطوى في الروايات حقيقة تاريخية .

ولقد ربط جرجي زيدان^(١) عزوا إلى روايات عربية بين الضيزن هذا وبين الضيزن المروي أنه أحد ملوك الضجاجة على ما مر قبل في حين أن الروايات الأخرى تنسب ضيزن الحضرمي إلى قضاعة .

٣ - مملكة عربية في شمال الخليج العربي

ذكر كاتب اسمه اريان هذه المملكة في سياق ذكره حركة زحف الاسكندر المقدوني في الثالث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد . ومما قاله إن الاسكندر أنشأ مدينة في النهاية القصوى من شمال الخليج العربي دعيت باسمه . وقد ضربت قرمما ملك العرب المجاورين الذي كان يسمى باسم باسين وأنشأ لها سداً لحمايتها وسماها باسمه^(٢)

وظاهر من هذا أن المملكة العربية المذكورة قامت في القرن الثالث قبل الميلاد أو بعد ذلك بقليل ، حيث يدل ذلك على أن القبائل الصريحة العروبية أخذت تتسرب إلى العراق قبل الميلاد وتنتشر فيه كما كان ذلك شأن شقيقاتها التي أخذت تتسرب إلى البلاد الشامية وتنتشر فيها وأنها أنشأت في العراق هذه المملكة التي بأسف لعدم إمكان معرفة شيء آخر عنها .

٤ - الدولة اللخمية^(٣)

أوليتها وملوكها

هذه الدولة من دول العرب الهامة في هذا الدور مثل دولة العباسية من حيث انبساط

(١) ص ١٩١ - ١٩٨

(٢) جواد علي ج ٢ ص ٣٧٥

(٣) معظم ما جاء في هذه الدراسة مقتبس بالدرجة الأولى من تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي

ج ٤ ص ٢٤ - ١١٧ الذي جمع جميع الروايات تقريباً عربية وغير عربية ثم من تاريخ العرب قبل الإسلام لزيدان ص ٢٢١ - ٢٤١ الطبعة الجديدة ومن كتاب ملوك الحيرة لعلي ظريف الأعظمي .

السلطان وتسلسل الحكم ووضوح المعالم .

وقد قامت على انقراض دولة التنوخيين في الحيرة نتيجة للمصاهرة التي تمت بين آخر الملوك التنوخيين جذية وعدي اللخمي الذي تزوج رقاشاً أخت جذية حيث عهد هذا بالملك لابن أخته عمرو لأنه لم يكن له وريث من صلبه على ما ذكرته الروايات العربية وأوجزناه في نبذة التنوخيين .

وبعض الروايات تذكر لحماً وتنوخاً معاً وتقول انها فرعان شقيقان من قضاة اليمن الكبرى وبعضها تذكر لحماً لحديثهم وتقول إنهم من نسل كهلان بن سبأ بن قحطان .

ومن المتعذر تبين حقيقة أصل لحم وتنوخ وصلتها ببعضها من الروايات العربية لأنها مشوشة ومتداخلة ، وكل ما يمكن أن يكون صحيحاً بالنسبة إلى لحم أنهم قبيلة أو فرع من قبيلة يمنية هاجروا كتنوخ وغيرهم من القبائل وتسربوا إلى العراق في القرون الأولى بعد الميلاد المسيحي .

ومن المحتمل أن تكون القبيلتان أو البطنان يمتان إلى جد واحد وهاجرتا معاً وتسربتا إلى العراق وتوائمتا في الدولة التي كانت تحت رئاسة زعماء تنوخ ، ولا يبعد أن تكون المصاهرة قد توطدت بين زعماء القبيلتين وأن يكون جذية قد وصى بالملك لابن أخته عمرو الذي كان أول الملوك اللخمين كما ذكرته الروايات .

ولقد عرفت دولة اللخمين بدولة آل نصر أيضاً نسبة إلى جد عمرو الأول كما عرفت بدولة المناذرة لكثرة من تسمى باسم المنذر من ملوكها . وقد امتد حكمها نحو ثلاثة قرون ونصف أي من سنة ٢٦٨ إلى سنة ٦٣٢ ب . م وتولى عرشها من ذرية عمرو خمسة عشر ملكاً آخر فضلاً عن أربعة ملوك آخرين غرباء ، وهذه قائمة الذين تولوا عرش المملكة في الحيرة مع سني حكمهم حسب ترتيب جرجي زيدان :

- | | |
|--|-----------------|
| ١ - عمرو الأول بن عدي | ٢٦٨ - ٢٨٨ ب . م |
| ٢ - امرئ القيس الأول بن عمرو | ٢٨٨ - ٣٢٨ » |
| ٣ - عمرو الثاني بن امرئ القيس | ٣٢٨ - ٣٧٧ » |
| ٤ - أومس بن قلام من بني الحارث بن كعب | ٣٧٧ - ٣٨٢ » |
| من غير اللخمين | |
| ٥ - امرؤ القيس الثاني بن عمرو ويعرف بالهرق | ٣٨٢ - ٤٠٣ » |

- ٦ - النعمان الاول بن امرئ القيس
ويعرف بالسائح وبالأعور
- ٧ - المنذر الأول بن النعمان
- ٨ - الأسود بن المنذر
- ٩ - المنذر الثاني بن المنذر الاول
- ١٠ - النعمان الثاني بن الأسود
- ١١ - علقمة الذميلي أبو يعفر اللخمي
من غير آل نصر
- ١٢ - امرؤ القيس الثالث بن النعمان
- ١٣ - المنذر الثالث بن امرئ القيس
المعروف بابن ماء السماء
- ١٤ - الحارث بن عمرو بن حجر الكندي
- ١٥ - المنذر الثالث ثانية
- ١٦ - عمرو الثالث بن المنذر
المعروف بابن هند
- ١٧ - قابوس بن المنذر الثالث
المعروف بالحرق وبمضط الحجارة
- ١٨ - المنذر الرابع بن المنذر الثالث
- ١٩ - النعمان الثالث بن المنذر
- ٢٠ - أبياس بن قبيصة الطائي
- ٢١ - المنذر الخامس بن النعمان
- ٤٠٣ - ٤٣١ ب . م
- » ٤٧٣ - ٤٣١
- » ٤٩٣ - ٤٧٣
- » ٥٠٠ - ٤٩٣
- » ٥٠٤ - ٥٠٠
- » ٥٠٧ - ٥٠٤
- » ٥١٤ - ٥٠٧
- » ٥١٤ - ?
- » ? ?
- » ٥٦٣ ?
- » ٥٧٨ - ٥٦٣
- » ٥٨١ - ٥٧٨
- » ٥٨٥ - ٥٨٢
- » ٦١٣ - ٥٨٥
- » ٦١٨ - ٦١٣^(١)
- » ٦٣٢ - ٦٢٨^(٢)

ولقد أورد جواد علي هذه الاسماء بتسلسلها أيضاً عزواً إلى حمزة الاصفهاني . وأضاف إلى ذلك قائمتين واحدة معزوة للسعودي فيها عشرة أسماء وتنتهي عند أبياس بن قبيصة مع قوله إن عدد ملوك الحيرة ٢٣ ومنبتهم ٦٢٥ سنة ، وواحدة معزوة إلى اليعقوبي فيها اثنا عشر اسماً .

(١) تولى في الفترة بين ٦١٨ - ٦٢٨ ولاية من الفرس .
(٢) أكثر الرواة على أن هذا لم يحكم وإنما تسمى ملكاً بالوراثة .

وفي الروايات العربية اختلاف في الاسماء وصنى الحكم . وبعضها يقدم ويؤخر وبعضها يفضل اسماء أو يبدل أسماء باسماء .

ومن العجيب أن يكون ذلك وأكثر المؤلفين العرب القدماء ينقلون عن ابن الكلبي . وهذا يقول إنه كان يستخرج أخبار وأنساب وأعمار سني حكم آل نصر من بيع الحيرة . فيما أن يكون ابن الكلبي مجازفاً في كلامه وإما أن تكون الروايات التنبست وتداخلت بسبب تأخر التدوين .

ولقد تولى الأربعة الذين هم من آل نصر وهم في القائمة أوس وعلمقة والحارث الكتدي وأياس عرش الحيرة في ظروف غير عادية على ما يستفاد من الروايات . وكانت مدتهم قصيرة . وكان آل نصر يتمكنون من العودة إلى العرش عقب كل واحد منهم على ما سوف نورد بيانه بعد .

- 7 -

موجز سيرة ملوك الحيرة وأحداث الدولة اللخمية

والكتب العربية ملأى كما قلنا قبل بأخبار هذه الدولة وملوكها مع ما في الروايات من تناقض وتعدد وتداخل .

وبما روته أن عمراً بن عدوي أول ملوك هو أول من اتخذ الحيرة عاصمة منفردة للدولة . وكان من سبقه من ملوك تنوخ يتخذون الحيرة حيناً وبقية حيناً عاصمة لهم ، وأنه

Handwritten text in Arabic script, likely a continuation of the manuscript's content.

النقش الذي وجد على حجر قبر امرئ القيس الذي عثر عليه في النارة
نقلا عن الجزء الرابع من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

استطاع بما أبداه من نشاط وبذله من جهود أن يوطد سلطانه على جميع قبائل العراق .
وامرؤ القيس الاول الذي خلفه هو على الأرجح صاحب حجر القبر الذي عثر عليه في
خرائب النارة في حوران والذي أوردنا نص نقشه في سياق النصوص والذي جاء فيه
ما مؤداه بالفصحى التي كانت لغة النقش قريبة إليها « هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك
العرب كلهم الذي حاز التاج وملك الاسدين وغاراً وملوكمهم وهزم مذحجاً بقوته وجاء
إلى نزجي في صبح نجران مدينة شمر وملك معداً وأنزل بنيه في أرض الشوب ووكله
الفرس والروم فلم يباغ ملك مبلغة في القوة وهلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ كانون الاول فليسعد
الذي ولده حيث يدل محتوي النقش على ما كان من سيادة وسعة سلطان الدولة في عهد
هذا الملك سعة كبيرة حتى شمل قبائل العرب في باديتي الشام والعراق والقسم الشامي بل
وبعض الاقسام الجنوبية أي منطقة نجران - من جزيرة العرب وخضعت له قبائل سعد
وأسد ونزار ومذحج وربيعة ومضر . وجعل أبناءه ولاية أو حكماً من قبله على أقسام
البلاد والقبائل وكانت له صلات سياسية مع دولتي الفرس والروم ، وقد يكون معنى جملة
(ووكله الروم والفرس) أناطوا به شؤون القبائل العربية التي في الشام والعراق أو اعترفوا
بسلطانه عليهم . وسنة ٢٢٣ التي أروخ بها النقش هي على ما تخمنه الأثرية نسبة إلى تقويم
تاريخ دولة الأنباط سنة ١٠٥ ب . م وبعبارة ثانية يكون تاريخ النقش هو سنة ٣٢٨ ب . م
وهي السنة التي ذكرت الروايات وفاته فيها .

وقد علل الاثريون وجود حجر قبر هذا الملك في النارة باحتمال أنه جاء إلى حوران في
مهمة ما وتوفي فيها فبني له قبر وكتب اسمه ومآثره على حجر القبر .

ولغة النقش دليل على أن كل ما روي من شعر ونثر جاهلي بلغة فصحي معزو إلى
هذا الملك وما قبله من ملوك لحم وتنبوخ أو إلى غيرهم وسواء أكانوا من سكان شمال
الجزيرة أم جنوبها أم بلاد الشام وجزيرة الفرات والعراق مصنوع أو مبدل إلى الفصحى
فيما بعد لأن اللغة العربية لم تكن قد وصلت إلى دور الفصحى القرآنية التي جاء كثير من
المنظوم والمنثور الذي يعزى إلى هذا الطرف أو قبله حينما كتب ولكنها تدل على أن
اللغة العربية قد أخذت تقترب إلى هذا الدور .

وبما روت الروايات العربية أن هذا الملك هو أول من تنصر من آل نصر وأن زمنه
مصادف لملك سابور كسرى الفرس الذي عرف بذي الاكتاف . ومع ذلك فإن هذه

الروايات لم تذكره في سياق الاحداث المروعة التي روت وقوعها بين سابور والعرب ، حيث روت أن بعض قبائل العرب انتجعت بلاد فارس فغضب عليها وقتل منها جماعات كثيرة قتلا مبرحاً .

وأمر منهم جماعات كثيرة أخرى أمراً عنيفاً . ثم قاد حملة سار بها نحو البحرين ثم اليمامة حتى وصل إلى يثرب . ثم عطف نحو بلاد بكر وتغلب بأرض الشام ففعل في جميع هذه البلاد ما فعله بالأولين من قتل وأسر عنيفين . ثم جنح إلى استصلاح العرب بعد أن تبين له صعوبة الاستمرار في خطة البطش والقسوة . وبعد قليل من هذا التكتيل نشبت الحرب بين الروم والفرس فانضم عرب الشام إلى جيوش الروم ثم انضم سائر العرب اليهم أيضاً حتى بلغ عدد العرب مئة وسبعين ألف مقاتل وزحفوا مع الروم على بلاد فارس وأوقعوا في جيوش سابور وقتلوا منها مقتلة عظيمة حتى اضطر سابور إلى الفرار ثم دخلوا مدينة طينسون عاصمته وهي التي تعرف في الكتب العربية بالمدائن ونهبوها^(١) .

والتحفظ أولى ازاء هذه الاحداث التي لم يؤيدها أحد من الكتاب القدماء اليونانيين والرومانيين الذين رووا كثيراً من أحداث الشرق العربي وحروب الفرس والروم والعرب . مع التنبيه إلى أن من المحتمل أن يكون لها أصل . كأن يكون نشب قتال بين بعض القبائل الناجمة في العراق العجبي - الشمالي - وبعض الحاميات الفارسية جنحت فيه هذه الحاميات الى سبيل البطش الشديد وأن يكون بعض قبائل العرب في العراق وجزيرة الفرات قد انضمت إلى عرب الشام في زحفهم مع الرومان على الفرس لاختد الثأر والانتقام .

ورواة العرب ينعنون عمراً الثاني الذي خلف امراً القيس أباه بمسعر الحرب . ولكنهم لم يذكروا له احداثاً تفسر هذا النعت . وأم عمرو هي في بعض الروايات مازية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك الفساسنة . وكان لها قرطان ثمينان نادران كانا مضرب المثل في الأدب العربي .

ويأتي بعد هذا في السلسلة الاسماء ، أوس بن قلام وهو من غير اللخمين . ولم تذكر

(١) انظر جواد علي ج ٤ ص ٣٤ - ٣٥

الروايات العربية أسباب توليه . وقد تولى في زمن سابور . فمن المحتمل أن يكون ذلك بسبب ما كان من تمرد بعض عرب العراق وانضمامهم إلى جيوش الروم مع عرب الشام ضد الفرس . لقد ذكرت الروايات التي ذكرت قصة التنكيل ثم قصة الثأر أن سابوراً استرد عاصمته ثم تصالح مع يوسانوس الذي انتخبه الجيش الروماني ملكاً على أثر مقتل اليبانوس الذي قاد الحرب ضد الفرس . فمن المحتمل أن يكون سابور في هذا الظرف في موقف القوي فاستطاع أن يحول دون ولاية ابن عمرو وأن يولي قلاماً .

وقد نسب رواية العرب قلاماً إلى المالحق . وقال حمزة إنه اوس بن قلام بن بطينا بن جهمر بن لحبان العمليقي . وقال راو آخر إنه كان من أسرة تقيم في الحيرة من بني الحارث بن كعب . وهذا الكلام أوجه كما هو المتبادر . ولم تذكر الروايات أحداثاً له سوى أن حكمه دام ثلاث سنين ثم وثب عليه شاب لحقي اسمه جحبجا أو ما يقرب منه فقتله . وكان سابور قد توفي وخلفه ابنه بهرام فأعاد أو اضطر إلى الموافقة على عودة آل نصر إلى عرش الحيرة في شخص امرئ القيس الثاني بن عمرو الثاني . ونبيه إلى أن اليعقوبي والمسعودي لم يذكر قلاماً في سلسلة ملوك الحيرة . وقد ذكر الأول أن الذي تولى بعد عمرو هو المنذر بن امرئ القيس وذكر الثاني أن الذي تولى بعد عمرو هو النعمان بن امرئ القيس .

ولم يذكر رواية العرب شيئاً هاماً عن الملك الذي تولى بعد قلام والذي هو امرؤ القيس في قائمة زيدان . غير أن جميعهم وصقوه بالحرق لأنه أخذ قوماً حاربوه فغرتهم .

وقد شغل النعمان الأول بن امرئ القيس الذي تولى بعد أبيه امرئ القيس حيزاً غير يسير في روايات الرواة . وقد نعت الرواة بالسائح وبالاعور وقالوا إنه غزا الشام مراراً وكان ضابطاً للملك وكان عنده كتيبتان على استعداد دائم للقتال واحدة تسمى الشهباء قوامها متطوعة من الفرس وثانية تسمى الدوسر قوامها من العرب . وإن الحيرة بلغت في عهده شأواً عظيماً عمراناً ونشاطاً وكثافة سكان . وإنه هو الذي بنى القصرين الشهيرين اللذين يضرب بهما المثل العربي القديم وعظمة ورواء وهما الخورنق والسدير . وكان الأول في الحيرة والثاني في البادية مصيفاً . وماروي عنه أنه استخدم في بناء الخورنق حائناً رومياً اسمه «نمار فلما أتمه القاه من أعلى القصر لسبب تعددت الروايات فيه منها أن الملك استدرج سمناً في الكلام حتى قال إنه يعرف لبنة في القصر إذا رفعت من مكانها انهدم ومنها أنه قتله لثلاث يصنع قصراً شبيهاً به . وهناك مثل عربي جاهلي وهو « جزاء جزاء سمارة »

يفسره بعض الرواة بقصة الخورنق وقتل بانيه سنار . ويضرب لن مجازي بالشر شخصاً يستحق المكافأة . وقد عزي الى شعراء جاهليين أبيات بذلك مثل :

جزائي جزاء الله شر جزائه	جزاء سنار وما كانت ذا ذنب
و : جزاء سنار جزوها به	وبالالة والعزى جزاء المكفر
و : جزى بنوه أبا الفيلان عن كبر	وحسن فعل كما يجزى سنار

ومن المحتمل أن يكون لقصة سنار اصل ما اوصلة ما بيناه الخورنق والملك النعمان كما أن من المحتمل أن يكون لسنار هذا قصة أخرى وأن الصنعة والخيال لعبا دورهما في حبك صلتها بالخورنق وصاحبه .

ولقد سمي هذا الملك كما قلنا بالسائح . وقد ذكرت الروايات العربية كسبب لهذه التسمية أن الملك قال في نفسه وقد رأى عظمة ملكه : أي درك في هذا الذي ملكته اليوم ويملكه غداً غيري ، ثم ساقه تفكيره الى الزهد بالملك والسياسة في الارض ، واشير الى هذا في قصيدة معزوة الى عدي بن زيد العبادي الشاعر النصراني الجاهلي أنشدها للنعمان الثالث فيها تذكير بأيجاد الملوك الغابرين وذوالهم مع ذلك وهند هي :

أنت المبرأ الموفور	أما الشامت المعير بالدهر
الايام بل أنت جاهل مغرور	أم لديك العهد الوثيق من
ذا عليه من أن يضام خفير	من رأيت المنون يخلدن أم من
أم أين قبله سابور	أين كسرى كسرى الملوك أنوشروان
لم يبق منهم مذكور	وبنوا الاصفر الكرام ملوك الروم
دجلة تجي اليه والخابور .	وأخو الخضر إذ بناه وإذ
فلطير في ذراه وكور	شاده مرمرأ وجله كلساً
الملك عنه فبابه مهجور	لم يهبه ريب المنون فباد
أشرف يوماً وللهدي تفكير	وتدبر رب الخورنق إذ
والبحر معرضاً والسدير	سره ماله وكثرة ما يملك
غبطة حي الى المات يصير	فأرعوى قلبه وقال وما
وارتهم هناك قبور	ثم بعد الفلاح والملك والنعمة

ثم صاروا كأنهم ورق جف فآلوت به الصبا والديور

والقصة والقصيدة تتحيلان شكاً كبيراً بدون ريب. وبما يروى أن هذا النعمان قد تهرى
نتيجة لتبشير قديس اسمه سمعان العمودي وشفاؤه إياه من مرض ألم به .

ويسمى المنذر ابن النعمان الذي تولى بعد أبيه بالمنذر الأكبر . وهو من مشاهير ملوك
الحيرة : ويقول رواية العرب أن الدولة وصلت في عهده إلى درجة عظيمة من القوة
والسلطان ويروون قصة مفادها أن كسرى يرد مجرد أرسل ابنه بهرام جود إلى هذا الملك
ليتعلم عنده الرماية والفروسية والصيد ، وقد برع في كل ذلك بفضل عناية المنذر ، وأن
زعماء الفرس أرادوا صرف الملك عنه حيناً مات أبوه فاستنجد بالمنذر فسأوع إلى نجاته
ومكنه من تولي العرش . وقد كان المنذر عند يرد مجرد ثم عند بهرام منزلة رفيعة . وكانوا
يعترفون بسلطانه الشامل على جميع العرب . وقد حارب الروم إلى جانبهم أكثر من مرة .
وكان الحظ يسم له حيناً ويعبس حيناً في المعارك التي اشتبك فيها . وقد بسم له مرة
فتوغل في بلاد الشام حتى كاد يقضي على سلطان الروم فيها وحتى صار هؤلاء يسمونه
بالأسد العربي . ثم عبس له ففرق معظم جيشه في نهر الفرات . وقد ذكر هذا الحادث
مؤرخ روماني اسمه سقراط وقال إن عدد الذين غرقوا من جيشه بلغ زهاء مئة ألف .
وكان ذلك حوالي سنة ٤٢١ ب م . ويلاحظ أن تاريخ الواقعة سابق للتاريخ الذي يجمن أن
المنذر اعتلى على العرش فيه على ما جاء في القائمة . ومن المحتمل أن يكون التباس في احد
التاريخين . لان سقراط الذي رواها كان معاصراً وكانت وفاته سنة ٤٣٩ ب م .

والاسود الذي تولى بعد المنذر حارب الغساسنة وانتصر عليهم وأسر منهم في احدى
الجولات ثم وقع في جولة أخرى أسيراً بيدهم فقتلوه . وهناك رواية عربية تذكر مع
ذلك أن الفرس هم الذين قتلوه دون ذكر سبب لذلك . وبما روته الروايات عنه غزوة له
لبنى ذبيان وبني أسد وإيقاعه فيهم .

وقد جعل بعض الرواة اليوم المعروف بالرحر حان من أيام العرب في عهد الاسود هذا
وبسبب اغتيال ابن له اسمه شرحبيل في سياق طويل مضطرب . وبعض الرواة يحملون
هذا اليوم في عهد أخيه النعمان أو المنذر على اختلاف الروايات . وقد كان بسبب قتل
زعيم من زعماء بني كلاب حيث تكونت جبهتان عظيمتان من القبائل اشترك أحد الملوك

الثلاثة على اختلاف الروايات مع أحدها ضد الأخرى .

والروايات لم تؤكد تروي شيئاً من سيرة المنذر الثاني الذي تولى بعد الأسود . أما الذي تولى بعد هذا وهو النعمان الثاني فقد ذكرت أنه قضى أكثر مدته وهو يجارب في بلاد الشام وجزيرة القوات الى جانب الفرس . وقد أصيب في النهاية في معركة وقعت بالقرب من قرقيسيا على الخابور يجرح كان فيه سقته . واغتم جماعة من ثعلبة حلفاء الروم الفرصة فأغاروا على الحيرة ونهبوها . وقد ذكرت كتب الروم القديمة معظم أخبار النعمان هذا .

ويظهر أن موت النعمان وغزو بني ثعلبة الحيرة ونهبها قد أدى الى ارتباك في الدولة وأنه لم يكن للنعمان أبناء أو أخوة قادرين على ضبط الملك حيث ذكرت الروايات أن الذي خلفه كان من غير ذوي قرباء وهو علقمة أبو يعفر . ولقد كان هذا من اللخبين حيث يكون المحتمل أنه كان من الزعماء البارزين الذين تميزوا بالشجاعة والحزم فنودي به ملكاً أو نائباً . وقد امتد ملكه أو نيابته ثلاث سنين دون أحداث هامة ثم تولى العرش امرؤ القيس الثالث بن النعمان الثاني في رواية والمنذر الثالث بن امرئ القيس في رواية أخرى .

والمنذر الثالث من مشاهير ملوك الحيرة ومن أكثرهم ذكراً في الروايات التاريخية والأدبية العربية ومن أحارهم حكماً . ويعرف بأبن ماء السماء نسبة لأمه كما ينعت ببني القرنين لضعفيتين كانتا له . وقد وصفت الروايات العربية عهده بأنه بلغ قمة المجد وأوج السعادة . وله ذكر غير يسير في الكتب القديمة غير العربية .

وبما ذكرته الكتب اليونانية عنه أنه غزا حدود بلاد الروم سنة ٥١٩ م وأسر قائدين في جملة من أسر ، وأن قيصر الروم جوستنيان أرسل اليه وقدماً مؤلفاً من ابراهيم والد المؤرخ نوسوسوس وشمعون الارشامي وسرجيوس اسقف بيت وصافة لمفاوضته ، وقد نجح الوفد في مهمته فأطلق المنذر سراح القائدين ودخل في الهدنة التي انعقدت بين الروم والفرس كما دخل فيها الفساسة . وبما تروي هذه الكتب أنه صادف وصول وفد ملك الروم الى المنذر وصول وفد ملك اليمن ذي نواس المشهور بتعذيب النصارى اليه ليحرضه على تعذيب نصارى مملكته ايضاً . وقد كان احتلال الاحباش لليمن وتغلبهم على ذي نواس في زمنه . وقد رجح جواد علي أن تكون مهمة الوفد اليمني كانت الاستعداد

به وبالفرس حينما شعر بنيات الاحباش العدائية نحوه ومن ورائها الروم وهو يعرف ما بين الفرس والروم من عدااء وما بين الروم والاحباش من تجانس وصلات وثيقة . ولا يخفى القول من وجهة . وفي هذه الحالة يكون كلام الكتاب الافرنج عن مهمة وفد ذي نواس من قبيل التحرص . ومع ذلك فان فكوة تحريض المنذر على النصارى ليست مستبعدة . فالمنافسات الدينية في ذلك الوقت كانت تشغل حيزاً هاماً من سياسة الدول وحرركات الجماعات الدينية المتخالفة .

والمنذر الثالث هو الذي أرسل إلى أبرهة إلى اليمن الحبشي الوفد الذي أوردنا خبره في فصل مملكة (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) في سياق خبر الوفود التي قدمت على هذا الوالي بعد ما كتبت الغلبة للاحباش على ذي نواس وبدأ من أبرهة شيء من التمرد على سيادة ملك الحبشة حيث أراد كل من الفرس والروم جذب به اليهم وحيث اندمج كل من الاثمييين والفساسنة في هذه الحركة تضامناً مع مخالفهم . وقد كان الاخفاق نصيب الحلف الفارسي الاثمي حيث ظل أبرهة في صف الحلف الرومي الحبشي ثم تقدم للتبسط في الجزيرة شمالاً وكان من ذلك زحفه على مكة الذي كان فيه هلاكه وهلاك جيشه

ومما ترويه المصادر اليونانية أن القيصر جوستنيان حاول إغراء المنذر وسلخه عن الفرس وجره إلى حلفه وصفه : وشعر كسرى الفرس بذلك فاتخذها سبباً لتفرض الهدنة فاستأنف الفرس والروم مصاولاتهم الحربية واندمج فيها المنذر إلى جانب الفرس والحارث بن جبلة الفسائي إلى جانب الروم . وقد كان للمنذر نشاط كبير في سياق ذلك حيث هاجم بلاد الشام مراراً وأخذ فيها قتلاً وأحرقاً ونهباً وغنائم . ولم يكن نشاطه قاصراً على ما في نطاق سلطان الفساسنة بل كان يشمل مناطق أخرى من بلاد الشام . فقد وصل مرة إلى انطاكية وأسر فيها أسره أربع مائة راهبة ، وقدمهن ضحية للآلهة العزى على ما زعمه مؤرخو السريان . ولقد ذكر ابن العبري خبر توغله في أملاك الروم واستيلائه على أراضين واسعة شملت منطقة الحابور ونصيبين وأسره الراهبات ولكنه لم يذكر أحداث تضحيتها . وهاجم مرة بلاد الشام الغربية وبلغ فينيقية وتوغل في لبنان . وحرص الروم الملك الفسائي ومنعوه لقب الملك فكان منه نشاط مقابل وهاجم فيما هاجمه جزيرة الفرات وأطراف المملكة الاثمية .

ولقد عاد الروم والفرس فاتفقوا على التهادن ولكن المنذر والحارث لم يدخلوا في الهدنة لان الاحقاد والثارات كانت قد تأصلت بين الطرفين فظلت المصاولات متلاحقة بينهما . وكان من صفحاتها ان المنذر أسر أحد أبناء الحارث وقدمه ضحية للاله العزى على ما ذكره المؤرخ بروقوبيوس ، ولقد ذكرت الكتب العربية صفحات هذه المصاولات أو بعضها غير أن فيما ذكرته كثيرا من الاختلاف والتناقض في الاسماء والنتائج والوقت بما يتعذر الخروج منه بحقيقة تبث الطمأنينة . ولقد ذكرنا في مبحث الفساسة انه كان من صفحات هذه المصاولات التي ذكرتها تلك الكتب يوم عين أباغ الذي دارت فيه الدائرة على المنذر وقتل فيه . وبعض الروايات تذكر ان المنذر لم يقتل في يوم عين أباغ وإنما قتل في يوم حليلة . وبعضها يجعل صاحب يوم حليلة عمرو بن المنذر الذي تولى الملك بعد أبيه وقد دارت الدائرة في هذا اليوم على الأخمين أيضاً على ما روته الروايات وأوردناه في ذلك المبحث كذلك .

ولقد انفصل المنذر الثالث عن عرشه ردهاً من الزمن ثم عاد اليه ثانية ، وكان صاحب العرش في الحيرة وصاحب السلطان على العرب في هذه الفترة الحارث بن عمرو الكندي . وكان سبب ذلك حسب الروايات العربية المضطربة المتناقضة في الوقت نفسه في الوقائع والنتائج والاسماء والزمن أن قباد كسرى الفرس حاول حمل المنذر على اعتناق مذهب مزدك الاشتراكي الاباحي فأبى فأدى إلباؤه الى قطيعة وجفاء بين الملكين . واعتزم الحارث ملك كنده الذي كان ينافس المنذر في السيادة على عرب الشمال فتقرب من قباد فأيده وسلطه على المنذر فرجحت كفته عليه واضطر هذا الى التواري الى أن مات قباد وتولى اتوشروان فقدم عليه فأكرمه وأعاداه الى عرشه . وحينئذ انسحب الحارث فتتبعة المنذر وأخذ يتكلم بأنصاره ويقتل رؤساء قومه وحلفائه ثم ظفر به فقتله على ما شرحناه في بحث المملكة الكندية في الفصل الثالث .

ويرى جواد علي أن ما كان من قوة وشدة ومطامح المنذر وما كان من محاولة إغراء جوستينيان له هو السبب أو علي الأقل من الاسباب الجوهرية التي جعلت قباد يتنكر للمنذر تحسباً للعواقب ويقوي الحارث الكندي عليه ولا يخلو هذا من وجهة . ولقد ذكرت الروايات اليونانية القديمة ان الروم كانوا يديعون في بعض الظروف للمنذر اتاوة مقابل صكوته وتوقفه عن مهاجمة حدودهم . وهذا ما يؤيد وجهة ذلك الرأي كما هو

ويبدو مما تقدم أن العداء بين اللخمين والغسانيين قد تأصل نتيجة لتحريض الروم والفرس وإثارتهم فيهم روح المنافسة والمناظرة لضمان مآربهم . وقد ظل ذلك قوياً متأججاً . وأدى إلى حروب متكررة أريقَت فيها دماء العرب وكان بعض ملوك غسان ولحم من ضحاياها .

ومن القصص التي ذكرتها الروايات العربية عن المنذر أنه كان له نديمان أمر بدفنها حين في نشوة سكره فلما أفاق ندم وبني عليها صومعتين عرفتا بالغريين وكان يكثر من الإقامة عندهما حتى صار من أحاديث العرب السائرة وأنه كان له يوم نعيم ويوم بؤس في السنة إذا قصده قاصد في أولها أعطاه مئة ناقة وإذا قصده قاصد في ثانيها أمر بذبحه وطلاء الغريين بدمه؛ وأنه قصده قاصد في يوم بؤسه ولم يكن يعلم فأمر بذبحه فاستمته سنة فطلب كفيلاً فاستفاد برجل من رجال المنذر اسمه شريك بن عمرو فكفله فلما انتهت السنة وتأخر قدم الغريم في آخر أيامه أمر المنذر بقتل الكفيل وقبل التنفيذ وصل الغريم فسأله عن سبب وفاته وقد أقلت فقال له ديني يأمرني بذلك وكان نصرانياً فأثار بذلك عجب الملك وغفا عنه وتنصر وأبطل يومي البؤس والنعيم . وقد أوردت الروايات العربية القصة في سياق أدبي طويل تبدو عليه آثار الصنعة بقوة . وتقول الروايات ان تنصر المنذر استتبع تنصر كثير من عرب العراق مع أن النصرانية كانت فاشية بمقياس غير ضيق في هؤلاء قبل المنذر بما يقوي أسباب التوقف في صحة هذه الروايات .

وقد كان عمرو بن هند الذي تولى بعد هذا المنذر من مشاهير ملوك لحْم أيضاً ، وقد أكثرت الروايات العربية من ذكره كأبيه . وهند هي أمه . ويظهر أنها كانت ذات شهرة ما حتى نسب إليها . وهي التي بنت دير الخيرة المعروف باسمها ونقشت عليه اسمها واسم ابنها . وهو النقش الذي أوردنا نصه في مجلتي النصوص والذي هو النص الطويل نوعاً ما الذي كتب بلغة عربية فصحي .

ومما قاله عنه الرواة إن الخيرة كانت في أيامه موئل الشعراء ولم تكن مجالسه لتخلو من مناقسات الشعراء فيما بينهم ونقد بعضهم لبعض . وكان سريع الانفعال كثير الزهو والخيلاء شديد البطش والهيبة . وهو صاحب يوم حليلة على ما روته بعض الروايات

حينئذ قاد جموعه وسارع الى الاشتباك مع جموع الفساسنة بقيادة الحارث بن جبلة انتقاماً
ليوم أباغ الذي قتل فيه أبوه . وقد دارت الدائرة في هذا اليوم عليه أيضاً .

وما يروى عنه بأسلوب تبرز عليه الصنعة أنه استاء من شاعر اسمه المتلمس وآخر اسمه
طرفة بن العبد وهو من أصحاب الملققات فكتب لكل منهما رقعة إلى عامله في البحرين
ليجيزهما بجائزة كما قال لهما . وفي الطريق أقرأ المتلمس رقعته لعلام قاريء فإذا فيها أمر
بقتله فالقى بها في الماء وانصرف عن الرحلة . وصارت رقعته مضرب المثل لمن يحمل أمر
قتله بيده . أما طرفة فإنه قال ان الملك لا يمكن أن يكون قد أمر بقتله واستنكف عن
إقراء رقعته واستمر في رحلته وسلم الرقعة لعامل البحرين فكان فيها حتفه .

ويستفاد من الروايات أن سلطان الدولة في زمنه كان يصل الى عمان والبحرين
جنوباً لشرق وإلى الملح في اليمامة جنوباً لغرب ، وكان يشمل جزيرة الفرات شمالاً
لغرب .

وقد نسبت اليه جملة غزوات للقبائل . منها غزوة لثعلب بسبب امتناعهم عن نصرته
على أخذ ثأر أبيه من الفساسنة فشفي غليله منهم . ومنها غزوة لبني دارم انتقاماً لآخ له
اسمه سعد قتلوه فقتل منهم مئة وألقى بجثثهم في النار فسمى مذ ذاك بالهرق .

وبما ذكرته الروايات أنه هو الذي أصلح بين بني بكر وثعلب الذين امتدت الحرب
بينهم أربعين سنة . وهي الحرب المشهورة بحرب البسوس وقد ذكرناها في سياق أيام
العرب . وقد أخذ من كل من الفريقين مئة غلام من اشرافهم رهائن فكانوا يصحبونه في
السلم والحرب ، وننبه الى أن من الروايات ما يذكر ان الاصلاح بين القبيلتين تم على يد
الحارث بن حجر الكندي وقد ذكرنا ذلك في سياق أيام العرب وفي سياق بحث
المملكة الكندية .

وبما ذكرته الروايات اليونانية من أحداث غارته على بلاد الشام سنة ٥٦٣ ب م ثم
غارات أخيه قابوس في زمنه وبأمره عليها سنتي ٥٦٧ و ٥٦٨ ب م .

وكان سبب هذه الغارات على ما ذكرته الروايات أن الروم كانوا يدفنون لايه أتاوة
لاسكانته عن مهاجمة حدودهم ، وانعقد بين الفرس والروم هدنة فتوقفوا عن دفعها فطالبهم

بها فأرسلوا رسلا الى ملك الفرس ليقتنع عمرواً بعزم حقه فيها فلم يقتنع وأرسل رسولا من قبله الى القسطنطينية للمطالبة بها فقبول بمقابلة سيده فثار غضبه وأخذ يهاجم بلاد الشام . ولم تذكر الروايات نتائج هذه الغارات .

وقد هلك عمرو قتلا بيد عمرو بن كلثوم الشاعر الفارسي التغلبي الجاهلي المشهور على ما ذكرته الروايات العربية في خير طويل تبرز عليه الصنعة بقوة حيث سأل جلساءه يوماً وقد بلغ الزهو منه أبلغ درجة عما اذا كانوا يعرفون أحداً من العرب تأتف أمه من خدمة أمه فقالوا لا نعرف الا اذا كانت ليلي أم عمرو لان اباها مهمل بن ربيعة وعمها كليب بن وائل وهما اغز العرب وبعلمها كلثوم فارس العرب وابنها عمرو سيد تغلب فزم على اذلالها وارسل الى عمرو بن كلثوم يستزيه مع امه فلما لبيا الدعوة ادخل الام على امه وطلب منها تحديماً . فسألته ان تناولها طبقاً فقالت لما لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها فألحت عليها ام الملك فغضبت وفادت واذلاء بالتغلب فسمع ابنها هتافها فهاج واستل سيفاً للملك كان معلقاً بسارية السراشق وضرب به الملك فقتله ثم انتهب هو وجماعته نجح الملك وتوغلوا في الصحراء .

وفي المعلقة المنسوبة الى عمرو بن كلثوم هذه الابيات التي يمكن ان يكون فيها اشارة ما الى الحادث :

اذا ما الملك سام الناس خسفاً أيينا أن نقر الخسف فينا
الا لا يجهل أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ولقد فاخر شاعر تغلبي في الاسلام بما فعله عمرو فقال هذه الابيات :

لمبرك ما عمرو بن هند وقد دعا
لتخدم ليلى امه بموق
فقام ابن كلثوم الى السيف معتلنا
وأمسك من ندماته بالحقق
وجلاه عمرو على الرأس ضربة

بذي شطب صافي الحديد روتق

وقد يجيل للمرء ان هذا الشاعر لم ينظم هذه الابيات مفخراً لو لم تكن القصة متداولة منذ أيام الجاهلية .

ولقد وصف بعض الرواة قابوساً الذي خلف عمرو بالضعف واللين ونعتوه بنعت
 قينة العرس وقال بعضهم انه لم يملك مع ان هناك روايات عربية تذكر ان اخاه عمرو
 فوض اليه امور الدولة المهمة في حياته وكان يسيره على رأس الحملات التي كان يوجهها على
 بلاد الشام ومع ان هناك روايات عربية ويونانية تذكر عنه اخبار اقل على انه كان ذا



من آثار الحيرة قلا عن الجزء الرابع من تاريخ العرب قبل الاسلام لهدكتور جواد علي

نشاط وحيوية . ولقد تكررت على ما جاء في هذه الروايات غاراته على تخوم الروم
 وبلاد الشام . وفي احداها استولى من الفساسة على غنائم كثيرة فلحق به المنذر بن
 الحارث الملك الفسافي على رأس جموعه وتغلب عليه واخذ منه كثيراً من الاموال والابل
 وكان ذلك سنة ٥٧٠ م ولقد اغتتم فرصة القطيعة التي قامت بين الروم والمنذر الفسافي
 والتي ذكرناها في مبحث الدولة الفسافية فأخذ يغير على حدود الروم والشام طيلة ثلاث
 سنين ٥٧٥ - ٥٧٨ م ووصلت سراياه الى انطاكية ، فكان ذلك بما حمل الروم على مراعاة
 المنذر الذي جمع جموعه حينئذ وقام في سنة ٥٧٨ م بهجوم صاعق على الحيرة فأحرق وقتل
 ونهب وسبي واطلق من في سجونها من أسرى الروم .

ولم تذكر الروايات تذكر شيئاً هاماً عن المنذر الرابع الذي تولى بعد قابوس . اما
 ابنه النعمان الثالث الذي اشتهر بكنيته إلى قابوس فكان من مشاهير الملوك الاخمين

وأكثرهم بروزاً . وقد رويت عنه قصص وأخبار كثيرة تبرز عليها الصنعة ولكنها لا تخلو
على الأرجح من حقائق تاريخية أيضاً .

ولقد كان له أخوة عديدون فتولى العرش دونهم . وبما ذكرته الروايات في صدد ذلك
أنه كان لكسرى ابرويز مستشار عربي اسمه عدي بن زيد العبادي فاستشاره فيمن يخلف
المنذر من أبنائه وكان هواه مع النعمان فأشار عليه بأستدعاء الأخوة واختبارهم . وعلم
النعمان جواباً جعل كسرى يرحبه ويملكه ويلبسه تاجاً ذهبياً مرصعاً بالؤلؤ في خبر
طويل يبرز عليه الصنعة .

ويصفه الرواة بالشجاعة والكرم ويقولون إن الدولة في أيامه بلغت منتهى الترف
والرخاء وإن الحيرة بلغت ذروة رقيها وصرانها وأنه كان يأكل ويشرب بأواني الذهب
والفضة . وكان يقصده الشعراء فيبالغ في إكرامهم .

وكان الشاعر المشهور النابغة الذبياني شاعره الخاص مدة طويلة . وله فيه قصائد
رائعة . ومن دوي وفودهم عليه حسان بن ثابت الشاعر الخزرجي المخضرم وحاتم الطائي
الشاعر الجواد المشهور والمنخل المشكري الذي حسد النابغة على مكاتبة من أبي قابوس
فأوغر صدره عليه حتى تم بقتله فهرب منه ثم اعتذر له بقصيدة رائعة في خبر طويل شائق
تبرز الصنعة عليه .

وكان يأمر بتدوين القصائد البليغة في القراطيس وحفظها في خزائن خاصة ويميز عليها
بالجوائز السنية .

وقد ذكرت الروايات الكندية القديمة أنه كان يتعبد للعزى ويذبح للأوثان ثم تنصر
بسبب شفائه من صرعة ألت به على يد أسقف الحيرة شمعون بن جابر وتبعه أولاده
بالتنصر .

وهناك رواية عربية تذكر أن تنصره كان بتأثير عدي بن زيد العبادي حيث خرجا
معاً يوماً فوقفا على بعض المقابر فقال عدي وكان نصرانياً أندري أبنت اللعن ما تقول هذه
المقابر قال وما تقول قال إنها تقول :

أيها الراكب المنجبونا علي الأرض المجدونا

كما أنتم كذا كذا كما نحن تكونونا

وتقول :

رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالساء الزلال
عصف الدهر بهم فانقلبوا وكذاك الدهر حالاً بعد حال

فتأثر وتنصر . ومن الرواة من ينسب قصة الغريين الى هذا الملك . وهي القصة التي
التي نسبها فريق من الرواة إلى المنذر الثالث وأوردنا خلاصتها قبل قليل .

وإلى هذا الملك ينسب دير الحج الذي لم يكن في ديارات الحيرة أحسن منه بناء وأنزه
موقعاً . ومن المنشآت التي تنسب إليه مدينة النعمانية علي ضفة دجلة اليمنى التي ما تزال
آثارها باقية إلى اليوم .

ومن الاحداث التي ذكرت له غزوته لفرقيسياء على حدود الروم . وقد حرض الروم
الفساسنة فأغاروا بالفتنة على الحيرة وخبوها في ظرف كان النعمان متنبهاً عنها في أنحاء
البحرين . كذلك بما ذكر عنه أنه كان من عادته ارسال لطيفة - قافلة تجارية الى عكاظ
في كل سنة لتباع في سوقها فتعرض لها في إحدى السنين بنو عامر بن صعصعة وخبوها
فسير عليهم حملة عرفت في أيام العرب باسم يوم السلان ودارت الدائرة فيه على حملته .
وقد تعرضت قافلته في سنة أخرى للنهب أيضاً من قبل مغامر من بني ضمرة اسمه البراص
بما كان سبباً ليوم الفجار الثالث من أيام العرب ذكرناه في سياق ذكر بعض هذه الأيام
في مبحث سابق .

كذلك بما ذكرته الروايات انه كان في مجلس ملوك الحيرة منصب اسمه الرداقة يجلس
فيه صاحبه على يمين الملك . وكان المنصب لزعماء بني يربوع يتوارثونه ابن بعد أب . فطلب
حاجب بن زرارة التيمي الدارمي احد زعماء العرب المشهورين من النعمان تحويل المنصب
الى زعماء قبيلته فراود النعمان بني يربوع فرفضوا وغضبوا وأدى الأمر الى الحرب بينهم وبينه
في يوم عرف بيوم الطفخة دارت الدائرة فيه على جيش النعمان ووقع ولداه قابوس وحسان
الذنان كانا مع الجيش في الأمر مما جعل النعمان يرسل اليهم فيسترضيهم ويثبتهم في مركزهم
ويعطيهم ألفي جمل فدية عن ولديه .

وقد كان هلاك النعمان قتلاً في سجن كسرى أبوزيد أورد الرواة قصته في خبر طويل
مضطرب فيه صنعة وقد لا يخلو مع ذلك من حقيقة . وخلاصته ان غريماً لعدي بن زيد
الذي ساعد النعمان على ولاية العرش اسمه عدي بن مارينا كان له هوى مع أخ آخر للنعمان

اسمه الاسود فحقق على عدي بن زيد لترجيح كفة النعمان عليه وأخذ يدس له عند النعمان ويشير ربيته فيه حتى تغير قلبه عليه فطلب منه أن يزوره فلما فعل سجنه ثم قتله . ثم ندم على ما فعل وأراد أن يكفر عن عمله فحضر ابناً لعدي اسمه زيد وحياه وأرسله إلى كسرى ووصاه به وأخبر كسرى بموت أبيه فجعله مكانه . وعلم الابن بما كان من أمر أبيه فأخذ يدبر المكائد للنعمان ليأثر له ونجح في ذلك حتى جعل كسرى يقضب على النعمان ، لأنه قيل له إن النعمان يأنف من مصاهرته ، وقد استدعاه إلى عاصمته ثم ألقى به في السجن ثم قتله - كما فعل هو بعدي - ثم اعتقل معظم أبنائه وقتلهم .

واقدمه العرب بعد قتل النعمان وأخذوا يعيشون فساداً في القطاعات الفارسية وغيرها فأرسل كسرى قائداً فارسياً ليحكم الخيرة ويقمع حركة العرب فأخفق فأرسل قائداً آخر فأخفق أيضاً فلم يربداً من تولية عربي فولى إلياساً بن قبيصة الطائي الذي ذكرت الروايات أنه كان من المقربين عنده وأنه كان ساعده حيناً فر من وجه الملك الذي سبقه والذي كان يريد قتله ثم علونه في نزاعه مع الروم . وأقام إلى جانبته مع ذلك مندوباً فارسياً اسمه المهرجان أو البهرجان ووجهه ثلاثين قرية على شاطئ الفرات .

ولقد كان من نتائج قتل النعمان يوم مشهور من أيام العرب وهو يوم ذي قار - والمكان بين الكوفة وواسط - ولقد ذكرت الروايات العربية أن النعمان كان أودع سلاحه وماله وذخائره عند هانيء بن مسعود زعيم قبيلة بني شيبان حينما أحس بنية الغدر من كسرى فطالب هذا هائناً بما لديه فأمر إلياساً بن قبيصة بإرغامه على التسليم . وقاد هذا حملة مؤلفة من الفرس والعرب وجمع هانيء قومه وأنصاره واحتبك مع الحملة في معركة حامية في ذي قار فكانت الغلبة فيها لهانيء وجموعه وفر إلياس ومن معه من كتائب العرب والفرس . وكانت الوقعة في السنة الثالثة من البعثة . وكان لها دوي عظيم حتى لقد روي أن النبي عليه السلام قال حينما بلغه خبرها « هذا أول يوم انتصف فيه العرب من المعجم وفي انتصروا »

ومع ما يظهر على القصة التي جاءت في الكتب طويلة وأجزاها بما تقدم من صنعة فإننا نرجح أنها انطوت على حقيقة تاريخية . لأن ذكرى الواقعة ظلت تتداول بين العرب في القرون الإسلامية الأولى ، وذكرها أكثر مؤلفي العرب الاسلاميين القدماء .

ولقد ذكرت بعض الروايات أن كسرى أقام بعد إلياس على الخيرة ولاية من الفرس

الفرس سميت أحدهم أو آخرهم وهو (آزادبه) الذي اصطدم به خالد بن الوليد رضي الله عنه حينما زحف على العراق بعد حروب الردة في اليمامة على ما سوف نشرحه في الجزء التالي .

على ان هناك رواية تذكر اسم ملك لحي وهو النعمان الخامس الذي ينعت بالمغرور ، وتقول انه تولى الملك بعد خلع ابرويز نتيجة للفتن الناشئة في بلاد الفرس كما ان هناك رواية تقول ان هذا النعمان لم يباشر الملك فعلا وانما سمي ملكاً كحق ورائي ليس غير وكان آخر من تسمى بذلك من اللخمين . ولقد ذكرت كتب التاريخ هذا النعمان باسمه ونعته وما كان من نشاطه وتآمره مع بعض زعماء البحرين ضد السلطان الاسلامي في ظروف الردة علي ما سوف نشرحه في الجزء التالي بما يمكن أن يكون فيه تأييد ما لممارسته الملك ^١ .

-٣-

الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية

في الدولة اللخمية

ان ما قلناه في صدد الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مبحث الدولة الغسانية يمكن ان يقال هنا بتمامه . فليس هناك ما يساعد على زيادة بيان عن هذه الحالة في الدولة اللخمية عدا ما أوردناه في سياق سيرة ملوكها وأحداثها .

ولقد كان معظم أهل هذه الدولة من العرب الصرحاء الذين أخذوا يهاجرون من شمال الجزيرة وجنوبها قبل الميلاد المسيحي واستمروا على ذلك بعده إلى البعثة النبوية .

ولقد كان التواصل وظل قوياً بينهم وبين شمال الجزيرة وبخاصة مناطق البحرين والسماء واليمامة ونجد حيث يسوغ هذا وذاك أن يقال ان ما ذكرناه في الفصل السابق من حالات اقتصادية واجتماعية وثقافية في شمال الجزيرة ينسحب على أهل هذه الدولة من حضر وبدو كذلك . ولما كان أهل هذه الدولة على صلة مباشرة بالفرس وبأهل العراق

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٢٠ وبعدها

من ناحية وبالروم الذين كانوا أصحاب السلطان في بلاد الشام وبأهل الشام القدماء وجميعهم كانوا أكثر تقدماً من شمال الجزيرة في تلك الحالات فان من الممكن أن يقال ان هذه الحالات في هذه الدولة كانت أحسن منها في شمال الجزيرة وبماثلة لما كانت عليه في الدولة الفسائية .

أما الحالة الدينية فقد كانت في أول الامر كما كانت عليه في جنوب جزيرة العرب أي معبودات سماوية بأسماء متنوعة ومعبودات حامية محلية . وتماثل مادية كرموز لها توضع في المعابد لتقام عندها الطقوس وتقدم لها القرابين مع ملاحظة رب أعلى واعتبار هذه المعبودات مساعدين لديه . ومن أسماء المعبودات التي ذكرتها الروايات السلاة والعزى وسبد والفيذين في العراق العربي والحرق لبكر بن وائل وتيم لبني تيم ووال لتغلب وعوض لبكر بن وائل في جزيرة الفرات .

ولقد تأثر بعض سكان الدولة بالديانة الفارسية المجوسية وعبدوا النار وظلوا على ذلك الى أن حل الاسلام محلها . وتأثروا كذلك بالنصرانية ثم أخذ نطاقها يتسع في القرن الرابع وما بعده ودان بها ملوك الدولة أو كثير منهم حتى كادت تصبح دين الدولة أو أصبحت فعلاً كما كان شأنها في الدولة الفسائية مع احتفاظ بعض القبائل بالشرك والوثنية أيضاً كما كان شأن بعض قبائل الدولة الفسائية على ما يستفاد من الروايات العربية ^١ إلى أن زالت بعد الفتح الاسلامي .

ولقد غدت الحيرة من المراكز المهمة في حركة التبشير النصراني . ومنها ذهب بعض المبشرين الى اليمن واتجاه الجزيرة الاخرى . وفيها انعقد أحد المجامع الكنيسية المعروف بمجمع داد يشوع سنة ٤٢٤ ب م . ولقد ذكرت المؤلفات الكنيسية القديمة عدداً من أساقفة الحيرة منهم هوشع في أوائل القرن الخامس وقد شهد مجعاً كنسياً عقد سنة ٤١٠ ب م ووقع قراراته باسم « اسقف حيرتا » ومنهم شمعون وكان يسمى أسقف العرب وكان حوالي سنة ٤٢٤ ومنهم شمعون حوالي سنة ٤٨٦ والياس حوالي سنة ٤٩٧ ويوسف حوالي سنة ٥٨٥ ب م .

وكان المذهب السائد في هذه الدولة المذهب النسطوري ثم المذهب اليعقوبي والمذنبان متقاربان بعض الشيء على ما شرحناه في الجزء السابق في عقيدة طبيعة المسيح الوحيدة

(١) انظر جواد علي ج ٥ ص ١٠١ وبهذا

المتحدة أو المترجة باللاهوت والناسوت وعدم مساواته للأب مساواة كاملة . وكان الى ذلك فريق يعتقد المذهب المسمى في الرومي القائل بشائية طبيعة المسيح .

وكما أنشأ ملوك الدولة العسانية ورجالها البارزون كثيراً من الأديرة أنشأ أمثالهم في الدولة الاخوية كثيراً منها أيضاً تبعاً لانتشار النصرانية فيها . وكانت هذه بدورها في أماكن نزهة كما كانت ترحب بالرواد والمسافرين الذين كانوا يجدون فيها القرى والبساتين والمتعة والجنود المعتقة . وقد نوه الشعراء بما كانوا يلقونه من ذلك في مقطعات شعرية عديدة أكثرها اسلامي الزمن ويمزى بعضها الى شعراء جاهليين : ومنها ما نظمه شعراء القرون الاسلامية الاولى روتها الكتب العربية في سياق ما روتته من أسماء الأديرة .

من ذلك في دير علقمة ويعزى الى عدي بن زيد العبادي الشاعر النصراني الجاهلي :

عاطيتهم مشموله عندما	نادمت في الدير بني علقمة
اذا مزجناها بماء السما	كان ريح المسك من كأسها
اما اشتبهت اليوم ان تنفعا	علقم ما بالك لم تأتينا
فليجعل الروح له سلماً	من سره العيش ولذاته

ومن ذلك في دير هند الصغرى الذي أنشأته هند بنت النعمان الثالث لشاعر لم يذكر اسمه ٢ :

لدى دير هند والحبيب قريب	ألا ليت شعري هل أبيت ليلة
ويورق غصن السرور وطيب	فقفضي لبانات ونلقى أحبة

ومن ذلك ما يعزى للشاعر العباسي المشهور ابي نواس في دير الرصافة ٣ :

فيه ما تشتهي النفوس وتهوى	ليس كالدير بالرصافة دير
ويوماً ملأت قطريه لهوا	بت ليلة ففضيت أوطاراً

ومن ذلك ما يعزى للشاعر العباسي ابي العيلاء في دير باسرا ٤ :

تزلنا دير باسرا	على قسيه ظهرا
-----------------	---------------

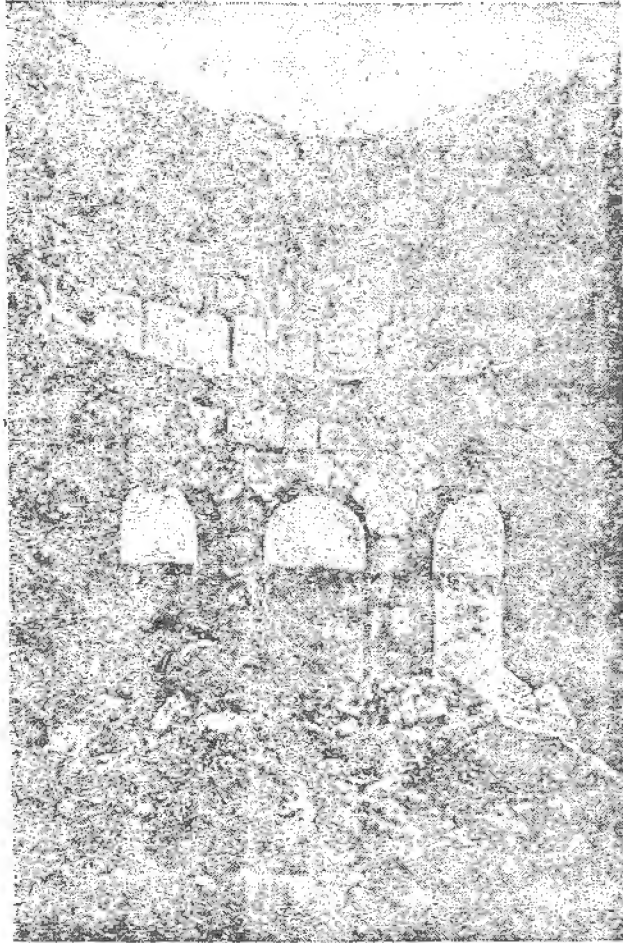
(١) انظر مادة دير واسم دير علقمة في معجم البلدان لياقوت

(٢) المصدر السابق نفسه

(٣) انظر أيضاً كتاب ملوك الحيرة لابي طريف الاعظمي

على دين يسوعي فما أنى وما أمرا
 فأولى من جميل الفعل ما يستجد الحرا
 وسقانا وروانا من الصافية العذرا
 فطار الوقت في الديو ورابطنا به عسرا

وقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان كثيراً من الأديار التي كانت في العراق
 وجزيرة الفرات والتي تلمح على أسمائها لمحة القدم . ويرجع أنها أو أن أكثرها من منشآت



بقايا معبد الرصافة

تقلا عن الجزء السادس من تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي

الدولة اللخمية مثل دير الابلق بالاهواز ودير ايون بين جزيرة ابن عمر وقوية شمانين ودير ابن براق بظاهر الخيرة ودير ابن وضاح بنواحي الخيرة ودير الأبيض المطل على الرها ودير اسحق بين حصن وسلمية ودير الاسكون بالخيرة والدير الاعلى بالموصل ودير الأعور بظاهر الكوفة ودير المن بالقرب من الجودي ودير باغوث على شاطئ دجلة ودير بالما بين الموصل وتكريت ودير باشهر بين سامرا وبعدا ودير بالفال في أعلى الموصل ودير بني مرينا بظاهر الخيرة ودير الثعالب بقرب بغداد ودير الحب شرق الموصل ودير الجرعة بالخيرة ودير الجماجم بظاهر الكوفة ودير حافر بين حلب وبالس ودير الحويق بالخيرة ودير حشبان بنواحي حلب ودير حميم بالاهواز ودير حنظلة بقرب الفرات ودير حنة بالخيرة ودير الحصيب قرب بابل ودير الحنافس غربي دجلة ودير الدهواز بنواحي البصرة ودير دينار في جزيرة افرات ودير الرصافة ودير الزرنوق بين دجلة وجزيرة ابن عمر ودير سابا قرب الموصل ودير سليمان قرب دلولك ودير العاقول بين المدائن والنعمانية ودير عتبة المسيح بالخيرة ودير المذاوي بين الموصل وبادجرم الحج . وقد استغرق ذكر الأديار ستاً وخمسين صفحة ووصف كثير منها بالازاهة والضخامة وأورد في عدد غير قليل منها ما نظمه الشعراء الاسلاميون في القرو والاسلامية الاولى من شعر بمأثـل للمقطعات التي أوردناها .

ونقول هنا ما قلناه في سياق سيرة الدولة الفسانية ان هذا كان على الأرجح امتداداً لما كانت عليه الحالة قبل الاسلام وان فيه ظاهرة من مظاهر الحياة الاجتماعية والعمرانية والدينية في الدولة اللخمية .

ولقد ظل أمر النصرانية في حواضر الدولة اللخمية وبواديها على هذا الى البعثة النبوية وحركة الفتح وبعدها فأخذ الاسلام يحل محلها . وشاء بعض اهلها ان يحتفظوا بنصرانيتهم فأقرهم ولادة المسلمين على ذلك وظلوا على هذا أمداً ومنهم من ظل على ذلك الى اليوم الى جانب الاسلام الذي انضوت كثرة اهل الدولة الساحقة الى لوائه بما صار دليلاً راعياً وحامياً على ان السلطان الاسلامي سار وفق تعاليم القرآن ازاء حرية الدين .

مدى سلطان الدولة اللخمية

يبدو من سيرة الملوك اللخمين وحياتهم انهم كانوا يستعون باستقلال وسيادة في المناطق والقبائل والمدن التي كانت تحت سلطانهم وحكمهم وانهم كانوا يعينون العمال ويجبون الضرائب فيها لحسابهم وان صلتهم بملوك الفرس كانت صلة محالفة ومنافع متقابلة في أكثر الاحيان أكثر منها صلة خاضع تابع أو عامل وان كان يستفاد من ثنايا الروايات أيضاً ان ملوك الفرس كانوا يتكفون أحياناً من بسط سلطانهم على الدولة اللخمية وملوكها ويتدخلون فيها عزلاً ونصباً في ظروف ترتبك فيها حالة الدولة بسبب انكسار حربي أو تنافس على العرش .

ولقد كانت القبائل البدوية التي كانت تغزو وتروح بين جزيرة العرب واطراف العراق وجزيرة الفرات تزعم المدن والقرى بفاراتها فلم يكن للملوك الفرس بد حيناً كان يشتد التنافس والعداء بينهم وبين الروم او حيناً تنشب في بلادهم فتن تنافسية وهذا وذاك مما كان يكثر كثيراً من مصانعة ملوك الحيرة واغداق المنح عليهم واقرار سلطانهم وميادتهم في مناطق دولتهم الحضرية والبدوية . وقد كانوا الى هذا يحتاجون اليهم في نزاعهم مع الروم فكان هذا يجعلهم يسيرون معهم على هذه الحطة في أغلب الاحيان .

ولقد نوه كتاب اليونان والرومان القديما بشدة حب العرب للحرية ومقاومتهم للسيطرة وانتقمهم من الخضوع والخنوع وقالوا انهم الشعب الوحيد من بين الشعوب الآسيوية الذي لم يخضع لحكم الفرس ولم يتمكن الفرس من ارغامهم فكانوا يعاملونهم معاملة اصدقاء حلفاء وجنوا من ذلك فوائد عظيمة وسهل عليهم به فتح مصر ولو كان العرب حرباً على الفرس لما تمكنوا من ذلك قط ١ .

وقد تكون هذه الشهادة العيانة والاختبارية عائدة إلى زمن أقدم من زمن بروز الدولة اللخمية ولكنها تصدق فيما نعتقد على هذا الزمن أيضاً لأن هؤلاء هم أحفاد وأنسال

أولئك ولأن الموقف كان مشابهاً من حيث كان موقف نزاع وتشاد بين الفرس والرومان امتداداً لما كان من مثل ذلك بين الفرس واليونان . وقد امتد هذا الموقف إلى البعثة النبوية فكانت حاجة الفرس مستمرة اليهم وكانت مضانعتهم لهم وعدم اثارتهم بما توجهه هذه الحاجة بدون ريب .

على أن من الحق أن نذكر أن الروايات تفيد أن وطأة السيطرة الفرسية قد اشتدت في أواخر عهد هذه الدولة فكان من مظاهر ذلك قتل كسرى ابرويز النعمان الثالث ونصبه إياساً بن قبيصة الطائي والياً على الحيرة . وقد يدل هذا على أن عصبية الاخمين وهنت في أواخر عهدهم فرأى إياس في نفسه الجرأة على الخول محلهم . ومنذئذ ظل سلطان الفرس هو النافذ على بلاد الدولة الاخمية إلى أن حررتها موجة الفتح العربية الكبرى تحت راية الاسلام بعد قليل من وفاة النبي عليه السلام .

ونذكر مع ذلك بما أوردها قبل من أن ملوك الفرس حاولوا حكم بلاد الدولة الاخمية من قبل حكماء أو قواد من الفرس فأخفقوا فاضطروا إلى نصب ايراس العربي مديراً للعرب ويوم ذي قار الذي انتصف فيه العرب من العجم والذي كان نتيجة لابعاء العرب وأنقذتهم مما فيه تأييد لما قلناه .

ولقد أخذت حواضر العراق وجزيرة الفرات وبواديها تمتلئ بالعرب الصرحاء منذ القرن الأول بعد الميلاد وأخذت أنسال الموجات العربية القديمة من كلدانية وآرامية وعورية وآشورية فيها تتأثر بهم وتنسبك بوتقتهم ويغدو طابع العروبة الصريحة طابعاً لها واللغة العربية الصريحة لغة لها على ما تفيد روايات السيرة والفتح العربي حتى إذا تم هذا الفتح وتوطد سلطان العرب من جديد على هذه البلاد صارت اللغة العربية الفصحى والصبغة العربية الصريحة لغتها وصبغتها الشاملتين الخالدتين المقدستين .

(٢) انظر طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٥-٢٧ و ٤٨ و ٧٩-٨٢ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩٤

-٥٢٢ و ٥٥١-٥٧٨-

- ٥- ٨ تمهيد في بحث مصادر هذا الدور
- ٩- ٥٨ (الفصل الأول) مظاهر بروز الشخصية العربية الصريحة تطور كلمة العرب والعروبة - مراحل تطور اللغة العربية - شمول اسم العرب لجميع العرب وغدو اللغة الفصحى لغة جميع العرب قبل الاسلام
- ٥٩- ١٢٠ (الفصل الثاني) تاريخ الجنس العربي في جنوب الجزيرة في هذا الدور - مملكة سبأ وذو ريدان - مملكة سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت أو المملكة الحميرية .
- ١٢١- ٣٠٦ (الفصل الثالث) تاريخ الجنس العربي في شمال الجزيرة في هذا الدور - تمهيد - المملكة الكندية - ممالك البحرين والسماعة وعمان واليامة - ممالك ثمود ولحيان وتيماء والجرهاء - نظام الحكم في مكة - نظام الحكم في الطائف - نظام الحكم في يثرب - اليهود في يثرب - نظام الحكم في القبائل وأسلوب حياتها وبعض أحداثها - أيام العرب - أنساب القبائل العربية العدنانية في شمال الجزيرة وأسماءها وتفرعاتها - القبائل القحطانية في شمال الجزيرة - الحالة الاقتصادية والاجتماعية والدينية في شمال الجزيرة في هذا الدور .
- ٣٠٧- ٤٢٦ (الفصل الرابع) تاريخ الجنس العربي في هذا الدور خارج جزيرة العرب . تمهيد في حركة الانسياح العربي خارج الجزيرة ومصادر الفصل الممالك والمآثر العربية في بلاد الشام :
- مملكة عريبي - مملكة دومة الجندل - مملكة قيدار - مملكة الرها - العبطوريون - ممالك وامارات ومدن وقبائل عربية اخرى في أنحاء بلاد الشام - النقوش الصفوية ودلالاتها - دولة الأنباط - دولة تدمر - التنوخيون والضجاعة - الدولة اللسانية .
- الممالك والمآثر العربية في بلاد العراق
- التنوخيون - مملكة الحضر - مملكة عربية في شمال الخليج العربي - المملكة النخعية .

الكتب المطبوعة الاخرى للمؤلف

- رواية وفود النعمان
- دروس في فن التربية
- مختصر تاريخ العرب والاسلام جزءان
- دروس التاريخ العربي
- دروس التاريخ المتوسط والحديث
- دروس التاريخ القديم
- توكية الحديثة
- بواعث الحرب العالمية الأولى
- عصر النبي عليه السلام وبعثته قبل البعثة { مقتبس من القرآن
- سيرة الرسول عليه السلام جزءان
- القرآن واليهود
- القرآن والمرأة
- القرآن والضمائم الاجتماعي
- القرآن المجيد
- حول الحركة العربية الحديثة ستة أجزاء
- مشاكل العالم العربي
- الدستور القرآني
- الوحدة العربية
- تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم
- الاجزاء الاربعة الأولى من تاريخ الجنس العربي
- مأساة فلسطين
- جهاد الفلسطينيين
- العرب والمروية في حقبة التغلب التركي ثلاثة أجزاء
- عروبة مصر في التاريخ